بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القـــرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي): محمد بن حامد منور الجعاني كلية: الدعوة وأصول الدين قسم: العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة: الماجستير في تخصص: العقيدة

عنوان الأطروحة: ((الصلة بين التشيع والاعتزال))

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١ / ٨ / ١٤٢٩هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة، وحيث قد تم عمل اللازم؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي
الاسم د/ سليمان بن عبد الله السلومي	الاسم د/ أ/ محمد سعد حمدان	الاسم د/ محمود محمد مزروعة
التوقيع:	التوقيع:	التوقيع:

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم: د/ عبد الله بن محمد القرني

التوقيع:

• يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة.

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

الصلة بين التشيع والاعتزال

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب:

محمد بن حامد بن منور الجدعاني

إشراف فضيلة الدكتور:

سليمان بن عبدالله السلومي

الجزء الأول

١٤١٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

" ملخص الرسالة "

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:-

فإن هذه الرسالة والتي هي بعنوان " الصلة بين التشيع والاعتزال" قد اشتملت على أربعة فصول وكل فصل منها احتوى على جملة من المباحث والمطالب والمقاصد والمسائل الهامة. وقد تضمنت الحديث عن الصلة التأريخية والعقدية بين كل من الشيعة الإمامية الاثنى عشرية والزيدية مع المعتزلة منذ بدايتها - في الثلث الأول من القرن الثاني الهجري - وإلى عصرنا الحاضر عبر استقراء شامل لأكثر الكتب المؤلفة في التشيع والاعتزال.

وقد كان من أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث ما يلي:-

١- أن التشيع كان أظهر وأقوى في معتزلة بغداد منه في معتزلة البصرة.

٢- أن الصلة بينهما قديمة تعود إلى القرن الثاني الهجري حيث إن أول من وصف بجمعه للتشيع والاعتزال هو أبو سهل عوف الاعرابي المتوفى سنة ١٤٧هـ ثم بعده توالت حالات عديدة جمعت بين هذين الوصفين.

٣- أن التأثر والتأثير كان متبادلا بين الشيعة والمعتزلة حيث تأثر الزيديّة بالمعتزلة في جميع أصولهم الخمسة والإمامية الاثنا عشرية تأثروا بهم في أصلي العدل والتوحيد فقط وأما المعتزلة فقد كان تأثرهم بالتشيع محصورا في التفضيل وبعض مسائل الإمامة.

٤- أن الشيعة الاثنى عشرية تحولوا من التجسيم إلى التعطيل بعد اتصالهم بالمعتزلة.

٥- أن التيارات الشيعية المعارضة للاتصال بالمعتزلة ما كانت معارضة مجرد التأثر بالاعتزال وإنما للاغراق والاكثار منه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

توقيع الباحث **توقيع المشرف** **توقيع عميد الكلية**

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (آل عمران آيه ١٠٢) .

" يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث فيهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا " (النساء ايه ١). (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (الأحزاب آيه ٧٠-٧١)

أما بعد :

فان الله تبارك وتعالى بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل وانطماس من السبل وتفرق من الناس فلا يعرفون من دين الله شيئا بل حجة أهلها فيما اتخذوه من معبودات من دون الله ما حكاه الله عنهم (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) (الزخرف آية ٢٢) ومعتصمهم عند التنازع والاختلاف والتحاكم إلى آراء الرجال وأحكام ما أنزل الله بها من سلطان فهدى الله جل وعلا بهذا النبي الكريم من الضلالة وبصر به من العمى وجمع به القلوب بعد ان كانت متباعدة متناحرة واصبح الناس يعيشون في ظل هذا الدين بنعمة صفاء العقيدة فلا يعبدون إلا الله ولا يخشون إلا إياه ولا يحتكمون في شيء من أمور دينهم ودنياهم إلى أحد غير الله ورسوله ثم كان الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أمة واحدة ودينهم قائما في خلافة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فما استشهد قفل باب الفتنة[1] عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانكسر الباب قام رؤس الشر والفتنه على الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى ذبح صبرا وتفرقت الكلمة وتمت وقعة الجمل ثم وقعة صفين فظهرت

---

[1] إشارة إلى الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه (١/١٩٦) رقم ٢٠٥ و (٢/٥٢١) رقم ١٣٦٨ و (٢/٦٧٠) رقم ١٧٩٦ والإمام مسلم في صحيحه (٤/٢٢١٨) رقم ١٤٤ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : " كنا عند عمر. فقال: " أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة كمال قال ؟ قال قلت: أنا . قال: إنك لجرئ . وكيف قال ؟ قال قلت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ". فقال عمر: " ليس هذا أريد. إنما أريد التي تمرج كموج البحر. قال قلت: مالك ولها؟ يا أمير المؤمنين! إن بينك وبينها بابا مغلقا. قال: أفيكسر الباب أم يفتح؟ قال قلت: لا. بل يكسر. قال : ذلك أحرى أن لا يغلق أبدا. قال فقلنا لحذيفة: هل كان عمر يعلم من الباب؟ قال: نعم. كما يعلم أن دون غد الليلة. إني حدثته حديثا ليس بالأغاليط. قال فهبنا أن نسأل حذيفة: من الباب؟ فقلنا لمسروق: سله. فسأله. فقال: عمر.

الخوارج وكَفَّرت سادة الصحابة رضي الله عنهم ثم ظهرت الروافض والنواصب وفي آخر زمن الصحابة ظهرت القدرية ثم ظهرت المعتزلة بالبصرة والجهمية والمجسمة بخراسان في أثناء عصر التابعين مع ظهور السنة وأهلها إلى ما بعد المأتين[1] حيث انتشرت البدع أكثر من ذي قبل ولا عجب فانه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف[2] فانفتح باب الافتراق على مصراعيه لكل ضال ومبتدع ومتبع للهوى وبقيت أصول الفرق موجودة بين المسلمين إلى يومنا هذا تنخر في الأمة الإسلامية وتروج عقائدها الفاسدة بشتى الطرق والوسائل بل قد تواصل كثير من هذه الفرق وتعاون رغم التناقض الواضح بين أصول وعقائد كل منهم وما ذلك إلا للحفاظ على البيضة وإضعاف شوكة أهل السنة والجماعة وكان من ضمن هذه الصلات الصلة بين الشيعة والمعتزلة حيث اجتمع التجسيم بالتعطيل والعقل بالخرافات والأباطيل فصارت الشيعة معتزلة كما ذاب الاعتزال في التشيع وارتمى في أحضانه ونتيجة لهذا الحدث الغريب ظهرت أسئلة تطرح نفسها بقوة كمتى بدأت هذه الصلة ؟ وكيف بدأت ؟ وعلى أي مباحث العقيدة اشتملت ؟ وما مدى التأثر والتأثير بين كل من الفرقتين ؟ وكيف أن الشيعة الذين يزعمون أخذ دينهم عن الأئمة المعصومين قد انفصم تاريخهم العقدي إلى فترتين متناقضتين فيها رائدا فلا بد من ضلال إحداهما لا محالة[3] وبذلك يسقط التقديس الذي جعله الشيعة ملازما لمذهبهم كونه مأخوذا عن الإمام الذي يخطئ ولا يسهو اعتقادهم فيه .

ومن هنا فالدراسة العلمية لهذه الصلة بين الشيعة والمعتزلة تاريخا وعقيدة إنما هي دراسة واقعية تعالج أمرا موجودا وملموسا بعيدا عن الترف الفكري أو الاشتغال بفرق وملك قد بادت وطواها الزمان منذ أمد بعيد .

وقد دفعني الاختيار هذا الموضوع عدة أسباب تتلخص فيما يلي :

١- بيان تناقض مذهب الشيعة الذي يزعم أصحابه أنه المذهب الحق وذلك بمعرفة أن أوله يخالف آخره مخالفة تامة لا يمكن معها إلا الطعن في أحد المسارين لا محالة إما مسار المتقدمين الذي هو التجسيم وإما مسار المتأخرين الذي هو التعطيل ومن ثم بيان أن المنهج العقلي والاتجاه الكلامي إنما هما في الأصل

---

(1) سير أعلام النبلاء (١١/٢٣٦)

(2) المنتقى من منهاج الاعتزال ص ٣١٤

(3) انظر منهاج السنة النبوية (٢/٢٣٣-٢٣٤ ، ٢٤٣) (٣/٥-٧) والمنتقى من منهاج الاعتزال ص ٢١

للمعتزلة وعن طريقهم انتقل إلى الشيعة خلافا لزعمهم أخذه عن الأئمة المعصومين .

٢-الوقوف على الأسباب التي أدت إلى هذه الصلة بين الشيعة والمعتزلة رغم العداء الشديد الذي كان بينهما إضافة إلى التناقض الظاهر بين كلا المذهبين .

٣-إن الكتب التي الفت في هذا الباب لم تف-حسب نظري - بالمقصود وذلك أن بعضها يورد مقارنة صرفة من غير أن يشير إلى المؤثر والمتأثر باستثناء اشارات جزئية متفرقة عن بعض الأفراد لكلا الفرقتين دون التجديد المطلق للفكر الأسبق منهما[١] . وبعضها أضفى على العقيدة الشيعية استقلالية وأنها لم تتأثر أبدا بعلم الكلام لدى المعتزلة[٢] ومنهم من جعل المعتزلة هم الأصل في الاتجاه العقلي وأن الشيعة مالة عليهم[٣] أو أن التأثر لم يكن متبادلا بين الشيعة والمعتزلة وإنما كان من جهة الشيعة فقط[٤] .

لذلك احتاج الأمر مني أن أكتب في هذا الموضوع بشقيه التاريخي والعقدي مع الاهتمام البالغ ببيان التأثر والتأثير بينهما وما صاحبه من اتفاق واتصال مع الالتزام بمنهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة في العرض والنقد .

٤-الرد على من زعم غياب الفكر المعتزلي واندثاره منذ قرون طويلة وبيان أن المعتزلة وإن غابت أشخاصا أو فرقة مستقلة إلا إن عقائدها لا تزال مبثوثة بين كثير من الفرق كالشيعة الإمامية والزيدية وغيرهم .

٥- التأكيد على أن أهل الافتراق يدورون مع الهوى والجهل فحيث مالت أهـو أو هم مالوا حتى وإن كان من يميلون إليه من ألد أعدائهم إذ المهم عندهم هو تحقيق

---

[١] انظر : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية ص ٤٥١ د/ عائشة المناعي

- Seena CD ermett – The Thelogy of Al-Mufid P397

[٢] انظر الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة لهاشم معروف الحسني ص ١٠ ، ٢٤٢ – ٢٤٣ والمسار الفكري بين المعتزلة والشيعة من البداية حتى عصر الشيخ المفيد ص ٣،٥٥،٥٦ والزيدية نظرية وتطبيق . علي بن عبد الكريم الفضيل ص ١٩ – ٢٢ والصلة بين الزيدية والمعتزلة لأحمد عارف ص ٥٩ .

[٣] The Intellectual Relationship between Mu Tazilism Andshi ISM Byerfan Abd Al Hamid , Piii – iii

[٤] تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره ص :ب وهناك كتب أخرى في موضوع هذه الصلة منها كتاب شيعة المعتزلة لبندلي صليبا الجوزي ت سنة ١٣٦٤هـ مكتوب باللغة الروسية ذكره مولف الأعلام الشرقية (٢ / ٨٧٠) .

مصلحتهم بغض النظر عما يترتب على ذلك من تنازلات عن ثوابت عقدية قد تكون هي أسس المذهب الذي يدور عليه[1] .

لهذه الأسباب وغيرها عزمت على الكتابة في هذا الموضوع وتسجيله رسالة علمية النيل درجة الماجستير في العقيدة بعنوان "الصلة بين التشيع والاعتزال " وقسمته إلى مقدمة وأربعه فصول وخاتمه ثم الفهارس .

* ففي المقدمة تحدثت عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره مع دراسة موجزة عن المؤلفات السابقه التي ألفت فيه ثم بيان لخطة البحث التي سرت عليها في كتابته .

*** الفصل الأول وهو بمثابة التمهيد وفيه مبحثان :**

المبحث الأول : التشيع وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : معاني الشيعة والتشيع في اللغة والاصطلاح وفيه مقصدان:-

المقصد الأول : معاني الشيعة والتشيع في اللغة.

المقصد الثاني : معني الشيعة والتشيع في الاصطلاح وفيه مسائل :-

الأولي : تعريف الشيعة في كتب الإمامية.

الثانية : تعريف الشيعة في كتب أهل السنة.

الثالثة : التعريف المختار.

المطلب الثاني : في تاريخ الشيعة والتشيع وفيه مقصدان :-

المقصد الأول : نشأة التشيع وذكرت فيه الأقوال الواردة مع بيان القول الراجح ونقد الأقوال الخاطئة .

المقصد الثاني : فرق الشيعة وتكلمت فيه عن الآراء في عدد فرق الشيعة وأصولها التي انبعثت عنها مع بيان الرأي الراجح وأسباب الترجيح ثم ذكرت أصول الفرق الشيعية وأنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام ١) الغلاة ٢)الإمامية ٣) الزيدية

---

[1] ولأهمية هذه المسألة فقد أصبح هذا الجانب مطروقاً – ولله الحمد – في عدد من جامعات هذه البلاد فمن ذلك العلاقات بين التشيع والتصوف " رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه وإعداد الطالب : فلاح بن إسماعيل بن أحمد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وتأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره " رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير إعداد الطالب : عبد اللطيف بن عبد القادر الحفظي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ،و" تأثير المعتزلة في الاشاعرة عرض ونقد" اعداد الطالب : منيف العتيبي رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . وجميعها قد نوقش وأجيز.

المبحث الثاني : الاعتزال وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : معاني الاعتزال في اللغة والاصطلاح وفيه مقصدان :-

المقصد الأول : معاني الاعتزال في اللغة :-

المقصد الثاني : معاني الاعتزال في الاصطلاح.

المطلب الثاني : في تاريخ الاعتزال وفيه ثلاثة مقاصد :-

المقصد الأول : نشأة الاعتزال وذكرت فيه الآراء في أصل تسمية المعتزلة بذلك وذكر أسمائهم وألقابهم وعلة ذلك مع بيان ما أطلق الخصوم عليهم وما أطلقوه على أنفسهم وتاريخ ومكان نشأة الاعتزال ذكرت فيه تاريخ ظهور الاعتزال وبدايته والمكان الذي نشأ فيه.

المقصد الثاني : مدارس المعتزلة وتكلمت فيه على انقسامها إلى مدرستين بصرية وبغدادية .

المقصد الثالث : فرق المعتزلة وذكرت فيه فرق المعتزلة مع بيان نبذة مختصرة عن مؤسسها وجملة من معتقداتها مراعيا في ذلك في ذلك الترتيب الزمني في نشأتها وتكوينها قدر الإمكان .

الفصل الثاني : الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة والمعتزلة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة .وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : الصلة التأريخية بين المعتزلة والشيعة في القرون الثلاثة الولى للهجرة وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : أقوال العلماء في ثبوت الصلة بين الشيعة والمعتزلة وتكلمت فيه على الأقوال الواردة في ثبوت هذه الصلة وقسمته إلى ثلاثة مقاصد.

المقصد الأول : أقوال أهل السنة وعنيت بهم كل من أثبت خلافة الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين .

المقصد الثاني : أقوال الشيعة سواء أكانوا من الامامية أو الزيدية .

المقصد الثالث : أقوال المستشرقين .

المطلب الثاني : الأسباب التي دفعت الشيعة والمعتزلة إلى الاتصال ببعضهما البعض وقسمته إلى ثلاثة مقاصد :-

المقصد الأول : أسباب تتعلق بالمعتزلة.

المقصد الثاني : أسباب تتعلق بالشيعة الزيدية .

المقصد الثالث : أسباب تتعلق بالشيعة الامامية.

المطلب الثالث : الأقوال الواردة في تحديد بداية الصلة بينهما وقسمته إلى مقصدين :-

المقصد الأول : ذكرت فيه الأقوال في بداية هذه الصلة وعددها خمسة أقوال.

المقصد الثاني : ذكرت فيه القول الراجح وأسباب الترجيح مقرونة بالأدلة.

المبحث الثاني : الصلة العقدية بين المعتزلة والشيعة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة وذكرت فيه مطلبان :-

المطلب الأول : الاتجاه الشيعي العام في العقيدة وفيه مقصدان :-

المقصد الأول : الاتجاه الإمامي الاثنا عشري.

المقصد الثاني : الاتجاه الزيدي .

المطلب الثاني : نماذج من علماء الشيعة والمعتزلة لبيان ثبوت الصلة العقدية بينهما وفيه ثلاثة مقاصد :-

المقصد الأول : نماذج من علماء الشيعة الزيدية.

المقصد الثاني : نماذج من علماء الشيعه الاماميه الإثني عشرية .

المقصد الثالث : نماذج من علماء المعتزلة .

الفصل الثالث : الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة والمعتزلة من القرن الرابع إلى القرن الثالث عشر الهجري وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة الامامية والمعتزلة فيه مطلبان:-

المطلب الأول : الصلة التأريخية بين الشيعة الامامية والمعتزلة وفيه تكلمت عن استمرار ظاهرة الاتصال وتوثقها خلال هذه القرون .

المطلب الثاني : الصلة العقدية بين الشيعة الامامية والمعتزلة وتكلمت فيه عن منهج الاستدلال على مسائل أصول الدين عند المعتزلة والشيعة الامامية ثم الكلام على الصلة بينهما في مباحث التوحيد والعدل.

المبحث الثاني : الصلة التاريخية والعقدية بين الشيعة الزيدية والمعتزلة من القرن الرابع إلى القرن الثالث عشر الهجري وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : الصلة العقدية بين الشيعة الزيدية والمعتزلة وتكلمت فيه عن منهج الاستدلال على مسائل أصول الدين عند المعتزلة والشيعة الزيدية ثم الكلام على الصلة بينهما في مباحث التوحيد والعدل.

الفصل الرابع : الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة والمعتزلة في القرن الرابع عشر الهجري وفيه مبحثان :-

المبحث الأول : الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة الامامية والمعتزلة وفيه مطلبان:-

المطلب الأول : الصلة التأريخية بين الشيعة الامامية والمعتزلة.

المطلب الثاني : الصلة العقدية بين الشيعة الامامية والمعتزلة.

المبحث الثاني : الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة الزيدية والمعتزلة وفيه مطلبان:-

المطلب الأول : الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة الزيدية والمعتزلة.

المطلب الثاني : الصلة العقدية بين الشيعة الزيدية والمعتزلة.

المبحث الثاني : الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة والزيدية والمعتزلة وفيه مطلبان

الخاتمة : رزقنا الله حسنها وقد بينت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

الفهارس : وقد وضعتها في آخر البحث على النحو التالي :-

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام حيث ترجمت فيه باختصار للأعلام الذين ذكرتهم في صلب البحث والذين رأيت أن أترجم لهم بحسب الحاجة خاصة الأعلام غير المشهورين . وقد أخرت التراجم في ملحق مستقل بآخر الرسالة لئلا يطول البحث في صلب الرسالة .

٤- فهرس الفرق والمذاهب والأديان.

٥- فهرس المراجع .

٦- فهرس الموضوعات .

وختاما فهذا جهد المقل وحسبي أني قد عملت أقصى ما أستطيع. ويعلم الله أني لم أدخر وسعا في سبيل الوصول إلى ما يحصل به مقصود البحث ملتمسا في ذلك طلب الحق – إن شاء الله – في كل مسألة لذلك سافرت إلى بلدان عدة عربية وأجنبية رجاء الحصول على مصادر الشيعة الزيدية والإمامية الإثني عشرية والمعتزلة حتى يكون النقل من مصادرهم أولا ثم أعقب عليه بكلام الراسخين في العلم من أهل السنة والجماعة .

ثم إنني في نهاية البحث أحمد الله وأشكره أولا وآخرا وظاهرا وباطنا على عظيم نعمه وجزيل عطائه فنعمه علينا تترى لا تعد ولا تحصى حيث يسر لي بمنه وكرمه إتمام هذا البحث على هذه الصورة التي أرجو منه سبحانه وتعالى أن تكون وافية بالمقصود وخالصة لوجهه الكريم .

كما أنني وانطلاقا من قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[1] . أشكر أستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة الدكتور : سليمان بن عبد الله السلومي الأستاذ بقسم العقيدة في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى على ما قدمه لي من وقت وجهد ونصح وسعة صدر وإمداد بالمراجع المهمة مما كان له أبلغ الأثر في سبيل إخراج هذا البحث بهذه الصورة وأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء وأن يمد في عمره ويبارك في وقته وولده ويرزقه اليقين والعافية في الدين والدنيا والآخرة إنه سميع قريب مجيب .

كما أشكر جميع الأخوة والأساتذة الذين قدموا لي كل توجيه ونصح أفدت منهما في مسيرة البحث .

ولا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى ممثلة في عمادة الدراسات العليا وكلية الدعوة وأصول الدين وأخص بالذكر قسم العقيدة على اهتمامه بالعلوم الشرعية وطلابها أيما اهتمام مما كان له أبلغ الأثر في نفوسنا جميعا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي الجميع الأجر والمثوبة في الدنيا والآخرة .

---

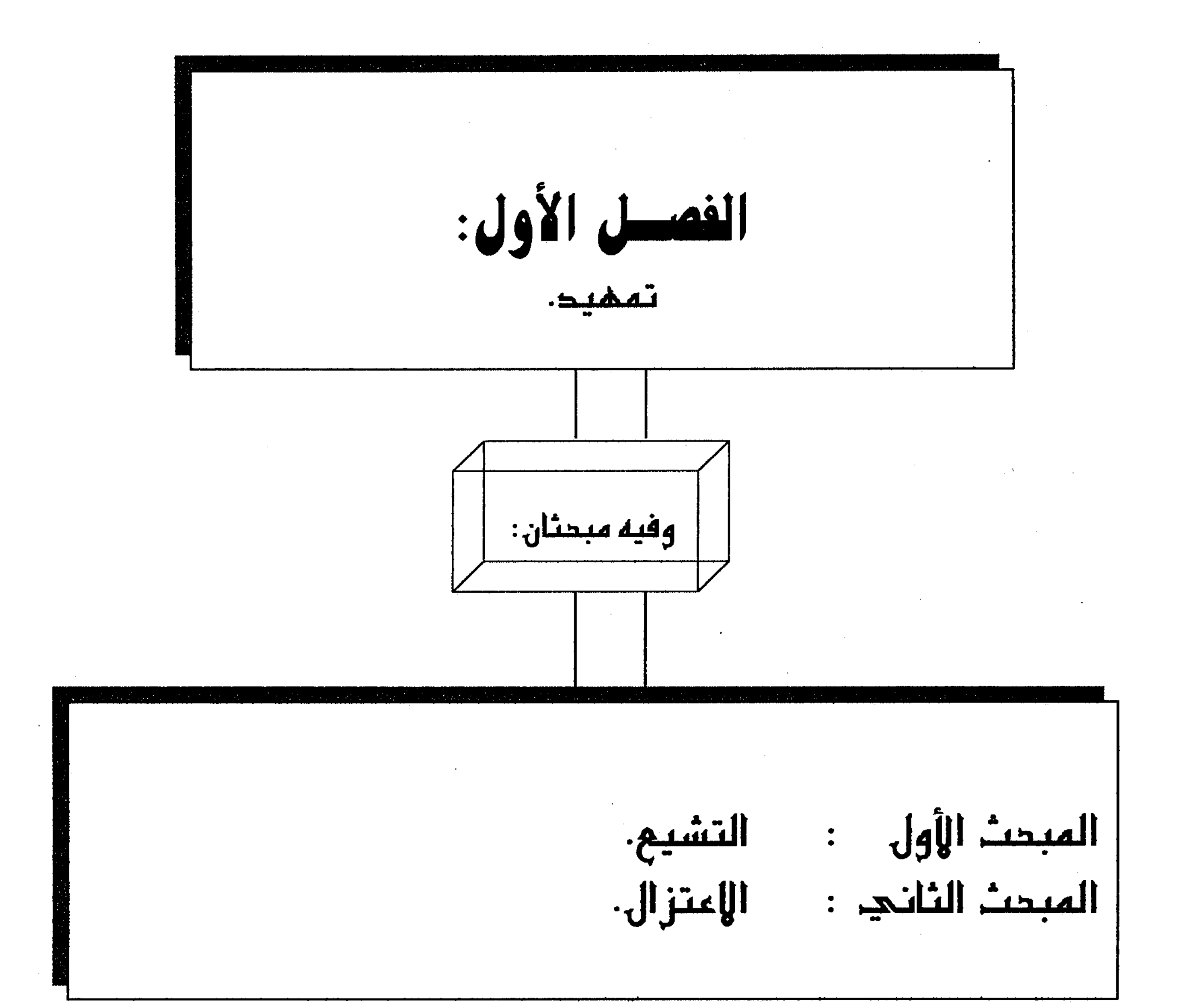
(1) حديث صحيح رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/٢٩٥) وأبو داوود في سننه (٥/١٥٧) رقم ٤٨١١ والترمذي في سننه (٤/٢٩٩) رقم ١٩٥٤ وقال حديث صحيح. وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٧٧١٩.

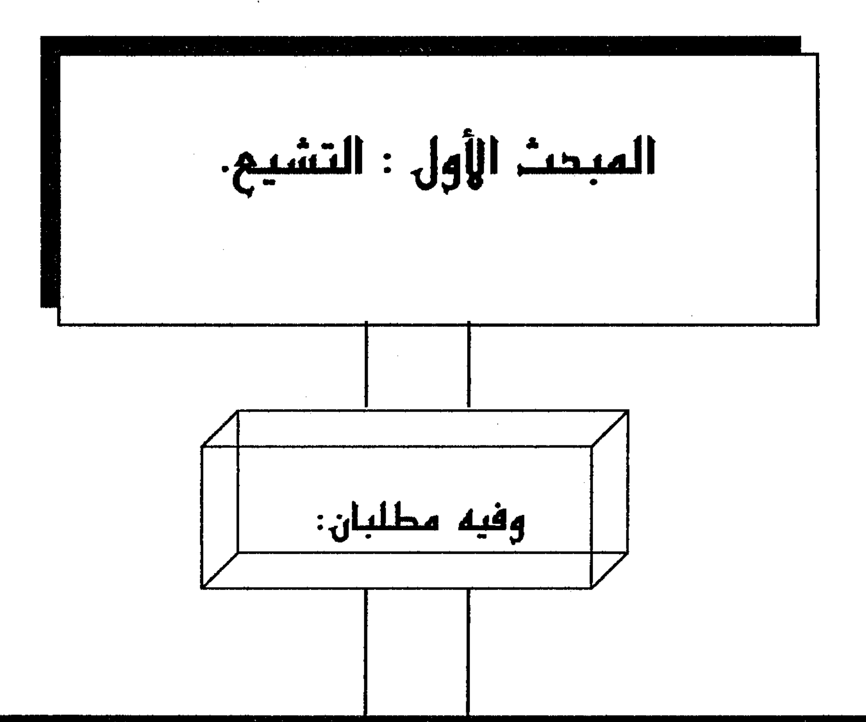
هذا وأسأل الله الكريم أن يتقبل عملي هذا بفضله ورحمتـــه وأن يجعلـه خالصـا لوجهه وأن يغفر لي خطئي وتقصيري هو حسبي لا إله إلا الله هو عليه توكلــت وهو رب العرش العظيم . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلــى آلــه وصحبه وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * * * * *

* * *

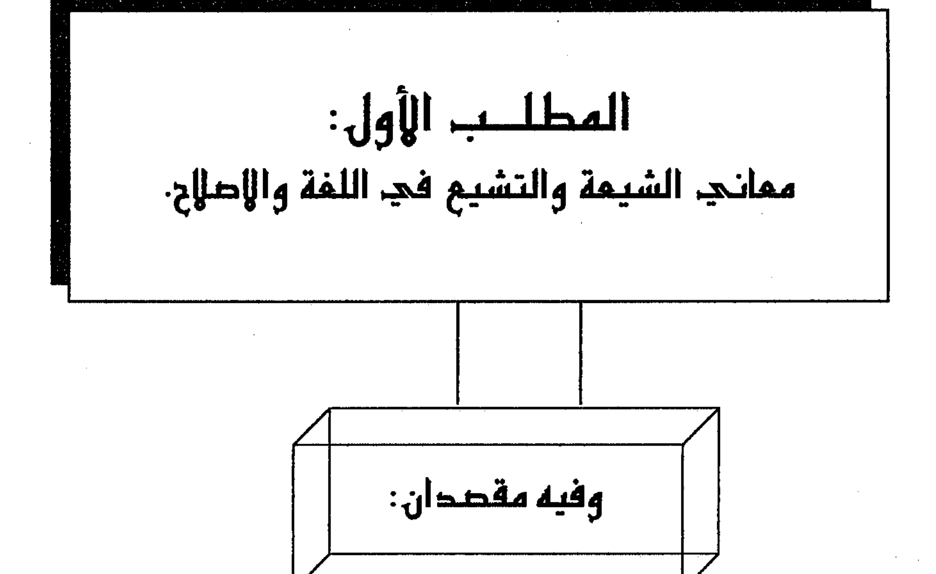
*


الفصل الأول:
تمهيد.
وفيه مبحثان:
المبحث الأول : التشيع.
المبحث الثاني : الاعتزال.



المطلب الأول : معاني الشيعة والتشيع

المطلب الثاني : في تاريخ الشيعة والتشيع



المقصد الأول: معاني الشيعة والتشيع في اللغة.

المقصد الأول: معاني الشيعة والتشيع في اللغة :

الشيعة :

تعني أنصار الرجل وأتباعه وأعوانه ومن يرى رأيه وهي الطائفة المجتمعة على أمر[١] .

وهذه اللفظة – الشيعة – سواء كانت مجردة (أو مضافة إلى علي رضي الله عنه) لا تعني العموم وإنما تتصرف إلى دلالة خاصة هي الجماعة التي ناصرت علياً رضي الله عنه وشايعته والتفت حوله وجعلت منه إماماً لها تقتدي به وتجعل له مقاماً يسمو على مقام معاصريه فيما عدا الرسول صلى الله عليه وسلم[٢].

وأما التشيع : فيتضمن في معناه الاتباع والنصرة من جماعة لرجل عموماً[٣] وهو في أصل اللغة الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع على الإخلاص[٤].

فنجد أن لفظ الشيعة لا يتبعض بمعنى أنه لا يطلق على من يأخذون بكل عقائد الشيعة أو بعضها على حد سواء وإنما يطلق على من انطبق عليه تعريف الشيعة ، قال ابن حزم : " من وافق الشيعة في أن علياً – رضي الله عنه – أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس بشيعي"[٥].

فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم[٦].

أما لفظ التشيع فهو لفظ يطلق على من يوافق الشيعة في بعض عقائدهم فيقال فلان فيه تشيع أي ميل إلى آل البيت وتأييد لعلي على معاوية – رضي الله عنهما – أو أنه يقدم علياً على عثمان – رضي الله عنهما – ولا يقال فلان فيه تشيع لمن اعتقد مذهب الشيعة كله أو أكثره .

---

[١] نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص ٣٧٦ ، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٢٣٥-٢٣٦) ، جمهرة اللغة لابن دريد (٣/٦٣)، نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص ٣٧٦).

[٢] الصلة بين التصوف والتشيع لكامل الشيبي ص ١٩وانظر: مقالات الإسلاميين (١/٦٥)

[٣] الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٩

[٤] المصدر السابق ص ١٩

[٥] الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/٢٧٠)

[٦] لسان العرب (٨/١٨٩)

ويطلق أيضا على المذهب فيقال ينتشر التشيع في بلاد كذا ونشأ في عام كذا . وقد يراد به من ادعى دعوى الشيعة فيقال تشيع الرجل إذا ادعى دعوى الشيعة[١] ، أي صار شيعيا ومن الشيعة .

ولإيضاح ما سبق أنقل جملة من كلام أئمة أهل اللغة المعتبرين في هذا الشأن مما يحصل به المقصود :-

يقول ابن دريد : " فلان من شيعة فلان أي ممن يرى رأيه وشيعت الرجل على الأمر تشييعا إذا أعنته عليه وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعا إذا مالأته عليه"[٢] .

ويقول الأزهري: " والشيعة أنصار الرجل وأتباعه وكل قوم اجتمعوا على أمر هم شيعة والجماعة شيع وأشياع والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم ويوالونهم ... والشيعة التي يتبع بعضهم بعضا والشيع الفرق الذي يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين"[٣].

ويقول الجوهري : " تشيع الرجل أي ادعى دعوى الشيعة وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع، قال ذو الرمة : استحدث الركب عن أشياعهم خبرا أي عن أصحابهم "[٤].

ويقول ابن فارس: " شيع الشين والياء والعين أصلان يدل أحدهما على معاضدة ومساعفة والآخر على بث وإشادة فالأول : قولهم شيع فلان فلانا عند شخوصه ويقال آتيك غدا أو شيعه أي اليوم الذي بعده كأن الثاني مشيع للأول في المضي والمشيع هو الذي يساعد الآخر ويقارنه . والشيعة : الأعوان والأنصار . وأما

---

(١) الصحاح للجوهري (٣/١٢٤٠)

(٢) جمهرة اللغة (٣/٦٣)

(٣) تهذيب اللغة (٣/٦١)

(٤) الصحاح (٣/١٢٤٠)

الآخر : فقولهم شاع الحديث إذا ذاع وانتشر(١) .

ويقول ابن منظور : " والشيعة القوم الذين يجتمعون على الأمر وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع ... وأصل الشيعة :الفرقة من الناس ويقع على الواحد والإثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد وقد غلب هذا الاسم على من يتوالى علياً وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين حتى صار لهم اسماً خاصاً فإذا قيل: فلان من الشيعة عرف أنه منهم وفي مذهب الشيعة كذا أي عندهم وأصل ذلك من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة ... والشيعة قوم يرون رأي غيرهم وتشايع القوم صاروا شيعاً وشيَّع الرجل' إذا ادعى دعوى الشيعة وشايعه شياعاً وشيعة تابعة ... ويقال فلان يشايعه على ذلك أي يقويه(٢) .

ويقول الفيومي : " شاع الشيء يشيع شيوعاً ظهر ويتعدى بالحرف وبالألف فيقال شعت به وأشعته والشيعة الأتباع والأنصار وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ثم صارت الشيعة نبزاً لجماعة مخصوصة والجمع شيع مثل سدرة وسدر والأشياع جمع الجمع وشيعت رمضان بست من شوال أتبعته بها وشيعت الضيف خرجت معه عند رحيله إكراماً له وهو التوديع وشيع الراعي بالإبل صاح بها فتبع بعضها بعضاً .. وشايعته على الأمر مشايعة مثل تابعته متابعة وزنا ومعنى" (٣) .

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٣٥ – ٢٣٦)

(٢) لسان العرب (٨/١٨٨ – ١٨٩)

(٣) المصباح المنير ص ١٢٦

يقول الزبيدي : " كل من عاون إنسانا وتحزب له فهو له شيعة وأصل الشيعة من المشايعة وهي المتابعة وقيل عين الشيعة واو من شوع قومه إذا جمعهم وقد غلب هذا الاسم (الشيعة) على كل من يتولى عليا وأهل بيته ... وهم أمة لا يحصون مبتدعه وغلاتهم الإمامية المنتظرية يسبون الشيخين وغلاة غلاتهم يكفرون الشيخين ومنهم من يرتقي إلى الزندقة "[١] .

ويقول الفيروز آبادي: " شيعة الرجل بالكسر أتباعه والفرقة على حده ويقع على الواحد والإثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما خاصا لهم والجمع أشياع وشيع كعنب "[٢] .

مما سبق نصل إلى أن معاني الشيعة والتشيع في اللغة تدور حول الآتي :

الموافقة في الرأي والممالأة على الأمر والاجتماع عليه أو المناصرة والمتابعة والمعاونة والمطاوعة والمعاضدة والمساعفة أو التحزب للشخص. والشيعة القوم الذين رأيهم واحد ويتبع بعضهم رأي بعض وهم الذين يرون رأي غيرهم فينصرونه ويقوونه .

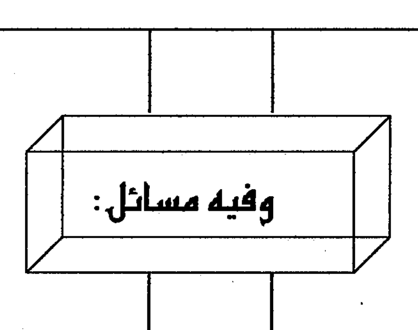
---

[١] تاج العروس في شرح القاموس (٤٠٥/٥)

[٢] القاموس المحيط (٤٩/٣) وانظر : نزهة الأعين والنواظر ص ٣٧٦

المقصد الثاني:

معاني الشيعة والتشيع في الاصطلاح.



الأولى: تعريف الشيعة في كتب الإمامية والإسماعيلية.

الثانية: تعريف الشيعة في كتب الإمامية وأهل السنة.

الثالثة: التعريف المختار.

المقصد الثاني: معـاني الشـيعة والتشـيع في الاصطـلاح :-

المسألة الأولى : تعريف الشيعة في كتب الإمامية الاثني عشرية :

١- يعرف القمي - شيخ الشيعة - الشيعة بقوله " الشيعة فرقة علي ابـن أبـي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسـلم وبعـده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته"[١] وإلى مثل هـذا التعريـف يذهـب النوبختي في تعريفه الشيعة [٢] .

٢- تعريف المفيد ويقول فيه إن لفظ الشيعة يطلق على " أتباع أمير المؤمنيـن صلوات الله عليه ، على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلـوات الله عليه وآله بلا فصل ونفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة وجعله فـي الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء"[٣] .

٣- ويعرف النجاشي الشيعة بقوله " الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن رسـول الله أخذوا بقول علي وإذا اختلف الناس عن علي أخذوا بقـول جعفـر ابـن محمد"[٤] .

٤- ويعرف أبو جعفر الطوسي الشيعة تعريفا يربط فيه وصف التشيع بالاعتقـاد بكون علي إماما للمسلمين بوصية من الرسول صلى الله عليه وسلم وبإرادة من الله [٥] .

٥- ويعرف إبراهيم الموسوي الزنجاني الشيعة بقوله: " هي الموالاة والمحبة أو التقديم أو المتابعة أو التمسك بالكتاب والعترة "[٦].

---

(١) المقالات والفرق ص ١٥

(٢) فرق الشيعة ص ١٧

(٣) أوائل المقالات ص ٣٩

(٤) رجال النجاشي ص ١٢ ولعل الصواب : على رسول ، على علي

(٥) تلخيص الشافي (٥٦/٢)

(٦) عقائد الإمامية الإثني عشرية ص ٢٧٣

٦- تعريف عبد الله شُبَّر حيث يقول: " إعلم أن لفظ الشيعة يطلق على من قـــال بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بلا فصل"[١].

٧- تعريف محمد جواد مغنية للفظ الشيعة بأنه " علم على من يؤمن بأن عليا هو الخليفة بنص النبي صلى الله عليه وسلم "[٢] .

المسألة الثانية: تعــريف الشــيعة في كتب أهــل الســنة :

١- يقول أبو الحسن الأشعري: " إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضوان الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "[٣] .

٢- ويقول الأزهري: " الشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم ويوالونهم "[٤] .

٣- تعريف الشهرستاني حيث يقول: " الشيعة الذين شايعوا عليا رضي الله عنـــه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليـــا وإمـــا خفيـــا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غـيره أو بتقية من عنده"[٥].

٤- ويقول ابن حزم: " من وافق الشيعة في أن عليا عليه السلام أفضل النـــاس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شـيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك فيما اختلف فيه المسلمون فإن خالفهم فيما ذكرنا ليس شيعيا[٦].

---

[١] حق اليقين (١/١٩٥)

[٢] الشيعة في الميزان ص ١٥

[٣] مقالات الإسلاميين (١/٦٥)

[٤] تهذيب اللغة (٣/٦١)

[٥] الملل والنحل (١/١٦٩ – ١٧٠)

[٦] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٢٧٠)

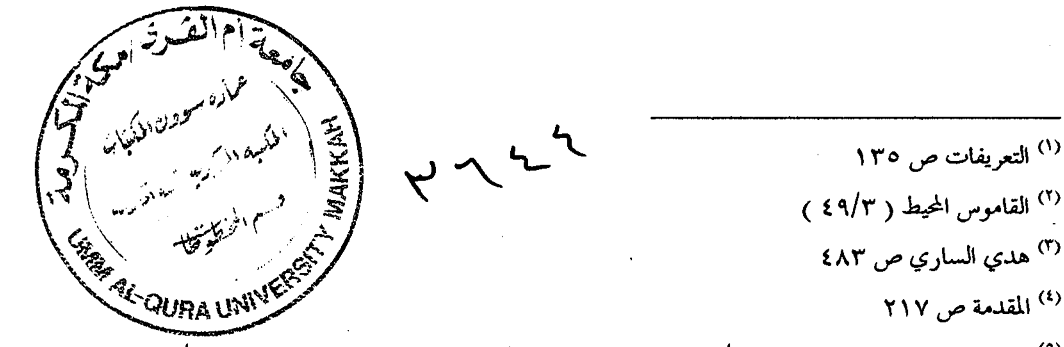
٥- ويقول الجرجاني: " الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه وقالوا إنه الإمام بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده "[١] .

٦- ويقول الفيروز آبادي: " غلب هذا الاسم على من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما خاصا لهم "[٢] .

٧- ويقول ابن حجر: " التشييع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو "[٣] .

٨- ويقول ابن خلدون: " الشيعة لغة هم الصحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع علي وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا متفقين عليه أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر وأن عليا رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أوبعيد عن تأويلاتهم الفاسدة "[٤]

٩- ويقول الزبيدي: " وقد غلب هذا الاسم (الشيعة) على كل من يتولى عليا وأهل بيته ... وهم أمة لا يحصون مبتدعة وغلاتهم الإمامية المنتظرية يسبون الشيخين وغلاة غلاتهم يكفرون الشيخين ومنهم من يرتقي إلى الزندقة "[٥] .



[١] التعريفات ص ١٣٥

[٢] القاموس المحيط (٤٩/٣)

[٣] هدي الساري ص ٤٨٣

[٤] المقدمة ص ٢١٧

[٥] تاج العروس في شرح القاموس (٤٠٥/٥) وانظر توضيح المشتبه لابن ناصر الدين الدمشقي (٤٨/٥)

المسألة الثالثة: التعريف المختار للشيعة :-

إن الشيعة لا يمكن حصرهم في تعريف واحد ذلك لأن نشأتهم مرت بأطوار عدة ومراحل مختلفة ما جعل عقائدهم وأفكارهم في تطور وتغير مستمرين ، فالتشيع في العصر الأول غير التشييع في العصر الذي بعده وهلم جرا . ولذا كان تصنيفهم حسب التطور المرحلي والعقدي مع تعريف كل مرحلة على حدة هو الأضبط والأدق في معرفة هذا الأمر وبناءا عليه أقول : إن التشييع مر بثلاث مراحل هي :-

١- التشيع بلا غلو .

٢- التشيع الغالي أو الرفض من غير غلو .

٣- الرفض الغالي أو الكامل .

ا- التشيع بلا غلو

وهذه المرحلة هي التي كانت في الصدر الأول حيث لا يسمى شيعيا إلا من قدم عليا على عثمان - رضي الله عنهما - ولذلك قيل شيعي وعثمانى فالشيعي من قدم عليا على عثمان والعثماني من قدم عثمان على علي[1] .

إذا التعريف المختار للشيعة في الصدر الأول هو : أنهم الذين يقدمون عليا على عثمان فحسب ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولهذا كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليا أو كانوا في ذلك الزمان لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان "[2] . وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر حتى ذكر مثل ذلك أبو القاسم البلخي قال : سأل سائل شريك بن عبد الله بن أبي نمر فقال له : أيهما أفضل أبوبكر أو علي ؟ فقال له : أبو بكر ، فقال له السائل أتقول هذا وأنت من الشيعة ، فقال نعم إنما الشيعي من قال مثل هذا والله لقد رقى علي هذه الأعواد فقال : ألا إن خير هذه

---

(١) الحور العين لنشوان الحميري ص ٢٣٤ .. المنية والأمل لابن المرتضى ص ٨١ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٩٤/١)تاريخ ابن معين(٦٥٥/٢)

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (١٣٢/٤)

الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر أفكنا نرد قوله ؟ أكنا نكذبه ؟ والله ما كان كذابا"[١].

فهؤلاء وإن أطلق عليهم لفظ الشيعة فهم من أهل السنة لأن بعض أهل السنة اختلفوا في عثمان وعلي – رضي الله عنهما – أيهما أفضل بعد اتفاقهم على تقديم أبى بكر وعمر – رضي الله عنهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي – رضي الله عنهما – بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي وقدم قوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان وإن كانت هذه المسألة مسالة عثمان وعلي ليست من الأصول* التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة " [٢] . وروى ابن بطة بإسناده عن عبد الله ابن زياد بن جرير قال : قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة فقال لنا شمر بن عطية : قوموا إليه فجلسنا إليه فتحدثوا فقال أبو إسحاق خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ولا والله ما أدري ما يقولون " [٣] .

وعن هذا النص قال الأستاذ محب الدين الخطيب: " هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع فإن أبا اسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين وعُمِّر حتى توفي سنة

---

[١] المصدر السابق (١٣/١)

* هذا يمكن أن يكون في ذلك الزمان حيث لم يستقر الإجماع – الذي نقله الحافظ ابن حجر – على تفضيل عثمان على علي رضي الله عنهما وأما بعد استقراه فإن الأمر يختلف. ولذلك فإن تضليل من قدم عليا على عثمان رضي الله عنهما وارد ومعتبر . أنظر قول الإمام الذهبي رحمه الله في ميزان الاعتدال (١/٥) وانظر (فتح الباري (٧/٢٠-٢١) وأصول مذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية للقفارى (١/٥٥) وقال ابن كثير : عثمان مقدم في أصح قولى أهل السنة . البداية والنهاية (٣٤٣/٩) ورغم نقل ابن حجر للإجماع السابق إلا أنه في لسان الميزان (١/٧٨)قال فيمن توقف في تفضيل عثمان على علي وقيل عنه أنه رافضى قال : وهذا ظلم بين فان هذا مذهب جماعة من أهل السنة أعنى التوقف فى تفضيل أحدهما على الاخر وإن كان الأكثر على تقديم عثمان بل كان جماعة من أهل السنة يقدمون عليا على عثمان منهم سفيان الثورى وابن خزيمة: ا. هـ

[٢] مجموع الفتاوى (٣ / ١٥٣)

[٣] المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٣٠٤

١٢٧هـ وكان في خلافة أمير المؤمنين علي وهو يقول عن نفسه : رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب أبيض الرأس واللحية ، ولو عرفنا متى فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة علويين يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر وعمر ومتى أخذوا يفارقون علياً ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وخليفتيه على أمته في أنقى وأطهر أزمانهما "[١] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " ولم تكن الشيعة التي كانت مع علي يظهر منها تنقص لأبي بكر وعمر ولا فيها من يقدم علياً على أبي بكر وعمر ولا كان سب عثمان شائعاً فيها وإنما كان يتكلم به بعضهم فيرد عليه آخر وكذلك تفضيل علي عليه لم يكن مشهوراً فيها "[٢] . وهذا ما يؤكده أيضاً شريك بن عبد الله بقوله : قدم عثمان يوم قدم وهو أفضل القوم " فعقب عليه الذهبي بقوله : قلت : ما بعد هذا إنصاف من رجل كوفي[٣] .

ويقول صاحب مختصر التحفة : " إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير كرم الله وجهه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان كلهم عرفوا له حقه وأجلوه من الفضل محله ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلاً عن إكفاره وسبه "[٤] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " إن الشيعة الأولى أصحاب علي لم يكونوا يرتابون في تقديم أبي بكر وعمر عليه ، كيف وقد ثبت عن علي من وجوه متواترة أنه كان يقول خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، ولكن كانت طائفة من شيعة علي

---

[١] انظر : حاشية المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٠٤

[٢] انظر : مجموع الفتاوى (٤/٤٣٦)

[٣] انظر : سير أعلام النبلاء (٨/٢٠٢)

[٤] انظر : مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٣

تقدمه على عثمان وهذه المسألة أخفى من تلك "[١] . وقال ليث بن أبي سليم " أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون علي أبي بكر وعمر أحدا " [٢] .

ومما تقدم يتضح لنا جليا أن التشييع في أول أمره إنما يقصد به المعنى اللغوي من مناصرة ومحبة وميل للمتشيع له وإن زاد وقف عند تقديم علي على عثمان رضي الله عنهما ، ولهذا فإن شيعة علي الحقيقيين هم الذين انضموا إليه وطائفته وحاربوا معه في معركتي الجمل وصفين فهؤلاء هم الصادقون في تشيعهم ، وأما الفرقة التي تذكر في مقابل أهل السنة دائما فيقال عن الرجل هذا سني وذاك شيعي فليس معه أحد من هؤلاء ألبته فأصحاب علي – رضي الله عنه – يسمون شيعته بمعنى صحبه وأنصاره وهم من حيث العقيدة من سلف الأمة وأهل السنة والجماعة وهؤلاء لا مذمة فيهم ألبته وهم وإن كان بعضهم يفضل عليا على عثمان – رضي الله عنه – فهذا ليس من الأصول التي يضلل المخالف فيها[٣] ، ولهذا كان التشيع بمعنى المحبة والنصرة والتأييد موجود في أفاضل الصحابة وكبار التابعين ومما يؤكد هذا أن معظم الصحابة كانوا في معسكره وأن في جيشه ممن بايع تحت الشجرة ثمانمائة صحابي رضي الله عنهم أجمعين[٤] ، فكيف بغيرهم من سائر الصحابة . وهذ النصرة والمحبة وهذا التأييد ما كانت من منطلق الهوى والتعصب والحمية الجاهلية إنما كانت من منطلق شرعي حيث أن هؤلاء الصفوة رأو أحقية علي – رضي الله عنه – وأفضليته على جميع الصحابة في عصره ، ومن ثم بايعوه وقالوا بخلافته بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة فهو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة فكانت مشايعته ومناصرته ومحبته وطاعته مبنية على أمر شرعي لا يجوز معه الخروج عليه من غير ما دليل [٥] .

---

[١] انظر : منهاج السنة (٧١/٢ – ٧٣)

[٢] انظر : المصدر السابق (١٣٦/٦)

[٣] انظر : ص ١٣ من هذه الرسالة.

[٤] انظر : المحبر لابن حبيب القرشي نقلا عن كتاب الدولة الأموية ليوسف العش ص ١٠٧

[٥] انظر : أصول الإسماعلية . رسالة دكتوراه. مخطوط. بجامعة أم القرى د/سليمان السلومي (٥٢/١-٥٣)

فما كان علي رضي الله عنه ولا شيعته الحقيقيون يرضون بانتقـــاص أحــد مــن الصحابة وثلبه أو سبه والطعن فيه فضلاً عن صاحبي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وروى الإمام البخاري عن محمد ابن الحنفية قال : قلت لأبي : أيّ الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمـــر وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت ، قال : ما أنا إلا رجل من المســـلمين "[١] .

وهذا يقوله لابنه الذي لا يتقيه[٢] .

وروى عنه رضي الله عنه من نحو ثمانين وجهاً أنه قال على منبر الكوفــة خــير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر[٣] . وقال رضي الله عنه " لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري "[٤] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " والمتواضع لا يجوز أن يتقدم بعقوبة من يفضلـــه عليهما يقول الحق ولا يسميه مفترياً "[٥] .

وأيضاً هذا الحال نجده في شريك بن عبد الله النخعي الذي كـــان يفضـــل أبـــابكر وعمر فقيل له أنت من شيعة علي وأنت تفضل أبابكر وعمر فقال : كل شيعة علي على هذا ، هو يقول على أعواد هذا المنبر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثـــم عمر أفكنا نكذبه ؟ والله ما كان كذاباً[٦] ؟ .

ونجده في أبي اسحاق السبيعي الذي يقول خرجت من الكوفة وليس أحد يشك فـــي فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولـــون ولا والله مـــا أدري ما يقولون "[٧] . ونجده في سليمان بن سرد الخزاعي وفي زيد بن علي ابـــن

---

[١] صحيح البخاري (١٣٤٢/٣) رقم ٣٤٦٨

[٢] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٠٧/٤ – ٤٠٨) منهاج السنة (٥١٢/٧)

[٣] انظر: منهاج السنة (١١/١-١٢) (٧٢/٢) (٥١١/٤-٥١٢) وروى جملة منها الإمام أحمد في المسند (١٤٧/٢-١٤٩) تحقيـــق العلاقة أحمد شاكر،والبخاري في صحيحه (١٣٤٢/٣) رقم ٣٤٦٨

[٤] فضائل الصحابة للإمام أحمد (٨٣/١) وقال المحقق إن إسناده ضعيف

[٥] منهاج السنة (٥١٢/٧)

[٦] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٣/١٣-٣٦) منهاج السنة (١٣/١)

[٧] المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٣٠٤

الحسين القائل في الشيخيين " غفر الله لهما ما سمعت أحدا من أهلي يتبرأ منهما وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا "[١] .

وقد ذكر صاحب العقد الفريد المعروف بتشيعه[*] أن الشيعة يفضلون عليا على عثمان ويتولون أبا بكر وعمر وهم دون الرافضة[٢] .

٢. **التشيع الغالي أو الرفض من غير غلو :**

وهو الذي يشتمل على الطعن والقدح في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية – رضي الله عنهم – وطائفة ممن حارب عليا – رضي الله عنه – وتعرض لسبهم .

قال الإمام الذهبي: " فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضي الله عنه وتعرض لسبهم[٣] .

وقد يصل التشيع الغالي إلى تقديم علي رضي الله عنه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال الحافظ ابن حجر :

" فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي"[٤]. من غير أن يوصف رفضه بالغلو . ومن تعرض للشيخيين بذم فهو رافضي خبيث .

يقول الإمام الذهبي: " من سكت عن ترحم مثل الشهيد أمير المؤمنين عثمان فإن فيه شيئا من تشيع فمن نطق فيه بغضٍّ وتنقص فهو شيعي جلد يؤدب وإن ترقى إلى الشيخين بذم فهو رافضي خبيث "[٥] .

---

[١] مجموع الفتاوي لابن تيمية (٣٥/١٣).

[*] انظر الكلام عن تشيعه: البداية والنهاية لابن كثير (٢٠٦/١١)،(٢٢/١٠)

[٢] العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٢٤٥/٢)

[٣] ميزان الاعتدال للذهبي (٦/١)

[٤] هدى الساري ص ٤٨٣

[٥] سير أعلام النبلاء (٣٧٠/٧) وقال ابن معين في تاريخه (٥٤٦/٣) في ترجمة تليد بن سليمان المحاربي: " كذاب يشتم عثمان وكل من يشتم عثمان أو طلحة أو أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دجال لا يكتب عنه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" أ.هـ

٣. الرفض الغالي أو الكامل :

وهو الحط على أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – والدعاء إلى ذلك وتكفير الصحابة – رضي الله عنهم – عدا نفر قليل – والبرآة من الشيخين واعتقاد العصمة لعلي – رضي الله عنه – والنص عليه والرجعة والتقية وغير ذلك من العقائد الباطلة .

قال الإمام الذهبي: " وبدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء الى ذلك .. والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً فهو ضال مفتر[١] .

وقال الحافظ ابن حجر: " فمن قدمه – أي علياً رضي الله عنه – على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعي فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو "[٢] .

وقال الرازي: " إنما سموا بالروافض لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب خرج على هشام بن عبد الملك فطعن عسكره على أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا فارس فقال لهم – أي زيد بن علي – رفضتموني قالوا نعم فبقى عليهم هذا الاسم "[٣] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الخلفاء الراشدون الأربعة ابتلوا بمعاداة بعض المنتسبين إلى الإسلام من أهل القبلة ولعنهم وبغضهم وتكفيرهم فأبوبكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما دون غيرهم من الطوائف ولهذا قيل للإمام أحمد : من

---

(١) ميزان الاعتدال (٦/١) سير أعلام النبلاء (٣٧٤/٥)

(٢) هدي الساري ص ٤٨٣

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٢ وانظر البداية والنهاية (٣٤٣/٩) الحور العين ص ٢٣٨

الرافضة ؟ قال : الذي يسب أبابكر وعمر ، وبهذا سميت الرافضة فإنهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الخليفتين أبا بكر وعمر لبغضهم لهما فالمبغض لهما هو الرافضي وقيل إنما سموا رافضة لرفضهم أبا بكر وعمر "[١] .

وقال عبد الله بن أحمد قلت لأبي : من الرافضة ؟ قال : " الذي يشتم ويسب أبا بكر وعمر رحمهما الله " [٢] .

وقال عبد الملك بن عبد الحميد سمعت أبا عبد الله قال: من شتم أخاف عليه الكفر مثل الروافض ثم قال من شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا تأمن أن يكون قد مرق عن الدين [٣] .

وقال أبو الحسن الأشعري: " وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر"[٤]

ويقول محمد محي الدين عبد الحميد "ويقال إنما سموا الروافض لكونهم رفضوا الدين"[٥]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه وادعى العصمة له ولهذا لما كان مبدأه من النفاق قال بعض السلف : حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما نفاق وحب بني هاشم إيمان وبغضهم نفاق "[٦] .

وبعد هذا التفصيل في مراحل وأطوار التشيع يتبين لنا أنه من الخطأ إطلاق تعريف واحد عليها ويكون جامعا مانعا لأن كل مرحلة تختلف عن الأخرى تاريخا وعقيدة فكان لازما تحديد كل طور وإعطاؤه التعريف المطابق له .

---

[١] مجموع الفتاوى (٤٣٥/٤) ومنهاج السنة (٣٤/١ - ٣٥، ٣٦) ، (٤٧١/٣)

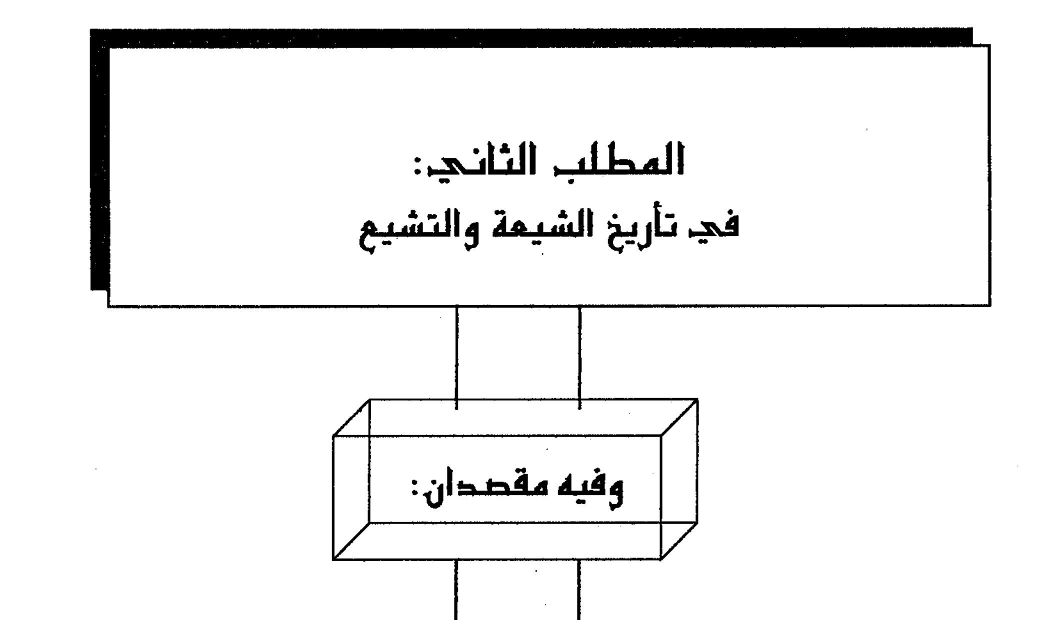
[٢] السنة للخلال (٤٩٢/٣)

[٣] المصدر السابق (٤٩٣/٣)

[٤] مقالات الإسلاميين (٨٩/١) وقال ابن عبد ربه في العقد الفريد (٢٤٥/٢): " وإنما قيل لهم رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر ولم يرفضهما أحد من أهل الأهواء غيرهم والشيعة دونهم وهم الذين يفضلون عليا على عثمان ويتولون أبا بكر وعمر فأما الرافضة فلها غلو شديد في علي ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ عليه لعنة الله " أ.هـ

[٥] حاشية مقالات الإسلاميين (٨٩/١)

[٦] مجموع الفتاوى (٤٣٥/٤) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٢١٠



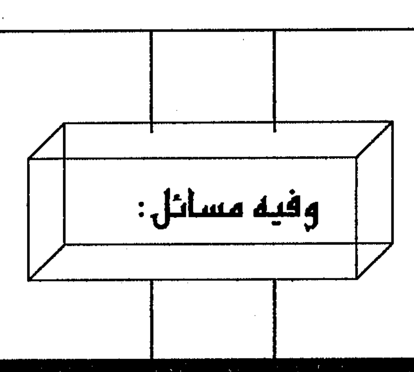
المقصد الأول : نشأة التشيع.

المقصد الثاني: فرق الشيعة.



المقصد الأول:

نشـأة التشيــــع.



وفيه مسائل:

الأولى : ذكر الأقوال الواردة في نشأة التشيع.

الثانية : مناقشة هذه الأقوال.

الثالثة : الرأي الراجح.

المقصد الأول: نشأة التشيع :-

إن التشيع بأصوله ومعتقداته لم يولد فجأة بين عشية وضحاها وإنما مر بمراحل كثيرة وأطوار عديدة حيث إنه نشأ تدريجياً إلى أن بلغ مرحلة الرفض الكامل أو الرفض الغالي ولهذا كانت الشيعة من أكثر الفرق تفرقاً وانقساماً حيث انقسمت وتشعبت إلى فرق كثيرة بحسب المراحل والأطوار التي مر بها التشيع ، وإذا ما رجعنا إلى أقوال الباحثين في نشأة التشيع نجد أنها متباينة تبايناً كبيراً حتى عند الشيعة أنفسهم وما هذا التباين والاختلاف إلا دليل واضح على أن التشيع بأصوله ومعتقداته لم يكن وليد يوم وليلة وإنما مر بمراحل مختلفة وهذه الأقوال الواردة في نشأة التشيع أوجزها وأناقشها عبر المسائل التالية :

المسألة الأولى: ذكر الأقوال الواردة في نشأة التشيع:

القول الأول :

إن التشيع نشأ قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا القول سعى الشيعة في وضع الأساطير لأجل إثباته وإقراره .

قال أبو الحسن: " ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووصيه علي عليه السلام"[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله خلق الخلق .. ثم دعاهم إلى الإقرار بالنبيين فأقر بعضهم وأنكر بعضهم ثم دعاهم إلى ولايتنا فأقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض وهو قول " فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل "[٢] ثم قال أبو جعفر عليه السلام : كان التكذيب ثَمّ "[٣] .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها[٤]. وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل " ولقد عهدنا إلى آدم من

---

(١) الأصول من الكافي للكليني (١/٤٣٧)

(٢) الأعراف آية ١٠١

(٣) المصدر السابق (١/٤٣٦-٤٣٧)

(٤) المصدر السابق (١/٤٣٧)

قبل فنسي ولم نجد له عزماً "[1] قال عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم أنهم هكذا وإنما سُمي ألو العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته وأجمع عزمهم علي أن ذلك كذلك والإقرار به "[2] .

ويروي شيخ الشيعة أبو جعفر ابن بابويه القمي بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه"[3] .

ويقول أحد شيوخهم المعاصرين: " تدل بعض الروايات على أن كل نبي أمر بالدعوة إلى ولاية علي بل عرضت الولاية على جميع الأشياء فما قبل صلح وما لم يقبل فسد"[4].

القول الثاني :

إن أول من وضع بذرة التشيع هو الرسول صلى الله عليه وسلم وأن فرقة الشيعة إنما تكونت حقاً في العهد النبوي وأن هناك بعض الصحابة الذين كانوا يتشيعون لعلي رضي الله عنه ويو الونه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول القمي: " فأول الفرق الشيعة وهي فرقه علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته منهم المقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري وعمار بن ياسر المذحجي .. وهم أول من سموا باسم التشيع من هذه

---

(1) طه آية ١١٥

(2) المصدر السابق (٤١٦/١)

(3) الخصال ص ٢٧٠

(4) هادي الطهراني / ودائع النبوة ص ١١٥

الأمة "[١] وإلى مثل هذا القول ذهب النوبختي[٢]. وأبو حاتم الرازي الإسماعيلي إلا أنه زاد " ثم لزم هذا اللقب كل من قال بتفضيله بعده إلى يومنا "[٣] .

ويقول أحد الشيعة المعاصرين إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة يعني أن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب وسواء بسواء ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والري حتى نمت وازدهرت في حياته ثم اثمرت بعد وفاته [٤] .

ويقول آخر : " إن أول اسم ظهر في الإسلام علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار وأن لفظة شيعة كانت تقال على من شايع علياً قبل موت النبي وبعده " [٥].

كما يقول آخر : " إن النبي هو الذي بعث عقيدة التشيع وأوجدها ودعا إلى حب علي وولائه وأول من أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومريديه ولولاه لم يكن للشيعة والتشيع عين ولا أثر " [٦] .

القول الثالث :

إن التشيع ظهر بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة أو بعبارة أخرى يوم السقيفة حيث وجد من يرى أحقية علي – رضي الله عنه – أو آل البيت بالإمامة والخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن خلدون: " إعلم أن مبدأ هذه الدولة – يعني دولة الشيعة – أن أهل البيت لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يرون أنهم أحق بالأمر وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم " [٧].

---

[١] المقالات والفرق ص ١٥

[٢] فرق الشيعه ص ١٧ – ١٨

[٣] الزينة (ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية) ص ٢٥٩

[٤] أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطا ص ٤٣

[٥] الشيعه في التاريخ لمحسن العاملي ص ٢٥ – ٢٦

[٦] الشيعة في الميزان ص ١٧

[٧] العبر وديوان المبتدأ والخبر (١٧٠/٣)

ويقول أحمد أمين : " كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه وأولى أهل البيت العباس عم النبي وعلي ابن عمه وعلي أولى من العباس "[1] .

ويقول عنان : " وكان لعلي حزب ينادي بخلافته عقب النبي مباشرة ويرى أنه هو وبنوه أحق الناس بها .. فشيعة علي ظهروا منذ وفاة النبي"[2] .

القول الربع :

إن التشيع بدأ في آخر خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه على يد رجل يهودي يدعى عبد الله بن سبأ تمكن من زرع بذور الفتنة وتهييجها حتى وصل الأمر إلى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه في بيته صبراً ثم نما واتسع هذا المذهب في عهد علي رضي الله عنه حيث أصبح ابن سبأ ومن معه يمثلون كياناً وأصلاً للتشيع بجانبيه الفكري والسياسي .

يقول المقريزي: " وكان ابتداع التشيع في الإسلام أن رجلاً من اليهود في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أسلم فقيل له عبد الله بن سبأ وعرف بابن السوداء وصار يتنقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم فلم يطق ذلك فرجع إلى كيد الإسلام وأهله "[3] .

وروى الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله بإسناده إلى يزيد الفقعسي قال: " كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشأم فلم يقدر علي ما يريد عند أحد من أهل الشأم فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع

---

(1) فجر الإسلام ص ٢٦٦، ضحى الإسلام (٢٠٩/٣)

(2) تاريخ الجمعيات السرية ص ٢٣

(3) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣٣٤/٢)

وقد قال الله عز وجل " إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد "[١] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى . قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك : إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر "[٢] .

ويقول الملطي : " إن أهل الضلال الرافضة ثماني عشرة فرقة يتلقبون بالإمامية" فأولهم وهم الفرقة الأولى الغالية من السيئية"[٣] .

ويقول الشهرستاني : " إن عبد الله بن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي رضي الله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة "[٤] .

وقال ابن حزم: " وقد سلك هذا المسلك أيضاً عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي فإنه لعنه الله أظهر الإسلام ليكيد أهله فهو كان أصل إثارة الناس على عثمان رضي الله عنه وأحرق علي بن أبي طالب رضي الله عنه طوائف أعلنوا بإلاهيته"[٥] .

ويقول أيضاً: " إن الروافض فرق . حدث أولها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة "[٦] أي في السنة التي قتل فيها عثمان رضي الله عنه"[٧] .

---

[١] القصص من الآية ٨٥

[٢] تاريخ الأمم والملوك (٤/ ٣٤٠ - ٣٤١) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٢٠/٢١٩/١١)

[٣] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٢٩ هكذا بالنسخة " ثماني " ولعل الصواب " ثمان "

[٤] الملل والنحل (١٧٤/١)

[٥] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٧٤/٢)

[٦] المصدر السابق (٢ /٢١٣)

[٧] قال ابن حزم في الفصل (٢١٦/٢) "وبموته — أي عثمان رضي الله عنه — حصل الاختلاف وابتدأ أمر الروافض " أ.هـ

ويقول: " وكان مبدؤها – أي الروافض – إجابة ممن خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر وهي طوائف أشدها غلواً [القائلون] بإلاهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإلاهية جماعة معه"[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " لما وقعت الفتنة وقتل عثمان رضي الله عنه حدثت بدع التشيع كالغلاة المدعين الإلهية في علي رضي الله عنه والمدعين النص عليه السابين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما "[2] .
أما أصل مذهب الشيعة فيقول عنه: " إنه من إحداث الزنادقة والمنافقين الذين عاقبهم علي رضي الله عنه في حياته فحرق منهم طائفة بالنار وطلب قتل بعضهم ففروا "[3] .

وممن قال بهذا القول من العلماء المتأخرين د.محمد حسين الذهبي حيث يقول:"إن مبدأ ظهوره – أي المذهب الشيعي – كان في آخر عهد عثمان رضي الله عنه ثم نما واتسع على عهد علي رضي الله عنه "[4] .

والشيخ إحسان إلهي ظهير بقوله : " فأراد ابن سبأ هذا مزاحمة الدين بالنفاق والتظاهر بالإسلام لأنه عرف هو وذووه أنه لا يمكن محاربته وجهاً لوجه ولا الوقوف في سبيله جيشاً لجيش .. فخطط هو ويهود صنعاء خطة أُرْسِل على إثرها هو ورفقته إلى المدينة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وهاجم الخلافة في عصر كان يحكم فيه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ورضيه ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فبدأو يبسطون حبائلهم ويمدون أشواكهم منتظرين الفرصة المتواطئة ومترقبين المواقع المتلائمة وجعلوا علياً ترساً لهم

(1) المصدر السابق (٢/٢١٣) وما بين المعقوفتين زيادة لابد منها ليتضح المعنى .
(2) منهاج السنة (١/٢١٨ - ٢١٩)
(3) المصدر السابق (٦/٧)
(4) التفسير والمفسرون (٢/٣)

يتولونه ويتشيعون به ويتظاهرون بحبه وولائه وعلي منهم برئ .. ومـــن هنــاك ويومئذ كونت طائفة وفرقة في المسلمين للإضرار بالإسلام والدس فـــي تعليمــه والنقمه عليه والانتقام منه وسمت نفسها الشيعة لعلي ولا علاقة لها به "[١] .

والأستاذ أبو زهرة إذ يقول: " وكان الطاغوت الأكبر عبد الله بن سبأ الذي دعا إلى ولاية علي بن أبي طالب ووصايته وإلى رجعة النبي وإنه في ظل هذه الفتن نشــأ المذهب الشيعي "[٢] .

ويقول عبد الله القصيمى : " إن أول أمر هذه الطائفة – أي الشــيعة – أن رجــلاً يهوديا يقال له عبد الله بن سبأ في فجر الإسلام رأى سلطان الإسلام وقوته وعلــوه على سائر الأديان وتهاوي عروش الباطل تحت عرشه الحق فغاظه ذلـــك فــأراد الكيد له والإيقاع الفظيع بأهله ... فتظاهر هذا اليهودي بالإسلام وادعى الايمـــان بالله وبرسوله ولجأ إلى الزهد وإلى عون المظلومين فى زعمه فجهر بـــأن عليــا مظلوم ظلمه أصحاب محمد النواصب حسدا منهم وطمعا فـــى الرئاســـة والملــك فاغتصبوا الخلافة منه وهى حقه المعلوم ... فدعا إلى الانتقام من صحابة رســول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقف أمر هذا اليهودى الخائن عند هذا الحد بل غـــلا وأسرف في غلوه طمعا منه في تفاقم الفتن والفشل والهرج والمرج فـــادعى فـــي علي الألوهية وزعم أن فيه جانبا إلهياً وربما زعم أن الله قد حـــل فيـــه كدعـــوى المسيحيين في المسيح فأنت علياً دعواه فهم بالانتقام منه وأراد الإيقاع به فـــهرب منه وظل يتنقل من بلد إلى بلد ... فتطاير صدى دعوى هذا اليهودى إلى بعـــض الأذهان المريضة ونادى قوم بألوهية علي وبأنه الله ســبحانه وتعـــالى فاســـتتابهم الإمام علي فلم يتوبوا فأضرم نيرانا عظيمة وقذفهم فيها ... فأخاف عقـــاب علـــي قوما منهم فكتموا كفرهم وضلالهم لا أبداً ولكن إلى حين إلى أن تتهيأ لهم الفرصة ويأتي اليوم الذي به يستطيعون أن يقولوا كل ما يضمرون. والتقية والنفـــاق مـــن أبرز صفات الشيعة وعقائدهم وهؤلاء هم أهل الدهاء منهم والمكر السيىء وكـــانت هاتان الحادثتان أساس المذهب الشيعي والحجر الأول في بنائـــه ، عليـــهما أقيـــم

---

(١) الشيعة والسنة ص ١٩-٢٠

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٤٦

المذهب وعنهما تفرعت حماقات الشيعة وعقائدهم الباطلة الأثيمة "[١] ولذا يقـول النشار عن هذا المذهب ومن اخترعه : " فالمذهب مبتدع ، ابتدعه عبد الله بن سـبأ ولم يظهر قبله "[٢] .

القول الخامس :

إن التشيع نشأ سنة ٣٧هـ . يقول صاحب مختصر التحفه الإثنى عشرية: "واعلـم أن ظهور هذا اللقب –الشيعة – كان عام سبع وثلاثين من الهجرة "[٣] .
وأيضا المستشرق وات منتو جمرى حيث يقول : "إن بداية حركة الشيعة هي أحـد أيام سنة ٦٥٨م (٣٧هـ)[٤] .
وهذه السنة –٣٧هـ هى السنة التى وقعت فيها معركة صفين ولذا يعـبر بعـض الباحثين كالمستشرق الفرنسي غودفروا أن التشيع حدث بعد واقعة صفين[٥] .

القول السـادس :

إن ظهور التشيع كان في يوم الجمل وممن قال بهذا القول: ابن النديم الشيعى حيث يقول: " لما خالف طلحة والزبير على علي رضى الله عنه وأبيا إلا الطلـب بـدم عثمان بن عفان و قصدهما علي عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جـل اسمه تسمّى على ذلك الشيعة فكان يقول شيعتى وسماهم عليه السلام :– الأصفياء، والأولياء ، شرطة الخميس ، الأصحاب "[٦] .

---

(١) الصراع بين الإسلام الوثنية (١/ ٤٠ – ٤١)

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٤٧٤/١) وأيضاً ممن قال بهذا القول المستشرق فلهوزن في الخوارج والشيعة ص ١١٢ والشيخ عثمان بن عبدالله الحنفي في كتاب الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة ص ٦.

(٣) مختصر التحفة ص ٥

(٤) Montgomory watt Islam and the Integration of Society P. 104

(٥) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة / هاشم معروف الحسني ص ٢٩

(٦) الفهرست ص ٢٤٩

القول الســابع :

إن ظهور التشيع يعود إلى مابعد قتل الخليفة الراشد علي بن أبى طالب رضـى الله عنه أي بعد أن تم الأمر لمعاوية – رضي الله عنه – لمّا تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنه . يقول الدكتور :– طه حسين : " والشئ الذي ليس فيه شك فيمـا أعتقد هو أن الشيعة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة عند الفقهاء والمتكلمين ومؤرخـي الفرق لم توجد في حياة علي وإنما وجدت بعد موته بزمن غير طويل ... وقد قتـل علي وليس له حزب منظم ولا شيعة مميزة بل لم ينظم الحزب العلوي ولم توجـد الشيعة المميزة إلا بعد أن تم اجتماع الأمر لمعاوية وبايعه الحسن بن علي "[١] .

القول الثــامن :

إن التشيع إنما ظهر سنة ٦١هـ أي بعد مقتل الحسين بن علي رضى الله عنـهما ومن جرّاء ذلك ظهرت الحركة المسماه بحركة التوابين .

قال بهذا الرأي البلاذرى فى كتابه أنساب الأشراف[٢] ، وشتروما‌ن حيث يقول : " وكان مقتل الحسين – الذي لقي مصرعه بسيوف جند الدولة أكثر مما كان دم علي الذى اغتاله فرد من الخوارج – هو بذرة مذهب الشيعة "[٣] .

وأيضا الدكتور النشار بقوله:" وتكونت الشيعة حقاً بعد مقتل الحسين فرقـة دينيـة تتدبر الأمر "[٤] . ويقول علي الخربوطي : " إن الحركة الشيعية بدأ ظهورها فـي العاشر من المحرم وصبغت مبادئ الشيعة بصبغة دينية فاتجهت الشيعة بعد مقتـل الحسين اتجاهاً دينياً بل غلب الجانب الديني في التشيع الجانب السياسي "[٥] .

---

[١] علي وبنوه ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين (٦٠١/٤ – ٦٠٣) وانظر الميراث عند الجعفرية لأبي زهرة ص ٢٢

[٢] أنساب الأشراف (٢٠٦/٥)

[٣] دائرة المعارف الإسلامية (٥٩/١٤)

[٤] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٢١/٢)

[٥] تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي ص ١٢٣

وبعض الشيعة المعاصرين بقوله: "إن دلالة الاصطلاح – شيعة – على الكتلة التي ندرسها من المسلمين وانصرافه إليهم دون غيرهم قد بدأ بحركة التوابين التي ظهرت سنة ٦١هـ وانتهت بالفشل سنة ٦٥هـ وكان قائد الحركة يلقب بشيخ الشيعة دون أن تتحدد الجهة التي تضاف إليها هذه الجماعة فلم يقل "شيعة علي" ولا " شيعة الحسين" وإنما استقل هذا اللفظ لوضوح مدلوله ورسوخه فى الميدان السياسي "[١] .

المسألة الثانية: مناقشة هذه الأقوال :

١) مناقشة القول الأول :

إن مجرد تصور هذا القول كاف فى فساده وبطلانه لأن دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام كانت إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة دون سواه لا إلى ولاية علي والأئمة كما يفترون . قال الله تعالى "وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون "[٢] .

وإذا كانت ولاية علي مكتوبة فى جميع صحف الأنبياء فلما انفرد الروافض فقط بنقلها ولم ينقلها ولم يذكرها بل ولم يعلم بها أحد من أصحاب الديانات غيرهم ولماذا لم تذكر فى القرآن الكريم المهيمن على الكتب كلها .

وهذه كتب الأنبياء التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ليس في شئ منها ذكر عليّ رضي الله عنه.

إنها فرية ودعوى من جملة الدعاوى الكثيرة التى يتشدق بها هؤلاء الرافضة وليس لهم فى سبيل إقامتها برهان .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وهذه كتب الأنبياء التى اخرج الناس ما فيها من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ليس في شيء منها ذكر علي . و هؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب لم يذكر أحد منهم أنه ذكر عندهم فكيف يجوز أن يقال إن

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبي (١/٢٢-٢٣)

(٢) الأنبياء من الآية ٢٥

كلا من الأنبياء بعثوا بالإقرار بولاية علي ولم يذكروا ذلك لأممهم ولا نقله أحد منهم "[1] .

إن هذه الترهات لتدل على أن من صدقها وآمن بها مجنون لا عقل له إذ كيف يؤخذ على من قبلنا من الأنبياء و أممهم الميثاق على طاعة علي في إمامته وهم الذين ماتوا قبل أن يخلق الله علياً فكيف يكون أميراً عليهم، وغاية ما يمكن أن يكون أميراً على أهل زمانه أما الإمارة على من خلق قبله ومن يخلق بعده فهذا كذب لا يصدر إلا ممن لا يعقل ما يقول ولا يستحي مما يقول [2] .

٢) مناقشة القول الثاني :

إنه ومع التتبع لكتب الشيعة نجد أنهم حريصون كل الحرص على رد أصل التشيع إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كالقمي في المقالات والفرق[3] والنوبختي في فرق الشيعة[4] وأبي حاتم الرازى فى الزينة[5] ومحسن العاملى[6] ومحمد حسين آل كاشف الغطاء[7] وغيرهم[8] والذي دفعهم إلى ذلك أمران :-

الأول :

إضفاء الصبغة الشرعية والإسلامية على مذاهبهم وأنها من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته وبالتالي يصبح التشيع بذرة إسلامية خالصة .

---

(١) منهاج السنة (٤/٤٦)

(٢) انظر المصدر السابق (٤/٧٨)

(٣) المقالات والفرق ص ١٥

(٤) فرق الشيعة ص ١٧

(٥) الزينة ص ٢٥٩

(٦) الشيعة في التاريخ ص ٢٥ – ٢٦

(٧) أصل الشيعة وأصولها ص ٤٣

(٨) مثل : الوائلي في هوية التشيع ص ٢٧ والزين في الشيعة في التاريخ ص ٢٩-٣٠

الثاني :

إبعاد الفكرة القائلة إن أصل التشيع يرجع إلى جذور ومؤثرات أجنبيـــة يهوديـــة كانت أم مجوسية أم نصرانية أم غير ذلك[1] .

يقول أحد علماء الشيعة المعاصرين:" وأما ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن أصل مذهب التشيع من بدعة ابن سبأ المعروف بابن السوداء فهذا يعتـــبر وهـــم وقلـــة معرفة بحقيقة مذهبهم"[2] .

ولاشك أن هذا القول مغالطة كبيرة وكذب واضح وتتصل من قضية ثابتـــة يكـــاد يجمع المؤرخون وكتاب الفرق حتى الشيعة منهم على ربط التشيع بها وهى حركة ابن سبأ [3]

ثم إن إرجاع التشيع إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم قول لا أصـــل لـــه فـــي الكتاب والسنة وليس له أي سند تأريخي ثابت بل هو رأي يجافي أصول الإســـلام وينافي الحقائق التأريخية الثابتة فقد جاء الإسلام وبعث النبي صلى الله عليه وســـلم لجمع هذه الأمة على كلمة سواء لا ليفرقها شيعاً وأحزاباً ولم يكن بين يدي رســـول الله صلى الله عليه وسلم شيعة ولا سنة لأن الجميع كان ينتسب إلى الإسلام كا قـــال تعالى " هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا "[4] . والمعنى عند الجمـــهور أن الله سماهم المسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن[5] وقال تعالى " إن الدين عنـــد الله الإسلام "[6] لا التشيع ولا غيره ولأن النبي عليه الصلاة والسلام جاء ليجمـــع الله به القلوب ويزيل ببعثته العداوات والخصومات والمناحرات التي كانت قائمـــة بين القبائل ليكون الجميع جنداً لله ودعاة إلى الله لا إلى فلان أو فلان .

---

[1] أصول الإسماعيلية (١/٣٦ – ٦٤)

[2] تاريخ الشيعة للمظفري هكذا والصواب وهماً

[3] أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري د. جميل المصري ص ٣٦٥

[4] الحج آية ٧٨

[5] منهاج السنة (١/١٧)

[6] آل عمران آية ١٩

وأيضاً فإن من شيوخ الشيعة المشهود لهم بالعلم والاجتهاد من الشيعة أنفسهم من بيّن أنه لم يكن للشيعة وجود زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. يقول محمد حسين آل كاشف الغطاء: " ولم يكن للشيعة والتشيع يومئذ - في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - مجال للظهور لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة "[1] .

والحقيقة أنه لم يكن لهم وجود أيضاً لا في زمن الشيخين ولا في زمن عثمان ولهذا يقول أحد الشيعة المعاصرين: " إن لفظ الشيعة قد أهمل بعد أن تمت الخلافة لأبي بكر وصار المسلمون فرقة واحدة إلى أواخر أيام الخليفة الثالث "[2] .

ونحن نقول إنه أهمل لأنه لم يوجد أصلاً إذ كيف يهمل ولا يظهر والحكومة كافرة في نظر الشيعة وكما هو متواتر في كتبهم وهل يعقل أن يكون المسلمون شيعاً في عهد الرسول وفرقة واحدة في عهد الخلفاء الثلاثة[3] .

يقول الدكتور النشار: " والخطأ الأكبر في هذه المحاولة أنه لم يكن بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم شيعة وسنة وقد أعلن القرآن " إن الدين عند الله الإسلام "[4] لا التشيع ولا التسنن ... ولم يكن هناك شيعة لا روحية ولا سياسية بين يدي النبوة ولم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح على الإطلاق إبان ذلك الوقت"[5].

وأما زعم الشيعة أن الشيعة في وقت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تتألف من عمار وأبي ذر والمقداد فهذا يرده التاريخ حيث أن هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم لم يثبت عن أحد منهم أنه قال بعقيدة من عقائد الشيعة كدعوى النص على علي وتكفير الشيخين أبي بكر وعمر وأكثر الصحابة رضي الله عنهم وإظهار البرآءة منهم أو سبهم أو بغضهم أو كراهيتهم وإنما جاء هذا في كتب الشيعة وحدهم دون سواهم .

---

(1) أصل الشيعة واصولها ص ٤٨

(2) محمد حسين العاملي / الشيعة في التاريخ ص ٣٩ - ٤٠

(3) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية . د / ناصر القفاري (٦٦/١)

(4) آل عمران آية ١٩

(5) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٤/٢ - ١٥)

يقول ابن المرتضى – وهو من أئمة الشيعة الزيدية: " وأما الرافضة فحدث مذهبهم بعد مضي الصدر الأول ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص في علي جلي متواتر فإن زعموا أن عماراً وأبا ذر والمقداد بن الأسود كانوا سلفهم لقولهم بإمامة علي عليه السلام أكذبهم كون هؤلاء لم يظهروا البراء من الشيخين ولا السب لهم ألا ترى أن عماراً كان عاملاً لعمر بن الخطاب في الكوفة وسلمان الفارسي في المدائن "[١].

ويتعجب الشيخ موسى جار الله من قول الشيعة إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة قائلاً: " أي حبةٍ بَذَرَ النبيُّ حتى انبتت سنابل اللعن والتكفير للصحابة وخيار الأمة وسنابل الاعتقاد بأن القرآن محرف بأيدي منافقي الصحابة وأن وفاق الأمة ضلال وأن الرشاد في خلافها حتى توارت العقيدة الحقة في لجج من ضلال الشيعة جم "[٢] .

٣) مناقشة القول الثالث :

إن هذا القول يستند القائلون به إلى الرأي القائل بأحقية القرابة بالإمامة ولا شك أنه إذا وجد من يرى أحقية علي بالإمامة وأن الإمامة ينبغي أن تكون في القرابة فقد وجد رأي آخر يقول باستخلاف سعد بن عبادة وأن الإمامة ينبغي أن تكون في الأنصار، وهذا لا دلالة فيه على ميلاد حزب معين أو فرقة معينة، وتعدد الآراء أمر طبيعي وهو من مقتضيات نظام الشورى في الإسلام. [٣] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن النزاع في الإمامة لم يظهر إلا في خلافة علي رضي الله عنه وأما على عهد الخلفاء الثلاثة – رضي الله عنهم – فلم يظهر نزاع إلا ما جرى يوم السقيفة وما انفصلوا حتى اتفقوا ومثل هذا لا يعد نزاعاً [٤] .

---

[١] المنية والأمل ص ١٢٤ – ١٢٥

[٢] الوشيعة في نقد عقائد الشيعة (ص:مه) هذا وفي كتبهم نصوص كثيرة مروية عن أئمتهم تثبت أن الرشاد في مخالفة العامة أي أهل السنة حسب تعبيرهم.

[٣] أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (١/ ٦٩)

[٤] منهاج السنة (١/ ١١٩ – ١٢٠)

وقد اندرج جميع الصحابة تحت الطاعة لأبي بكر رضي الله عنه وكان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه منهم حيث كان سامعاً لأمر أبي بكر وبايعه على ملأ من الأشهاد ونهض إلى غزو بني حنيفة[١].

ومما يؤكد هذا أنه جاء عن علي رضي الله عنه من نحو ثمانين وجهاً أنه قال على منبر الكوفة خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر.

وثبت عنه رضي الله عنه أنه لما سأله ابنه محمد ابن الحنفية : " أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أبوبكر . قلت ثم من قال : ثم عمر . وخشيت أن يقول عثمان قلت : ثم أنت قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين"[٢][٣].

وهذا الكلام هنا يقوله لابنه الذي لا يتقيه[٤] فكيف يرى غيره من الصحابة فيه ما لم يره هو في نفسه؟!.

وأما رواية اليعقوبي في تاريخه والتي تقول " بأن جماعة منهم سلمان وأبو ذر والمقداد تخلفوا عن بيعة أبي بكر ومالوا إلى عليّ " فإنها يجب الاحتراز منها كغيرها من رواياته وروايات مثيله المسعودي لأنهما رافضيان والرافضة باتفاق أهل العلم بالنقل والرواية أكذب الطوائف والكذب فيهم قديم ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب [٥] .

وقد أكد ابن أبي الحديد رغم تشيعه [٦] تأصل الكذب في الرافضة بقوله: " إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا في مبدأ الأمر أحاديث مختلقة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم" [٧]

---

(١) الإرشاد / الجويني ص ٤٢٨

(٢)(٣) تقدم تخريجها ص ١٦ من هذه الرسالة.

(٤) منهاج السنة (٥١٢/٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (٤٠٨/٤).

(٥) منهاج السنة (٥٩/١)

(٦) وصفه ابن كثير بالشيعي الغالي – البداية والنهاية (١٩٠/١٣)

(٧) شرح نهج البلاغة (٤٨/١١-٤٩) وانظر الخياط المعتزلي في كتابه الانتصار ص ٢٠٥،٢١١ والكشف والبيان. لمحمد سعيد الأزدي الإباضي (٤٥١/٢-٤٥٢)

٤) مناقشـــة القول الرابـــع :

لمعرفة الحديث عن هذا الرأي انظر ما سيأتي من كلام عن القول الراجح[١]

٥) مناقشـــة القول الخـــامس :

إن هذا الرأي لا يعني بداية الأصول الشيعية حيث إننا لا نجد في أحداث هذه السنة فيما نقله المؤرخون من نادى بالوصية أو قال بالرجعة أو دعا إلـــى أصـــل مـــن أصول الشيعة المعروفة كما أن الصحابة الذين كانوا في جيش علي رضي الله عنه يناصرونه على خصومه لا يجوز بحال من الأحوال اعتبارهم على مذهب الشـــيعة أو على أصل من أصول الشيعة.

يقول الدكتور أحمد جلي : " إن الجماعات التي ضمها معسكر الخليفة علي رضـــي الله عنه إبان حروبه مع خصومه لا تكون حزباً منتظماً يدين بالطاعة المطلقة لعلي ولا تجمعهم عقيدة مشتركة في آل البيت فإذا أطلقـــت كلمـــة شـــيعة علـــى هـــذه الجماعات فإنها لا تخرج عن المعنى اللغوي الذي يشير إلى الأتباع والأنصار لأنه ورد في صحيفة التحكيم شيعة على وشيعة معاوية " [٢] .

وقد قال معاوية رضي الله عنه لبسر بن أرطأة حين وجهه إلى اليمـــن : " امـــض حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم " [٣].

ولكن هذا لا يجعلنا ننكر وجود أعداء الدين الذين تظاهروا بالإسلام ليكيـــدوا لـــه بالباطن مما لا ينكر وقد كان للسبئين أثر في إشعال الفتنة لا يجحد وهم قد وجـــدوا قبل ذلك ولكن كانوا مندسين بين المسلمين .

---

(١) أنظر ص ٣٨ من هذه الرسالة

(٢) دراسة عن الفرق ص ٩٦ – ٩٧

(٣) تاريخ اليعقودي (٢ / ١٩٧)

٦) مناقشـــة الــقول الســادس :

إن هذا القول لا يدل على بداية الأصول الفكرية للتشيع وإنما يدل علـــى المعنـى اللغوي للشيعة أي الأنصار والأتباع ، لأن لفظة شيعة وشيعي قد استعملها كل مـن علي ومعاوية رضي الله عنهما [١] فهو هنا لقب يطلق على أية مجموعـــة تلتـف حول قائدها ، وأما من حيث اختصاصه بأتباع علي رضي الله عنه فإنه ما كان الا بعد مقتله رضي الله عنه [٢] او بعد مقتل الحسين[٣] وأما قبل ذلك فلم يكـــن لفـظ الشيعة مختصاً بعلي رضي الله عنه وأتباعه دون غيرهم [٤] .

٧) مناقشـــة الــقول الســابع :

إن هذا الرأي أيضاً لا يعدو الإطلاق اللغوي الذي يعنى الأنصار و الأتبـــاع ومــا قاله الدكتور طه حسين لا يسلم من النقد إذ قد عقب عليه الدكتور جميل المصــوي بقوله : " واعتمد – طه حسين – في ذلك على رواية للبلاذري وحينمـــا رجعـت للراوية وجدت فيها : " قال الحسن لأشراف الكوفة بعد أن عاتبوه : " أنتم شــيعتنا وأهل مودتنا فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ولسلطانها أعمل وانصب ماكــان معاوية بأبأس مني ولا أشـــد شكيمة ولا أمضى عزيمة ولكني أرى غير ما رأيتـم وما أردت فيما فعلت إلا حقن الدماء فارضوا بقضاء الله وسلموا الأمر والزمـــوا بيوتكم وأمسكوا وكفوا بأيديكم حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر" [٥] وهذا بعيد عن استنتاج الدكتور طه حسين " [٦] لكونه لا يعدو المعنى اللغوي .

---

(١) الأخبار الطوال ص ١٩٤ . تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٩٧)

(٢) الميراث عند الجعفرية ص ٢٢ انظر منهاج السنة النبوية (٢ / ٦٨ ، ٦٤)

(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (٢١/٢)

(٤) قال حكيم بن أفلح " إني نهيتها – يعني عائشة رضي الله عنها – أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا " سنن النسائي بتحقيـــق الألبـــاني (٣٥١/١) وقد أخذ منه ابن تيمية دلالة تاريخية على عدم اختصاص علي رضي الله عنه باسم الشيعة في ذلك الوقت. منهاج الســـنة (٦٧/٢)

(٥) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية في القرن الأول الهجري ص ٣٦٢ – ٣٦٣ وانظر أنساب الأشراف (٥٤/٣)

(٦) المصدر السابق ص ٣٦٢ – ٣٦٣

٨) مناقشـــة القول الثـــامن :

إن هذا الرأي ينظر إلى الجانب العسكري فقط مع إهمال الجانب الفكري والمذهبي للشيعة كما أنه أهمل أحداثا كبرى كان لها أكبر الأثر فى ظـــهور نزعـــة التشـــيع كمقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وما تلا ذلك من فتن متعددة كمعركة الجمـل و صفين ثم حادثة التحكيم وقتل علي رضى الله عنه بل إن معظم كتاب المقـــالات والفرق يذكرون أن أكثر معتقدات الشيعة إنما برزت وظهرت بموت علي ابن أبى طالب و استشهاده رضى الله عنه لاسيما معتقدات السبأية مـــن القـــول بالرجعـــة والغيبة[١]

المسألة الثالثة : الـــرأي الراجـــح في نشـــأة التشـــيع :

إن أقرب الأقوال السابقة إلى الصحة القول الرابع الذي يُرجع بداية نشأة التشـــيع إلى أواخر خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه غـــير أن الشـــيعة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة وإنما مرت بمراحل وأطوار ولكن طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولها ظهرت على يد السبيئة باعتراف كتب الشيعة نفسها [٢]

يقول النوبختي: " إن ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض إمامـــة علـــي وأظـــهر البرآءة من أعدائه وكاشف مخالفيه " [٣].

ويقول المامقاني: " وذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالـــى علياً وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موســـى فقـــال فـــي إسلامه مثل ذلك في علي ابن أبي طالب رضي الله عنه "[٤] .

---

(١) أصول الإسماعيلية ص ٦٨ وانظر مقالات الإسلاميين ص ٨٦. الفرق بين للبغدادي ص ٢٢٣-٢٢٤. الملل والنحل للشهر ســـتاني (١٧٤/١)

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٧٨/١).

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص ٢٢ ، وانظر كلام الكشي في الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير ص ٦٠

(٤) حاشية المنتقى للذهبي لمحب الدين الخطيب ص ٣٠٧ و انظر الفرق بين الفرق ص ٢٣٥، الملل والنحل (١٧٤/١) فتاوى ابن تيمية (٤٣٥/٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣٣٤/٢)

فهنا نلاحظ أن ابن سبأ أول من ابتدع عقيدة الشيعة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه من حيث تقديسه كشخصية من أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن حيث فكرة وصايته عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته .

وأيضاً نجد أن ابن سبأ أول من قال بالغلو وطعن في الصحابة الكرام خاصة في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .

يقول النوبختي عن ابن سبأ: " وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه" ويقول : " وكان – ابن سبأ – ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم" [1] . ولما سمع علي رضي الله عنه بأن ابن سبأ ينتقص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما هم بقتله روى ذلك الإمام ابن عساكر بإسناده إلى كمال بن حرب قال : بلغ عليّا أن ابن السوداء ينتقص أبا بكر وعمر فدعا به ودعا بالسيف أو قال هم بقتله فكُلِّم فيه فقال : لا يساكنني ببلد أنا فيه قال : فسيره إلى المدائن" [2]. بل جاء مرة إلى علي يريد تحريضه على أبي بكر فزجره علي وقال له وهل فرغتم لهذا [3] .

وأيضاً فإن عقيدة الرجعة أي " عودة الميت أو المختفي إلى الظهور أو الحياة من جديد في الدور الأخير دور الاحتضار لهذا الكون "[4] ، أول من قال بها هو ابن سبأ[5] ، حيث إنه في أول الأمر سلك رجعة النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مصر[6] معتمداً على قوله تعالى " إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد"[7]. حيث قال "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع ثم يذكر الآية ويقول فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[8] . وبعد وفاة علي رضي

---

(1) فرق الشيعة ص ٢٢ ويقول صاحب العقد الفريد (٢/٢٤٥) " فأما الرافضة فلها غلو شديد في علي ذهب بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهي السبأية أصحاب عبد الله بن سبأ عليهم لعنة الله ... وقد أحرقهم علي رضي الله عنه بالنار . أ.هـ

(2) تاريخ مدينة دمشق (٧/٣٤) وانظر العقد الفريد (٢/٢٤٩) .

(3) الغارات للثقفي (٢٠٣/١)

(4) المهدي والمهدية / سعد محمد حسن ص ٣٥

(5) السكسكي / البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص٨٥

(6) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص ٣٧٧

(7) القصص آية ٨٥

(8) تاريخ الأمم والملوك (٣٤٠/٤) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر . (٢١٩/١١)

الله عنه أضافها إليه بقوله: " لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا انه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الارض ويسوق العرب بعصاه" [١] وصارت هذه الفكرة اليهودية والنصرانية قد دخلت على جميع فرق الشيعة عدا الزيدية [٢] .

وأما عقيدة اختصاص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة فقد روى ابن عساكر بإسناده إلى الجلاس قال سمعت علياً يقول لعبد الله السبئ " ويلك والله ما أفضى إلي بشيء كتمه أحداً من الناس وقد سمعته يقول إن بين يدي الساعة ثلاثين كذاباً وإنك لأحدهم [٣] .

وروى البخاري بإسناده عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي : هل عندكم كتاب ؟ قال لا إلا كتاب الله أوفهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة قال: قلت فما في هذه الصحيفة قال العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر "[٤] .

قال الحافظ ابن حجر: "وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت لاسيما علياً أشياء من الوحي خصهم النبي صلى الله عليه وسلم بها لم يطلع غيرهم عليها . وقد سأل علياً عن هذه المسألة أيضاً قيس ابن عباد وهو بضم المهلة وتخفيف الموحدة الأشتر النخعي وحديثهما في مسند النسائي[٥] .

وكذلك ادعى ابن سبأ عقيدة العصمة لعلي رضي الله عنه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأصل الرفض من المنافقين الزنادقة فإنه ابتدعه ابن سبأ الزنديق وأظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه وادعى العصمة له "[٦] .

---

[١] المقالات والفرق للقمي ص ٢١ الفرق بين الفرق ص ٢٢٤

[٢] أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص ٣٧٨

[٣] تاريخ دمشق (٦/٣٤)

[٤] صحيح البخاري (٥٣/١) رقم ١١١

[٥] فتح الباري (٢٤٧/١)

[٦] مجموع الفتاوى (٤٣٥/٤)

ولهذا انتشرت هذه العقيدة عند الشيعة حتى أصبحت حقاً لا جدال فيه. يقول شيخ الشيعة محمد رضا المظفر: " نعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة إلى الموت عمداً أو سهواً كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان[١] .
وبمقتضى عصمتهم تصير تعاليمهم عند مشايخ الشيعة كالخميني وغيره[٢] مثل تعاليم القرآن ويصيرن منزهين عن السهو والغفلة[٣] ، ولا يحصل عندهم فرق بين النبوة والإمامة[٤] بسبب هذه العصمة المطلقة للائمة عن الخطأ والغفلة والنسيان .

هذه أهم الأصول التي تدين بها الشيعة ولكنها لم توجد قبل مقتل عثمان رضي الله عنه لأن التشيع آنذاك كان بمعنى الموالاة والنصرة بل ولا يستعمل لفظ الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا على هذا النحو ولم يعن بحال من الأحوال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة اليوم ولم يكن آنذاك يختص لفظ الشيعة بعلي فقط بل علي رضي الله عنه له شيعة وخصومه كمعاوية رضي الله عنه أيضاً لهم شيعة ولكن هذه الأصول الاعتقادية للتشيع قد وجدت كلها أو بعضها في عهد علي رضي الله عنه غير أنها لم تأخذ مكانها في نفوس فرق معينة بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً مناسباً لظهور هذه العقائد وتمثلها في جماعة معينة وحزب معين كمعركة صفين وحادثة التحكيم التي أعقبتها ومقتل علي والحسين رضي الله عنهما كل هذه الأحداث وغيرها دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت فتسلل الفكر الوافد سواء أكان يهودياً أم نصرانياً أم مجوسياً إلى المسلمين من نافذة التشيع لعلي وآل بيته وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وطاغوت[٥] .

---

[١] عقائد الإمامية ص ٩٥

[٢] الحكومة الإسلامية ص ١٢٣ – ١٢٥ ، عقائد الإمامية ص ٩١ – ٩٥

[٣] حوار هادي بين السنة والشيعة لعبد الله الجنيد ص ٣٠

[٤] بحار الأنوار للمجلسي (٨٢/٢٦)

[٥] أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٨٠/١)

وقد أثار ربط التشيع بابن سبأ - كما يقول الدكتور جلي - علماء الشيعة وباحثيهم ومن ثم حرصوا على إبعاد هذه الفئة عنهم وشنوا هجوماً عنيفاً على السبئية محاولين إخراجها من دائرتهم فذهبوا إلى أن شخصية ابن سبأ من اختلاق خصوم الشيعة لإظهارهم بمظهر الخارجين على الإسلام والمارقين من الدين ويقولون إن شخصية ابن سبأ شخصية متوهمة لا أثر لها ولا وجود[١] .

وبعضهم ادعى أن عبد الله بن سبأ هو عمار بن ياسر[٢] ، وهذه الدعوى هي محاولة أو حيلة أيضاً لتبرئة اليهود من التآمر على المسلمين لأن القول بأنه خيال يرده ذكر كثير من أئمة الشيعة له في كتبهم مع ذكر بعض آرائه ومعتقداته[٣] والقول بأنه عمار بن ياسر يرده العقل والنقل والتأريخ وكيف تلصق تلك العقائد التي قال بها ابن سبأ بعمار بن ياسر وهل هذا إلا جزء من التجني على الصحابة والطعن فيهم[٤] .

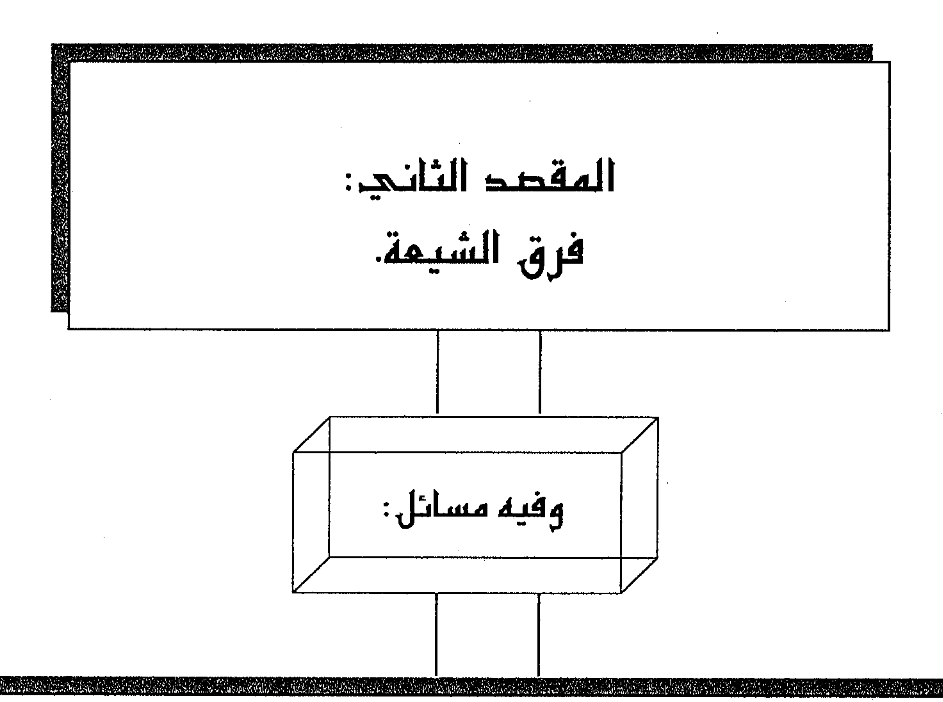
---

[١] دراسة عن الفرق ص ٩٤

[٢] علي الوردي في كتابه وعاظ السلاطين ص ٢٧٤ وتبعه الشيعي مصطفى الشيبي في الصلة بين التصوف والتشيع (٤٤/١ــ٤٦)

[٣] القمي في الفرق والمقالات ص ٢٠-٢١ والنوبختي في فرق الشيعة ص ٢٢-٢٣ تنقيح المقال للمامقاني (١٨٣/٢)

[٤] أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٧٣/١) وانظر كتاب عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام د/سليمان بن حمد العودة .



الأولى : الآراء في فرق الشيعة وأصولها التي انبثقت عنها.

الثانية : الرأي الراجح وأسباب الترجيح.

الثالثة : أصول فرق الشيعة الكبرى.

المقصد الثاني : فـــرق الشـــيعـــة :

اشتهرت الشيعة وتميزت عن سائر الفرق الأخرى بكثرة التفرق والاختلاف حيث إن اختلافات الشيعة أكثر من اختلافات الفرق كلها.[1] ولهذا ذكر المسعودي – وهو شيعي ــ أن فرق الشيعة هم ثلاث وسبعون فرقة[2] وأكد هذا أحد شيوخ الشيعة[3] زاعما أن الفرق المذكورة في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هي فرق الشيعة وأن الناجية فيها هي طائفة الإمامية[4] . وما عداهم خارجون عن الأمة[5] وهذا الزعم قد ذكره الشهر ستاني عن بعض الشيعة المتقدمين[6] بينما نجد أنه ليس مقبولا لدى غير الشيعة حيث ورد في دائرة المعارف[7] : أنه ظهر من فروع الفرق الشيعية ما يزيد كثيرا عن الفرق الاثنتين والسبعين فرقة المشهورة . بل ذكر المقريزي أن فرق الشيعة بلغت ثلاثمائة فرقة[8] .

وإذا ما رجعنا إلى مرد هذا الاختلاف وجدناه في الغالب هو اختلافهم حول الأئمة من آل البيت فيذهبون مذاهب شتى في أعيان الأئمة وفي عددهم وفي الوقوف على أحدهم وانتظاره أو المضي إلى آخر والقول بإمامته فضلا عما تباينوا فيه من التفريع أو تنازعوا فيه من التأويل[9] ، مما أدى إلى انفراد كل فرقة عن الأخرى ببعض العقائد والآراء حتى وصل بهم الأمر إلى أن كفر بعضهم بعضا[10] وطعن بعضهم في دين بعض، وما هذا التفرق والاختلاف الكبير إلا دليل بين على بطلان

---

(1) الملل والنحل للشهر ستاني (١٦٥/١) الحور العين ص ٢٣٢

(2) مروج الذهب (٢٢١/٣)

(3) محمد باقر بن محمد الاسترابادي المشهور بداماد من شيوخ الشيعة في الدولة الصفوية ت (١٠٤٠هـــ)

(4) التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية / جمال الدين الأفغاني (٢١٥/١) ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني تحقيق د/ محمد عماره .

(5) الملل والنحل (١٦٦/١)

(6) المصدر السابق (١٦٦/١)

(7) دائرة المعارف الإسلامية (٦٧/١٤) وانظر المسك الأذفر في مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر للألوسي ص٢٧٨

(8) المواعظ والاعتبار (٣٥١/٢)

(9) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٩٢/١)

(10) المواقف في علم الكلام للإيجي ص ٤١٨ الإبانة لابن بطه (٣٨٠/١) (٥٥٦/٢) الفرق بين الفرق ص ٢١ الانتصار للخياط ص ١٢١ التبصير في الدين للأسفرائيني ص ٤١

مذهبهم وعلى بطلان النص الذي ينسبونه - زورا وبهتانا - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على علي والأئمة من بعده إذ لو كان هذا النص من عند الله لما كان هذا الاختلاف الذي يدل دلالة واضحة على أنه من أساطيرهم. يقول الله تعالى : " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "[١] .
والعلامة ابن خلدون يؤكد هذا فيقول بعد أن ساق اختلافهم في الأئمة :" وهذا الاختلاف العظيم دليل على عدم النص "[٢]. ولا ريب في صحة هذا الاستنتاج إذ كيف يعقل أن الإمامة التي هي عندهم أصل الدين ولا يقبل فيها الخلاف كما يقبل في الفروع يحصل فيها هذا الاختلاف الكبير والتفرق العظيم وهي بهذه المكانة عندهم[٣] .

ولهذا نجد أن شيخ الشيعة الزيدية في وقته أحمد بن يحيى المرتضى يعد اختلاف الشيعة عند موت كل إمام في القائم بعده أوضح دليل على إبطال ما يدعون من النص[٤] .
وحينما نستعرض كتب المقالات والفرق التي تكلمت عن الشيعة وأصولها وفرقها نجد أنها اختلفت وتباينت في تحديد عدد الفرق الشيعية وفي تحديد الأصول التي انبثقت عنها هذه الفرق إلى آراء عدة أذكرها مع الراجح منها عبر المسائل التالية:-

المسألة الأولى : الآراء في فرق الشيعة وأصولها التي انبثقت عنها :-
الرأي الأول :
اعتبار أن فرق الشيعة كلها سواء ، وتسميتهم بالرافضة والإمامية. وممن قال به أبو الحسين الملطي[٥] .

---
(١) النساء آية ٨٢
(٢) لباب المحصل ص ١٣٠
(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٩٢/١)
(٤) المنية والأمل ص ٢١
(٥) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٢٩

الرأي الثاني :

أن الشيعة فرقتان الزيدية والرافضة وممن قال به الجاحظ حيث يقول :" اعلم – يرحمنا الله وإياك – أن شيعة علي رضي الله عنه : زيدي ورافضي وبقيتهم بدو لا نظام لهم"[1]. ويشاركه في هذا الرأي شيخ الشيعة المفيد بقوله إن " الشيعة رجلان : إمامي وزيدي "[2].

الرأي الثالث :

أن فرق الشيعة ترجع إلى ثلاث فرق رئيسة هي أصول الفرق الشيعية وهذه الفرق الثلاث هي (الغالية – والرافضة – الزيدية) .

وممن قال بهذا الرأي أبو الحسن الأشعري حيث جعل الشيع ثلاثة أصناف : غالية الشيعة خمس عشرة فرقة ... الرافضة الإمامية أربع وعشرون فرقة ... والزيدية ست فرق[3] .

وفخر الدين الرازي حيث سماهم زيدية وإمامية وكيسانية[4] . والإيجي الذي جعل فرق الشيعة اثنتين وعشرين فرقة ترجع في أصولها إلى ثلاث فرق : غلاة وزيدية وإمامية[5]

وشيخ الإسلام ابن تيمية يسلك هذا المسلك إذ يقول :" والشيعة هم ثلاث درجات شرها الغالية ... والدرجة الثانية : وهم الرافضة المعروفون كالإمامية وغيرهم ... والدرجة الثالثة : المفضلة من الزيدية وغيرهم "[6]. وكذلك ابن حزم جعل أهل الشنع من الشيعة ثلاث طوائف أولها الجارودية من الزيدية ثم الإمامية من الرافضة ثم الغالية ففهم من كلامه هذا أن أصول الشيعة هي هذه الفرق الثلاث[7].

---

(١) رسائل الجاحظ . مقالة الزيدية والرافضة (٤ / ٣١١) تحقيق عبد السلام هارون .

(٢) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد (٢ / ٢٢ – ٢٣) ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد .

(٣) مقالات الإسلاميين (١/٦٥ـــ٦٦ ، ٨٨ ، ١٣٦ــــ١٤٠)

(٤) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٧

(٥) المواقف في علم الكلام ص ٤١٨

(٦) التسعينية ضمن الفتاوى الكبرى (٣٦٩/٦) منهاج السنة النبوية (١٦٠/٥)

(٧) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣٥/٥)

وابن المرتضى يرى هذا الرأي فهو يقول : والشيعة ثلاث : زيدية وإمامية وباطنية[١] وغير هؤلاء ممن ذهب إلى أن فرق الشيعة ترجع إلى ثلاث فرق رئيسة هي أصول الفرق الشيعية[٢] .

الرأي الرابع :

اعتبار أن فرق الشيعة ترجع إلى أربع فرق هي الأصول للفرق الشيعية وهي الزيدية والإمامية والكيسانية والغلاة وممن قال بهذا الرأي عبد القاهر البغدادي حيث يقول : " ثم افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة وافترقت الزيدية فرقا والإمامية فرقا والغلاة فرقا " ثم ذكر أن الزيدية معظمها ثلاث فرق والإمامية خمس عشرة فرقة .

والكيسانية فرقتان[٣] والغلاة عشرون فرقة[٤] والبغدادي رغم جعله هذه الفرق الأربع أصولا للشيعة إلا أنه يطلق على الجميع لقب الرافضة[٥] . وقد سلك هذا المسلك أيضا صاحب كتاب دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية غير أنه استبدل الإسماعيلية بالكيسانية[٦] .

الرأي الخامس :

جعل أصول الفرق الشيعة خمس فرق هي : الكيسانية والزيدية والإمامية والغلاة والإسماعيلية وممن قال بهذا الرأي أبو الفتح الشهر ستاني حيث جعل أصول الشيعة خمس فرق[٧] ثم بين الفرق التي تشعبت عن هذه الأصول فجعل الكيسانية منقسمة إلى : مختارية وهاشمية وحارثية وبيانية ورزامية[٨] .

---

(١) المنية والأمل ص ٢٠ ، ٧٩-٨٠، ٨٩

(٢) انظر الاعتصام للشاطبي (٢/٢١٩) وذكر مذاهب الفرق الاثنتين والسبعين لليافعي ص٧٢ ولوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/٨٠) والزيدية للأكوع ص١١ والتبصير في الدين للاسفراييني ص٢٧ وتاريخ الفرق الإسلامية . محمد خليل الزين ص ١٢٢ والحور العين ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢١

(٤) المصدر السابق ص٢٣٢

(٥) المصدر السابق ص ٢٢ — ٢٣

(٦) عرفان عبد الحميد ص ٣٣،٥٦،٥٨،٦٧

(٧) الملل والنحل (١/١٤٥)

(٨) المصدر السابق (١/١٤٥ – ١٥٢)

والزيدية ثلاث فرق : جارودية وسليمانية وصالحية[١] والإمامية جعلهم سبعة أصناف : الباقرية والجعفرية ، الناوسية ، الأفطحية ، الشميطية ، الموسوية والمفضلية ، الإسماعيلية الواقفية ، الإثنا عشرية[٢] .

وقسم الغلاة إلى تسع فرق : السبئية والكاملية والعلبائية والمغيرية والمنصورية والخطابية والكيالية والهشامية والنصيرية والإسحاقية[٣] .

وأما الإسماعيلية فذكر أن لهم ألقابا كثيرة ففي العراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية وبخراسان التعليمية والملحدة[٤] .

الرأي السادس :

أن الشيعة افترقت إلى ست فرق : سبئية وسحابية وغرابية وكاملية وزيدية وإمامية . ثم بعض هذه الفرق تفرع عنه فرق كثيرة وممن قال به نشوان الحميري[٥] .

الرأي السابع :

إيصال الفرق الشيعية إلى ثمان فرق وممن قال به ابن قتيبة[٦] .

الرأي الثامن :

أن الشيعة اثنتا عشرة فرقة وجميعها تسمى بالرافضة وممن قال بهذا الرأي أبو الفرج ابن الجوزي[٧] .

---

[١] المصدر السابق (١٥٣/١ - ١٦٢)

[٢] المصدر السابق (١٦٣/١-١٧٦)

[٣] المصدر السابق (١٧٦/١-١٩٢)

[٤] المصدر السابق (١٩٩/١-٢٠٢)

[٥] الحور العين ص ٢٠٦

[٦] المعارف ص ٦٢٢-٦٢٣

[٧] تلبيس إبليس ص ٣١

الــرأي التاســع :

أن الشيعة افترقت إلى ثلاث عشرة فرقة وقال بهذا الإمام أبو حاتم الرازي[١] .

الــرأي العاشــر :

افتراق الشيعة إلى أربع عشرة فرقة قاله عبد القادر الجيلاني[٢] .

الرأي الحادي عشر :

أن الشيعة افترقت إلى اثنتين وعشرين فرقة وممن قال به الإمام عبد الله ابن المبارك[٣].

الرأي الثاني عشر :

أن فرق الشيعة تبلغ ثماني عشرة فرقة وممن قال به يوسف بن أسباط[٤].

المسألة الثانية : الرأي الراجح وأسباب الترجيح .

الرأي الراجح من تلك الآراء السابقة : هو الرأي الثالث القائل بإرجاع أصول الفرق الشيعية إلى الإمامية والزيدية والغلاة وأهل هذا الرأي تختلف عباراتهم في تسمية الأصل الثالث فبعضهم يسميه الغلاة[٥] . وبعضهم الآخر يسميهم الكيسانية[٦] وفريق ثالث يطلق عليهم الباطنية[٧] وما هذا إلا دليل على أن هذه الأسماء أو الألقاب تختلف في المبنى وتجتمع في المعنى لأن الكيسانية من الغلاة* وهم باطنية. والباطنية من الغلاة إلا أن بعضها أعم وأوسع من بعض فلفظ الغلاة أعم

(١) الإبانة لابن بطه (٣٨٤/١)

(٢) الغنية (٨٧/١)

(٣) الإبانة لابن بطه (٣٧٩/١)

(٤) الإبانة لابن بطه (٣٧٨/١) وانظر الاعتصام للشاطبي(٢٢١/٢)

(٥) كالأشعري والأيجي وابن تيمية وابن حزم .

(٦) كالرازي

(٧) كابن المرتضى

* انظر :-المقالات والفرق ص ٣٦،٤٦ وغلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام للدكتور فتحي الزغبي ص٩١و الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٩/٤) وأثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص ٤٠٢ .

من لفظ الكيسانية لأن الأخير هو نسبة إلى شخص والأول نسبة إلى عقائد معينة جلبت هذه التسمية وهكذا الحال في المقارنة بين لفظتي الباطنية والكيسانية .
وأما عن الأسباب التي جعلتني أرجح أن أصول الفرق الشيعية ترجع إلى ثلاث فرق هي : الغالية والرافضة والزيدية فهي كالتالي :

١ــ أن القائلين به هم علماء محققون لهم الباع الطويل في الفرق وتاريخها كأبي الحسن الأشعري والرازي والأيجي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حزم وابن المرتضى وغيرهم من أهل العلم الذين يرون هذا الرأي[١] .

٢ــ أن الآراء الأخرى لا يسلم أي منها من الاعتراض والرد . وهذه الاعتراضات تجعل الباحث إذا وقف عليها يتوقى ترجيح أي من الآراء المخالفة لإرجاع أصول أي الفرق الشيعية إلى ثلاث فرق هي : الغالية والرافضة والزيدية وبيان ذلك كالآتي :

أ) – ما ذهب إليه أبو الحسين الملطي من أن أهل الضلال الرافضة ثماني عشرة فرقة يلقبون بالإمامية[٢] فجعل فرق الشيعة كلها سواء وسماهم الرافضة ولقبهم بالإمامية واعتبر من فرق الإمامية السبئية الغالية والقرامطة والمختارية والجارودية والإسماعيلية والزيدية . شئ لا يسلم له " لأن اعتبار الشيعة فرقة واحدة فيه تسوية بين المتضادات وجمع بين المختلفات فالشيعة الغلاة ليسوا كالشيعة الزيدية ، والشيعة الإمامية ليسوا كالشيعة الكيسانية فالاختلاف بين هذه الفرق واضح كل الوضوح لا يخفى على مطلع سواء أكان هذا الاختلاف في المعتقدات أم في سوق الإمامة وشخصيات الأئمة وقد وقع الملطي من جراء هذا الرأي في اضطراب حيث ذكر أن فرقة من السبأية تقول بإمامة محمد بن الحنفية ثم ذكر بعض معتقداتهم التي تتصل بالكيسانية وهذا لم يقله أحد ألبتة سواء من

---

[١] نظر ص ٤٦ ــ ٤٧ من هذه الرسالة .

[٢] التنبيه والرد ص ٢٩

علماء الفرق والمقالات أو غيرهم كما يتضح الاضطراب بدرجة أكثر عنده حينما ذكر الفرقة الثالثة عشرة من الإمامية فقال عنهم إنهم الإسماعيلية وألزمهم بآراء ومعتقدات عرفت للشيعة الإثني عشرية المخالفين للشيعة الإسماعيلية[1] .

ب) أن الرأي القائل بأن الشيعة رجلان إمامي وزيدي فيه نظر لأن هناك فرقاً شيعية أخرى لا يمكن أن تندرج تحت الإمامية أو الزيدية لم يذكرها القائلون بهذا الرأي كالغلاة والكيسانية والإسماعيلية وغيرهم ، ومن المعلوم بداهة أن الإسماعيلية تختلف اختلافاً جذرياً عن الإمامية في المعتقدات وفي شخصيات الأئمة لأنه بعد موت الإمام جعفر ابن محمد الصادق افترقت الشيعة إلى فرقتين :

فرقة ساقت الإمامة إلى ابنه موسى الكاظم وهؤلاء هم الشيعة الإثنا عشرية .

وفرقة نفت عنه الإمامة وقالت:" إن الإمام بعد جعفر هو ابنه إسماعيل وهذه الفرقة عرفت بالشيعة الإسماعيلية "[2] فكيف نقول بعد ذلك إن الإسماعيلية من الإمامية. كما أننا أيضاً لا يمكن أن ندرج كلاً من الغلاة والكيسانية تحت كل من الزيدية والإمامية لما هو حاصل بينهم من الاختلاف البين في العقائد وشخصيات الأئمة .

جـ) إن الذين قالوا – كالبغدادي[3] وغيره – إن الشيعة افترقت بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف : زيدية وإمامية وكيسانية وغلاة وكلهم يدخل تحت لفظ الرافضة يُرِدُ عليهم في قولهم هذا مؤاخذات عدة هي :

١ــ أن جعل الكيسانية من الرافضة خطأ علمي لا يمكن قبوله لأن لفظ الرافضة أول ما ظهر حين خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال : رفضتموني رفضتموني فسموا الرافضة . فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي والزيدية يتولون زيداً وينسبون إليه ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية[4] ويتبين لنا من هذا أن

---

(١) أصول الإسماعيلية (١ / ٨٢)

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم (٣/٩١٣)

(٣) الفرق بين الفرق ص٢١

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣/٣٥-٣٦)

مصطلح الرافضة إنما نشأ فيما بعد ولا يجوز بحال إطلاقه على جميع فرق الشيعة كالزيدية والكيسانية والغلاة .

٢ـ أن الكيسانية يقولون إن الإمامة كانت لمحمد بن الحنفية وهم بهذا يخالفون إجماع الرافضة الذين يسوقون الإمامة من بعد علي رضي الله عنه إلى الحسن والحسين وعلي بن الحسين ثم يختلفون بعد ذلك في الإمام بعد علي بن الحسين[١]. يقول عبد الله الجميلي :" أما الكيسانية فيجعلون الإمامة بعد علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ابنه محمد بن الحنفية وقد تتبعت أقوال فرق الكيسانية على كثرتها فوجدتها تسوق الإمامة بعد علي رضي الله عنه في ابنه محمد بن الحنفية ولا يقرون بإمامة الحسن ولا الحسين إلا فرقة واحدة تعتد بإمامتهما ثم تسوق الإمامة في محمد بن الحنفية ولا يرون إمامة علي بن الحسين فهم على كل حال يخالفون إجماع الرافضة في أهم أصولهم "[٢].

٣ـ أن الكيسانية تخالف الرافضة في كثير من العقائد ، منها ما ذكره الشهرستاني عنهم بقوله :" ويجمعهم – أي الكيسانية – بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت فمن مقتصر على واحد معتقداً أنه لا يموت ولا يجوز أن يموت حتى يرجع ، ومن معد حقيقة الإمامة إلى غيره ثم متحسر عليه متحير فيه ومن مدع حكم الإمامة وليس من الشجرة وكلهم حيارى منقطعون ومن اعتقد أن الدين طاعة رجل ولا رجل له فلا دين له ونعوذ بالله من الحيرة والحور بعد الكور " [٣].

---

[١] الملل والنحل (١٦٦/١)

[٢] بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (٩٣/١)

[٣] الملل والنحل (١٤٥/١)

ومما سبق من كلام الشهرستاني نصل إلى أن الكيسانية ليست من فرق الرافضة لكون الرافضة لا تقول بهذه العقائد .

٤_ أن تفريق البغدادي بين الكيسانية والغلاة جعله يقع في شئ من التناقض وهو أنه جعل فرقتي البيانية والحربية من الكيسانية ثم عاد فجعلهما من فرق الغلاة[١] ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن هناك فرقاً بين المختارية والكيسانية فالمختارية هي حركة شيعية معتدلة سعت إلى الثأر من قتلة الحسين بن علي رضي الله عنه من ناحية وإلى تحقيق أطماع وتطلعات قائدها المختار من ناحية ثانية بينما الكيسانية حركة غالية منحرفة اتخذت من التشيع ستاراً نفذت من خلاله بتعاليمها ونظرياتها وآرائها المنحرفة وتولدت عنها كثير من الحركات الباطنية[٢].

٥_ أن البغدادي جعل الغلاة من الرافضة وهذا فيه نظر لأن الغلاة كانوا معروفين قبل الرافضة وهم الذين غلوا في علي رضي الله عنه وادعوا فيه الربوبية[٣].
ولهم عقائد تخرجهم من الإسلام كاعتقاد بعضهم أن الله حال في أئمتهم وزعم بعضهم أن أعضاء الله تعالى تعدم ما عدا وجهه وادعاء كثير من أئمتهم الألوهية إلى غير ذلك من عقائدهم الباطلة[٤] وهؤلاء قد أكفرهم أصحاب الفرق والمقالات من السنة والرافضة ولم يعدوهم من فرق المسلمين[٥]. فهم ليسوا من الرافضة وإن تأثر الرافضة ببعض عقائدهم .
٦_ أن البغدادي بعد أن ذكر الزيدية والكيسانية والإمامية وتسميتهم بفرق الرفض عاد فقال : "والكيسانية منهم اليوم مغمورون في غمار أخلاط الزيدية والإمامية"[٦] أي أنهم ذابوا في الزيدية والإمامية فليس لهم وجود مستقل .

---

(١) الفرق بين الفرق ص٤١

(٢) أنظر دراسة عن الفرق ص ١٧١-١٧٢ عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/٩٢١)

(٣) مقالات الإسلاميين (١/٦٦) الملل والنحل (١/١٧٦)

(٤) الملل والنحل (١/١٧٦) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧١ - ٧٦

(٥) الفرق بين الفرق ص٢٣-٢٤،٢٣٢-٢٣٣) ، الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري(٢/٢٤٣) المقالات والفرق للقمي ص٦٤

(٦) الفرق بين الفرق ص ٧١

د) أن الذين قالوا بأن أصول الشيعة ترجع إلى خمس فرق هي الكيسانية والزيدية والإمامية والغالية والإسماعيلية.[1] يرد عليهم أن الإسماعيلية فرقة ضمن فرق الغلاة بل هي تمثل الغلو بكل حال لا سيما أن جذورها ترجع إلى حركتي الخطابية والباطنية، فالإسماعيلية بهذا لا تعتبر فرقة قائمة بذاتها ولم تنشأ الإسماعيلية أو تظهر إلا بعد موت الصادق سنة ١٤٨هـ حينما تجمع فلول الخطابية حول إسماعيل بن جعفر الذي كان له صلة قوية بأبي الخطاب ومن ثم نادوا بإمامته فأصبح الشيعة في سوق الإمامة حزبين حزب ينادي ويتبنى إمامة إسماعيل ابن جعفر وحزب يقول بإمامة موسى الكاظم وهم الإمامية الإثنا عشرية[2].

هـ) إن الأقوال الأخرى غالباً ما تتكلم عن الفرق وتعدادها لا عن أصول الفرق الشيعية وهذا لا يعارض ما رجحته سابقاً .

٣ - إن جعل أصول الفرقة الشيعية ترجع إلى الزيدية والإمامية والغلاة فيه مراعاة للمعتقدات وشخصيات الأئمة . فالزيدية فرقة مستقلة يندرج تحتها فرق كثيرة والإمامية أيضاً فرقة مستقلة يندرج تحتها فرق عدة والغلاة لفظ يجمع كل الطوائف الشيعية الغالية سواء أكانت كيسانية أو إسماعيلية أو قرمطية فمن أفرد الكيسانية عن الغلاة لزمة أفراد الإسماعيلية كذلك لأن الجميع من الفرق الغالية والتفريق بين المتماثلات كالجمع بين المتضادات والمتناقضات .

وبعد أن ترجح لدي القول بأن أصول الفرق الشيعية هي : الغلاة والرافضة الإمامية والزيدية ، لابد من الكلام على هذه الأصول وعلى ما يندرج تحتها من فرق وطوائف حسب ما يتسع له المقام فأقول مستعيناً بالله.

---

(١) الشهرستاني في الملل والنحل (١/١٤٥)

(٢) أصول الإسماعيلية (١/٨٠-٨١) وانظر كتاب غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص٤٤-٤٥

المسألة الثالثة : أصول فرق الشيعة الكبرى :-

أولاً : الشيعة الغلاة :

ينتمي إلى الشيعة فرق متعددة أصيب كثير منها بالتطرف والغلو المذموم حيث " غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقة وحكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحداً من الأئمة بالإله وربما شبهوا الإله بالخلق وهم على طرفي الغلو والتقصير "[١] . ومنهم من رفع الأئمة إلى منزلة النبوة إلى جانب رفعهم إلى الألوهية[٢] ومنهم من قال بالبداء على الله[٣] كذلك اتفاقهم على اختلاف أصنافهم على القول بالتناسخ والحلول[٤].

يقول ابن خلدون: " من الشيعة طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والإيمان في القول بألوهية هؤلاء الأئمة إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية أو أن الإله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه ومنهم من يقول إن كمال الإمام لا يكون لغيره فإذا مات انتقلت روحه إلى إمام آخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ "[٥] ويذكر الشهرستاني أن بدع الغلاة محصورة في أربع " التشبيه والبداء والرجعة والتناسخ"[٦].

وتحدث ابن حزم عن طوائف الغلاة من الشيعة فذكر أن بعضهم يقول بإلهية الإمام علي ابن أبي طالب والأئمة بعده وبعضهم قال بنبوته وبتناسخ الأرواح وذكر من آرائهم أيضاً القول بالرجعة والتأويل[٧] .

---

[١] الملل والنحل (١٧٦/١)

[٢] تصحيح اعتقادات الإمامية للمفيد ص٢١٧ الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٨٣/٤) غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص٤٤

[٣] الملل والنحل (١٤٦/١، ١٧٦)

[٤] الملل والنحل (١٧٨/١)

[٥] المقدمة ص٢١٩

[٦] الملل والنحل (١٧٦/١)

[٧] الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٤/٢) (١٨٣/٤) غلاة الشيعة ص٤٤

من خلال هذه الأقوال جميعها والتي تضمنت آراء الغلاة وأوضحت لنا معيار الغلو أو الآراء التي يكون بها الغلاة غلاة أستطيع أن الخص تلك العقائد التي أثرت عن الغلاة فيما يلي:-

١. الحلول ٢. ادعاء النبوة ٣. التناسخ ٤. الرجعة
٥. التشبيه والتجسيم ٦. البداء ٧. التأويل[١]

ولقد حاول أكثر الشيعة إنكار نسبة فرق الشيعة الغالية إليهم أو إلى الإسلام يقول سعد القمي – وهو من الإمامية – بعد ذكره لفرق الغلاة: " فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع وإلى الخرمدينية والمزدكية والزنديقية والدهرية مرجعهم جميعا لعنهم الله وكلهم متفقون على نفي الربوبية عن الله الجليل الخالق تبارك وتعالى عما يصفون علوا كبيرا وإثباتها في بدن مخلوق "[٢].

ويقول محمد حسين آل كاشف الغطاء: " إن نسبة غلاة الشيعة إلى الشيعة ظلم فاحش وخطأ واضح وأنهم ليسوا إلا ملاحدة كالقرامطة ونظائرهم ويرى أنه لا يتضايق من قذفهم بالتناسخ والحلول وأن الشيعة الإمامية يتبرأون منهم برآءة التحريم"[٣] ويرى شيعي آخر من المعاصرين أن حشر الغلاة بين الشيعة تشنيع على الشيعة[٤].

بل إن من الباحثين غير الشيعة من يرى نفس هذا الرأي ويدافع عنه بقوة ، منهم: أحمد شلبي إذ يقول: " نريد أن نقول عن هؤلاء الذين يطلق عليهم الشيعة الغلاة ومن شاكلهم أنهم ليسوا شيعة على الإطلاق بل ليسوا مسلمين على الإطلاق فإذا استطعنا أن نفعل ذلك أخرجنا من الشيعة عشرات من الفرق ادعت أنها شيعة وليست شيعة"[٥].

---

(١) غلاة الشيعة ص٤٥

(٢) المقالات والفرق ص٦٤ ، وفرق الشيعة للنوبختي ص٤٦، تصحيح اعتقادات الإمامية للمفيد ص٢١٧

(٣) أصل الشيعة وأصولها ص ١٠٢ – ١٠٤

(٤) الشيعة في التاريخ ص ٢٢٧-٢٣٠

(٥) موسوعة التاريخ الإسلامي (١٢٨/٢، ١٣٩)

وكذلك يرى صبحي الصالح أن عقائد الغلاة حملت على الشيعة حملاً مع أن أصول التشيع تنكرها[١].

ولكن مع كل هذا التبرؤ والإنكار نجد أن عامة كتاب الفرق يثبتون علاقة وطيدة بين هذه الفرق الغالية وبين التيار الشيعي العام[٢]. وإذا لم يكن لهؤلاء الغلاة صلة بالتشيع في صورته المعتدلة – إن وجد – فإنهم ولا شك اتخذوا من التشيع ستاراً أو من حب آل البيت وسيلة إلى نشر أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة[٣]. ومن ثم أصبح التشيع مأوى لأهل الزندقة والإلحاد .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولهذا كان الرفض أعظم باب ودهليز إلى الكفر والإلحاد"[٤].

ويقول أيضاً: " ولهذا صار الرفض مأوى الزنادقة الملحدين من الغالية والمعطلة كالنصيرية والإسماعيلية ونحوهم"[٥].

ويقول: " وبهم – أي الرافضة – تسترت الزنادقة كالغالية من النصيرية وغيرهم ومن القرامطة الباطنية والإسماعيلية وغيرهم فهم منشأ كل فتنة ..."[٦].

ويقول أحمد أمين : " والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته كل هؤلاء

---

(١) النظم الإسلامية ص١٤٤

(٢) كالأشعري في مقالات الإسلاميين (١/٦٥-٦٦،٨٨،١٣٦-١٤٠) والرازي في اعتقادات فرق المسملين والمشركين ص٦٠-٧٠ والأيجي في المواقف ص٤١٨ وابن تيمية في الفتاوى الكبرى – التسعينية (٦/٣٦٩) وابن حزم في الفصل (٥/٣٥-٥٠) وابن المرتضى في المنية والأمل ص ٢١-٢٢ ، والبغدادي في الفرق بين الفرق ص٢١ والشهرستاني في الملل والنحل (١/١٤٥) ودراسات في الفرق ص٣٣-٥٦-٥٨،٦٧ ، والملطي في التنبيه والرد ص٢٩-٤٨ والإسفرائيني في التبصير في الدين ص٤١ ، وابن الجوزي في تلبيس إبليس ص٣١-٣٢ والنوبختي في فرق الشيعة ص ٢ وغيرها وأحمد أمين في فجر الإسلام ص٢٧٦ والنشار في نشأة الفكر الفلسفي (٢/١-٢) ودراسة عن الفرق ص ١٦٣ .

(٣) دراسة في الفرق ص ١٦٣

(٤) منهاج السنة (٧/١٠)

(٥) المصدر السابق (٧/٢١٩) انظر مجموع الفتاوى (٣٥ / ١٣٦)

(٦) المصدر السابق (٦/٣٧٠)

كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يخفون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم ... وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم والسعي لاستقلالهم"[١]. أ.هـ

وهكذا لما كان أولئك الغلاة سلفا لذلك التيار الباطني الهدام الذي نما وقوي عوده في أحضان فرقة الشيعة الإسماعيلية وفرخ في ظلالها[٢] – أرى لزاما أنه لا بد من الإشارة إلى هؤلاء الغلاة الذين ينتسبون إلى التشيع. وقد أورد كتاب الفرق العديد من هذه الفرق الشيعية المتطرفة ولما كانت هذه الفرق متناثرة في بطون الكتب لم يجمعها كتاب أو مؤلف قمت - بحسب الاستطاعة – بجمعها وحصرها فيما يلي :-

١) السبئية ٢) الغرابية ٣) البيانية ٤) المغيرية ٥) الهاشمية
٦) الكيسانية ٧) النعمانية ٨) اليونسية ٩) الخطابية ١٠) العلبائية
١١) النصيرية ١٢) الإسحاقية ١٣) الاسماعيلية ١٤) المنصورية
١٥) الكاملية ١٦) المفوضية ١٧) الأزلية ١٨) الجناحية
١٩) الرزامية والمسلمية ٢٠) الكيالية ٢١) الحربية

هذه أشهر فرق الغلاة المتناثرة في كتب الفرق وغيرها. [٣]

١) السبئية :-

أصحاب عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة ورفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين ثم إن عليا خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن. ويزعمون أن عليا حي لم يقتل وأن فيه الجزء الإلهي وهو

---

[١] فجر الإسلام ص ٢٧٦-٢٧٧

[٢] دراسة في الفرق ص ١٦٣

[٣] وهناك فرق لم يذكرها بعض الكتاب إما لكونها غير مشهورة أو لأنها تندرج تحت بعض هذه الفرق.

الذي يجئ في السحاب والرعد صوته والبرق سوطه وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وذكر عنه أنه قال لعلي رضي الله عنه: " أنت الإله حقاً " ويقولون بالتوقف والغيبة وتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي ثم تبنوا فكرة رفض أبي بكر وعمر فجعلوا لعلي ما جعله النصارى في المسيح عليه السلام[1].

٢) الغرابية :-

قوم زعموا أن الله عز وجل أرسل جبريل عليه السلام إلى علي فغلط في طريقه فذهب إلى محمد لأنه كان يشبهه وقالوا : كان أشبه به من الغراب بالغراب والذباب بالذباب وزعموا أن علياً كان الرسول وأولاده بعده هم الرسل[2].

يقول ابن حزم: " فهل سُمع بأضعف عقولاً وأتم رقاعة من قوم يقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يشبه علي بن أبي طالب فيا للناس !! أين يقع شبه ابن أربعين سنة من صبي ابن إحدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام . ثم محمد عليه السلام فوق الربعة إلى الطول قويم القناة كث اللحية أدعج العينين ممتلئ الساقين قليل شعر الجسد أفرع وعلي دون الربعة إلى القصر منكب شديد الانكباب كأنه كسر ثم جبر ، عظيم اللحية قد ملئت صدره من منكب إلى منكب إذا التحى ثقيل العينين دقيق الساقين أصلع عظيم الصلع ليس في رأسه شعر إلا في مؤخره يسير كثير شعر اللحية فاعجبوا لحمق هذه الطبقة . ثم لو جاز أن يغلط جبريل – وحاشا لروح القدس الأمين – كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه فتركه على غلطه ثلاثاً وعشرين سنة ثم أظرف من هذا كله : من أخبرهم بهذا الخبر ؟ ومن خرفهم بهذه الخرافة ؟ وهذا لا يعرفعه إلا من شاهد أمر الله تعالى لجبريل عليه السلام ثم شاهد خلافه فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/٨٦) الفرق بين الفرق ص ٢٣٣-٢٣٦ الملل والنحل (١/١٧٧) العقد الفريد (٢/٤٠٥) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص٤٠٠ ، التعريفات للجرجاني ص٧٩

(٢) الفرق بين الفرق ص٢٥٠

والملائكة والناس أجمعين ما دام الله عالمُه خلق "[1] واليعقوبي – رغم تشيعه – لم يذكر علياً بين المشبهين لرسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

٣) البيانية :

أصحاب بيان بن سمعان التميمي يقولون إن الله عز وجل على صورة الإنسان وأنه يهلك كله إلا وجهه وادعى بيان أنه يدعو الزهرة فتجيبه وأنه يفعل ذلك بالاسم الأعظم فقتله خالد بن عبد الله القسري ، وحكى عنهم أن كثيراً منهم يثبت لبيان بن سمعان النبوة وأنه نسخ بعض شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من زعم أنه كان إلهاً حيث ذكروا أن بياناً قال لهم : إن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة حتى صارت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد الحنفية ثم انتقلت إليه منه – يعني نفسه – فادعى لنفسه الربوبية على مذاهب الحلولية وزعم أنه هو المذكور في قوله تعالى " هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين "[3] وقال أنا البيان أنا الهدى والموعظة وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم وأنه يهزم به العساكر ولذلك قال له خالد لما ظفر به : إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعواني عنك ثم صلبه وكفى الله الناس شره "[4].

٤) المغيرية :

أتباع المغيرة بن سعيد العجلي الذي كان مولى لخالد بن عبد الله القسري ادعى أن الإمام بعد محمد بن علي بن الحسين هو محمد بن عبد الله بن الحسن الخارج بالمدينة وزعم أنه حي لم يمت ثم ادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد ثم ادعى النبوة لنفسه وأنه يعلم الاسم الأعظم وأنه يحي به الموتى ويهزم به الجيوش وغلا في حق علي رضي الله عنه غلواً لا يعتقده عاقل وزاد على ذلك قوله بالتشبيه حيث زعم أن معبوده رجل من نور وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة وأن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء ، بل بلغ به الأمر أن ادعى الإلهية لنفسه .

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٢/٥-٤٣)

[2] تاريخ اليعقوبي (١١٧/٢)

[3] آل عمران آية ١٣٨

[4] مقالات الإسلاميين (٦٦/١-٦٧) ، الملل والنحل (١٥١/١) ، الفرق بين الفرق ص ٢٣٦-٢٣٨

ومن مظاهر هذا الادعاء زعمه أنه يحي الموتى وأنه يعلم الغيب ويرجع الوهيته ومعرفته للغيب إلى أنه أتى بعض أهل البيت فسقاه شربة من ماء فما بقي شئ إلا علمه. واستحل المحارم ولما بلغ خالد بن عبد الله القسري خبره أرسل إليه فجئ به وأتباعه إليه فقتل منهم رجلا ثم قال للمغيرة أحيه وكان يريهم أنه يحي الموتى فقال والله ما أحي الموتى فأمر خالد بطن قصب فأضرم نارا ثم قال للمغيرة اعتنقه فأبى فعدا رجل من أصحابه فاعتنقه والنار تأكله فقال خالد هذا والله أحق منك بالرياسة ثم قتله وقتل أصحابه حرقا[1].

٥) الهشامية :

أصحاب الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله في التشبيه . وكان هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في علم الكلام منها في التشبيه ومنها في تعلق علم الباري تعالى وقال هشام فيما نقل عنه أن الأئمة معصومون لأنهم لا يوحى إليهم فوجب عصمتهم بخلاف الأنبياء بل قد غلا هشام بن الحكم في حق علي حتى قال إنه إله واجب الطاعة[2].

٦) الكيسانية :-

وتدعى المختارية أيضا وقد انشعبت عن السبئية وتبنت أفكارها وطورتها بما يحقق أهداف معتنقيها[3].

وبالنسبة لتسميتها بالكيسانية فمن المجمع عليه أنها سميت بذلك نسبة إلى كيسان وإنما وقع الخلاف في تحديد من هو كيسان هذا.[4] وهذا الخلاف يتلخص في الأقوال الآتية:-

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١/٦٩-٧٤) الفرق بين الفرق ص٢٣٨-٢٤٢ ، الملل والنحل (١/١٨٠-١٨١) لسان الميزان (٦/٧٦-٧٧) ، النجوم الزاهرة (١/٢٨٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٨ غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام ص٣٠٥ الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥ / ٤٤) .

(٢) الملل والنحل (١/١٨٧-١٨٩)

(٣) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص ٤٠٠

(٤) غلاة الشيعة ص٩١

أ) أنه المختار بن أبي عبيد الثقفي رئيس الكيسانية وأنه كان يلقب بكيسان وهو ما أكده النوبختي بقوله: " إن محمد بن الحنفية استعمل المختار وأمره بالطلب بدم الحسين وثأره وقتل قاتليه وسماه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه"(١).

وقال بمثله الأشعري والبغدادي وابن قتيبة وغيرهم(٢).

ب) أنه مولى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وممن قال بهذا الشهرستاني والمقريزي وغيرهما(٣).

جـ) أن كيسان هو تلميذ محمد بن الحنفية(٤).

د) إن كيسان هو أبو عمرة مولى بجيلة صاحب شرطة المختار(٥) .

وإذا نظرنا إلى هذه الأقوال نظرة تمحيص وجدنا أن القول بأن كيسان مولى لعلي ابن أبي طالب هو قول غريب(٦) بل هو قول مرفوض(٧) لأن كيسان مولى علي رضي الله عنه قتل في صفين في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(٤) وقبل قيامهم بنحو ثلاثين سنة(٨) وقبل أن يستشهد الحسين ويثأر له المختار(٩).

كذلك القول بأن كيسان هو تلميذ لمحمد بن الحنفية قول ضعيف لأنه مجهول تاريخيا ولم يعرف أحد من تلامذة ابن الحنفية بذلك الاسم(١٠).

وأما القولان الآخران فليس هناك تعارض بينهما لأن المختارية والكيسانية شيء واحد وهم أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي(١١) . والذي كان أبو عمرة الملقب

---

(١) فرق الشيعة ص ٢٧

(٢) مقالات الإسلاميين (٩١/١) ، الفرق بين الفرق ص٣٨ ، المعارف ص٦٢٢

(٣) الملل والنحل (١٤٥/١) المواعظ والاعتبار (٣٥١/٢) الكشف والبيان (٤٥٧/٢)

(٤) الملل والنحل (١٤٥/١) وقال ابن خلدون في تاريخه (١٦٥/١) : إن كيسان مولى محمد بن الحنفية .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٩٩/٥) . غلاة الشيعة ص ٩٣

(٦) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص ٤٠٠

(٧) غلاة الشيعة ص٩٢

(٤) تاريخ الأمم والملوك (١٩/٥)

(٨) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص ٤٠٠

(٩) غلاة الشيعة ص٩٢

(١٠) غلاة الشيعة ٩٣

(١١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣٧/٤)

بكيسان من أعوانه[1] وصاحب شرطته[2] بل كان مفرطا في القول والفعل والقتل أكثر من المختار[3]. إضافة إلى غلوه المتطرف وشهرته بذلك حتى أخذ الناس على المختار استعانته به وقالوا قد جاوره أبو عمرة[4]. فهما على كل حال يتقاسمان النفوذ والتأثير في الكيسانية ولذلك نسبت إليهما فهي إن سميت بالمختارية فلأن المختار هو أول من دعا إلى إمامة محمد بن الحنفية[5] وقد يكون المختار لقب بكيسان لأن كيسان هذا هو صاحب شرطته قال النويختي: " وإنما لقب المختار كيسان لأن صاحب شرطته المكنى بأبي عمرة كان اسمه كيسان وكان قد أفرط في القول والفعل والقتل أكثر من المختار"[6] وإن قيل إن الكيسانية نسبة إلى أبي عمرة الملقب بكيسان هي الأرجح نظرا لمكانته بين أتباع المختار الذين كان أكثرهم موالي وهو مولى[7]. كما بين ذلك البلاذري بقوله: "وولي المختار حرسه كيسان ويكنى أبا عمرة وهو صاحب الكيسانية"[8] لم يكن ذلك بعيدا .

والكيسانية تقول بإمامة محمد بن علي بن أبي طالب الملقب بإبن الحنفية نسبة إلى أمه التي كانت من بني حنيفة .

وقد مات محمد بن الحنفية بالمدينة سنة ٨١هـ فقد روى ابن سعد بسنده إلى زيد بن السائب قال: " سألت أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية : أين دفن أبوك ؟ فقال : بالبقيع. قلت: أي سنة ؟ قال سنة إحدى وثمانين في أولها وهو يومئذ ابن

(١) الطبقات الكبرى (٩٩/٥)

(٢) غلاة الشيعة ص٩٣

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص ٢٣

(٤) الأخبار الطول لابن قتيبة ص ٢٦٠ وانظر أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص ٤٠٠

(٥) غلاة الشيعة ص٩٣ وقال "الكيسانية تعرف بأنها الفرقة التي تقول بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه الحسن والحسين ولأن الحسين أوصى إليه عند خروجه إلى الكوفة " أ.هـ

(٦) فرق الشيعة ص ٢٣

(٧) غلاة الشيعة ص٩٣

(٨) أنساب الأشراف (٢٢٩/٥)

خمس وستين سنة لا يستكملها "[١] وقد صلى عليه يومئذ أبان بن عثمان بن عفان وهو الوالي على المدينة يومئذ لعبد الملك بن مروان[٢].

وقد اختلفت الكيسانية في موت ابن الحنفية على ثلاث فرق[٣]:-
أ) فرقة ترى أنه هو المهدي وأنه لم يمت ولا يموت وإنما غاب ولكن لا يدرى أين هو وسيرجع ويملك الأرض ولا إمام بعد غيبته وهم الكربية أصحاب ابن كرب[٤].

ب) فرقة قالت إنه حي لم يمت وأنه يقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة تغذوه الآرام تغدوا عليه وتروح فيشرب من ألبانها ويأكل من لحومها وعن يمينه أسد وعن يساره أسد يحفظانه إلى أوان خروجه ومجيئه وقيامه وقال بعضهم : عن يمينه أسد وعن يساره نمر وهو عندهم الإمام المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وآله أنه يملأ الأرض عدلا وقسطا فثبتوا على ذلك حتى فنوا وانقرضوا إلا قليلا من أبنائهم[٥] .

ج) وفرقة منهم قالت إنهَ مات والإمام بعده عبد الله بن محمد بن الحنفية وكان يكنى أبا هاشم وهو أكبر ولده وإليه أوصى أبوه فسميت هذه الفرقة "الهاشمية" نسبة إلى أبي هاشم[٦] وهؤلاء اختلفوا في الإمام بعد أبي هاشم فمنهم من نقلها إلى محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بوصية أبي هاشم إليه وهذا قول الراوندية . ومنهم من زعم أن الإمامة بعد أبي هاشم صارت إلى بيان بن سمعان

---

(١) الطبقات الكبرى (٥/١١٦) فرق الشيعة ص ٢٧

(٢) المصدر السابق (٥/١١٦)

(٣) فرق الشيعة للنوبختي ص٢٧

(٤) المصدر السابق ص ٢٧

(٥) المصدر السابق ص ٢٩

(٦) المصدر السابق ص ٣٠ – ٣١

وهم البيانية ومنهم من زعم أن الإمام بعد أبي هاشم عبد الله بن عمرو بن حرب وهم الحربية[1].

ومن الكيسانية من قال إن الإمام بعد محمد بن الحنفية ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين[2].

ويجمع الكيسانية على تفرقهم بعد موت محمد بن الحنفية ما يلي :-

1. قولهم بإمامة محمد بن الحنفية وإليه كان يدعو المختار بن أبي عبيد الثقفي.
2. جواز البداء على الله عز وجل ولهذه البدعة قال بتكفيرهم كل من لا يجيز البداء على الله سبحانه[3].
3. أن الدين طاعة رجل وقد حملهم هذا الاعتقاد على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل وحمل بعضهم على ضعف الإعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت[4].

والمختار في أول أمره كانت حركته حركة شيعية غرضها أخذ الثأر من قتلة الحسين بن علي رضي الله عنه من جهة وتحقق أطماع وتطلعات قائدها المختار من جهة أخرى[5] ولكن لم يقف عند هذا الحد بل بلغ به الأمر أن صار كيسانيا،[6] ادعى معرفة الغيب وعلم ما يحدث من الأحوال إما بوحي إليه وإما برسالة من قبل الإمام[7] .ودعواه النبوة عند خواصه[8] وقوله على الله بالبداء[9].

---

(1) الفرق بين الفرق ص ٤٠ – ٤١

(2) المصدر السابق ص ٣٩

(3) المصدر السابق ص ٣٨-٣٩

(4) الملل والنحل (١٤٥/١)

(5) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٩٢١/٣)

(6) الملل والنحل (٤٦/١) الأغاني (٤/٩) أثر أهل الكتاب في الفتن والحروب الأهلية ص ٤٠٢

(7) الفرق بين الفرق ص٤٦ ، الملل والنحل (١٤٦/١) أنساب الأشراف (٢١٨/٥-٢١٩) الكامل للمبرد (٢١٢/٢) غلاة الشيعة ص١١٠ . شرح مسلم للنووي (١٠٠/١٦)

(8) الفرق بين الفرق ص٤٧ ، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٥٠ أنساب الأشراف (٢٤٦/٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٣/٥) .

(9) الملل والنحل (١٤٦/١) الفرق بين الفرق ص ٣٨،٥٠،٥٢

والسبب في هذا التغير الكبير الذي حصل له هو أن جماعات من الشـيعة الغـلاة السبئية خدعوه فقالوا له أنت حجة هذا الزمان[١]. فحصل منه ما حصـل ولكـن آراءه الفاسدة لم تنته بهلاكه[٢] سنة ٦٧هـ على يد مصعب بن الزبير[٣]. بل قـام أتباعه وأصحابه من الكيسانية بنشرها فيما بعد فكانت واستمرت الكيسانية حركـة غالية منحرفة اتخذت من التشيع لآل البيت ستارا نفذت بواسطته بتعاليمها الفاسـدة وآرائها المنحرفة. وقد تولد عنها الكثير من الحركات الباطنية[٤]. التي ما فتئـت جاهدة تسعى لهدم الإسلام وطمس معالمه وإبادة أهله .

٧) النعـمـانـيــة :

أصحاب محمد بن علي بن النعمان أبي جعفر الأحول الملقب بشـيطان الطـاق، والشيعة تقول هو مؤمن الطاق. وافق هشام بن الحكم في أن الله تعالى لا يعلم شيئا حتى يكون[٥] ومن عقائدها أيضا القول بالتناسخ والحلول والرجعة[٦].

٨) اليـونـسـيـة :

أتباع يونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين كان في الإمامة على مذهـب القطعية الذين قطعوا بموت موسى بن جعفر وقد أفرط يونس هذا في باب التشـبيه فزعم أن الله عز وجل يحمله حملة عرشه وهو أقوى منهم[٧] وقد انفرد هو وفرقته بأن قالوا " الإيمان هو المعرفة والخضوع والمحبة والإقرار بأنه تعـالى " ليـس

---

(١) الفرق بين الفرق ص٤٧

(٢) عقيدة اهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/٩٢٤)

(٣) تاريخ الأمم والملوك (٦/٩٣) ، البداية والنهاية (٨/٣٠٨)

(٤) دراسة عن الفرق ص١٧١-١٧٢ عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/٩٢١)

(٥) الملل والنحل (١/١٩٠) الفرق بين الفرق ص٧١ المواقف في علم الكلام ص٤٢١ مقالات الإسلاميين (١/١١١)

(٦) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ص٣٣

(٧) الملل والنحل (١/١٩١-١٩٢) الفرق بين الفرق ص٧٠ مقالات الإسلاميين (١/١١٠)

كمثله شئ "[1] قالوا: " فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وإن لم يأت بجميع الطاعات "[2].

٩) الخطابية :

أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرأ منه ولعنه وأخبر أصحابه بالبرآءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبري منه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الأمر لنفسه[3]. وزعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة وقال بإلهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه . والإلهية نور في النبوة والنبوة نور في الإمامة ولا يخلوا العالم من هذه الآثار والأنوار وزعم أن جعفرا هو الإله في زمانه وليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسجنه في الكوفة وافترقت الخطابية بعده فرقا[4].

١٠) العلبائية أو الذمية :

أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي وقال قوم هو الأسدي وكان يفضل عليا على النبي صلى الله عليه وسلم وزعم أنه الذي بعث محمدا وسماه إلها وكان يقول بذم محمد وزعم أنه بعث ليدعوا إلى علي فدعا إلى نفسه ويسمون هذه الفرقة الذمية ومنهم من قال بإلهيتهما جميعا ويقدمون عليا في أحكام الإلهية ويسمونهم الميمية . ومنهم من قال بإلهية خمسة أشخاص أصحاب الكساء محمد وعلي وفاطمة

---

(1) الشورى آية ١١

(2) ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين لليافعي ص١٤٤

(3) فرق الشيعة للنوبختي ص٤٢ وقال " وكان أبو الخطاب يدعى أن جعفرا جعله قيمه ووصية من بعده وعلمه اسم الله الأعظم ثم ترقى إلى أن ادعى النبوة ثم ادعىالرسالة ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم أ.هـ

(4) الملل والنحل (١٨٣/١) مقالات الإسلاميين (٧٦/١-٧٩) الفرق بين الفرق ص ٢٤٧-٢٥٠ . ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص ٨٠ – ٨١ .

والحسن والحسين وقالوا خمستهم شئ واحد والروح حالة فيهم بالسوية لا فضل لواحد على الآخر وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث بل قالوا فاطم وفي ذلك يقول بعض شعرائهم :

تولیت بعد الله في الدين خمسة نبيا وسبطيه وشيخا وفاطما[١]

١١) النصيرية :

ويقال لها النميرية من غلاة الشيعة ولهم جماعة ينصرون مذهبهم وينوبون عن أصحاب مقالاتهم[٢] ، أحدثها محمد بن نصير النميري[٣]. وهو من أتباع الشريعي الذي زعم أن الله تعالى حل في خمسة أشخاص وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين[٤] وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة ولهم أضداد واختلفوا في أضدادها فمنهم من زعم أنها محمودة لأنه لا يعرف فضل الأشخاص التي فيها الآله إلا بأضدادها . ومنهم من زعم أن الأضداد مذمومة وحكى عن الشريعي أنه ادعى يوما أن الإله حل فيه[٥]، وأما النميري فقد كان – رغم تتلمذه على الشريعي[٦] من أصحاب الحسن العسكري[٧] . ولكنه غلا حتى ادعى النبوة[٨] . بل وصل به الأمر أن ادعى أن الإله حل فيه[٩]. بعد أن كان يزعم ألوهية الحسن العسكري[١٠].

---

(١) الملل والنحل (١/١٧٩) ، التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ص٣٢

(٢) الملل والنحل (١/١٩٢) وجاء في طبعة دار المعرفة: ويذبون عن أصحاب مقالاتهم (١/٢٢١) وهو الصواب إن شاء الله .

(٣) شرح نهج البلاغة (٨/١٢٢) ، غلاة الشيعة ص٢٤٩

(٤) الفرق بين الفرق ص٢٥٢

(٥) الفرق بين الفرق ص٢٥٢

(٦) غلاة الشيعة ص٢٥٢

(٧) شرح نهج البلاغة (٨/١٢٢)

(٨) فرق الشيعة للنوبختي ص٩٣

(٩) الفرق بين الفرق ص٢٥٢

(١٠) غلاة الشيعة ص٢٥١

وادعى الربوبية وقال بإباحة المحارم[١] . ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا[٢].
وبعد هلاكه قام أتباعه من بعده بحمل الراية حيث ألهوا على بن أبي طالب رضي الله عنه وعبدوه حتى اشتهر ذلك عنهم[٣].
وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية في الكلام عليهم في رسالته المشهورة عن النصيرية لما سئل عن حكمهم [٤].

١٢) الإسحاقية :

أتباع إسحاق بن زيد بن الحارث وكان من أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب وقيل تنسب إلى إسحاق بن محمد النخعي أبي يعقوب الأحمر عاصر هشام بن الحكم ومن مصنفاته " مجالس هشام " والإسحاقية عاصرت إمامة الصادق (١١٤-١٤٨هـ) وكان إسحاق يقول بالإباحة وإسقاط التكليف وكان ويثبت لعلي شركة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صارت الإسحاقية مثل النصيرية فقالوا إن الله حل في علي رضي الله عنه وهم من غلاة الشيعة[٥].

١٣) الاسماعيلية :-

فرقة تنتسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق[٦] ولهم ألقاب كثيرة عرفوا بها غير هذا اللقب منها :

أ) الباطنية : لقولهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا .
ب) القرامطة : نسبة إلى حمدان قرمط ويعرفون بهذا اللقب في العراق .
ج) المزدكية . د) التعليمية . هـ) الملحدة . و) المباركية .
ز)السبعية ح) الإباحية . ط) الزنداقية . ي) الخرمية . ك) المحمرة

---

(١) شرح نهج البلاغة (١٢٢/٨)
(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص٩٣
(٣) تاريخ الإسلام السياسي . د/حسن إبراهيم حسن (٢٦٦/٤)
(٤) مجموع الفتاوى (١٤٩/٣٥-١٦١)
(٥) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ص ٣٣ التعريفات للجرجاني ص ٣٧ الملل والنحل (١٩٢/١)
(٦) الملل والنحل (١ / ١٩٩)

ل) الخرمدينية إلى غير ذلك[1] ، وهم لا يحبون أن يلقبوا بغير الإسماعيلية إذ يقولون نحن إسماعلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص[2]، ذلك أن الشيعة بعد موت جعفر الصادق افترقت إلى فرقتين :-

١. فرقة ساقت الإمامة إلى إبنه موسى الكاظم وهم الشيعة الإثني عشرية .

٢. فرقة نفت الإمامة عن ابنه موسى وقالت إن الإمام بعده هو جعفر بن إسماعيل وهم الشيعة الإسماعيلية[3].

والشيعة الإسماعيلية فرقتان :-

١. **المستعلية** : ويسمى أتباعها الآن البهرة أي التجار وهم ينتشرون في الهند وباكستان واليمن وحضرموت وعدن .

٢. **النزارية** : وتشتهر الآن باسم الآغا خانية. ويعتقدون أن زعيمهم الديني المعاصر كريم أغاخان من نسل نزار بن المستنصر الفاطمي[4]، وعقائدهم كفر بواح لأن ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض .

يقول الغزالي إن الإسماعيلية: " يتطلعون في الجملة لنفي الصائع فإنهم لو قالوا إنه معدوم لم يقبل منهم بل منعوا الناس من تسميته موجودا وهو عين النفي مع تغيير العبارة لكنهم تحذقوا فسموا هذا النفي تنزيها وسموا مناقضه تشبيها حتى تميل القلوب إلى قبوله "[5].

ويقول إن آراء الباطنية في الإلهيات مسترقة من الثنوية والمجوس في القول بإلهين ومن كلام الفلاسفة في المبدأ الأول وأن مذاهبهم في النبوات مستخرجة من

(١) المصدر السابق (١/٢٠١ - ٢٠٢)

(٢) المصدر السابق (١/٢٠٢) تلبيس إبليس ص ١١٧ - ١٢١

(٣) الفرق بين الفرق ص ٦٢

(٤) الإسماعيلية المعاصرة محمد الجوير ص ٤٣ - ٤٩

(٥) فضائح الباطنية ص ٢٦

مذاهب الفلاسفة في النبوات مع تحريف وتغيير وأن مذهبهم في المعـــاد موافــق لآراء الثنوية والفلاسفة في الباطن والروافض والشيعة في الظاهر[١].

إضافة إلى قولهم بأن للشريعة باطنا وظاهرا باطن يعرفه الإمام فقط وظاهر يعرفه الناس وبهذا فتحوا الباب أمام تأويل الآيات القرآنية والأحاديث على وفق ما يحقـق أهدافهم[٢]. وتأليهه الأئمة والحلول ورفع التكاليف واستحلال المحرمات[٣].

١٤) المنصـوريـــة :

أصحاب أبي منصور العجلي[٤]. نسبة إلى بني عجل[٥]. من عبد القيس من أهـــل الكوفة وله فيها دار وكان منشؤه بالبادية[٦].

تأثر بالغلو الكيساني في حياته الأولى عندما احتضنته الميلاء وهي تلميـــذة ليلــى الناعطية إحدى النساء الغاليات زمن المختار فتربى على يديها وتغـــذى بـــالغلو.. وتتلمذ أيضا على يد المغيرة بن سعيد ولكنه لم يكن من بين الوصفاء السبعة لأنــهم قتلوا مع المغيرة[٧].وقد طمع في الزعامة والمغيرة لا يزال حيـــا ينفـــث ســمومه وأراد أن يقيم هذه الزعامة وإن ظل منضويا تحت لواء سيده المغيرة فلما قتل سنة ١١٩هـــ خلا لأبي منصور الجو وأعلن أنه الوصي[٨].

وكان ينتسب إلى أبى جعفر محمد بن علي الباقر في أول أمره فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام ودعا الناس إلى نفسه ولما توفى الباقر قـــال انتقلــت الإمامة إلي وتظاهر بذلك[٩].

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠،٢٧ الملل والنحل (٢٠٢/١ - ٢٠٣)

(٢) التشيع بين مفهوم الأئمة والمفهوم الفارسي ص ٣٤

(٣) غلاة الشيعة ص ١٧٩ تلبيس إبليس ص ١٢٣ - ١٢٨

(٤) الملل والنحل (١٨١/١)

(٥) مقالات الإسلاميين (٧٥/١)

(٦) فرق الشيعة للنوبختي ص ٣٨

(٧) غلاة الشيعة ص ٣٠٧

(٨) حركات الشيعة المتطرفين د/ محمد جابر عبد العال ص ٥٢

(٩) الملل والنحل (١٨٢/١)

زعم العجلي أن عليا هو الكسف الساقط من السماء وربما قال : الكسف الساقط من السماء هو الله عز وجل وزعم حين ادعى الإمامة لنفسه أنه عرج به إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده ورأسه وقال له يا بني انزل فبلغ عني ثم أهبطه إلى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء وزعم أن الرسل لا تنقطع أبدا والرسالة لا تنقطع وأن الجنة رجل أمرنا بموالاته وهو إمام الوقت وأن النار رجل أمرنا بمعاداته وهو خصم الإمام وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمر الله تعالى بمعاداتهم وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم واستحل أصحابه قتل مخالفيهم [1] . لأنه كان يأمرهم بخنق من خالفهم وقتلهم بالإغتيال ويقول من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي[2]. وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم وهم صنف من الخرمية وإنما مقصودهم من حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع عنه الخطاب إذ وصل إلى الجنة وبلغ إلى الكمال[3].

وزعم العجلي أن الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك من المحارم حلال وقال لم يحرم الله ذلك علينا ولا حرم شيئا تقوى به أنفسنا وإنما هذه الأشياء أسماء رجال حرم الله سبحانه ولايتهم[4] ومما ابتدعه أن قال : أول ما خلق الله هو عيسى ابن مريم ثم علي بن أبي طالب[5]. ولما وقف يوسف بن عمرو الثقفي وآلي العراق في أيام هشام ابن عبد الملك على قصته وخبث دعوته أخذه وصلبه عام ١٢١هـ[6]. واستمرت بعده المنصورية ولكن انقسمت إلى فرقتين الحسينية والمحمدية[7].

---

(١) المصدر السابق (١٨٢/١)

(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٣٨

(٣) الملل والنحل (١٨٢/١ – ١٨٣)

(٤) مقالات الإسلاميين (٧٥/١)

(٥) الملل والنحل (١٨٣/١)

(٦) المصدر السابق (١٨٢/١) مقالات الإسلاميين (٧٥/١)

(٧) مقالات الإسلاميين (٩٩/١)

١٥) الكـــامـــليـــة :-

أصحاب أبى كامل الذي أكفر جميع الصحابة بترك بيعة علي وطعن فـــي علـــي بتركه طلب حقه ولم يعذره في القعود قال : وكان عليه أن يخرج ويظهر الحـــق على أنه غلا في حقه وكان يقول الإمامة نور يتناسخ من شخص إلى شخص وذلك النور في شخص يكون نبوة وفي شخص يكون إمامة وربما تتناسخ الإمامة فتصير نبوة وقال بتناسخ الأرواح وقت الموت[١].

١٦) المـــفـــوضـــيـــة :-

قوم زعموا أن الله تعالى خلق محمداً ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره فهو الـــذي خلق العالم دون الله تعالى ثم فوّض محمد تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب فـــهو المدبر الثاني[٢].

ويزعمون أن الباري خلق روح علي وأرواح أولاده وفوض العالم إليهم فخلقوا هم الأرضين والسموات ، قالوا : ومن ههنا قلنا في الركوع سبحان ربي الله العظيـــم وفي السجود سبحان ربي الأعلى لأن الإله هو علي وأولاده . وأما الإله الأعظـــم فهو الذي فوض إليهم العالم[٣]. وهذه الفرق شر من المجوس الذين زعموا أن الإله خلق الشيطان ثم إن الشيطان خلق الشرور . وشر من النصارى الذي سموا عيسى عليه السلام مدبراً ثانياً فمن عد مفوضة الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام[٤].

١٧) الأزلـــيـــة :-

قوم يزعمون أن علياً أزلي وكذلك عمر بن الخطاب أيضا قديم أزلي إلا أن عليـــاً كان خيراً محضاً وعمر كان شراً محضاً وكان يؤذي علياً دائماً وكأنـــهم اقتبســـوا هذه المقالة من المجوس[١].

---

[١] الملل والنحل (١ / ١٧٨)

[٢] الفرق بين الفرق ص ٢٥١ مقالات الإسلاميين (١/ ٨٨)

[٣] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٤

[٤] الفرق بين الفرق ص ٢٥١

[١] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٦

١٨) الجناحية :-

أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب. وسبب تسميتهم بالجناحية هو أن جعفر بن أبى طالب جد عبد الله بن معاوية الذي ينسبون أنفسهم إليه كان يلقب " ذا الجناحين " فسميت الجناحية والجناح هو ما يطير به الطائر.

وكان سبب اتباعهم له أن المغيرية – الذين تبرؤوا من المغيرة بن سعيد بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي – خرجوا من الكوفة إلى المدينة يطلبون إماما فلقيهم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فدعاهم إلى نفسه وزعم أنه هو الإمام بعد علي وأولاده من صلبه فبايعوه على إمامته ورجعوا إلى الكوفة وحكوا لأتباعهم أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر زعم أنه رب وأن روح إله كانت في آدم ثم في شيث ثم دارت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى علي ثم دارت في أولاده الثلاثة ثم صارت إلى عبد الله بن معاوية وزعموا أنه قال لهم : إن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة والعشب .

وكفرت هذه الطائفة بالجنة والنار واستحلوا الخمر والميتة والزنى واللواط وسائر المحرمات وأسقطوا وجوب العبادات وتأولوا العبادات على أنها كنايات عمن يجب موالاتهم من أهل بيت علي وقالوا في المحرمات المذكورة في القرآن أنها كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير وعائشة[١] .

ويزعمون أن المعرفة إذا حصلت لم يبق شئ من الطاعات واجبة[٢] وهم يكفرون بالقيامة ويدعون أن الدنيا لا تفنى[٣] ولما قتل زعيمهم عبد الله بن معاوية قال بعض أتباعه إنه حي لم يمت بجبال أصفهان إلى اليوم ولا بد له من أن يظهر ولا يموت حتى يقود نواصي الإمامة إلى رجل من بني هاشم من ولد علي وفاطمة[٤].

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٤٥-٢٤٦

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٣ – ٧٤

(٣) مقالات الإسلاميين (٦٧/١)

(٤) فرق الشيعة ص ٣٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣٦/٥-٣٧) وقال ابن حزم " وكان عبد الله هذا ردي الدين معطلاً مستعجبا للدهرية"

١٩) الـــرزامـــيـــة والمســـلميـــة :-

أتباع رزام ساقوا الإمامة من علي إلى ابنه محمد ثم إلى ابنه أبى هاشم ثم منه إلى علي بن عبد الله بن عباس بالوصية ثم ساقوها إلى محمد بن علي وأوصى محمـــد إلى ابنه إبراهيم الإمام وهو صاحب أبى مسلم الذي دعاه إليه وقال بإمامته وهؤلاء ظهروا بخراسان في أيام أبى مسلم حتى قيل إن أبا مسلم كان على هذا المذهـــب لأنهم ساقوا الإمامة إلى أبى مسلم فقالوا له حظ في الإمامة وادعـــوا حلـــول روح الإله فيه ولهذا أيده على بني أمية حتى قلتهم على بكـــرة أبيـــهم وقـــالوا بتناســـخ الأرواح . وكان أبو مسلم صاحب الدولة على مذهب الكيسانية في الأول واقتبـــس من دعاتهم العلوم التي اختصوا بها[١].

فالرزامية يقولون : إن أبا مسلم قد قتل وأما المسلمية أو الأبو مسلمية فإنهم قـــالوا إن أبا مسلم حي لم يمت[٢] وافرطوا فيه غاية الإفراط وزعموا أنـــه صـــار إلـــها بحلول روح الإله وزعموا أن أبا مسلم خير من جبريل وميكائيل وسائر الملائكـــة وهم على انتظار أبى مسلم الذي يزعمون أنه حي لم يمت وهؤلاء بمرو وهـــراة يعرفون بالبركوكية فإذا سئل هؤلاء عن الذي قتله المنصور قالوا : كان شـــيطاناً تصور للناس في صورة أبى مسلم[٣] ويحكى عنهم استحلال لما لـــم يحلـــل لـــهم أسلافهم[٤].

٢٠) الكـــيـــالـــيـــة :-

أتباع أحمد الكيال الملحد كان ضالاً مضلاً صنف كتباً في الضلالة والترهـــات[٥] وكان من دعاة واحد من أهل البيت بعد جعفر بن محمد الصادق وأظنه من الأئمـــة المستورين[٦]. ولما وقفوا على بدعته تبرؤا منه ولعنوه وأمروا شيعتهم بمنابذتـــه

(١) الملل والنحل (١/١٥٢-١٥٣) الفرق بين الفرق ص ٢٥٦ - ٢٥٧

(٢) مقالات الإسلاميين (١ / ٩٦)

(٣) الفرق بين الفرق ص ٢٥٧

(٤) مقالات الإسلاميين (١ / ٩٦)

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٧٦

(٦) الملل والنحل (١/١٨٥)

وترك مخالطته ولما عرف الكيال ذلك صرف الدعوة إلى نفسه وادعى الإمامة أولا ثم ادعى أنه القائم ثانياً[1] .

٢١) الحربية :-

أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي وكان على دين البيانية – أتباع بيان ابن سمعان النهدي – في دعواها أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية .

ثم زعمت الحربية أن تلك الروح انتقلت من عبد الله بن محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عمرو بن حرب وادعت في زعيمها عبد الله بن عمرو بن حرب مثل دعوى البيانية في بيان بن سمعان وكلتا الفرقتين كافرة بربها وليست من فرق الإسلام[2].

---

(١) االمصدر السابق (١/١٨٥ - ١٨٧)

(٢) الفرق بين الفرق ٢٤٣ الحور العين ص ٢١٤ – ٢١٥ التبصير في الدين ص ١٢٥ مقالات الإسلاميين (١/٦٨ ، ٩٦)

ثانيا: الشيعة الزيدية :-

هم المنسوبون إلى زيد بن علي زين العابدين[١] بن الحسين بن علي بن أبى طالب رضي الله عنهم ، والذين قالوا بقوله وحاربوا معه عندما رفضته الرافضة سنة ١٢٢هـ[٢] . وقد انقطعت الصلة بين هؤلاء - زيدية الكوفة الذين ظهروا في القرن الثاني الهجري في عهد المؤسس زيد بن علي - وبين زيدية اليمن التي ابتدأت في أواخر القرن الثالث للهجرة إلى عصرنا الحاضر[٣] . وهذه الفرقة لم تلبث بعد موت زيد أن انقسمت إلي فرق عدة يجمعها قاعدة واحدة وهي أنها ترى السيف والعرض على أئمة الجور وإزالة الظلم وإقامة الحق[٤] ، فمنها من بلغ به الغلو حد الخروج عن الإسلام ومنها ما هو دون ذلك . وأصول فرقها ثلاث الجارودية والسليمانية والصالحية[٥] . وافترق متأخروا الجارودية إلى مطرفية وحسينية ومخترعة[٦] . ولكن ليس باليمن من فرق الزيدية سوى الجارودية وهم بصنعاء وما يليها[٧] .

فرق الزيدية :-

١) الجارودية :

أتباع أبى الجارود زياد بن المنذر الكوفي الهمداني وقيل الثقفي وقيل النهدي الأعمى من أهل الكوفة الغالين. رافضي كذاب يضع الحديث في مثالب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ويروي في فضائل أهل البيت

---

(١) إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٠ الملل والنحل (١/١٥٤ - ١٥٥) مقالات الإسلاميين (١/١٣٦) البداية والنهاية (٩/٣٤٠-٣٤٣)

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/٣٩٠) تهذيب الكمال للمزي (٣/٨٤) مجموع الفتاوى (٣/١٥٣) (١٣/٣٥-٣٦)(٢٨/٤٠)

(٣) الزيدية لإسماعيل الأكوع ص(٦-٧ ، ٢٦ ، ٢٤ — ٢٦) الإمام زيد بن علي المفترى عليه . شريف الخطيب ص ٢٤٣ تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ص ٢٢٠ الرسالة الوازعة ص ١٩٠ .

(٤) معتزلة اليمن لعلي محمد زيد ص ١٩ مقالات الإسلاميين (١/٧٤)

(٥) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٣/٩٢٦)

(٦) الزيدية للأكوع ص ٥٣

(٧) الحور العين ص ٢٠٨

رضي الله عنهم أشياء ليس لها أصول[١] . سماه أبو جعفر محمد بن علي الباقر سرحوباً وفسره بأنه شيطان أعمى يسكن البحر[٢] ووصفه أيضا بأنه أعمى البصر أعمى القلب[٣] ويرى النوبختي وغيره أن أصل الفرق الزيدية يعود إلى فرقتين هما : الجارودية والبترية ومنهما تشعبت بقية فرق الزيدية[٤]. وتزعم هذه الفرقة أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على علي بالوصف دون التسمية والإمام بعده علي والناس قصروا حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف وإنما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك. وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد ابن علي فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد[٥] .

وافترقت الجارودية في النص على الإمام الذي يكون بعد علي إلى فرقتين :-

١ـ فرقة قالت : إن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ثم نص الحسن على إمامة أخيه الحسين بعده ثم صارت الإمامة بعد الحسن والحسين شورى في ولدي الحسن والحسين فمن خرج منهم شاهراً سيفه داعياً إلى دينه وكان عالماً وعارفاً فهو الإمام .

٢ـ وفرقة قالت : إن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي نص على إمامة الحسن بعد علي وإمامة الحسين بعد الحسن[٦] .

ثم اختلفوا في الإمام المنتظر إلى فريقين :-

أ) الذين لم يعينوا واحداً بالانتظار بل قالوا إن كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه من ولد الحسن والحسين فهو الإمام[٧] .

---

[١] تهذيب التهذيب (٣٨٦/٣-٣٨٧) الملل والنحل (١٥٧/١) مقالات الإسلاميين (١٤٠/١) تاج العروس (٢١٨/٢)

[٢] الملل والنحل (١٥٩/١) فرق الشيعة للنوبختي ص ٥٥

[٣] فرق الشيعة ص ٥٥ المقالات والفرق للقمي ص٧١ الفهرست ص ٢٥٣

[٤] فرق الشيعة ص ٢٠ –٢١ ، المقالات والفرق للقمي ص ١٨

[٥] الملل والنحل (١٥٧/١) الفرق بين الفرق ص ٣٠ مقالات الإسلاميين (١ / ١٤١)

[٦] الفرق بين الفرق ص ٣٠-٣١ مقالات الإسلاميين (١٤١/١)

[٧] الفرق بين الفرق ص ٣١

ب) الذين عينوا إماماً بالانتظار وهؤلاء انقسموا إلى أربع فرق :

١- فرقة تزعم أن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب وأنه لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم وكان محمد هذا قد خرج على المنصور فقتل بالمدينة النبوية .

٢- فرقة ساقت الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي ابن الحسين ابن علي بن أبى طالب ولم تصدق بموته وقالت بأنه حي وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم وكان محمد بن القاسم هذا قد خرج على المعتصم بالطالقان .

٣- فرقة ساقت الإمامة إلى يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي ابن الحسين ابن علي بن أبى طالب صاحب الكوفة وزعمت أنه حي لم يمت وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً وكان قد خرج على المستعين بالكوفة[١] .

٤- فرقة زعمت أن الحسن بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم ابن إبراهيم بن الحسن بن الحسن حي لم يمت وأنه لا بد وأن يظهر قبل موته[٢] .

وهذه الفرقة – الجارودية – " أهلها مختلفون في الأحكام والسير فزعم بعضهم أن علم ولد الحسن والحسين كعلم النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل لهم العلم قبل التعلم فطرة وضرورة وبعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم وفي غيرهم وجائز أن يؤخذ عنهم وعن غيرهم من العامة[٣] " قال البغدادي :" وتكفيرهم واجب – أي الجارودية – لتكفيرهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤] .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣١-٣٢ مقالات الإسلاميين (١/١٤١-١٤٢) الملل والنحل (١/١٥٧ – ١٥٩)

(٢) المنية والأمل ص ٩٠ ، ٩١

(٣) الملل والنحل (١/١٥٩)

(٤) الفرق بين الفرق ص ٣٢ ، ٣٤

٢) السـليمانـيـة :-

أتباع سليمان بن جرير الرقي الزيدي[١] وقد اختلف العلماء في اسم هـذه الفرقـة على ثلاثة أقوال : فبعضهم ينسبها إلى جرير فيقول الجريرية[٢] وبعضهم ينسـبها إلى سـليمان فيقول السليمانية[٣] وبعضهم يجمع بين الاسمين فيقول السـليمانية أو الجريـريـة[٤].

وكان سليمان بن جرير يقول : بأن الإمامة شوري وأنها تنعقد بعقد رجليـن مـن خيار الأمة وأجاز إمامة المفضول وأثبت إمامة أبى بكر وعمر وزعـم أن الأمـة تركت الأصلح في البيعة لهما لأن علياً كان أولى بالإمامة منهما إلا أن الخطأ فـي بيعتهما لم يوجب كفراً ولا فسقاً[٥] . وأقدم على عثمان رضي الله عنه فكفره عنـد الأحداث التي نقمت عليه . ويزعم أنه قد ثبت عنده أن علي بن أبى طالب لا يضل ولا تقوم عليه شهادة عادلة بضلالة[٦] . وكفر عائشة والزبير وطلحة رضـي الله عنهم على إقدامهم على قتال علي رضي الله عنه[٧] قال البغدادي : " وأهل السـنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان رضي الله عنه[٨] . بل إن مـن كفّر أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم يكفر أيضاً ولا كرامـة ، قال الإمام الشوكاني : " فعرفت بهذا أن كل رافضي خبيث علـى وجـه الأرض يصير كافراً بتكفيره لصحابي واحد لأن كل واحد منهم قد كفر ذلـك الصحـابي فكيف بمن كفر كل الصحابة واستثنى أفراداً يسيرة تنفيقاً لما هو فيه من الضـلال على الطغام "[٩] .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٢ مقالات الإسلاميين (١٤٣/١) الملل والنحل (١٥٩/١) الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص٢٦١

(٢) كالسكسكي في البرهان ص٧٤ ، والمقريزي في المواعظ والاعتبار (٣٥٢/٢) .

(٣) كالشهرستاني في الملل والنحل (١٥٩/١) والاشعري في المقالات (١٤٣/١) والاسفرايني في التبصير ص ٢٨ واليافعي في ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص ٧٨.

(٤) كالبغدادي في الفرق بين الفرق ص ٣٢ واسماعيل الأكوع في الزيدية ص ٢٢

(٥) الفرق بين الفرق ص ٣٢ – ٣٣ الملل والنحل (١٥٩/١) ومقالات الإسلاميين (١٤٣/١)

(٦) مقالات الإسلاميين (١٤٣/١)

(٧) الملل والنحل (١٥٩/١)

(٨) الفرق بين الفرق ص ٣٣

(٩) نثر الجوهر في شرح حديث أبي ذر نقلاً عن كتاب المسك الأذفر للألوسي ص ٣٤٢

٣) الصالحية أو البترية :-

هؤلاء أتباع رجلين : أحدهما الحسن بن صالح بن حي وهو حيان بن شفي ابن هني بن رافع الهمداني الثوري والآخر : كثير النواء الملقب بالأبتر[١] وهما متفقان في المذهب[٢] يزعمون أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالإمامة وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ لأن علياً ترك ذلك لهما ويقفون في عثمان وفي قتلته ولا يقدمون عليه بإكفار[٣] . وقالوا إذا سمعنا ما ورد في حقه من الفضائل وكونه من العشرة المبشرين بالجنة اعتقدنا إيمانه وقلنا يجب أن يحكم بصحة إسلامه وإيمانه وكونه من أهل الجنة وإذا رأينا الأحداث التي نقمت عليه وجب الحكم بفسقه فتحيرنا في أمره وفوضناه إلى الله تعالى[٤] . وهم ينكرون رجعة الأموات إلى الدنيا ولا يرون لعلي إمامة إلا حين بويع[٥] . وأنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاهم بالإمامة لكنه سلم الأمر لهم راضياً وفوض الأمر إليهم طائعاً وترك حقه راغباً فنحن راضون بما رضي مسلمون لما سلم لا يحل لنا غير ذلك ولو لم يرض علي بذلك لكان أبوبكر هالكاً[٦].

ويشهدون على من حارب علياً بالكفر[٧]. وقال البغدادي عنهم إنهم " أحسن حالاً عند أهل السنة من أصحاب سليمان بن جرير[٨] غير أن هذا لا يعني الحسن المطلق وإنما الحسن النسبي وذلك بالنظر إلى غيرهم من الفرق الزيدية . وهم على خطر عظيم لكونهم توقفوا في أمير المؤمنين ذي النورين رضي الله عنه وهذا زيغ وضلال لأنه بعد أن ثبت خبر المعصوم صلى الله عليه وسلم أن عثمان

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٣ ، مقالات الإسلاميين (١٤٤/١)

(٢) الملل والنحل (١٦١/١)

(٣) مقالات الإسلاميين (١٤٤/١) الملل والنحل (١٦١/١)

(٤) الملل والنحل (١٦١/١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص ١٩٠

(٥) مقالات الإسلاميين (١٤٤/١)

(٦) الملل والنحل (١٦١/١) فرق الشيعة ص ٢٠

(٧) الحور العين ص ٢٠٧

(٨) الفرق بين الفرق ٣٣-٣٤

في الجنة وأنه ما ضره ما فعل كان توقف هؤلاء فيه ليس طعناً في عثمان رضي الله عنه فحسب بل هو طعن في كتاب الله الذي قال الله فيه : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبد ذلك الفوز العظيم "[١] وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذي شهد له بالجنة وقال ما قاله فيه من الفضائل الكثيرة والمناقب العظيمة[٢].

ومثل ذلك تكفيرهم لمن حارب علياً كالزبير وطلحة ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم . وقد تقدم قول البغدادي أن أهل السنة يكفرون سليمان بن جرير من أجل أنه كفر عثمان رضي الله عنه فكيف هنا بمن كفر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكفر حواري[٣] رسول الله وغيرهما من الصحابة الأجلاء الذين عدلهم الله تعالى وأعلى قدرهم وبين رسوله الكريم عظيم منزلتهم في هذا الدين ؟! أقول إن هذا لا يصدر إلا من قوم هم أفسق الناس إن لم نقل بكفرهم[٤] .

إن هذه الفرق الثلاث هي أصول الفرق الزيدية وأشهرها وهناك بعض الفرق الزيدية الأخرى والتي هي بمثابة الفروع لها أذكرها فيما يلي بإيجاز :-

١. **اليعقوبية** : أصحاب يعقوب بن عدي يتولون أبا بكر وعمر ولا يتبرؤن ممن برئ منهما[٥]. وينكرون رجعة الأموات ويتبرؤن ممن دان بها[٦] وإن كان القمي يرى أنهم لم يبرأوا ممن أقر بها[٧]وهم متفقون على تفضيل علي

---

[١] التوبة آية ١٠٠

[٢] انظر هذه المناقب في صحيح البخاري (٣-١٣٥١) رقم ٣٤٩٢ وما بعده، صحيح مسلم (١٨٦٦/٤)

[٣] في كونه حواري الرسول صلى الله عليه وسلم انظر صحيح البخاري (١٣٦٢/٣) رقم ٣٥١٤، صحيح مسلم (١٨٧٩/٤)

[٤] انظر الرسالة الوازعة ص ٧٩ والتحفة اللطيفة للسخاوي (١٠٧/٣) تاريخ ابن معين (٦٦/٢) شم العوارض في ذم الروافض لملا علي قارئ ص ٦١-٦٢ الصواعق المحرقة للهيتمي (١٣٥/١-١٥٢) (٦٠٧/٢،٦٢١-٦٢٢) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٨٥٦/٢-٨٧٠) ونثر الجوهر في شرح حديث أبي ذر للشوكاني .

[٥] غير أن المقريزي ذكر أنهم يتبرؤن ممن تبدأ منهما. المواعظ والاعتبار (٣٥٢/٢)

[٦] مقالات الإسلاميين (١٤٥/١) الفرق بين الفرق ص ٣٤ المواعظ والاعتبار (٣٥٢/٢)

[٧] المقالات والفرق للقمي ص ٧١

على أبي بكر وعمر من غير تفسيقهما ولا تكفيرهما ولا لعنـــهما ولا الطعــن على أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[1] .

٢. **النعيمية** : أصحاب نعيم بن اليمان يزعمون أن علياً كان مستحقاً للإمامـــة وأنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الأمة ليست بمخطئة خطأ إثم في أن ولت أبابكر وعمر – رضوان الله عليهما – ولكنـــها مخطئـــة خطأ بيناً في ترك الأفضل وتبرؤا من عثمان رضي الله عنه ومن محارب علي رضي الله عنه وشهدوا عليه بالكفر[2] .

٣. **العجـــلية** : وهم المنسوبون إلى هارون بن سعيد العجلي ويقـــال الجعفـــي الكوفي الأعور . اختلفت فيه عبارات علماء الجرح والتعديل فبعضهم جرحـــه كابن حبان بقوله كان غالياً في الرفض لا تحل الرواية عنه بحال وكـــان قـــد ذكره في الثقات . وقال عنه ابن معين كان من غلاة الشيعة . وقال الســـاجي كان يغلو في الرفض. وبعضهم عدله كالإمام أحمد بقوله روى عنه الناس وهو صالح ، وابن معين بقوله ليس به بأس وابن أبي حاتم حيث يقول سألت أبـــي عنه فقال لا بأس به . وقد حكى أبو العرب الصقلي عن ابن قتيبة أنه أنشد لـــه شعراً يدل على نزوعه عن الرفض[3] فمن بلغته توبته أثنى عليه ومدحه ومـــن يبلغه جرحه وعاب عليه رفضه[4].

٤. **العـــقـــبـيــــة** : ذكرها المسعودي دون أن يذكر صاحبها أو ينسب إليـــها قولاً[5]. إلا أن مؤلف موسوعة الفرق الإسلامية نسبها إلى عبد الله بن محمـــد العقبي[6] وأوردها صاحب مشارق أنوار اليقين ضمن فـــرق الزيديـــة والتـــي أوصلها إلى خمس عشرة فرقة ، ثم قال : "والكـــل منـــهم لا يثبتـــون للإمـــام العصمة ويقولون إن الإمامة مقصورة على ولد فاطمة ومن قام منهم داعياً إلى

---

(1) (2) المواعظ والاعتبار (٣٥٢/٢)

(2) مقالات الإسلاميين (١٤٥/١)

(3) تهذيب التهذيب (٦/١١) إرشاد ذوي الفطن لمقبل الوادعي ص ٩٥

(4) الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٢٦٧

(5) مروج الذهب (٢٢٠/٣)

(6) موسوعة الفرق الإسلامية . د/ محمد جواد مشكور ص ٣٨٨

الكتاب والسنة وجبت نصرته "[1]. وقد وهـم محقق مقالات الإسلاميين للأشعري حينما قال إنها محرفة عن النعيمية وأشار إلى وجود التحريف في إحدى نسخ المروج[2] .

٥. **الصباحية** : ذكرها المقريزي ضمن فرق الزيدية وقال : أقروا إمامة أبي بكر رضي الله عنه ورأوا أنه لا نص في إمامة علي رضي الله عنه واختلفوا في إمامة عثمان رضي الله عنه فأنكرها بعضهم وأقر بعضهم أنه الإمام بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكن قالوا علي أفضل من أبي بكر وإمامة المفضول جائزة[3] . وقال صاحب موسوعة الفرق الإسلامية : الصباحية أصحاب أبي محمد صباح ابن قيس بن يحي المزني كانوا يبرأون من أبي بكر وعمر ويعتقدون بالرجعة . ونقل عن ابن المطهر الحلي وابن الغضائري أن صباحاً هذا زيدي[4] .

٦. **القاسمية** : نسبة إلى القاسم بن إبراهيم الرسي المتوفى سنة ٢٤٦هـ[5] وسموا كذلك لمتابعتهم إياه في الأصول والفروع.[6] وهؤلاء زيدية بلاد الجيل والديلم وصاروا كذلك – قاسمية – في القرن الرابع الهجري[7] .

٧. **الناصرية** : وهم أتباع الناصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن ابن علي ابن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب المتوفى سنة ٣٠٤هـ في طبرستان.[8] ويوافقونه في الفروع والأصول[9] وهم زيدية

---

[1] مشارق أنوار اليقين . رجب البرسي ص ٢١٠

[2] مقالات الإسلاميين . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (١٤٥/١)

[3] المواعظ والاعتبار (٣٥١/٢)

[4] موسوعة الفرق الإسلامية ص ٣٤٨ – ٣٤٩

[5] الفهرست ص ٢٧٤ موسوعة الفرق الإسلامية ص ٤١٢

[6] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٢٦٨

[7] تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ص ٢١٩

[8] الفهرست ص ٢٧٣ موسوعة الفرق الإسلامية ص ٤٩٥ - ٤٩٦

[9] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٢٦٨

الجيل والديلم وصاروا كذلك ناصرية في القرن الرابع للهجرة لأن زيدية الجيل والديلم صاروا في القرن الرابع الهجري قاسمية وناصرية[1] .

٨. **الصياحية** : أصحاب الصياح بن قاسم يقولون بتكفير أبي بكر وعمر[2] .

٩. **الحسينية** : نسبة إلى الحسين بن القاسم بن علي العياني الذي دعا إلى نفسه بالامامة سنة ٣٩٣هـ وتلقب بالمهدي وزعم أنه المهدي المنتظر الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أفضل من النبي وأن كلامه ومصنفاته أفضل من القرآن وأبهر في ظهور المعنى وقطع كلام الخصم وأنه - كما ذكر الحجوري في روضته - فوق الملكوتية ودون الربوبية . وكان يطلب من الناس الأخماس موافقة للعبيدية في كل شئ من الحلية والأموال حتى في العبيد والإماء والثلث في سائر الأشياء من الحبوب وغيره فمن ساعده في ذلك وإلا حكم عليه بحكم اليهود في فرض الجزية وسلب السلاح ومن تعذر عن ذلك قتله وصلبه وقد انتى أمره بأن قتلته همدان في ذي أعرار من حقل البون شمال صنعاء في صفر سنة ٤٠٤هـ وزعم أتباعه أنه المهدي المنتظر وأنه حي لم يمت ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً ويرون أن من لم يقل بقولهم هذا فيه فهو في النار ثم افترق أتباعه إلى فرقتين : فرقة تزعم أنه يأتيهم في السر ولا ينقطع عن زيارتهم في حال مغيبه وأنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمره. وفرقة تبطل ذلك وتقول إنه لا يشاهد بعد الغيبة إلى وقت ظهوره وقيامه وإنما هم يعملون بما وضع في كتبه. ولهم أقوال غريبة كثيرة منها : صحة التيمم مع وجود الماء وقد استمرت هذه الفرقة إلى المئة الثامنة للهجرة ثم تلاشت[3] .

١٠. **المخترعة** : أتباع علي بن شهر وسموا المخترعة لقولهم باختراع الله الأعراض في الأجسام وأنها لا تحصل بطبائعها كما تقول المطرفية وهم يقولون بإمامة علي بالنص الخفي وخطأ المشايخ بالتقدم عليه ومخالفة ذلك

---

[1] تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ص ٢٢٠

[2] الرسالة الوازعة عن سب صحابة سيد المرسلين ص ٩٦ - ٩٧

[3] الزيدية للأكوع ص ٥٣-٥٤ المنية والأمل ص ٩١ الروضي الباسم (١/١٢٣- ١٢٤) (٣/٢)

النص والتوقف في تفسيقهم ، وقد جرى بينهم وبين المطرفية نزاع شديد وخلاف مريد انتهى بزوال المطرفية على يد الإمام عبد الله بن حمزة[1] . وكان من هذه الفرقة القاضي جعفر بن عبد السلام الذي على يده **حدث تجديد المذهب الاعتزالي في اليمن** وكان يرى رأي المطرفية حتى وصل إليه الفقيه زيد بن الحسن البيهقي سنة ٥٠٠هـ فراجع إلى مذهب الزيدية المخترعة[2] .

١١. **المطرفية** : نسبة إلى مطرف بن شهاب من أعلام أواخر المئة الرابعة وأوائل المئة الخامسة للهجرة . كانوا من شيعة الإمام الهادي يحيى ابن الحسين وأتباع مذهبه في الفروع ويرون جواز الخروج عنه ويعتقدون الحق في الاجتهادات مع واحد فلذلك حظروا الخروج عن مذهبه ولما تبين لهم أن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة قد خالف الهادي في بعض مسائل الفروع أنكروا عليه فكان ذلك من أسباب الشقاق بينه وبينهم مع أنه القائل " إننا نهاب نصوص الهادي كما نهاب نصوص القرآن "[3] وهم في الأصول على مذهب المعتزلة متابعين في ذلك -كالهادي – أبا القاسم البلخي وخالفوا الزيدية في أهم مبادئهم الأصولية وهي الإمامة حيث لم يشترطوا النسب في من يتولاهما – كما فعلت الزيدية – وهذا هو ما ذهب إليه إبراهيم بن سيار النظام ومن قال بقوله من المعتزلة وغيرهم[4] .

١٢. **الدكنية** : أصحاب الفضل بن دكين[5] .

١٣. **الخلفية** : أصحاب خلف بن عبد الصمد.[6]

١٤. **الخشبية** : ويعرفون بالصرخابية نسبة إلى صرخاب الطبري وسموا الخشبية لأنهم خرجوا على السلطان مع المختار ولم يكن معهم سلاح غير

---

(١) الزيدية للأكوع ص ٥٧ ذكرمذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص ٧٤

(٢) الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ٤٥

(٣) الزيدية للأكواع ص ٥٥

(٤) الزيدية للاكوع ص ٥٥-٥٦ ذكر مذاهب الفرق والثنتين والسبعين ص ٧٦

(٥) مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٤١ موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢٤٧

(٦) مفاتيح العلوم ص ٤١ موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢٣٦

الخشب[١] وهناك فرق أخرى ذكرها المسعودي كالمرئية المعروفة بالمرثدية ، والأبرقية واليمانية نسبة إلى محمد بن اليمان الكوفي[٢] .

ثالثا: الشيعة الإمامية الاثنا عشرية :-

تعتبر طائفة الشيعة الاثنى عشرية أكبر طوائف الشيعة اليوم وأكثر فرقها انتشاراً في هذا الزمان وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها هذه العقيدة [٣] كما كانت تمثل أكثرية الشيعة وجمهورها في بعض فترات التاريخ[٤] . وهذه الأغلبية للاثنى عشرية ليست في كل العصور وإنما في بعضها، إذ أنه في بعض العصور كانت الغلبة لغيرهم، فشيعة محمد بن الحنفية كانت – كما يقول ابن خلدون – في عصرها أكثر شيعة أهل البيت ثم لم تلبث أن تقلص أتباعها إلى أن اختفت واضمحلت[٥] . والشيعة الفطحية أتباع عبدالله بن جعفر بن محمد الصادق كانوا في فترة من فترات التاريخ أعظم فرق الجعفرية وأكثرهم جمعاً ثم انقرضت بعد مدة حتى أنه لا يكاد يوجد أحد يقول بأقوالها وذلك لأن إمامها لم يخلف ذكراً يعقبه في رياستها[٦] .

والشيعة الإثنا عشرية إذا ما نظرنا إلى أرائها وعقائدها نجد أنها قد استوعبت جل الآراء والعقائد التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى ، وكانت بمثابة النهر الذي انسكبت فيها كل الجداول والروافد الشيعية المختلفة . فالفرق الشيعية القديمة لم تفن كما يقال بل إن أكثرها باق يطل علينا من خلال الفكر الاثنى عشري[٧] .

---

(١) مفاتيح العلوم ص ٤١

(٢) مروج المذهب (٢٢٠/٣) ومشارق أنوار اليقين ص ٢١٠

(٣) فرق معاصرة / غالب العواجي (١٦٧/١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٩٨/١)

(٤) وممن وصفها من أهل العلم بجمهور الشيعة الأشعري في المقالات (٩٠/١) والمسعودي في المروج (١٩٩/٤)وعبد الجبار في المغنى (١٧٦/٢) وابن حزم في الفصل (٣٨/٥) (١٥٨/٤) والحميري في الحور العين ص ٢٢٠

(٥) تاريخ ابن خلدون (١٧٢/٣)

(٦) الزينة ص ٢٨٧ فرق الشيعة ص ٧٧-٧٨ مقالات الاسلاميين (١٠٢/١) موسوعة الفرق الاسلامية ص ٤٠٨-٤٠٩

(٧) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٩٦/١،١٠٠)

أسـماء وألقـاب الشـيعة الإمامية الاثنى عشرية وبيان سبب إطلاقها :-

١) الشـيعـة :

لفظ الشيعة في الأصل يطلق على فرق الشيعة كلها ولكن هذا المصطلح اليوم إذا أطلق في نظر جمع من الباحثين - من الشيعة وغيرهم - لا ينصرف إلا إلى طائفة الإثني عشرية.[١] وممن قال بهذا شترومان[٢] والطبرسي[٣] وأمير علي[٤] وكاشف الغطاء[٥] ومحمد حسين العاملي[٦] وغيرهم[٧] وذلك لأمور منها أن الإثني عشرية يمثلون القاعدة الكبيرة من بين الفرق الشيعة الأخرى ولأن مصادر الحديث والرواية عند الإثني عشرية قد استوعبت معظم آراء الفرق الشيعية التي خرجت في فترات التاريخ المختلفة إن لم يكن كلها فأصبحت هذه الطائفة هي الوجه المعبر عن الفرق الشيعية الأخرى[٨] .

٢) الإمـاميـة :

إن هذا اللفظ إنما ظهر بعد شيوع مصطلح الشيعة وذلك لأن ظهوره فيما يبدو مرتبط ببدء الاهتمام الشيعي بمسألة الإمام والإمامة وظهور الفرق الشيعية التي تقول بإمامة أفراد من أهل البيت ، وكان في أول الأمر يطلق على مجموعة من الفرق الشيعية ثم خص فيما بعد عند كثير من المؤلفين بالإثني عشرية[٩] .

يقول شيخ الشيعة المفيد : " الإمامية علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان وأوجب النص الجلي والعصمة والكمال لكل إمام ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي وساقها إلى الرضا علي بن موسى[١٠] .

---

[١] أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٩٩/١)

[٢] دائرة المعارف الإسلامية (٦٨/١٤)

[٣] مستدرك الوسائل (٣١١/٣)

[٤] روح الإسلام (٩٢/٢)

[٥] أصل الشيعة وأصولها ص ٩٢

[٦] الشيعة في التاريخ ص ٤٣

[٧] إحسان إلهي ظهير في الشيعة والتشييع ص ٢٦٧

[٨] أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٩٩/١-١٠٠) دائرة المعارف الإسلامية (٦٨/١٤)

[٩] المصدر السابق (١٠٠/١،١٠٢) الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ص ٢٦٩ . إسلام بلا مذاهب . مصطفى الشكعة ص١٨٧

[١٠] أوائل المقالات ص ٣٨

ويقول السمعاني: " وعلى هذه الطائفة - الاثني عشرية - يطلق الآن الإمامية[1] ".

ويقول بن خلدون : " وأما الاثنا عشرية فربما خصوا باسم الإمامية عند المتأخرين منهم "[2] .

ويقول صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية: " الثانية والثلاثون الاثنا عشرية وهذه هي المتبادرة عند الإطلاق من لفظ الإمامية ...[3] وغير هؤلاء كثير[4] .

وإذا ما أردنا أن نتعرف على سبب هذه التسمية نجد أن لأهل العلم في ذلك أقوالاً عدة منها :-

١- لكونهم يقولون بوجوب الإمامة بالنص الظاهر والتعيين الصادق قال الشهرستاني : " الإمامية هم القائلون بإمامة علي بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصاً ظاهراً وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين"[5].

٢- لكونهم يقولون إن أمور الدين كلها للإمام وأنه كالنبي ولا يخلو وقت من إمام يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا[6] .

٣- لكونهم يعتقدون بإمامة علي أمير المؤمنين وأولاده الأحد عشر[7] .

٤- لانتظارهم إمام آخر الزمان الغائب المنتظر[8] .

٥- لأنهم يزعمون أن الدنيا لا تخلو من إمام إما ظاهراً مكشوفاً وإما باطناً موصوفاً[9].

---

(١) الإنساب (٢٠٧/١)

(٢) التاريخ (١٦٨/١)

(٣) مختصر التحفة الإثني عشرية ص ٢١

(٤) أمثال زاهد الكوثري في هامش التنبيه والرد للملطى ص ١٨ وكاشف الغطاء في أصل الشيعة وأصولها ص ٩٢ ومحسن الأمين في أعيان الشيعة ٢١/١ ومصطفى الشكعه في إسلام بلا مذاهب ص ١٨٧

(٥) الملل والنحل (١٦٣/١)

(٦) المنية والأمل ص ٢١

(٧) فرق معاصرة للعواجي (١٧١/١) قضية الشيعة للشيرازي ص ٤

(٨) فرق معاصرة (١٧١/١)

(٩) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (١٠٢/١)

٣) الاثنا عشـــريـــة :

هذا الإسم كان ظهوره بلا شك بعد ميلاد فكرة الأئمة الاثني عشر والتي حدثـــت بعد وفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقبل موت الحسن بن علي العسكري لم يكن أحـد يقول بإمامة هذا المنتظر ولا عرف من زمن علي ودولة بني امية أحـــد ادعـى إمامة الاثني عشر وهذا القائم، وإنما كان المدّعون يدعون النص علـــى علـي أو على الناس بعده وأما دعوى النص على الاثني عشر وهذا القائم فلا يعرف أحـــد قاله متقدماً فضلاً عن أن يكون نقله متقدماً[١] .

ولذا لا نجد هذا المصطلح في كتب الفرق والمقالات المتقدمة فلم يذكـــره شـيوخ الشيعة المتقدمون كالقمي والنوبختي ولا غيرهم كالأشعري ولعل أول من ذكـــره المسعودي والبغدادي[٢] .

ويقول أحد الرافضة المعاصرين : " الاثنا عشرية نعت يطلق على الشيعة الإمامية القائلة باثني عشر إماماً تعينهم بأسمائهم "[٣] . وقال المستشرق الفرد بل عنـــهم : "ويسمّون أيضاً الاثني عشرية[٤] ويقول القلقشندي " وتلقب هذه الفرقـــة بـالاثني عشرية أيضاً "[٥] وهؤلاء الاثنا عشر مع ألقابهم هم :

أ – علي بن أبي طالب الملقب بالمرتضى (٢٣ ق هـ – ٤٠ هـ)

ب – الحسن بن علي الملقب بالزكي (٢هـ – ٥٠ هـ)

ج – الحسين بن علي الملقب بالشهيد (٣هـ – ٦١هـ)

د – علي بن الحسين الملقب بزين العابدين (٣٨هـ – ٩٥ هـ)

هـ – محمد بن علي الملقب بالباقر (٥٧هـ – ١١٤هـ)

و – جعفر بن محمد الملقب بالصادق (٨٣هـ – ١٤٨هـ)

ز – موسى بن جعفر الملقب بالكاظم (١٢٨هـ – ١٨٣هـ)

---

(١) منهاج السنة (٨/٢٤٩)

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/١٠٣)

(٣) محمد جواد مغنية في: الاثنا عشر وأهل البيت ص ١٥ وانظر الشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ص ٢٦٩

(٤) الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ص ١٥٥ وانظر الفرق بين الفرق ص ٦٤

(٥) صبح الأعشى(١٣/٢٢٩)

ح – علي بن موسى الملقب بالرضا (١٤٨هـ – ٢٠٣هـ)
ط – محمد بن علي الملقب بالجواد (١٩٥هـ – ٢٢٠ هـ)
ي – علي بن محمد الملقب بالهادي (٢١٢هـ – ٢٥٤هـ)
ك – الحسن بن علي الملقب بالعسكري (٢٣٢هـ – ٢٦٠هـ)
ل – محمد بن الحسن الملقب بالمهدي (٢٥٥هـ أو ٢٥٦ هـ زعماً لا حقيقة) ويقولون بحياته إلى اليوم[١] .

٤) القطعية :

سموا بذلك لأنهم قطعوا على موت موسى بن جعفر الصادق[٢] وهذا لقب للإثني عشرية عند طائفة من أصحاب الفرق كالأشعري والشهرستاني والإسفراييني والمسعودي والبغدادي[٣] . ومن العلماء من يرى أن القطعية فرقة من الإمامية وليست من ألقاب الإثني عشرية[٤] ولكن إذا لاحظنا أن الشيعة تختلف بعد موت كل إمام فإن فرقة القطعية قد حل بها هذا الإنقسام وانفصل عنها فرق لم تعتقد بالإثني عشر.[٥] أي أنه قد صار من فرق القطعية من لم يكن من الإثني عشرية فالقطعية إذا أعم من الإثني عشرية[٦] .

٥) أصحاب الانتظار :

يرى الرازي أن هذا لقب للإمامية الإثني عشرية لأنهم " يقولون إن الإمام بعد الحسن العسكري ولده محمد بن الحسن العسكري وهو غائب وسيحضر وهو المذهب الذي عليه إمامية زماننا هذا... "[٧] . ولكن هذا اللقب يصدق أيضاً على

---

[١] أصول الكافي للكليني (٤٥٢/١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٩-٧٠ مقالات الإسلاميين (٩٠/١-٩١)

[٢] مقالات الإسلاميين (٩٠/١) مروج الذهب (٢٢١/٣)

[٣] مقالات الإسلاميين (٩٠/١-٩١) الملل والنحل (١٧١/١) التبصير في الدين ص ٣٩ مروج الذهب (١٩٩/٤) الفرق بين الفرق ص٦٤ موسوعة الفرق الإسلامية ص ٤١٨

[٤] مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٢٠

[٥] فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٥ – ٨٧

[٦] أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (١ / ١٠٦)

[٧] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٨ – ٦٩ وانظر موسوعة الفرق الإسلامية ص ١١٥

غير الشيعة الإمامية الإثني عشرية من الفرق الشيعية الأخرى التي ترى أن إمامها لم يمت وأنه سيعود وهم على انتظاره وعلى هذا فهو ليس مختصا بالإثني عشرية[١].

٦) الخاصة :

وهو لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم ويلقبون أهل السنة والجماعة بالعامة[٢] وجاء في دائرة المعارف الشيعية " الخاصة في اصطلاح بعض أهل الدراية : الإمامية الاثنا عشرية والعامة أهل السنة والجماعة "[٣] .

٧. الجعفرية :

نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق إمام الشيعة السادس – كما يزعمون – يقول الشيرازي : " أما تسمية الشيعة بالجعفرية لأن الإمام جعفر بن محمد الصادق تمكن أن يوسع نشر الإسلام أصولا وفروعا وآدابا وأخلاقا وأما سائر الأئمة فلم يتمكنوا من ذلك لما كانوا يلاقونه من الاضطراب كما في زمان علي والحسن والحسين والكبت والإرهاب من أيدي الخلفاء الأمويين والعباسيين لكن الإمام الصادق حيث كان في زمن التصادم بين بني أمية وبني العباس اغتنم الموقف فرصة لنشر حقائق الإسلام بصورة واسعة. والشيعة أخذوا منه أكثر معالم الدين ولذا نسبوا إليه "[٤] .

ويقول الخميني " نحن نفخر بأن مذهبنا جعفري ففقهنا هذا البحر المعطاء بلا حد وهو من آثار جعفر الصادق "[٥] . وهذا الاسم من أحب الأسماء إليهم بخلاف تسميتهم بالرافضة فإنهم يتأذون منه وهم أحق بتسميتهم بالرافضة لا الجعفرية لأنهم لا يعرفون مذهب جعفر الصادق وإنما هي تخرصات جمعوها وتلفيقات

---

(١) انظر على سبيل المثال الفرق بين الفرق ص ٦٣

(٢) أصول مذهب الشيعة الامامية الإثني عشرية (١/١١٠) الشيعة والتشيع ص ٢٧١ موسوعة الفرق الإسلامية ص٢٢٨-٢٢٩

(٣) (١٢٢/١٧) وانظر موسوعة الفرق الإسلامية ص ٢٢٨ – ٢٢٩ ، ٣٨٣

(٤) قضية الشيعة ص ٣ الشيعة والشتيع ص ٢٦٩ الشيعة في التاريخ ص ٤٥ – ٤٦

(٥) الوصية الإلهية ص ٥

استحسنوها ثم نسبوها إليه وأكثرها مما لا يرضي الله ورسوله بل ولا يقوله عاقل ولا طالب علم يعرف الشريعة الإسلامية ومع ذلك يتبجح الشيعة بانتسابهم إليه ظلما وزورا[1] . وقد جاء في الكافي أن بعض الشيعة اشتكى من قول الناس لمن يدعي التشيع لجفعر الصادق : جعفري خبيث فأجابه جعفر : ما أقل والله من يتبع جعفرا منكم وإنما أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه فهؤلاء أصحابي[2] . فهذا يدل على أن جعفرا - إن صحت الرواية - لا يرضى عن الكثيرين منهم . وهذا اللقب ليس خاصا بالاثني عشرية بل هو يشمل الاسماعيلية أيضا لأن الاقتران بين الطائفتين إنما كان بعد وفاة جعفر الصادق.

٨) الرافضة :

ذهب جمع من العلماء إلى إطلاق اسم الرافضة على الإثني عشرية منهم :

الأشعري[3] وابن حزم[4] والرازي[5] وابن عبد ربه[6] وشيخ الإسلام ابن تيمية[7] وذلك أن زيد بن علي لما خرج في أوائل المائة الثانية على هشام ابن عبد الملك طعن أناس من عسكره في أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - فلما سمع ذلك من بعضهم أنكر ذلك على من سمعه منه وترحم عليهما فعند ذلك تفرقوا عنه ورفضوه فقال لهم رفضتموني فسموا رافضة لرفضهم إياه وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم إليه[8] .

---

(١) فرق معاصرة (١٩٦/١)

(٢) أصول الكافي (٧٧/٢)

(٣) مقالات الإسلاميين (٨٨/١-٨٩)

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٥٧/٤-١٥٨)

(٥) اعتقادات فرق المسلمين المشركين ص ٥٩

(٦) العقد الفريد (٢٤٥/٢)

(٧) مجموع الفتاوى (٣٦/١٣) منهاج السنة (٨/١)

(٨) المصادر الستة السابقة نفس الجزء والصفحة . وانظر البداية والنهاية (٣٤٣/٩)

وأما الرافضة الإثني عشرية فقد انقسموا من حيث قبول هـذا اللقـب ورده إلـى قمسين :-

القسم الأول : يرى أن إطلاق لقب الرافضة عليهم صفة ذم وقدح وتشفي من قبل خصومهم وأعدائهم ومخالفيهم لذلك لم يقبلوه .

روى سماعه بن مهران " قال الصادق :- من شر الناس ؟ قلت: نحن فإنهم سمونا كفارا أو رافضة. فنظر إلي وقال كيف إذا سيق بكم إلى الجنة وسيق بهم إلى النار فينظرون فيقولون: " ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار "[1] .

ويقول محسن الأمين: "الرافضة لقب ينبز به من يقدم عليا – رضي الله عنه – في الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام وإذا هاجت هائجة العصبية لم يتوقف في – إطلاقه على كل شيعي ، وقد أدى حب الانتقام إلى اختلاق الروايات في ذلك عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم في حق محبي أهل بيته ومواليهم الذين أكد الوصاية بهم وجعلهم أحد الثقلين الذين لا يضل المستمسك بهما[2] .

القسم الثاني : يرى أن إطلاق هذه التسمية عليهم صفة مدح . روى الكيلني أن أبا بصير دخل على أبي عبد الله – الصادق – فقال جعلت فداك فإنا قد نبزنا نبزا انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم قال: " فقال أبو عبد الله : الرافضة : قال : قلت نعم . قال : لا والله ما هم سموكم ولكن الله سماكم به أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلا من بني اسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلالهم فلحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هداه فسموا في عسكر موسى الرافضة لأنهم رفضوا فرعون وكانوا أشد أهل ذلك العسكر عبادة وأشدهم حبا لموسى وهارون وذريتهما عليهما السلام فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد سميتهم به ونحلتهم إياه فأثبت موسى عليه السلام الاسم لهم ثم ذخر الله عز وجل لكم هذا الاسم حتى نحلكموه . يا أبا محمد رفضوا الخير ورفضتم

---

(1) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقدم لعلي النباطي (٣/٧٦).

(2) أعيان الشيعة (١/٢٠-٢١) وانظر في الفلسفة الإسلامية د/إبراهيم مدكور (١/٦٣)

الشر"[1] . ومما يدل على افتخارهم بهذا الاسم ما ذكره النباطي أيضاً قال شهد عمار الرهني عند ابن أبي ليلي فقال : لا نقبلك لأنك رافضي فبكى وقال : تبكي تبّرأ من الرفض وأنت من إخواننا . فقال : إنما أبكي لأنك نسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها وبكيت لعظم كذبك في تسميتي بغير اسمي"[2] .

وأما سبب تسمية الإثني عشرية بهذا الاسم فقد اختلف فيه العلماء إلى عدة أقوال أوجزها فيما يلي :-

١- لأنهم رفضوا إمامة زيد بن علي وتفرقوا عنه ولم يثبتوا معه ويقاتلوا بجانبه[3] .

٢- لأنهم رفضوا أكثر الصحابة وتبرأو منهم وسبوهم وتنقصوهم [4] .

٣- لكونهم رفضوا الشيخيين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وشتموهما[5] .

٤- لأنهم رفضوا الدين والإسلام [6] .

٥- لتركهم نصرة النفس الزكية[7] .

٦- لأنهم رفضوا المغيرة بن سعيد لما مال إلى إمامة النفس الزكية بعد وفاة محمد الباقر فسماهم رافضة[8] .

٧- لتركهم محبة الصحابة[9]

والحقيقة أنه لا منافاة بين هذه الأقوال وإن كان السبب الراجح هو الأول كما تدل عليه نصوص العلماء والروايات التاريخية . فهم سموا رافضة لأنهم رفضوا زيد

---

[1] فروع الكافي (٢٨/٨) الصراط المستقيم للنباطي (٧٦/٣)

[2] بحار الأنوار للمجلسي (٦٨/٩٦-٩٧) الصراط المستقيم للنباطي (٧٦/٣)

[3] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩-٦٠ ، منهاج السنة (٨/١) مجموع الفتاوى (٣٦/١٣) مقالات الإسلاميين (٨٨/١-٨٩) الشيعة والتشيع ص ٢٧٠ الحور العين ص ٢٣٨ . الكشف والبيان (٤٦١/٢) تاريخ ابن خلدون (١٦٥/١) الروض النضير للسياغي(٧٩/١) .

[4] طبقات الحنابلة لأبي يعلى (٣٣/١)

[5] السنة للخلال (٤٩٢/٣) . الصارم المسلول لابن تيمية ص ٥٦٧ ، العقد الفريد (٢٤٥/٢) مقالات الإسلاميين (٨٩/١)

[6] مقالات الإسلاميين هامش (٨٩/١)

[7] المنية والأمل ص ٩٥

[8] فرق الشيعة ٦٢ — ٦٣

[9] شم العوارض في ذم الروافض لعلى القارئ تحقيق مشهورحسن سلمان ص

ابن علي بسبب تولية الصحابة خاصة الشيخين وحبه لهم فلذلك هم في حقيقة الأمر رافضون للصحابة وتاركون لمحبتهم ورافضون للشيخين خاصة وعليه فهم من الذين رفضوا الدين والإسلام الذي جاء بحبهم وإجلالهم ومعرفة حقهم لأنهم كانوا دعاته وحماته .

فرق الشيعة الإمامية الإثني عشرية :-

الشيعة الإثنا عشرية هي امتداد للشيعة الإمامية بمعناها العام بل هي فرقة من جملة خمس عشرة فرقة كما يقوله القمي[١] أو الأربع عشرة فرقة كما يقول النوبختي[٢] انقسمت إليها الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ غير أن الشيعة الإثني عشرية قد انقسمت هي أيضا فيما بعد إلى فرق عدة [٣] هي :

١- الشيخية[٤]	٢- الرشتية [٥]	٣- الأصولية[٦]
٤- الأخبارية[٧]	٥- الكشفية [٨]	٦- الركنية [٩]
٧- الكريمخانية[١٠]	٨- القزلباشية[١١]	٩- القرتية[١٢]
١٠- البابية[١٣]	١١- الكوهرية[١٤]	١٢- النوربخشية[١٥]*

---

(١) فرق الشيعة ص ١٠٢

(٢) فرق الشيعة ص ٩٦

(٣) الشيعة والتشيع ص ٣٠٧

(٤) المصدر السابق ص ٣٠٧

(٥) المصدر السابق ص ٣١٣

(٦) المصدر السابق ص ٣٢٠

(٧) المصدر السابق ص ٣٢٠

(٨) تهافت البابية لمصطفى عمران ص ٣٧-٣٩ البابيون والبهائيون لعبد الرزاق الحسني ص ١٠

(٩) مدينة الحسين. آل طعمه ص ٥٦

(١٠) موسوعة الفرق الإسلامية ص ٤٢٥

(١١) موسوعة الفرق الإسلامية ص ٤١٧ - ٤١٨

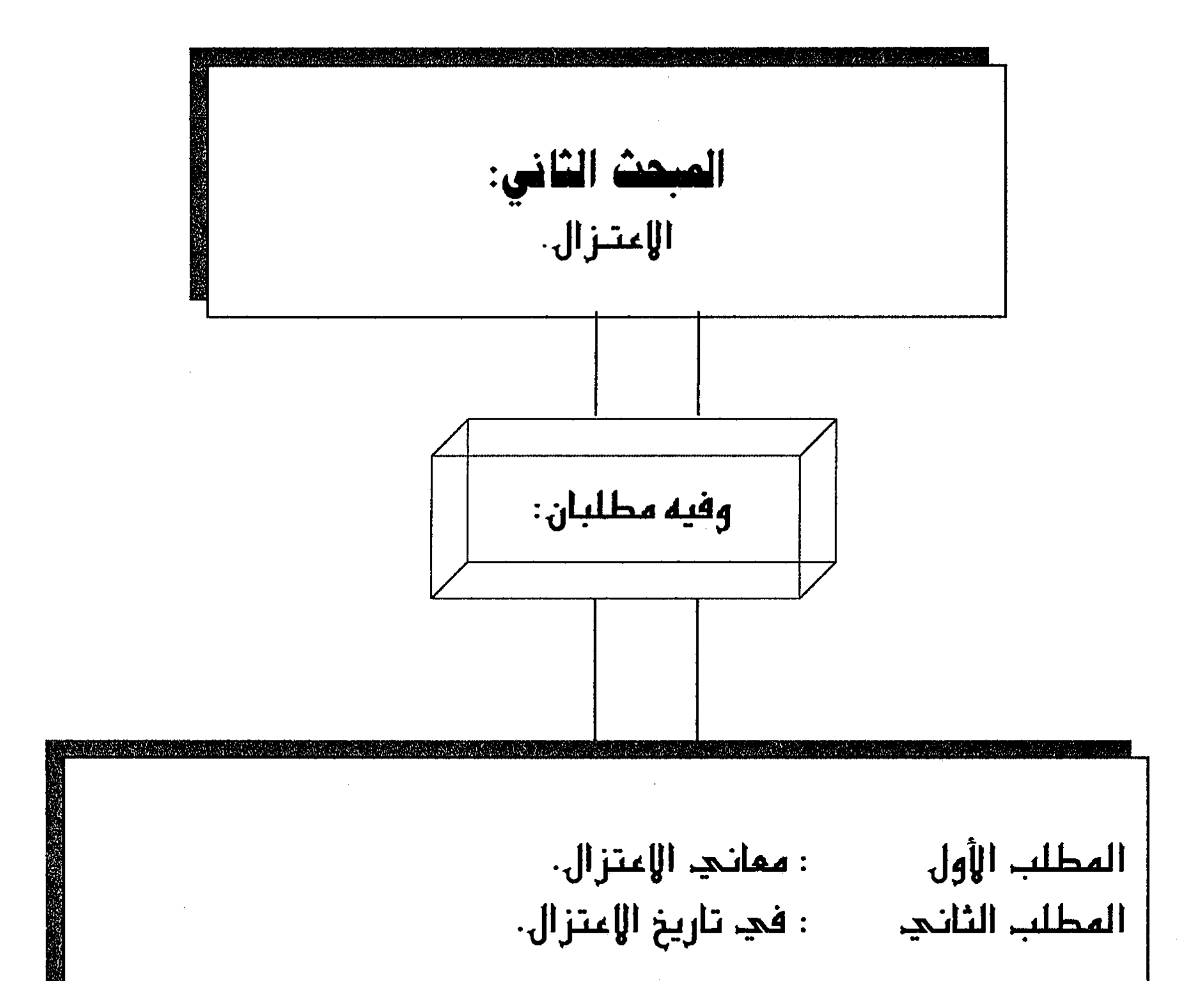
(١٢) مدينة الحسين ص ٥٦ ، ٢٣٩

(١٣) البابية. إحسان إلهي ظهير .

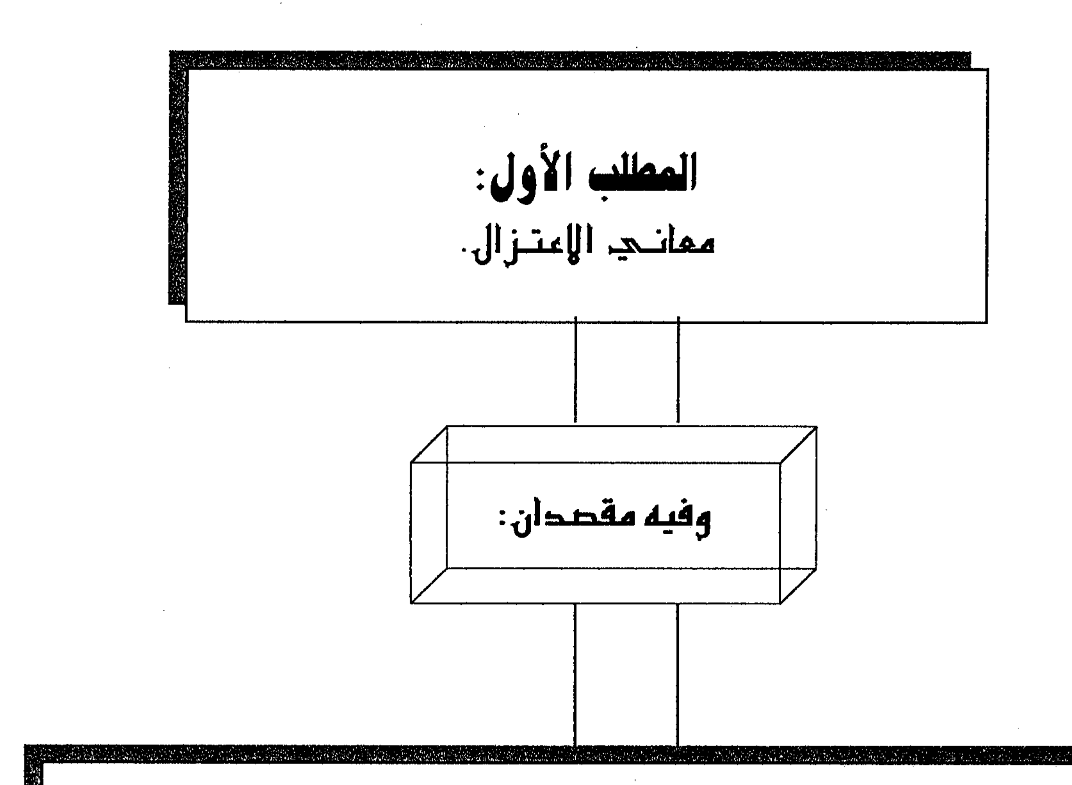
(١٤) مدينة الحسين ص ٥٥

(١٥) الشيعة والتشيع ص ٣١٤

* وسأذكر إن شاء الله لهذه الفرق تراجم مختصرة في ملحق تراجم الأعلام في آخر الرسالة .



المبحث الثاني:
الاعتـزال.
وفيه مطلبان:
المطلب الأول : معاني الاعتزال.
المطلب الثاني : في تاريخ الاعتزال.


المطلب الأول:
معانـي الاعتـزال.
وفيه مقصدان:
المطلب الأول : معاني الاعتزال في اللغة.
المطلب الثاني : معاني الاعتزال في الاصطلاح.

المقصد الأول : معـــاني الاعتـــزال في اللغـــة :

الاعتزال مأخوذ من اعتزل الشيء وتعزله تنحى عنه والعين والزاء واللام أصـــل صحيح يدل على تنحية وإمالة ، تقول عزل الإنسان الشيء يعزله إذا نحــــاه فـــي جانب وهو بمعزل وفي معزل عن أصحابه أي فـــــي ناحيـــة عنـــهم ، والعزلـــة الاعتزال، وتعازل القوم انعزل بعضهم عن بعض واعتزلت القـــوم أي فارقتـــهم وتنحيت عنهم، قال تعالى (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون)[1] أراد إن لم تؤمنوا لي فلا تكونوا علي ولا معي، والمعزال الراعي المنفرد ، والنازل ناحية من الســـفر ومن لا رمح معه ، وتعازلوا انعزل بعضهم عن بعض ، والعزلة بالضم الاعـتزال والأعزل الرجل المنفرد المنقطع .

ومما تقدم يتضح لنا أن الإعتزال في اللغة يدور حول المفارقة والتنحي والانفـراد والإنقطاع والإمالة وهذه المعاني تدل على الانفصال والمفاصلة.وعليه فالمعتزلـــة في اللغة : هم المفارقون والمنفردون والمنفصلون عن غيرهم[2] .

المقصد الثاني : معانـــي الاعتـــزال في الاصطلاح :

اسم يطلق على أول مدرسة كلامية واسعة ظهرت في الإسلام وأوجدت الأصـــول العقلية للعقائد الإسلامية[3] .

وقال بعضهم المعتزلة هم طائفة من علماء المسلمين رأوا في الديـــن أراء غـير الآراء المتفق عليها وإنما سموا المعتزلة لأنهم اعتزلوا أهل السنة[4] .

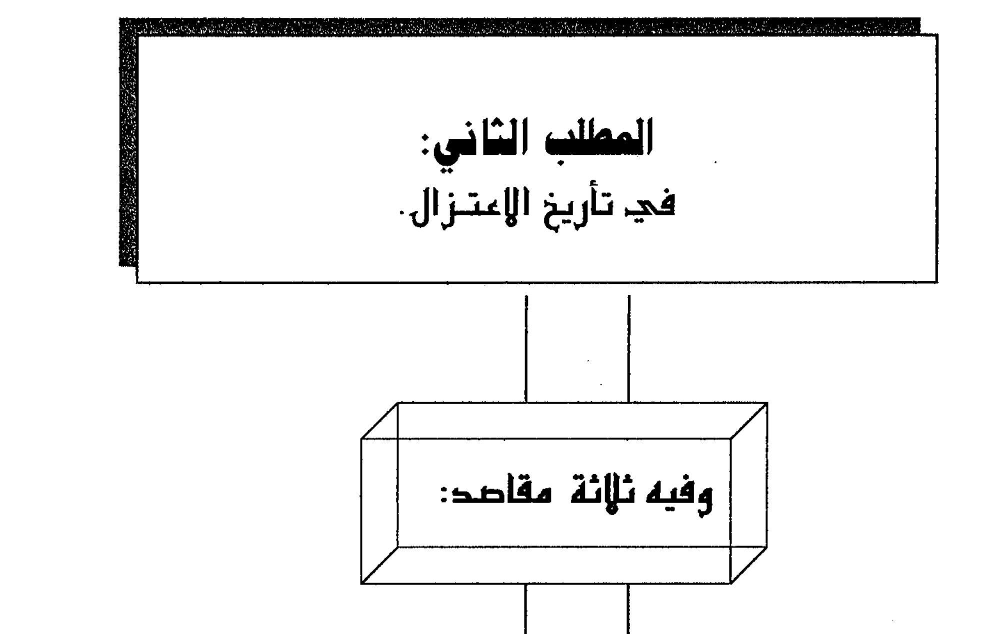
---

(1) الدخان آية ٢١

(2) – لسان العرب (١١/٤٤٠-٤٤١) ، معجم مقاييس اللغة (٤/٣٠٧-٣٠٨) والقاموس المحيط (٤/١٥) المصباح المنير ص١٥٥ تاج العروس (٨/١٤-١٥) .

(3) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ١٠٣

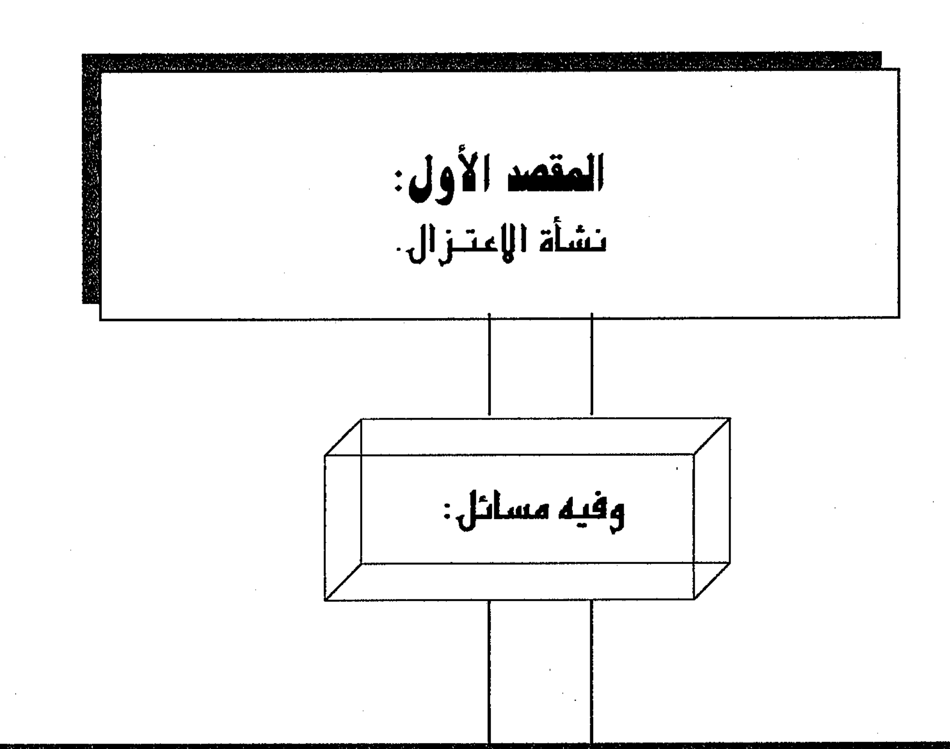
(4) دائرة معارف القرن العشرين. محمد فريد وجدي (٦ / ٤٢٣) والصواب أن سبب التسمية هو اعتزال واصل بن عطاء لحلقة شيخه الحسن البصري كما سيأتي ص ١٠٧-١١٣



المقصد الأول : نشأة الاعتـزال.

المقصد الثاني : مدارس الاعتزال.

المقصد الثالث : فرق المعتزلة.



الأولى : الآراء في أصل تسمية المعتزلة بذلك.

الثانية : أسماء وألقاب المعتزلة وعلة ذلك.

الثالثة : تأريخ ومكان نشأة الاعتزال.

المقصد الأول : نشأة الاعتزال وفيه مسائل :

المسألة الأولى : الآراء في أصل تسمية المعتزلة بذلك .

اختلفت آراء الباحثين حول عوامل نشأة المعتزلة وسبب إطلاق هذا الاسم عليها وعلى رجالها إلى آراء عدة أجملها فيما يلي :-

الرأي الأول :-

وقال به : نلينوا ونيبرج وأحمد أمين والنوبختي ومحمد الطاهر النيفر وهو أن منشأ الاعتزال من أصل سياسي وأن المعتزلة الدينية من أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد كانوا في الأصل استمرارا في ميدان الفكر والنظر لفئة سياسية سبقتها في الظهور هي فئة المعتزلة السياسيين أو العمليين الذين ظهروا في حروب صفين وقبلها في معركة الجمل وأن اسم المعتزلة لم يطلق على أتباع واصل ابن عطاء الذين أنشأوا المدرسة الكلامية الجديدة للدلالة على أنهم انفصلوا وتركوا مشايخهم القدماء من أهل السنة وإنما أطلق للدلالة على موقفهم كأناس مبتعدين محايدين عن الخصومات والنزاعات القائمة بين المسلمين[١] .

ويقول النوبختي إن من الفرق التي افترقت بعد ولاية علي : " فرقة منهم اعتزلت مع سعد ابن مالك وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب ومحمد ابن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد بن حارثة فإن هؤلاء اعتزلوا عن علي وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم بيعته والرضا به فسموا المعتزلة فصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد ..[٢] .

ويقول الملطي : " وهم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية ــ رضي الله عنهم – وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية ــ رضي

---

[١] دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٠٩-١١٣ بحوث في المعتزلة لنلينو ص١٧٩-١٨٠ دائرة المعارف الإسلامية -المعتزلة لنيبرج . فجر الإسلام ص٢٩٠ التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية لعبد الرحمن بدوي ص١٨٣-١٨٥ أهم الفرق الإسلامية لمحمد الطاهر ص٣٣ المعتزلة لأحمد صبحي (١٠٩/١-١١٠) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١ / ٤٢٦ ــ ٤٢٧) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٥٦-٥٧ تاريخ الجدل لأبي زهرة ص١٩٦

[٢] فرق الشيعة ص ٥

الله عنهما – وجميع الناس وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي – رضي الله عنه – ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا : نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة ..[1]

واستدل أهل هذا الرأي بما يلي :

١- أن لفظ الاعتزال كثيرا ما يأتي في كتب التاريخ وفي لغة السياسة في القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني للهجرة للدلالة على الامتناع عن مناصرة أحد الفريقين المتنازعين وعلى الوقوف موقف الحياد كأن يرى الرجل فئتين متقاتلتين ثم هو لا يقتنع برأي إحداهما ولا يريد أن يدخل في القتال والنزاع بينهما لأنه لم يكوِّن له رأيا ، أو رأى أن كلا الفريقين غير محق . من ذلك ما نراه من إطلاق المؤرخين هذه الكلمة (المعتزلة) كثيرا على الطائفة التي لم تشارك في القتال بين علي وعائشة – رضي الله عنهما – في حرب الجمل وعلى الذين لم يدخلوا في النزاع بين علي ومعاوية – رضي الله عنهما – وعلى الذين استأمنوا عليا واعتزلوه في حرب النهروان[2] .

وذكر الطبري في حوادث سنة ٣٦هـ أن قيس بن سعد عامل مصر من قبل علي – رضي الله عنه – كتب إليه يقول : " إن قبلي رجالا معتزلين قد سألوني أن أكف عنهم وأن أدعهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس فنرى ويرى رأيهم "[3] .

ويقول في موضع آخر :" ولم يلبث محمد بن أبي بكر شهرا كاملا حتى بعث إلى أولئك القوم المعتزلين الذين كان قيس وادعهم فقال : يا هؤلاء إما أن تدخلوا في طاعتنا وإما أن تخرجوا من بلادنا فبعثوا إليه أنا لا نفعل ، دعنا حتى ننظر إلى ما تصير إليه أمورنا ولا تعجل بحربنا "[4] .

---

(1) التنبية والرد ص٤٩

(2) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١١٠ . تاريخ الفرق الإسلامية ص٤٨-٤٩

(3) تاريخ الأمم والملوك (٤/٥٥٤) – الأخبار الطوال للدينوري ص٣٠١

(4) المصدر السابق– (٤/٥٥٧) وانظر (٤/ ٤٥٢، ٥٠٣ ، ٥٠٤) (٥/ ٥٧) (٧/ ٥١٧)

ويذكر ابن كثير في حوادث سنة ٣٥هـ أسماء بعض الأشخاص الذين لم يريدوا مبايعة علي – رضي الله عنه – ولوا أنهم ليسوا من شيعة عثمان – رضي الله عنه – ويضيف إلى ذلك قوله : "وسموا هؤلاء المعتزلة لاعتزالهم بيعة علي "[١]

٢- هنالك نصوص وشواهد مهمة تفيد أن مثل هذه الفئة المعتزلة التي وقفت على الحياد في الحروب المشار إليها أطلقت على نفسها اسم المعتزلة أو أطلق عليها هذا الاسم . منها ما قاله الملطي عنهم في هذا الصدد :" وهم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي – رضي الله عنهما – معاوية – رضي الله عنه – وجميع الناس وكانوا من أصحاب علي عليه السلام ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا :- نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة "[٢] .
وأيضا يذكر النوبختي كلاما نحو كلام الملطي يقول فيه : "من الفرق التي افترقت بعد ولاية علي فرقة منهم اعتزلت مع سعد بن مالك وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر بن الخطاب ومحمد بن مسلمة الأنصاري وأسامة بن زيد ابن حارثة فإن هؤلاء اعتزلوا عن علي وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم بيعته والرضا به فسموا المعتزلة فصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد ...[٣] ".

٣- يرى هؤلاء الباحثون أن ارتباطا متينا يقوم بين سبب اعتزال الفئة السياسية ووقوفها على الحياد وبين السبب الذي جعل واصلا يعتزل الحسن البصري بسبب اختلافهما حول حكم مرتكب الكبيرة[٤] . فالمعتزلة سموا بهذا الاسم لأنهم وقفوا من الحزبين المتحاربين موقف سلفهم حيث أنهم حكموا على مرتكب الكبيرة بأنه ليس كافرا مطلقا كما قالت الخوارج -وهم أحد الحزبين المتحاربين – وبأنه ليس

---

(١) مختصر تاريخ البشر حوادث سنة ٣٥هـ وانظر الفرق بين الفرق ص٤٨
(٢) التنبيه والرد ص٤٩
(٣) فرق الشيعة ص٥
(٤) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١١١

مؤمنا مطلقا ــ كما قال الحزب الآخر ــ بل هو في منزلة بين منزلتي الكفر المطلق والإيمان المطلق وهو الفسق ، فكأنهم بهذا قد اعتزلوا الفريقين المتحاربين كما اعتزل سلفهم الفريقين المتحاربين [١] .

وسيأتي إن شاء الله الرد على هذا الرأي عند ذكر القول الراجح .

الرأي الثاني :

أن المعتزلة ترتبط بفرقة القدرية التي سبقتها . فالقدرية سلف المعتزلة والمعتزلة في الأصل هم نوع استمرار للقدرية في القرن الأول وأن نقطة ابتدائهم كانت مذهب الاختيار وحرية الإرادة[٢] وبعض أهل هذا الرأي يعتبر المعتزلة والقدرية اسما واحدا[٣].

وقد قال بهذا الرأي جمع من المستشرقين منهم : شتيذ ، وفون كريمر ، ودي بوير ، ودوزي ، وهوتسما[٤]والظاهر أن هذا الرأي مبني على ركنين :

١- التسوية التي جاءت في بعض كتب الفرق بين اسمي القدرية والمعتزلة فيلاحظ أن بعض كتاب الفرق أثناء كلامهم عن القدرية والمعتزلة لا يفرقون بينهما بل يتحدثون عنهما وكأنهما فرقة واحدة فيقولون :" المعتزلة القدرية " وذلك لتلاقيهما في إنكار الجبر والقول بحرية الإنسان واختياره[٥] .

٢- اعتبار المعتزلة غيلان الدمشقي رأس القدرية منهم حيث ذكره ابن المرتضى ضمن رجال الطبقة الرابعة.[٦]

---

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٥٠ وقريب جدا من هذا الرأي قول من قال : إنه وصف لجماعة من المسلمين لزموا منازلهم عندما صالح الحسن بن علي معاوية واعتزلوا الفريقين الحسن ومعاوية . انظر الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص١٠٩- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٣٧٩/١) نشأة الأشعرية وتطورها لجلال موسى ص١٢٠ الاتجاهات الحزبية في المجتمع الإسلامي لفاطمة جمعه ص ١٧٣ .

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام لدي بوير ص٩٧ ترجمة أبوريدة وبحوث في المعتزلة أصل تسميتها لنيلنيو ص١٩٢

(٣) مقالة في تاريخ الإسلام لدروزي ص٢٦١ . المعتزلة لأحمد صبحي (١/ ١٧٨) الفرق بين الفرق ص٩٣

(٤) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٠٥-١٠٦

(٥) المعارف لأبن قتيبية ص٢٠٧ التبصير في الدين ص٦٣ الفرق بين الفرق ص٦٧ الملل والنحل(٨٣/١)

(٦) طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص٢٥ وانظر التاريخ السياسي للمعتزلة لعبد الرحمن سالم ص٦١ المعتزلة لأحمد صبحي (١٨٠/١)

وفي ذلك يقول د.عبد الرحمن سالم : " إن المعتزلة كانوا يتغاضون عن بعض أصولهم أحيانا إلا أصل العدل أو القول بالقدر فإنهم تمسكوا به إلى أبعد الحدود ودافعوا عنه دفاعا مستميتا وكانوا يكفرون من يخرج على هذا الأصل حتى لو اتفق معهم في كل الأصول الأخرى ومن هنا كفروا الجهم وتبرؤوا منه ومن أتباعه مع اتفاقه معهم في بعض المبادئ الأخرى ومن هنا أيضا تمسكوا بغيلان رغم اختلافه معهم في بعض المبادئ الأخرى "[1] .

الرأي الثالث :

التفسير الشائع الذي أورده عامة كتاب الفرق كالبغدادي والإسفراييني والشهرستاني والرازي وغيرهم ومفاده أن كلمة المعتزلة " لفظة أطلقها أعداؤهم من أهل السنة عليهم للتدليل على أنهم انفصلوا عنهم وتركوا مشايخهم القدماء واعتزلوا قول الأمة بأسرها في مرتكب الكبيرة فهو بهذا الاعتبار اسم يتضمن نوعا من الذم واتهاما واضحا بالخروج على السنة والجماعة فالمعتزلي: هو المخالف والمنفصل"[2] .

يقول الشهر ستاني : " دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج . وجماعة يُرجون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان ولا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا . فتفكر الحسن البصري في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل ابن عطاء أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات

---

(1) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٦٣- وانظر ص٦٩،٦٠-٦٢) نشأة الفكر الفلسفي (٤٤٩/١-٤٥١) مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة (١٦٥/٢) وانظر نقل الخياط تكفير المعتزلة للجهم بن صفوان في الانتصار ص ١٨٨

(2) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٠٤

المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه معتزلة "[١]ويؤيد الرازي هذه القصة إلا أنه يجمع بين واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فيقول :"كان واصل بن عطاء وعمرو ابن عبيد من تلامذة الحسن البصري رحمه الله ولما أحدثا مذهبا وهو أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر اعتزلا حلقة الحسن البصري وجلسا ناحية في المسجد فقال الناس إنهما اعتزلا حلقة الحسن البصري فسموا معتزلة"[٢] وبعض المؤرخين يذكر أن الذي اعتزل الحسن هو عمرو بن عبيد وعلى أثره سمي المعتزلة معتزلة[٣] .

وبعضهم يذكر أن الذي أطلق على عمرو بن عبيد وأصحابه لقب المعتزلة هو وقتادة بن دعامة السدوسي[٤]

الرأي الرابع :

أنهم إنما سموا بذلك لاعتزالهم قول الأمة وقول المسلمين . يقول البغدادي : " ثم حدث في أيام الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر وفي المنزلة بين المنزلتين وانضم إليه عمرو بن عبيد بن باب في بدعته فطردهما الحسن عن مجلسه فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة فقيل لهما ولأتباعهما "معتزلة " لاعتزالهم قول الأمة في دعواها أن الفاسق من أمة الإسلام لا مؤمن ولا كافر "[٥] .

---

(١) الملل والنحل (٤٢/١) وانظر الفرق بين الفرق ص١١٨،٢٠ مفتاح السعادة (١٦٢/٢-١٦٤) المواعظ والاعتبار (٣٤٥/٢) المعارف لابن قتيبة ص٢١٢ . العبر للذهبي (١٩٣/١) . المنية والأمل ص٨ . أوائل المقالات للمفيد ص ٦،٥ صبح الأعشى (٢٥١/١٣-٢٥٣) . البداية والنهاية (٨١/١٠) . تهذيب التهذيب (٧٤/٨) معجم الأدباء لياقوت الحموي (٢٤٦/١٩) الأنساب للسمعاني (٥٦٤/٥) .

(٢) اعتقادات فرق المسلمين المشركين ص٣٤-٣٧ وانظر الفرق بين الفرق ص ٢٠ المنية والأمل ص ٢٥-٢٦.

(٣) المواعظ والاعتبار (٣٤٦/٢) المحيط بالتكليف لعبد الجبار (٤٢٢/١) أمالي المرتضى(١٦٦/١-١٦٧) الأنساب للسمعاني (٣٣٨/٥) المعتزلة لأحمد صبحي (١٠٦/١) شرح الأصول الخمسة ص ١٣٨

(٤) المواعظ والاعتبار (٣٤٦/٢) مفتاح السعادة (١٦٢/٢) وفيات الأعيان (٨٥/٤) المحيط بالتكليف (٤٢٢/١) المنية والأمل ص ٩

(٥) الفرق بين الفرق ص٢٠-٢١ وانظر التبصير في الدين ص ٦٨

وقال في موضع آخر :" واختلف الناس عند ذلك في أصحاب الذنوب على الوجوه الخمسة التي ذكرناها ، خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفـــرق المتقدمـــة وزعم أن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر وجعل الفسق منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان... فقال الناس يومئذ فيهما: إنهما قد اعتزلا قول الأمـــة"[1] . كمـــا ذهب الى هذا الرأي الإسفراييني في التبصير[2].

الـــرأي الخـــامس :

أن هذه التسمية –المعتزلة – لم تأت من أعداء المعتزلة وإنما جاءت من المعتزلـــة أنفسهم للدلالة على موقفهم في مسألة المنزلة بين المنزلتين.

يقول المسعودى :" وأما المنزلة بين المنزلتين – وهو الأصل الرابـــع – فـــهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على حسب مـــا ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه وبهذا الباب سميت المعتزلة وهـــو الاعتزال"[3] .

ويقول الملطي :" هم سموا أنفسهم معتزلة "[4] .

ويؤيد هذا المعنى ما قاله مرتضى الزبيدي : " والمعتزلة فرقة من القدرية زعمـــوا أنهم اعتزلوا فئتي الضلالة عندهم أي أهل السنة والجماعـــة والخـــوارج الذيـــن يستعرضون الناس قتلا " [5] .

ويقول صاحب المنية والأمل :" ذلك أنه لما خالف واصل أقوال أهل زمانـــه فـــي الفاسق واعتزلها كلها واقتصر على المجمع عليه وهو تسميته فاسقا ورجع عمـــرو ابن عبيد إلى قوله بعد مناظرة وقعت بينهما سمي وأصحابه معتزلة لاعتزالهم كـــل

---

(1) المصدر السابق ص١١٨

(2) التبصير في الدين ص٦٨

(3) مروج الذهب (٢٣٥/٣) (١٠٤/٤) انظر المعتزلة لأحمد صبحي (١٠٧/١) الاتجاهات الحزبية في المجتمع الإسلامي ص١٧٣ فجـــر الإسلام ص ٢٨٩

(4) التنبيه والرد ص٤٩

(5) تاج العروس (١٥/٨) وانظر القاموس المحيط (١٥/٤)

الأقوال المحدثة . والمجبرة تزعم أن المعتزلة لما خالفوا الإجماع في ذلك سموا معتزلة. قلت : لم يخالفوا الإجماع بل عملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول ورفضوا المحدثات المبتدعة "[١] .

ويقول أيضا " إن المعتزلة هم الذين أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم لا غيرهم"[٢] .

ويؤيد هذا افتخار المعتزلة بهذا الاسم حيث يقول القاضي عبد الجبار: "كل ما ورد في القرآن من لفظ الاعتزال فإن المراد منه الاعتزال عن الباطل فعلم أن اسم الاعتزال مدح"[٣] .

ويقول الخياط وهو يفتخر بالانتساب إلى المعتزلة في معرض رده على ابن الراوندي الذي أنكر نسبة ثمامة بن أشرس إلى المعتزلة: " ولثمامة كان أشد فخوا باسم الاعتزال من أن يخل منه بحرف يزيل عنه اسمه"[٤] .

بل إن ابن المرتضى حاول جاهدا التماس الأدلة من القرآن والسنة وأقوال السلف لإضفاء الشرعية على هذه التسمية ودفع النقد الموجه إليها[٥].

الرأي السادس :

أنهم سموا معتزلة لأن رؤساءهم الأولين كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والجعفرين جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب كانوا يعتزلون العالم ويحبون حياة التقشف والزهد[٦].

وقال به جولد تسيهر[٧] والمستشرق الألماني هورتن[٨] ، ويستدل جولد تسيهر على قوله هذا بأمرين هما :

---

(١) المنية والأمل ص١٢٤

(٢) المعتزلة لزهدي جار الله ص٤ نشأة الفكر الفلسفي (٤٣٠/١) المحيط بالتكليف (٤٢٢/١)

(٣) نقلا عن كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٣٧-٣٨ وانظر طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص٢ وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ص١٦٥

(٤) الانتصار ص ١٩٠

(٥) المنية والأمل ص٢٥

(٦) العقيدة والشريعة في الإسلام لجولد تسيهر ص٨٩،١٠٠

(٧) المصدر السابق ص١٠٠

(٨) المذاهب الفلسفية عند المتكلمين في الإسلام ص١٤٩ وانظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٠٨

١- أن بعض المصادر الأدبية استعملت فيها كلمة (معتزلي) كمرادف لكلمة عابد أو زاهد فالاعتزال صفة يوصف بها الزاهد وقد عربت كلمة فريسي العبرية (*PERUSHIM – PHORISEE*) ومعناها الذي ينزوي إلى كلمة معتزلي وذلك في ترجمة عربية قديمة للعهد الجديد " الإنجيل ".

٢- ما عرف به أوائل المعتزلة من ميل للزهد والعبادة وأنهم كانوا يعتزلون العالم ويحبون حياة التقشف و الزهد(١). فيروى عن واصل بن عطاء أنه كان إذا جنه الليل صف قدميه ليصلي ولوح ودواة موضوعان فإذا مرت به آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ثم عاد في صلواته(٢) . وروي عن عمرو ابن عبيد " أنه صلى أربعين عاما صلاة الفجر بوضوء المغرب وحج أربعين حجة ماشيا وبعيره موقوف على من أحصر وكان يحي الليل بركعة واحدة ويرجع آية واحدة(٣) " وأنه كان دائما يظهر حزينا كاسف البال كمن عاد من دفن والديه(٤) .

الرأي السابع :

أن تسميتهم بالمعتزلة لقب لقبهم به اليهود أسوة بما عندهم من كلمة الفروشيم PHARISEES ومعناها الاعتزال . وممن قال بهذا الرأي أحمد أمين ثم رجع عنه(٥) والذي كان قد نبهه إلى ذلك ما قرأه في كتاب الخطط للمقريزي من أن بين الفرق اليهودية التي ظهرت بعد العودة من السبي فرقة يقال لها الفرو شيم ومعناها المعتزلة(٦).

---

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام ص٨٩-٩٠

(٢) ابن المرتضى طبقات المعتزلة ص٣٢

(٣) المصدر السابق ص٥٠ مفتاح السعادة (١٦٥/٢)

(٤) المصدر السابق ص٤٩

(٥) فجر الإسلام ص٢٨٩

(٦) الواعظ والاعتبار (٤٧٦/٢)

الرأي الراجح :

هو الرأي الثالث القائل بأن هذا اللقب أطلق عليهم لما اعتزل واصل بن عطـاء أو هو وعمرو بن عبيد حلقة الحسن البصري عندما سئل عن حكم مرتكب الكبـيرة فقام واصل وقال إنه في منزلة بين المنزلتين فسمي هو وأصحابه المعتزلة .

وهذا الترجيح مبني على عدة أمور هي :

١- أن اسم الاعتزال ظهر أثناء الحروب التي حدثت في عهد علي ـ رضـي الله عنه ـ لكنه لم يطلق على فئة بعينها وإنما من اعتزل عن السياسة أطلق عليه ومن اعتزل للعبادة أطلق علية ثم إن وجود هذه الحروب أورث الخلاف بين المسـلمين وتفرقهم فرقا كل فرقة ترى أنها على الصواب وما سواها على الخطاء، ومن ثـم أصبحوا يبحثون في حكمها وأصبحت كل فرقة تضع حكما يخالف الأخرى ممـا ساقهم إلى البحث عن حكم مرتكب الكبيرة فوضعت بعض الفرق أحكاما متناقضـة على إثرها حدثت قصة السائل الذي أتى إلى الحسن البصري في حلقته وحكى لـه ما سمع من آراء متناقضة في حكم مرتكب الكبيرة وطلب رأيه ثم إن واصل ابـن عطاء أحد تلامذة الحسن سبقه وأطلق حكما يخالف شيخه في مرتكب الكبيرة وقال إنه في منزلة بين المنزلتين وبسبب ذلك قال الحسن اعتزلنا واصل ثم طرده مـن حلقته فاعتزل إلى سارية من سواري مسجد البصرة يقرر ما أجاب به على جماعة استحسنوا رأيه وتابعوه فسموا من ذلك الحين المعتزلة لاعتزالهم الحسـن وقـول الأمة بأسرها وحكمهم على صاحب الكبيرة باعتزاله المؤمنين والكافرين "[١] وعلى هذا فظهور هذه التسمية على فرقة بعينها مستقلة إنما حصل فـي حلقـة الحسـن البصري .

٢- إن هذا الرأي يحظى بتأييد أكثر المصادر التاريخية بالإضافة إلى أنـه أكـثر شيوعا وانتشارا بين كتاب الفرق والمذاهب المتقدمين[٢] بل إن هذه القصـة تكـاد

---

[١] انظر المعتزلة لعواد المعتق ص٢٠-٢١

[٢] الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص١١٠

تكون محل إجماع بين مؤرخي الفرق[1] ويؤيد هذا الرأي -إضافة للنقول السابقة - ما جاء في أوائل المقالات للمفيد من قوله " وأما المعتزلة وما وسمت به من إسم الاعتزال فهو لقب حدث لها عند القول بالمنزلة بين المنزلتين وما أحدثه واصل بن عطاء من المذهب في ذلك هو وصاحبه عمرو بن عبيد ومن وافقهما على التدين بذلك . وأدى بهم الإصرار على رأيهم إلى اعتزال حلقة الحسن البصري وأصحابه وتحيزهم إلى مجلسهم الذي اختصوا به فسماهم الناس عند ذلك معتزلة لاعتزالهم مجلس أستاذهم بعد أن كانوا من أهله ولم يكن قبل ذلك يعرف الاعتزال ولا كان علما على فريق من الناس[2] " وهذا الكلام صادر من رجل معاصر لهم ذي صلة قوية بهم ومناظرات كثيرة معهم فهو معاصر للقاضي عبدالجبار وأبي القاسم البلخي وأبي الحسين البصري وأبو سعيد الإصطغري وغيرهم.

ويقول المسعودى وهو أيضا شيعي معتزلي : " وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين وهو الأصل الرابع فهو أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على حسب ما ورد التوقيف بتسميته وأجمع أهل الصلاة على فسوقه وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال[3] ".

٣- ما ذكره علي الغرابي بقوله :" ما المانع من التسليم بأن سبب تسمية هذه الفرقة بهذا الاسم - معتزلة - هو قول الحسن البصري لأحد تلميذيه " واصل أو عمرو بن عبيد " حين كان الإختلاف على مرتكب الكبيرة وأنه لا مؤمن ولا كافر بل هو فاسق ، "اعتزلنا" وهي كلمة في أصلها بسيطة وعادية ثم اتخذت هذا الانتشار وهذا الذيوع وأصبحت علما على هذه الفرقة لأمرين :

---

(١) انظر نظريات ابن تيمية في السياسة والاجتماع. هنري لاووست ص٧٨

(٢) أوائل المقالات ص ٣٦-٣٧

(٣) مروج الذهب للمسعودي (١٠٤/٤) (٢٣٥/٣) ويقول صاحب مفتاح السعادة " وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع إنما ظهر من واصل ابن عطاء " (١٦٣/٢)

أما أولا :

فلما يظهر من قداسة الحسن البصري في نفوس تلاميذه خاصة والمسلمين عامة وكلمات العظماء تكسب دائما الشهرة .

وأما ثانيا :

فلأنه حين تقدم التاريخ بهذه الفرقة أصبح لها أراء يكاد أن يكون فيها شذوذ وخروج عما ألفه جمهور المسلمين وعامتهم(١).

٤- إن من كبار المعتزلة من اعترف بهذا وأقر به يقول القاضي عبد الجبار: "وقد جرت بين واصل وعمرو مناظرة في هذا فرجع عمرو بن عبيد إلى مذهبه وترك حلقة الحسن واعتزل جانبا فسموه معتزليا وهذا أصل تلقيب أهل العدل بالمعتزلة"(٢) .

وأيضا يذكر الشريف المرتضى في أماليه نصا فيه اعتراف عمرو بن عبيد باعتزال حلقة الحسن البصري وقوله :" فليشهد علي من حضر أني تارك المذهب الذي كنت أذهب إليه من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائل بقول أبي حذيفة في ذلك وإني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب"(٣) .

هذا وقد كان هناك بعض الاعتراضات التي أطلقت على هذا الرأي بقصد إضعافه وتوهينه أجملها مع الإجابة عليها فيما يلي :-

* **الاعتراض الأول :** أن انتقال واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد من اسطوانة إلى أخرى ليس بالأمر الهام الذي يصح أن تلقب به فرقة(٤).

الجواب : أن القضية ليست في الانتقال من اسطوانة إلى أخرى فقط وإنما تكمن في أن واصلا أو هو وعمرو بن عبيد قد اعتزلا قول الأمة بأسرها(٥) ، وأتيا بقول جديد لم يسبقا إليه فهما قد اعتزلا حلقة شيخهم الحسن البصري واعتزلا قول

(١) تاريخ الفرق الإسلامية ص٥٠-٥١

(٢) شرح الأصول الخمسة ص١٣٨

(٣) آمالي المرتضى (١/١٦٦-١٦٧)

(٤) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٠٤-١٠٥ فجر الإسلام ص٢٨٨

(٥) الفرق بين الفرق ص١١٨ تاريخ المعتزلة السياسي ص٥٤ فجر الإسلام ص٢٩٥-٢٩٦

الأئمة حول مرتكب الكبيرة حيث جعلاه في منزلة بين المنزلتين وهذا القول هو أول قواعد المعتزلة ومن أعظم أصولهم. إنه الأساس الذي قاموا عليه والنواة التي تجمعوا حولها حتى أن اسمهم المشهور إنما اشتق من هذا القول لا من غيره[١] .

ويؤيد هذا ما قاله شيخ المعتزلة القاضي عبد الجبار بعد ذكره قصة رجوع عمرو ابن عبيد إلى رأي واصل في ترك حلقة الحسن البصري : " وهذا أصل تلقيب أهل العدل بالمعتزلة[٢]". بل إن المفيد - الشيعي المعتزلي - يؤكد نفي ظهور الاعتزال قبل قصة واصل مع الحسن البصري بقوله : " لم يكن قبل ذلك يعرف الاعتزال ولا كان علما على فريق من الناس"[٣].

كما جاء أيضا في دائرة المعارف الإسلامية :" أن مدرسة المعتزلة قد بدأت بمواطنين من البصرة هما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وكانت فترة نشاطهما أثناء خلافة هشام وخلفائه الأمويين " أي من سنة ١٠٥- إلى سنة ١٣١هـ[٤].

ويؤكد هاملتون على أن حركة الاعتزال بدأت في فترة الحسن البصري وواصل ابن عطاء بقوله :"إن حركة الاعتزال بدأت في الواقع في نهاية القرن الأول الهجري كرد فعل للتطرف المذهبي لتعصب الخوارج من ناحية وتراخي المرجئة من ناحية أخرى[٥]"

ويقول نيبرج :" إن القول بالمنزلة بين المنزلتين هو النقطة المبدئية التي قام عليها هذا المذهب وتجمع حولها أنصاره ومن المقرر أن هذا القول قد أنفرد به واصل وأن أستاذه الحسن كان يخالفه في الرأي في مرتكب الكبيرة[٦] " . ومن هذا يتضح لنا أن واصل ابن عطاء كان رئيس تلك المدرسة الفكرية الاعتزالية بما كان يتمتع به من ذكاء العقل وعمق الثقافة والقدرة على الإقناع والتأثير[٧].

---

[١] المعتزلة لزهدي جار الله ص٢٠

[٢] شرح الأصول الخمسة ص١٣٨

[٣] أوائل المقالات ص٣٦-٣٧

[٤] دائرة المعارف الإسلامية ص٤٢٢ أصل العدل عند المعتزلة ص١٨

[٥] أصل العدل عند المعتزلة ص١٨

[٦] مقدمة الانتصار ص٥١

[٧] أصل العدل عند المعتزلة ص٢٢

وأن ظهور المعتزلة كرواد لحركة فكرية كبيرة كان مترتبا بصفة مباشرة على موقف واصل وصحبه في مسألة مرتكب الكبيرة[١].

وإن كان بعض الباحثين لم يقبل هذا الرأي – أي أن انشقاق واصل ميلاد المعتزلة– إلا أنه لم يذهب بعيدا عندما قال :" بل كان خطوة نحو تحديد ملامح الاعتزال[٢] " ونحن لم نقل إن الاعتزال بكل قواعده ومناهجه وجد هكذا دفعة واحدة في هذه القصة وإنما ابتدأ ميلادهم بالمنزلة بين المنزلتين ثم توالت أصولهم الاعتزالية يتبع بعضها بعضا[٣].

* **الاعتراض الثاني** : أن اختلاف الرواة في الرواية – حيث أن بعضهم ينسب حادثة الانفصال إلى عمرو بن عبيد وبعضهم إلى واصل وبعضهم ينسب هذه التسمية إلى الحسن البصري وبعضهم ينسبها إلى قتادة – هذا بلا شك يضعف الرواية ويجعلها محلا للنقد[٤].

ويقول بعض المستشرقين:" وأما سبب تسمية المعتزلة فقصة مفارقة واصل ابن عطاء حلقة الحسن واعتزاله إلى عمود آخر من الجامع في البصرة مشكوك في صحتها ويتعذر إثبات سبب هذه التسمية الحقيقي بوجه قطعي[٥] " .

الجواب : أ) : إن القول بأن اختلاف الرواة في سرد روايات القصة حيث أن بعضهم ينسب حادثة الانفصال إلى عمرو بن عبيد وبعضهم إلى واصل بن عطاء يضعف الرواية قول ضعيف مردود لأن المنفصل أولا هو واصل بن عطاء ثم عمرو بن عبيد حيث تبع واصلا في الانفصال عن حلقة الحسن البصري إما

---

(١) انظر المصدر السابق ص٢٢

(٢) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ٦٨ ، ٦١

(٣) مقدمة احتماع الجيوش الإسلامية لعواد المعتق ص٧٧ . محمد عماره في ميزان أهل السنة لسليمان الخراشي٢٦٥

(٤) فجر الإسلام ص ٢٨٨

(٥) سوسن ديفلد في مقدمة كتاب طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص :ح .

مباشرة وإما بعد مناظرة جرت بينه وبين واصل[1] يتضح ذلك باستقراء الروايات الواردة في هذه القصة والتي هي على النحو التالي :

الرواية الأولى : " اعتزل عنا واصل فسمي هو وأصحابه معتزلة"[2]

الرواية الثانية : " كان واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد من تلامذة الحسن البصري ولما أحدثا مذهبا وهو أن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر اعتزلا حلقة الحسن البصري"[3] **الرواية الثالثة :** " أن أبا عثمان عمرو بن عبيد أحدث ما أحدث من البدع واعتزل مجلس الحسن البصري وجماعة معه فسموا بالمعتزلة"[4].

الرواية الرابعة : "وقد جرت بين واصل وبين وعمرو مناظرة في هذا فرجع عمرو بن-عبيد إلى مذهبه وترك حلقة الحسن واعتزل جانبا فسموه معتزلياً.."[5].

الرواية الخامسة : " قال عمرو بن عبيد " فليشهد علي من حضر أني تارك المذهب الذي كنت أذهب إليه من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائل بقول أبي حذيفة في ذلك وأني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب " [6].

الرواية السادسة : " حتى طرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد فسموا معتزلة "[7] .

الرواية السابعة : أن قتادة " دخل مسجد البصرة فإذا بعمرو بن عبيد ونفر معه فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصري فلما عرف أنها ليست هي قال إن هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم[8] " . من خلال هذه الروايات يتضح لنا جليا أن واصل بن عطاء هو الذي اعتزل حلقة الحسن البصري أولا ثم تبعه عمرو ابن

---

[1] شرح الأصول الخمسة ص١٣٨

[2] الملل والنحل (٤٢/١)

[3] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٣٤-٣٧

[4] الأنساب للسمعاني (٥/ ٣٣٨)

[5] شرح الأصول الخمسة ص١٣٨ البداية والنهاية (٨٢/١٠)

[6] أمالي المرتضى (١٦٦/١-١٦٧)

[7] مفتاح السعادة (١٦٢/٢)

[8] المصدر السابق (١٦٢/٢)

عبيد بعد مناظرة جرت بينهما أو بدونها المهم أنه رجع إلى قول واصل بن عطاء في حكم مرتكب الكبيرة. أما الروايات الأخرى التي فيها أن المعتزل هو عمرو ابن عبيد فلا تعارض ما رجحته سابقاً لأن فيها أنه اعتزال مجلس الحسن وجماعة معه فما المانع أن يكون واصل في هذه الجماعة لأن هناك من الروايات ما يبين أن عمراً أشهد الناس على اعتزاله لحلقة الحسن ورجوعه إلى واصل وجلوسه معه كما تقدم . ومن قال إنهما معاً قد اعتزلا مجلس الحسن فهذا باعتبار ما آل إليه الأمر لا باعتبار الأوَّلية وبهذا تجتمع الروايات ويكون كل راوٍ قد عبر إما ببعض ما حصل وإما بكل ما دار في ذلك المجلس على سبيل التفصيل .

ب- إن القول بأن اختلاف الرواة في سرد الرواية - حيث إن بعضهم ينسب التسمية إلى الحسن البصري وبعضهم ينسبها إلى قتادة بن دعامة السدوسي - يضعف الرواية هو قول مردود لا يقدح في صحة الرواية " لأن المسمي الأول هو الحسن وأما قتادة فإنما قال شيئا قد حصل ومضى ويدل عليه ألفاظ الرواية كقوله : " فأمهم وهو يظن أنهم حلقة الحسن " ثم قول قتادة: " إنما هؤلاء المعتزلة " ففي هاتين الجملتين دلالة على أن قتادة من مرتادي مجلس الحسن وأنه كان يعرف سبب انفصالهم وأن إطلاقه لهذا الاسم إنما كان بعد تكون الفرقة وعلى هذا فلا تعارض بين الروايتين[1] " .

وكيفما كانت الروايات فإنها كما يقول النشار :" تتفق في أن الاسم أطلقه أعداء المعتزلة عليهم ... وينتهي جوهر هذه المسألة إلى أن الاسم أطلق عليهم نكاية بهم وسخرية وأن السبب في إطلاقه عليهم هو أنهم اعتزلوا مذهب الأمة جمعاء"[2] بل إن بعض الباحثين الذين يرون أن جذور المعتزلة تمتد إلى ماض أبعد من تلك الفترة التي ظهرت فيها ظهوراً رسمياً إبَّان طرد الحسن البصري لواصل ابن عطاء يرى صحة هذه الرواية فيقول :" لا شك أن هذه الرواية يتوفر فيها من

---

(1) المعتزلة لعواد المعتق ص٢١

(2) نشأة الفكر الفلسفي (١/٤٢٤-٤٢٥)

عناصر الصحة ما يفيد أن الظهور الرسمي للمعتزلة كفرقة كلامية واضحة المعالم متميزة القسمات في آرائها ومنهجها قد كان فعلا في هذه الفترة المحدودة ..."[1].

الاعتراض الثالث : أن كثيرا من الكتب تتكلم عن شخص فتقول : " إنه كان يقول بالاعتزال أو هو من أهل الاعتزال " وهذا يدل على أن اسم الاعتزال مذهب ذو مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس إلى آخر وأن الاعتزال معنى من المعاني لا حركة حسية"[2]

الجواب : إن هذا الاعتراض قريب جدا من الاعتراض الأول وإنما اختلف عنه في طريقة عرضه وصياغته وقد بينت سابقا أن اعتزال واصل لحلقة الحسن كان اعتزالا حسيا حيث فارق مجلس أستاذه الحسن البصري ، ومعنويا حيث قال بخلاف قول شيخه الحسن البصري، وأما كون مذهب الاعتزال مذهب ذو مبادئ فهذا مما لا نزاع فيه ولكن هل حصلت هذه المبادئ واجتمعت جملة واحدة وفي وقت واحد ؟ هذا ما لا يقوله المعترض لأنها نشأت متتابعة يتبع بعضها بعضا ابتدأت بالمنزلة بين المنزلتين على يد رئيس المعتزلة ومؤسسها الأول واصل ابن عطاء[3]، وفي ذلك يقول بعض الباحثين المعاصرين :" فلا ريب أن القول بالمنزلة بين المنزلتين هو أول قواعد المعتزلة ومن أعظم أصولهم إنه الأساس الذي قاموا عليه والنواة التي تجمعوا حولها حتى إن اسمهم المشهور إنما اشتق من هذا القول لا من غيره[4] " .

ومن ثم بدأ واصل بن عطاء في تقعيد أصول المعتزلة حسب المستجدات والمتغيرات إلا أنه مع ذلك لابد من مراعاة أن هذا التقعيد المبدئي لا يعني أن المذهب برمته قد انتهى بنيانه وبلغ كماله في عهد واصل بن عطاء ، يقول بعض

---

(1) المعتزلة بين الفكر والعمل ص٢٠

(2) فجر الإسلام ص٢٨٨

(3) انظر المعتزلة بين الفكر والعمل ص٢٣ يقول المسعودي في مروج الذهب (١٠٤/٤) إن واصل بن عطاء هو أول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين أ . هـ

(4) المعتزلة لزهدي جار الله ص٢٠

الباحثين :" إن واصلا أول من قعد لأصول الاعتزال وإن كان العلاف أول من كتب فيها"[1] .

ويقول في موضع آخر عن قصة اعتزال واصل لمجلس الحسن :" إن ذلك لم يكن ميلاداً لهذه الفرقة بل كان خطوة نحو تحديد ملامح الاعتزال "[2] .

وينبغي أن نعرف أن مصادر المعتزلة تضع واصلا في الطبقة الرابعة والعلاف في الطبقة السادسة. ولابد من الإشارة إلى أن الاتجاه الكلامي الفلسفي المتعمق تحدد لدى المعتزلة بوضوح بدءاً برجال الطبقة السادسة وعلى رأسهم أبو الهذيل العلاف والنظام وبشر بن المعتمر[3].

وعلى أية حال فالذي يظهر أن الاعتزال بملامحه المحددة برز خلال الفترة بين سنة ١٠٥ هـ و ١١٠ هـ[4] .

فواصل بن عطاء لم يكتف برده على المخالفين بل أرسل دعاته إلى الأمصار يجادلون أصحاب التعاليم المخالفة ، وينشرون مبادئه فبعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب وحفص بن سالم إلى خراسان يناظر جهماً القائل بالجبر كما بعث دعاة إلى اليمن وإلى الجزيرة وإلى أرمينية بل أخذ يؤلف الكتب في ذلك حتى ذكر أنه ألف كتاباً فيه ألف مسألة للرد على المانوية[5] .

ويقول بعض الزيدية المعاصرين :" والمعتزلة كحركة فكرية بحكم كونها ظاهرة تاريخية ظهرت أفكارها بشكل أولي منذ واصل ثم تطورت وتفرعت وتشعبت إلى فرق وشعب عديدة حتى وصلت حد التناقض وتكفير بعضها بعضا ولكنها رغم اختلافها وتباينها تجتمع على أصول خمسة منذ بلورها أبو الهذيل العلاف "[6].

---

[1] تاريخ المعتزلة السياسي ص٦٠

[2] المصدر السابق ص٦٨ وانظر ص٥٩

[3] المصدر السابق ص٧١ التاريخ السياسي والفكري د/ عبد المجيد أبو الفتوح بدوي ص٢٣

[4] المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٢، ٣٦تاريخ المعتزلة السياسي ص٧٣

[5] فجر الإسلام ص٣٠٠

[6] معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره . علي محمد زيد ص٢٢

وبعد ترجيح الرأي الثالث وتفنيد ما ورد في حقه من اعتراضات أذكر ما ورد من اعتراضات على الأقوال الأخرى ليتبين من خلال عرضها أنها أقوال لا يصلح الاعتماد عليها في تحديد بداية الاعتزال .

١) الاعتراضات الواردة على القول الأول (التفسير السياسي)

أ) أن أقوال المعتزلة الكلامية ليس فيها ما يثبت الأصل السياسي لنشأتهم. يقول كوربان :" إذا فكرنا مليا في مذهب الاعتزال وفي هذا الاختيار رأينا أن السياسة لا تشكل سببا كافيا لنشوئهما"[١].

ب) لو صح أن هؤلاء الصحابة المعتزلين للفتنة كانوا أسلافا للمعتزلة لوجب اتفاقهم معهم في أصول مذهبهم فلما لم يتفقوا معهم دل ذلك على بطلان هذا الرأي. فمثلا مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة واجب بالسيف فما دونه كيف قدروا على ذلك فلو كان الصحابة المعتزلون للفتنة أسلافا للمعتزلة – الفرقة – لأوجب عليهم هذا الأصل قتال معاوية – رضي الله عنه – ونحن نراهم قد توقفوا عن القتال وابتعدوا عن الفتنة مما يدل على بطلان القول بأنهم أسلاف للمعتزلة وعليه يبطل هذا الرأي [٢].

ج) إن اختلاف القائلين بالأصل السياسي للمعتزلة في النتائج التي توصلوا إليها يضعف هذه النظرية فبينما يرى نيبرج أن " الاعتزال كان يمثل البرنامج الديني للدعوة العباسية"[٣] يرى أحمد أمين غير ذلك تماما حيث يقول :" وهنا نتساءل ماذا كان موقف الدولة الأموية من آراء المعتزلة السياسية في هذا الموضوع ؟ الذي يظهر لي أنهم عدوا جرأة المعتزلة في نقد الرجال نوعا من التأييد لهم أكثر من تأييد المرجئة فإن تأييد المرجئة – كما قلنا –تأييد سلبي فهم تركوا الخلافات الحزبية من غير نقد ومن غير تحليل وهذا يؤيد عليا وأتباعه ومعاوية وأتباعه

---

(١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١١٢

(٢) المعتزلة لعواد المعتق ص١٩-٢٠

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة المعتزلة

ولكن إذا انضاف إلى ذلك ما عند جمهور الناس إذ ذاك من شعور ديني برفعة شأن علي ومن إليه فذلك يجعلنا نعتقد أن تأييد فكرة المرجئة للأمويين تأييد ضعيف . أما المعتزلة فتأييدهم لهم أقوى لأن نقد الخصوم ووضعهم موضع التحليل ، وتحكيم العقل في الحكم لهم أو عليهم يزيل –على الأقل – فكرة التقديس التي كانت شائعة عند جماهير الناس . نعم إن المعتزلة وضعوا معاوية وأصحابه موضع النقد كذلك وأكثرهم تبرأ من معاوية وعمرو بن العاص. وعمرو بن عبيد خون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفيء، ولكن يظهر أن الأمويين رأوا أن في ذلك من الكسب لهم أكثر من الخسارة فهذا – على الأقل – يجعل معاوية وعليا في ميزان نقد واحد وفي الغالب ترجح كفة معاوية وآله لأن الدولة دولتهم والناس يخشون نقدهم ولا يخشون نقد غيرهم . ومن نتائج ذلك ما يروى عن ابن كيسان الأصم أنه كان يخطئ عليا في كثير من أفعاله ويصوب معاوية في بعض أفعاله[1] " .

د) " إن السياسة لم تشكل أساسا مهما من أسس الاعتزال قط بل إن الصفة الرئيسية للمدرسة كانت وظلت فكرية تأملية تحاول إيجاد أساس عقلي للعقائد الدينية"[2] وتعمل من أجل وضع فلسفة للدين تقاوم خطر الغزو الفكري الذي تعرض له الإسلام من أهل الأديان والملل المختلفة التي فتح الإسلام بلادها رغم في ما في مقالاتهم من بدع خطيرة لا تزال إلى اليوم تجد من يعتقدها ويتبناها .

هـ) إن إطلاق وصف الاعتزال على جماعة من المسلمين قد اعتزلوا الفريقين – عليا ومعاوية رضي الله عنهما – لا يثبت به تسمية هؤلاء بالمعتزلة وأن هذا الاسم قد أطلق على الذين اعتزلوا قيسا في مصر أو الحسن ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ بعد الصلح وأصبح علما عليهم ولا يستفاد من وصفهم بالاعتزال أكثر من أنهم لم يساهموا في القتال الذي وقع بين الفريقين في تلك الفترة في تاريخ

---

(1) فجر الإسلام ص٢٩٤-٢٩٥

(2) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ١١٢-١١٣

المسلمين وذلك لا يعني أن الفرقة التي غلب عليها هذا الاسم كانت قبل واصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد وغيرهما من مؤسسي مبادئ المعتزلة[1].

و) إن قول النوبختي :" فسموا معتزلة وصاروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد "[2] قول مردود من حيث كونهم أسلافا للمعتزلة الفرقة، ويؤكد النشار ذلك بقوله: "ولنأخذ مثلا أبرز شخصية منهم وهي شخصية عبد الله بن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ فعبد الله بن عمر يعتبر من أهل الحديث أهل السنة فقط ولا يمكن اعتباره إطلاقا سلفا لواصل بن عطاء أو لعمرو بن عبيد بل إن عمرو ابن عبيد قد هاجم عبد الله بن عمر وأعتبره حشويا "[3] .

ز) إنه لمن العسير أن نجد صلة واضحة بين المعتزلة السياسيين والمعتزلة الكلاميين إلا في الاشتراك اللغوي للفظ الاعتزال: الحياد بين فئتين متنازعتين أو تعليق الحكم بصدد رأيين مختلفين[4] . والحق أن هذا الرأي يجعل التشابه اللفظي أساسا للتشابه الموضوعي إلا أن الواقع غير ذلك .

وقد يتقارب الوصفان جدا ** وموصوفاهما متباعدان[5]

إن كلمة "معتزلة" بإطلاقها الأول لم تكن تعني أكثر من مدلولها اللغوي القريب ، وهو ابتعاد طائفة عن ميدان الصراع أو " اعتزالهم " لعدم تبين وجه الصواب لهم، أما الكلمة بإطلاقها الثاني فإنها كانت علما على مجموعة من الأشخاص يحكمهم نظام فكري مقنن هو أبعد من مجرد اعتزال تلميذ لأستاذه . فالصلة – إذا – بين المجموعتين صلة لفظية لا موضوعية ويؤكد ذلك أن المعتزلة الأولين أو من يسمون بالسياسيين اعتزلوا الأحداث اعتزالا كاملا وأما المعتزلة المتأخرون أو من

---

(1) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص١٠٩

(2) فرق الشيعة ص ٥

(3) نشأة الفكر الفلسفي (١/ ٤٣٠) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٥٨

(4) المعتزلة لأحمد صبحي (١/ ١١٠)

(5) هذا البيت للمتنبي انظر : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب. ناصيف اليازجي (٢ / ٤٥٤).

يسمون بالكلاميين فقد " كانوا في السياسة إيجابيين فكانوا يجاهرون بالخروج على الإمام الجائر .. وهم قد أظهروا رأيهم في عليّ ومخالفيه"[١] .

ح) إن القول بأن اسم المعتزلة قد جاء في الأصل من اعتزال الصراع السياسي بين علي ومعاوية وبين علي وأصحاب الجمل قول غير صحيح قطعاً لأن معتزلة الصراع السياسي كان ولاؤهم مع علي .. فلم تكن لهم فكرة مستقلة يمتازون بها عن غيرهم كما كان لواصل ومن تابعه من المعتزلة[٢] ، بل إن واصلاً ــ رأس المعتزلة ــ لم يكن مشايعاً لعلي حيث أدان الفريقين المتحاربين علياً وخصومه[٣].

ط) إن المعتزلة تمثل ظاهرة دينية –وليست سياسية – لها ما يماثلها ويشبهها في الفكر الديني اليهودي والنصراني وأعني بذلك ظاهرة التحدي الفكري الذي جابهته هذه الأديان من الأفكار الفلسفية القديمة المختلفة واستجابة المتكلمين في كل دين من هذه الأديان لهذا التحدي وذلك عن طريق وضع فلسفة للدين ووضع أساس عقلي للعقائد الدينية وإيجاد حلول فلسفية لمشكلة الصلة بين حقائق العقل والفلسفة وبين حقائق الدين الوحي[٤] .

ي) إن ما قاله أساطين المعتزلة كعبد الجبار والشريف المرتضى وغيرهم ممن تأثر بالاعتزال كالمسعودى والمفيد يؤكد أن اسم الاعتزال متعلق بقصة اعتزال واصل للحسن لا غير[٥].

*** الاعتراضات الواردة عن القول الثاني القائل بأن القدرية سلف المعتزلة .**

إن القول بأن القدرية هم أسلاف المعتزلة ليس بدعاً من القول لأن كثيراً من كتب المقالات الإسلاميين اتفقوا على أن المعتزلة كانوا خلفاء القدرية الأوائل ووارثين

---

[١] تاريخ المعتزلة السياسي ص٥٧

[٢] الزيدية لعلي الفضيل ص٢٠ – ٢١

[٣] المعتزلة لأحمد صبحي (١/١١٠) تاريخ المعتزلة السياسي ص٥٩

[٤] انظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١١٣

[٥] انظر ص ١١١–١١٤ من هذه الرسالة .

لها، والمعتزلة أنفسهم يضعون القدرية ضمن السلسة الذهبية في السند الاعتزالي[1].

ومن البدهي القول بأن انتشار مذهب المعتزلة في القدر مرتبط بانتشار مذهبهم عموما وإذا كانت أصولهم الخمسة هي ما أجمعوا عليه في مختلف أعصارهم وطبقاتهم فإن قولهم بالقدر هو ألصق ما يكون بهم حتى أصبح لقبا من ألقابهم ، فهم يسمون " القدرية " مع ملاحظة أن المعتزلة أنفسهم ينفون عنهم هذا اللقب ويقولون إنه ينطبق على المجبرة وأنهم - على زعمهم - أهل السنة والسبب واضح وهو ورود أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذم القدرية[2]. كقوله عليه الصلاة والسلام :" القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم "[3] وقوله عليه الصلاة السلام :" صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية "[4] . وكالذي جاء عن نافع أن عبد الله ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ جاءه رجل فقال : إن فلانا يقرأ عليك السلام. فقال له: إنه بلغني أنه قد أحدث . فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :" يكون في هذه الأمة أو أمتي - الشك منه - خسف أو مسخ أو قذف في أهل القدر[5] " وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يكون في أمتي خسف ومسخ وذلك في المكذبين بالقدر "[6]. فهذه الأحاديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حذر أصحابه من القدرية ووصفهم بأنهم مجوس هذه الأمة لأن المجوس يقولون بإلهين إله الخير وإله الشر ، النور والظلمة وهؤلاء يقولون بأن هناك خالقين فالله خالق للعباد والعباد خالقون لأفعالهم .

---

(1) الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص٥٥ موقف المعتزلة من السنة النبوية ص٣٣ . المعتزلة لزهدي جار الله ص ٣٦ ،٦-٧

(2) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة د/ عبد الرحمن المحمود ص١٢٨

(3) رواه ابن ماجه في المقدمة (٣٥/١) وأبو داود في سننه رقم ٤٦٩٢ (٥ / ٦٧) وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع (٢ / ٨١٨ ، ٩١٧)

(4) رواه الترمذي (٤ / ٣٩٥) رقم ٢١٤٩ وقال حديث غريب حسن صحيح .

(5) رواه الترمذي (٣٩٧/٤) رقم ٢١٥٢ ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب .

(6) رواه الترمذي (٣٩٧/٤) رقم ٢١٥٣

والمعتزلة كما سبق حريصون على نفي هذا اللقب عنهم بكل ما أوتوا من قـــوة ، فهذا القاضي عبد الجبار يقول : " اعلم أن القدرية عندنا إنما هم المجبرة والمشبهة – يقصد أهل السنة – وعندهم المعتزلة فنحن نرميهم بهذا اللقب وهم يرموننا به .. ومما يدل على أنهم هم المستحقون لهذا الاسم هو أنه اسم إثبات فـــلا يســتحقه إلا المثبت للقدر والذين يثبتون القدر هم المجبرة فأما نحن فإننا ننفيه وننزه الله تعـــالى عن أن تكون الأفعال بقضائه وقدره فيجب أن يكونـــوا هـــم الموســومون بـــهذا الاسم"[١].

يقول ابن قتيبة : " وقد كان فريق منهم يزعمون أن هذا الاسم ليس باللغـــة ولكـــن يلزم غيرهم واحتجوا في ذلك أنه يدعى عليهم أنهم يقولون : لا قدر فكيف ينسبون إلى ما يجحدون وهذا تمويه من المجتمع وإنما لزمهم لأنهم يضيفون إلى أنفســـهم القدر وغيرهم يجعله لله عز وجل دون نفسه ومدعي الشيء لنفسه أحـــرى بـــأن ينسب إلى ذلك الشيء ممن جعله لغيره "[٢]. وقال الخطابي :" إنما جعلهم مجوســـا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بـــالأصلين وهمـــا النـــور والظلمـــة ويزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثانوية وكذلـــك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره والله ســـبحانه وتعـــالى خالق الخير والشر لا يكون شئ منهما إلا بمشيئته[٣] ".

إن القدرية الأولى التي تزعم أن الله لم يقدر الأشياء في القدم ولـــم يتقـــدم علمـــه سبحانه وتعالى بها وأنها مستأنفة العلم أي إنما يعلمها سبحانه بعـــد وقوعـــها قـــد انقرضت ولم يبق أحد من أهل القبلة على هذا القول الشنيع وصارت القدرية فـــي الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر ولكن يقولون الخير من الله والشر من غيره[٤]. وهذه القدرية المتأخرة التي تختلف نوعا ما عن الأولى لأنها – مع نفيها للقـــدر –

---

[١] شرح الأصول الخمسة ص ٧٧٢ – ٧٧٦ المغني في أبواب التوحيد والعدل (٣٢٦/٨)

[٢] غريب الحديث (٢٥٥/١) وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٥٦

[٣] معالم السنن مع مختصر سنن أبي داوود للمنذري (٥٦/٧-٥٨) أنظر شرح مسلم للنووي (١٥٤/١)

[٤] شرح مسلم للنووي (١٥٤/١) وانظر العلم الشامخ ص ٣٥٣ ، ٣٥٧

قالت إن الله عليم بلا علم ، هي طائفة المعتزلة[1]. ويؤكد نيبرج على هذا المعنى مبينا مجيء واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في آخر دولة بني أمية وأنهما كانا في الأول من أصحاب الحسن البصري فوسعا مجال القدرية وأدخلا فيها ملاحظات جديدة ودققا وفصلا ففارقا مجلس الحسن البصري وأسسا مذهبا لأنفسهما مخصوصا لهما منسوبا إليهما مبنيا على أصول خمسة"[2]. ويقول البغدادي عن واصل وعمرو :" إنهما أظهرا بدعتهما في المنزلة بين المنزلتين وضما إليها دعوة الناس إلى قول القدرية على رأي معبد الجهني فقال الناس يومئذ لواصل إنه مع كفره قدري "[3] . ويقول في موضع آخر : " وقد شارك عمرو واصلا في بدعة القدر "[4].

وهذا الأمر المقرر آنفا لا يسلم به بعضهم الباحثين بل إن المعتزلة نفسها لا ترضى بهذه التسمية وتحاول أن تنفيها وتصم بها أهل السنة لقولهم إن القدر خيره وشره من الله ، يقول الشهر ستاني عن المعتزلة : " ويلقبون بالقدرية وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا وقالوا لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى احترازا عن وصمة اللقب إذا كان الذم به متفقا عليه "[5].

ويقول ابن المرتضى : " إن لفظ القدرية كان يطلق قديما على القائلين بالقدر خيره وشره من الله تعالى ودليله على ذلك قول زيد بن علي :" أبرأ من القدرية الذين حملوا ذنوبهم على الله ومن المرجئة الذين أطمعوا الفساق في عفو الله "[6].

وقد دافع المقبلي عن المعتزلة في هذه النقطة دفاعا حارا ورد على الذين وسموهم بالقدرية بقوله " إذا كان المراد بالقدر نفس العلم السابق الأزلي فرمى المعتزلة بنفي القدر تقول محض ورد للشمس في الضحى وهذه كتب المعتزلة ملء البسيطة

---

(1) القضاء والقدر لعبد الرحمن المحمود ص ١٢٠-١٢١

(2) نيبرج . مقدمة الانتصار للخياط ص ٤٩ – ٥٠

(3) الفرق بين الفرق ص ١١٩ ، ١١٥

(4) المصدر السابق ص ١٢١

(5) الملل والنحل (٣٨/١)

(6) المنية والأمل ص ١٣٢

فأرونا فردا منهم قال بإنكار العلم الأزلي وعلم الله مما علم بضرورة الدين فمن ذا ينكره من المسلمين "[١].

ويقول نلينو : " إنه ليس بصحيح أن المعتزلة كانوا في الأصل فرعا أو استمرار للقدرية في القرن الأول وأن نقطة ابتدائهم كانت مذهب الاختيار وحرية الإرادة"[٢].

ويرد باحث معاصر على من يقول بأن القدرية أسلاف للمعتزلة بقوله " الظاهر في هذا الرأي أنه لا ينظر إلى الفروق الجوهرية بين الفئات المختلفة التي اعتنقت فكرة القدر أو حرية الإرادة الإنسانية فالقدرية كفرقة ضمت أناسا من مشارب مختلفة جمعهم إنكار الجبر ولكنهم اختلفوا في تحديد معنى الاختيار ، فمنهم من انتهج طريقة الإمام علي وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في إثبات الحرية الإنسانية مع القول بإثبات قدر الله بمعنى علمه الأزلي بما سيكون من شئون خلقه ثم الاعتقاد بأن علم الله الأزلي بأمور العباد لا يتضمن الإجبار ولا يعني الإكراه والاضطرار .

وهناك فئة القدرية الخالصة أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي الذين أثبتوا الحرية للإنسان وأنكروا أيضا علم الله الأزلي بالحوادث فكانوا بذلك في رأي أهل السنة زنادقة مرقوا عن الدين. أما المعتزلة فالذي يميزهم عن القدرية الخالصة أنهم لم ينكروا العلم الأزلي ، ومن ثم من الخطأ التسوية بينهما في الرأي ، وهذا الاختلاف في تحديد القدر جعل كتاب المقالات يعتبرون كل منكر للجبر قدريا ومن ثم فإن القائمة التي أوردها ابن قتيبة عن أسماء القدرية تضم أناسا مختلفين أجمعوا على إنكار الجبر ولكنهم اختلفوا في تحديد معنى القدرية غير أنهم اعتبروا قدرية للاعتبار الأول فحسب "[٣].

---

[١] العلم الشامخ ص ٣٥٦

[٢] مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي (١ /٣٩)

[٣] دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ١٠٧

ويقول آخر :" إذا كان لغيلان أو غيره من القدرية أراء في حرية الإرادة ومن ثم اعتبروا من رواد المعتزلة الأوائل فإن أراء هؤلاء القدرية لا تشكل مذهبا متكاملا حتى يعدوا أسلافا حقيقيين للاعتزال إذ أن مفهوم الاعتزال يتجاوز بكثير مجرد اعتناق مبدأ حرية الإرادة" [١] . ومهما حاول بعض الباحثين الدفاع عن المعتزلة وتبرئة ساحتها من أي صلات مع القدرية فإن التاريخ والواقع وأقوال العلماء المعتبرين تبطل هذه المحاولة[٢] وعلى أية حال فإن هذا الرأي ليس هذا مكانه لأن هذا المبحث القصد منه عرض ونقد الآراء في أصل تسمية المعتزلة بذلك وإنما ذكرته وبينت الأقوال فيه لأنه صار من جملة الآراء في أصل تسمية المعتزلة فما كان مني إلا ذكره ودراسته والكلام عليه بما يزيل الغموض عنه .

الاعتراضات الواردة على القول الرابع المتضمن أن سبب التسمية كونهم اعتزلوا قول الأمة وقول المسلمين .

١ - هذا القول قال به عبد القاهر البغدادي[٣] وليس بينه وبين القول الذي سبق ترجيحه أي تعارض أو تضاد لأن اعتزال واصل لحلقة شيخه الحسن البصري ليس اعتزالا حسيا مقصورا فقط على انتقال واصل من سارية إلى أخرى بل هو اعتزال حسي من جهة ومعنوي من جهة أخرى " لأن واصل بن عطاء حيث حكم على مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين خرج عن قول جميع الفرق المتقدمة التي يتراوح حكمها عليه بين الإيمان كما يقول المرجئة أو الكفر كما يقول الخوارج أو الفسق كما يقول الحسن البصري فانضم إليه عمرو بن عبيد في هذا الرأي فقال الناس فيهما إنهما قد اعتزلا قول الأمة[٤] ".

---

(١) المعتزلة لأحمد صبحي (١٨٠/١)

(٢) انظر ص ١٠٧ من هذه الرسالة .

(٣) الفرق بين الفرق ص ١١٨ ،ورجحه أحمد أمين في فجر الإسلام ص ٢٩٥

(٤) تاريخ المعتزلة السياسي ص٥٤

ويتضح ذلك إذا تأملنا ما قاله ابن خلكان من " أن واصل بن عطاء كان يجلس إلى الحسن البصري فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر فخرج واصل بن عطاء عن الفريقين وقال : إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر منزلة بين منزلتين فطرده الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما : معتزلون[١] ".

وهنا نجد أن الاعتزال الحاصل من واصل بن عطاء هو حسي معنوي وعليه فلا منافاة بين القولين لأن " المعتزلة اعتزلهم علماء الجماعة بقدر ما اعتزلوا هم قول الأمة في قضايا اعتقادية كثيرة ، كما أن الجماهير المسلمة تبعا لتوجيه علمائهم قاطعوهم ، ذلك لأنهم مدعوون إلى تجنب البدع والمبتدعة . والمعتزلة يعتبرون عند علماء السنة والجماعة من أخطر المبتدعة "[٢] .

الاعتراضات الواردة على الرأي الخامس المتضمن أن التسمية جاءت منهم لا من غيرهم .

١- يقول بعض الباحثين المحدثين في تصويره لنفسية المعتزلة تجاه هذا الاسم : "يخيل إلي أنهم كانوا لا يرتاحون إليه ، ولا عجب فإنه يحتمل التأويل ويتعرض لسوء التفسير فقد رأينا كيف اتخذ مخالفوهم منه أداة للتهجم عليهم والطعن فيهم فقال البغدادي مثلا إنهم سموا كذلك لاعتزالهم إجماع الأمة . ولكن المعتزلة وقد رأوا أنه ألصق بهم وتأكدوا ألا سبيل لهم إلى التخلص منه عمدوا إلى الدفاع عنه والبرهان على فضله ... فواضح أن دفاع المعتزلة عن اسمهم هذا وسعيهم إلى البرهان على فضله وبركته ليس سوى محاولة لتغطية النقص الذي كانوا يشعرون به من جرائه ووسيلة يمنعون بها أعداءهم من استغلاله في التحامل عليهم والنيل

---

[١] وفيات الأعيان (٦/٨)

[٢] موقف المعتزلة من السنة النبوية لأبي لبابه حسين ص٢٩

منهم لا سيما وأن الاعتزال لم يكن الاسم المفضل عندهم المحبب إليهم[1] ".
ويقول في موضع آخر :
" كثيرة هي أسماء المعتزلة ولكن أشهرها اثنان : أهل العدل والتوحيد ، وأهل الاعتزال. الأول أطلقوه هم على أنفسهم ورضوا به اسما لهم ، والثاني فرض عليهم ولزمهم فاضطروا إلى قبوله وراحوا يدافعون عنه ويثبتون فضله[2] ".

٢- يقول النشار في معرض كلامه على الروايات الواردة في اعتزال واصل لمجلس الحسن البصري وأنها كيفما كان الأمر " تتفق في أن الاسم أطلقه أعداء المعتزلة عليهم ... وينتهي جوهر هذه المسألة إلى أن الاسم أطلق عليهم نكاية بهم وسخرية وأن السبب في إطلاقه عليهم هو أنهم اعتزلوا مذهب الأمة جمعاء[3] ".

٣- أن من كبار رجالات المعتزلة من اعترف بأن اسم المعتزلة إنما الصق بهم عندما اعتزل عمرو بن عبيد حلقة الحسن البصري متابعا في ذلك واصل ابن عطاء . ذلك هو القاضي عبد الجبار الذي يقول :"وقد جرت بين واصل وعمرو مناظرة في هذا فرجع عمرو بن عبيد إلى مذهبه وترك حلقة الحسن واعتزل جانبا فسموه معتزليا وهذا أصل تلقيب أهل العدل بالمعتزلة[4] ".

وأما قول القاضي عبد الجبار :" كل ما ورد في القرآن من لفظ الاعتزال فإن المراد منه الاعتزال عن الباطل فعلم أن اسم الاعتزال مدح "[5] فهو من باب الرضا بالواقع وتبرير ما لصق بهم من ألقاب غير محببة إليهم في أول الأمر ومع ذلك فقد رد عليه الرازي بقوله :" وهذا فاسد لقوله تعالى (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون)[6] فإن المراد من هذا الاعتزال هو الكفر[7]".

---

(١) المعتزلة لزهدي جار الله ص٤-٥

(٢) المصدر السابق ص ١٠

(٣) نشأة الفكر الفلسفي (١/٤٢٥)

(٤) شرح الأصول الخمسة ص١٣٨

(٥) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٣٨ وانظر فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ١٦٥

(٦) الدخان آية ٢١

(٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٣٧-٣٨

ومن هذا القبيل قول أبي الحسين الخياط وهو يفتخر بالانتساب إلى المعتزلة في معرض رده على ابن الراوندي الذي أنكر نسبة ثمامة بن أشرس إلى المعتزلة : "ولثمامة كان أشد فخرا باسم الاعتزال من أن يخل منه بحرف يزيل عنه اسمه[1]".

٤- إن القول بأن هذه التسمية جاءت من خصوم المعتزلة لا من المعتزلة أنفسهم هو الذي تؤيده أكثر المصادر التأريخية بالإضافة إلى أنه أكثر شيوعا وانتشارا بين كتاب الفرق والمذاهب من المتقدمين[2]. بل إن ذلك يشبه أن يكون محل إجماع من مؤرخي الفرق[3].

٥- إن شيخ الرافضة المفيد الذي عاصر كبار أئمتهم كالقاضي عبد الجبار وأبي القاسم البلخي الكعبي وأبي الحسين البصري وأبي سعيد الأصطخري وغيرهم يؤكد أن سبب التسمية جاء من أعداء المعتزلة وخصومهم وليس منهم بقوله: "وأما المعتزلة وما وسمت به من اسم الاعتزال فهو لقب حدث لها عند القول بالمنزلة بين المنزلتين وما أحدثه واصل بن عطاء من المذهب في ذلك ونصب من الاحتجاج له فتابعه عمرو ابن عبيد ووافقه على التدين به من قال بها واتبعهما عليه إلى اعتزال الحسن البصري وأصحابه والتحييز عن مجلسه فسماهم الناس المعتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن بعد أن كانوا من أهله وتفردهم بما ذهبوا إليه من هذه المسألة من جميع الأمة وسائر العلماء ولم يك قبل ذلك يعرف الاعتزال ولا كان علما على فريق من الناس "[4].

٦ – إن قول الملطي " وهم سموا أنفسهم معتزلة " إذا نظرنا إلى ما بعده وهو قوله :" وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة "[5] تبين لنا أن هذا

---

(1) الانتصار ص١٢٧

(2) الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص١١٠

(3) أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية ص٢٥

(4) أوائل المقالات ص ٣٧ – ٣٨

(5) التنبيه والرد ص٤٩

ليس في واصل وعمرو بن عبيد وإنما في الذين اعتزلوا الحسن بن علي ومعاوية ــ رضي الله عنهما ــ وقد بينت سابقا بطلان نظرية التفسير السياسي لتسمية المعتزلة بذلك وهذا الرأي لا يختلف عن الرأي القائل بإرجاع أصل المعتزلة إلى الذين اعتزلوا الفتنة والحروب بين علي ومعاوية ــ رضي الله عنهما ــ . وهنا إيراد وهو ألم يشتغل المعتزلة الأسبقون بالعلم والعبادة أيضا ويعتزلوا عليا ومعاوية وجميع أشياعهما فلماذا إذن تعين هؤلاء على أنهم أسلاف المعتزلة دون الأولين[١].

٧ - إن قول المسعودى ليس فيه ما يدل على أن المعتزلة هم الذين سموا أنفسهم بهذا الاسم ، إنما غاية ما فيه أنهم سموا معتزلة بسبب القول بالمنزلة بين المنزلتين أي أن الفاسق المرتكب للكبائر ليس بمؤمن ولا كافر بل يسمى فاسقا على حسب ما ورد في التوقيف بتسميته[٢] والثابت أن هذه القضية هي سبب التسمية . وتفصيل القول فيها ما جرى من اعتزال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد لحلقة الحسن البصري حيث أطلق عليهما حينئذ المعتزلة عندما قال الحسن اعتزلنا واصل .

٨ - إن القول بأن المعتزلة لم يخالفوا الإجماع بل عملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول ورفضوا المحدثات المبتدعة[٣] " وأن واصل بن عطاء لم يحدث قولا لم تكن الأمة تقول به فيكون قد خرج من الإجماع ؟ ولكن وجد الأمة مجمعة على تسمية أهل الكبائر بالفسق والفجور ، مختلفة فيما سوى ذلك من أسمائهم فأخذ بما أجمعوا عليه وأمسك عما اختلفوا فيه[٤]. " فكيف يكون واصل والمعتزلة قد خرجت من الإجماع بقولهم المنزلة بين المنزلتين ؟ وهل يكون قول أوضح صوابا

---

(١) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٥٨ انظر نشأة الأشعرية وتطورها ص١٢٠

(٢) مروج الذهب (٣/٢٣٥)

(٣) المنية والأمل ص ١٢٤

(٤) الانتصار ص ٢٣٧شرح الأصول الخمسة ص٧١٦-٧١٧

ولا أصح معنى من قول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ولو كان شيء من الدين يعلم صوابه باضطرار لعلم قول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين باضطرار[1] ".

إن هذا القول ضعيف كل الضعف لأن أهل السنة والجماعة هم في منهجهم وطريقتهم مخالفون لأهل البدع ذلك أنهم قالوا في مرتكب الكبيرة إنه فاسق بكبيرته مؤمن بأصل إيمانه أي أنه يعطى مطلق الإيمان – الإيمان المقيد- وليس الإيمان المطلق فهم لم يعطوه الإيمان المطلق لأنه أتى بما ينافي كماله الواجب ولم يسلبوه منه لأنه لم يأت بما يخرجه من الدين كالكفر والشرك وإنما أعطوه ما يستحقه من الأسماء لأنه لا زال مسلما من جملة المسلمين . وأما الخوارج فقد سلبوا منه الإيمان المطلق ولذلك قالوا بكفره . وأما المرجئة فأعطوه الإيمان المطلق ولم يروا للكبيرة أي تأثير على إيمان فاعلها ، لأنهم يرون أنه لا يضر مع الإيمان معصية فلما جاء واصل بن عطاء قال إنه لا مؤمن ولا كافر وإنما في منزلة بين المنزلتين وهنا يظهر لنا جليا أنه خالف الأمة وأتى بقول حادث ، لأنه لم يقل أحد من قبل أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر بإطلاق وإنما هناك من قال بكفره مطلقا وفريق آخر قال بإيمانه مطلقا وتوسط أهل السنة والجماعة وبينوا حاله أحسن بيان إذ قالوا هو فاسق بكبيرته مؤمن بأصل إيمانه فلا هو يعطى الإيمان المطلق ولا يسلب منه مطلق الإيمان .

كما أن القول بأن المعتزلة عملت بالمجمع عليه في الصدر الأول ورفضت المحدثات المبتدعة قول واه لأنهم شاركوا الخوارج في تخليد صاحب الكبيرة في النار وإن قال بعضهم إنه أخف عذابا من الكفار المهم أنهم قالوا بتخليده في النار وهذه متابعة للخوارج وإنما فارقوهم في الأسماء فقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ولم تجسر على تسميته بالكافر مما دفع بعض كتاب الفرق أن يطلق عليهم مخانيث الخوارج[2] فأين العمل بالمجمع عليه ؟

---

[1] المصدر السابق ص ٢٣٩

[2] الفرق بين الفرق ص ١١٩ . الملل والنحل (٣٩/١) . المعتزلة لزهدي جار الله ص ٩ تاريخ الفرق الإسلامية ص٥٣ .

فثبت مما سبق أنهم خالفوا واعتزلوا قول الأمة وأنهم لم يعملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول ولا رفضوا المحدثات المبتدعة .

الاعتراضات الواردة على القول السادس المتضمن أن سبب إطلاق هذه التسمية عليهم هو اعتزالهم العالم وحياتهم حياة التقشف والزهد .

١- يقول نيلينو :" إن ما افترضه جولد تسيهر وهمي لا يقوم على سند من المصادر بل هو فوق هذا يصطدم بمشكلة خطيرة : كيف يكون اسم المعتزلة قد قصر على طائفة من الناس لم يكن الزهد فيهم العنصر المميز لهم حقاً عن غيرهم سواء كأفراد أو جماعة؟ أفلم يكن الزهد منتشراً بنفس الدرجة في الوسط الديني الذي اعتزله المعتزلة ؟ أفلم يكن الحسن البصري مشهوراً بالزهد وهو أستاذ واصل ؟ "[١].

٢- يقول مرجليوث :" المعتزلة من انفصلوا ... وهم الذين اعتزلوا إخوانهم في مجلس الحسن البصري وكانوا يؤمنون بحرية الإرادة "[٢].

٣- إن كثيراً من الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ كانوا زاهدين في الدنيا وفي متاعها كأبي ذر الغفاري وأبي الدرداء وغيرهما ومع ذلك لم يطلق عليهم أنهم معتزلة .

٤- إن وجود الزهد والتقشف لدى المعتزلة أمر منازع فيه. فمن الباحثين من أثبت حياة الزهد والتقشف لبعض المعتزلة فقط وأثبت حياة البذخ والترف وملابسة الخلفاء والأمراء وقبول أعطياتهم والانصراف عن العبادات إلى السياسة وأعمال القضاء للبعض الآخر[٣] . وهناك من العلماء من نازع فيمن وصفوا بالزهد من

[١] دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٠٩ وانظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٤٤١/١)

[٢] الإسلام ص١٨٨ . نقلاً عن دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ١٠٨-١٠٩

[٣] المعتزلة لزهدي جار الله ص ٢٢٩-٢٣٣

المعتزلة وبين أن ما فعلوه كان تصنعا وتغريرا بالناس[1] بل قال بعضهم إن الزهد وحده لا يدل على الصلاح لأن بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد مالا يطيقه هؤلاء ولا كثير من المسلمين[2].

ويقول أبو زهرة :" وفي الحق ليس كل المنتسبين إلى هذه الفرقة كما نعتهم* بل منهم المتهمون بالمعاصي ومنهم المتقون ومنهم الأبرار ومنهم الفجار[3].

الاعتراضات الواردة على القول السابع المتضمن أن سبب التسمية إنما هو من اليهود أسوة بما عندهم بمن يسمون الفروشيم أي المعتزلة .

١- إن صاحب هذا الرأي هو أحمد أمين وقد رجع عنه بعد أن كان يميل إليه[4].

٢- أنه لم يرد له ذكر في كتب علماء الفرق المتقدمين الذين تعرضوا للمعتزلة بالبيان والتفصيل. فلو كان صحيحا لأشير إليه على الأقل كما أشير إلى الآراء الأخرى في بيان سبب تسميتهم بالمعتزلة[5].

٣- إن ما استدل به أحمد أمين ضعيف واه لا يستند إلى دليل بل هو مجرد افتراض والرأي الذي لا ينبني على دليل صحيح لا يعتد به[6].

٤- إن وجود الشبه بين المعتزلة والطائفة اليهودية التي ذكرها أحمد أمين لا يستلزم أن يكون سببا لتسميتهم بالمعتزلة [7].

٥- إن هذا مستبعد لا سيما وأن انفصال الفروشيم عن سائر اليهود تم بطريقة مخالفة تماما لاعتزال المعتزلة[8].

---

(1) البداية والنهاية (١٠/٨١-٨٢) تهذيب التهذيب (٧٤/٨)

(2) البداية و النهاية (٨٢/١٠)

* أي المستشرق الذي يرى أنهم سموا المعتزلة لأنهم كانوا رجالا أتقياء متقشفين ضاربي الصفح عن ملاذ الحياة .

(3) تاريخ الجدل ص ١٩٧ وانظر ص ٢٠٩ من الكتاب نفسه .

(4) فجر الإسلام ص ٢٨٩

(5) انظر المعتزلة لعواد المعتق ص٢٠

(6) المصدر السابق ص ٢٠

(7) المصدر السابق ص٢٠

(8) المعتزلة لزهدي جار الله ص٤

المسألة الثانية :

أسـماء وألقـاب المعتزلة وعلة ذلـك :

للمعتزلة أسماء وألقاب كثيرة منها ما أطلقه خصومهم عليهم نكاية بهم ومنها مـا أطلقوه هم على أنفسهم افتخارا به وسأعرض فيما يلي لهذه الأسماء والألقاب مبينا سبب كل منها :

أ) ما أطلقه الخصوم عليهم :

١ - المعتزلة :

بمعنى المنشقين والمفارقين وقد بينا سبب تسميتهم بهذا الاسم عند حديثنـا عـن الآراء في أصل تسمية المعتزلة بذلك .

٢ - القدرية :

لقول الشهر ستاني " المعتزلة ويسـمون أصحـاب العـدل والتوحيـد ويلقبـون بالقدرية[١].

ويقول البغدادي :" وقد زعموا أن الناس هم الذين يقدرون على أكسابهم وأنه ليس لله عز وجل في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير ولأجل هـذا القول سماهم المسلمون قدرية " [٢].

وتقدم النقل عن ابن قتيبة والخطابي بما يؤيد ذلك[٣] ، وقد ألف شيخ الإسلام ابـن تيمية كتابه منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية ويعني بالقدرية فيـه المعتزلة . وتقدم أن هذا اللقب لا يروق للمعتزلة لذلك تنصلوا منه ورموا به أهـل السنة .وأما سبب تلقيبهم به فلأنهم خلفاء وورثه القدرية الأولـى[٤] لذلـك نجـد المعتزلة تضع هؤلاء ضمن طبقاتها[٥] ، ولقولهم بأن الله يخلق العباد وهم يخلقـون أفعالهم لصق بهم هذا اللقب ، يقول الحافظ بن حجر :" القدرية من يزعم أن الشـر

---

(١) الملل والنحل (٤١،٣٨/١) فجر الإسلام ص٢٨٧ ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص٤٩ المواقف في علم الكلام ص٤١٥

(٢) الفرق بين الفرق ص١١٥

(٣) انظر ص ١٣٣-١٣٤ من هذه الرسالة .

(٤) انظر ص ١٣٢ من هذه الرسالة .

(٥) فرق وطبقات المعتزلة ص ٣٨ وغيرها

فعل العبد وحده[1] ". وهذا هو قول المعتزلة بعينه. ويقول السكسكي :" فسموا بذلك قدرية لنفيهم قضاء الله وقدره في معاصي العباد وإضافة خلقها إلى فاعلها "[2] .

٣. الجهـــمـــيـــة :

يقول أحمد أمين :" وأحياناً يلقب المعتزلة بالجهمية لا لأنهم وافقوا الجهميـــة فـــي القدرة ، لأن الجهمية كما علمت جبرية لكن لأن المعتزلة وافقوا الجهمية في نفـــي الصفات عن الله سبحانه وتعالى وفي خلق القرآن وقولهم إن الله لا يرى وقد ألـــف البخاري والإمام أحمد كتابين في الرد على الجهمية وعنيا بهم المعتزلة[3] " وكذلك ابن تيمية في كتابه بيان تلبيس الجهمية. وابن القيم في الصواعق المرســـلة علـــى الجهمية والمعطلة " وغيرهم.

ويقول ابن تيمية :" فلما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المائة الثالثـــة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق ودعوا الناس إلى التجـــهم وإبطـــال صفات الله تعالى .. وثبت الإمام أحمد على ذلك الأمر حتى حبسوه مدة ثم طلبـــوا أصحابهم لمناظرته فانقطعوا معه في المناظرة يوماً بعد يوم ولم يأتوا بما يوجـــب موافقته لهم بل بيّن خطأهم فيما ذكروه من الأدلة .. ولم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلـــة والنجاريـــة والضراريـــة وأنـــواع المرجئة فكل معتزلي جهمي وليس كل جهمي معتزلياً لكن جهماً أشد تعطيلاً ، لأنه ينفي الأسماء و الصفات والمعتزلة تنفي الصفات دون الأسماء" [4].

ويقول بعض الباحثين المعاصرين :" وكذلك يلقب المعتزلة بالجهميـــة. والجهميـــة فرقة ظهرت قبل المعتزلة وقالت بالجبر وخلق القرآن ونفت الصفـــات وأنكـــرت الرؤية السعيدة فلما قام المعتزلة بعد ذلك أخذوا عن الجهمية أقوالـــها فـــي خلـــق

---

(1) هدي الساري ص٤٨٣ وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١ / ٢٥)

(2) البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ٥٠

(3) فجر الإسلام ص٢٨٧ . ظهر الإسلام (٤/٩-١٠) تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي ص٤٤. المعتزلة لأحمد صبحي (١/١٧٣) المعتزلة لزهدي جار الله ص ٨ .

(4) منهاج السنة (٢/٦٠٢-٦٠٤)

القرآن ونفي الصفات والرؤية فأطلق عليهم أهل السنة اسم الجهمية وصاروا يعرفون به عندهم"[1] .

ومع ثبوت التأثر والتأثير بين الجهمية والمعتزلة إلا أننا يجب أن لا نغفل عن الاختلاف الجوهري بين الفرقتين وهو قدرية المعتزلة وجبرية الجهمية [2].

وبعض الباحثين المعاصرين ينفي الصلة بين الجهمية والمعتزلة وكون الجهمية أسلافا للمعتزلة بقوله :" هكذا يتضح أن المعتزلة وإن وافقت الجهم على التأويل العقلي وإيجاب المعارف بالعقل قبل السمع الأمر الذي دعا الحنابلة وأهل السلف إلى تسمية المعتزلة بالجهمية فإنهم قد خالفوه في قوله بالجبر وفي مذهبه في الإيمان فضلا عن رأيه في حدوث العلم الإلهي ومن ثم فإن التسمية غير دقيقة فضلا عن أن الاتفاق في بعض الآراء لا يدل على المتابعة أو المشايعة وإنما جاء الاتفاق نتيجة وحدة المواقف .. وخلاصة القول لا يمكن أن نعد الجهمية أسلافا للمعتزلة "[3] .

ويقول آخر :" على الرغم من أن البعض يرى تأثر المعتزلة بالجهمية بل ربما وراثة هؤلاء للجهمية فإن هذا الرأي يرفضه فكر الجهمية رفضا باتا فالجهمية فرق مختلفة الملامح تماما : الجهمية تقول بخلق الله لأفعال العباد والمعتزلة تكفر من يقول ذلك"[4] . ولكنه تراخى قليلا بعد ذلك عن قوله فقال : " وحتى في النطاق الذي يبدو أن المعتزلة تأثروا فيه بالجهمية وهو نطاق التنزيه المطلق لله أو ما يندرج تحت أصل التوحيد فإننا نجد اختلافا واضحا فالجهمية معطلة تماما حيث نفوا أسماء الله وصفاته أما المعتزلة فإنهم نفوا الصفات لأن تعددها يؤدي إلى تعدد القدماء ولم ينفوا الأسماء .. إن إطلاق اسم الجهمية غلب على المعتزلة منذ عهد المأمون، أما لماذا غلب عليهم منذ عهد المأمون بالذات فذلك راجع إلى فتنة خلق

---

(1) المعتزلة لزهدي جار الله ص٨

(2) انظر منهاج السنة (١٧٢/٥) وغيرها

(3) أحمد صبحي المعتزلة (١٧٧/١)

(4) تاريخ المعتزلة السياسي ص٦٤ والخياط المعتزلي يتبرأ من جهم ويذمه ويكفره في كتابه الانتصار ص١٨٨

القرآن وهي الفتنة التي كان ورائها المعتزلة يثيرونـــها ويحرضـــون عليـــها بـــل يشاركون فيها مشاركة عملية ولما كان خلق القرآن قولا يشترك فيه الجـــهم مـــع المعتزلة فقد نسب المعتزلة إلى هؤلاء لهذا السبب ولما يثيره اسم الجهميـــة فـــي نفوس المسلمين من مشاعر الكراهية[١] ".

والحاصل أن هذا اللقب قد أطلق على المعتزلة[٢] وكان له من الأسباب ما يـــبرر اطلاقه عليهم .

٤. الثنـــويـــة والمجـــوســـيـــة :

يقول المقريزي : " وللمعتزلة أسام منها الثنوية سموا بذلك لقولهم الخير مـــن الله والشر من العبد "[٣] ويقول ابن منظور :" وفي الحديث "القدرية مجوس هذه الأمـــة قيل إنما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصليين وهما النور والظلمة ويزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى الإنسان والشيطان"[٤] .

ويقول ابن حجر : " ومنهم من فرق بين الخير والشر فنسب إلى الله الخير ونفـــى عنه خلق الشر وقيل إنه لا يعرف قائله وإن كان قد اشتهر ذلك وإنمـــا هـــذا رأي المجوس" [٥].

ولما كان هذان القولان يشبهان قول الثنوية المجوسية فإن المعتزلة اكتسبوا إضافـــة إلى أسمائهم العديدة اسم المجوس فإنهم بسبب هذه الاثنينيه سموا مجـــوس الأمـــة الإسلامية[٦].

---

(١) المصدر السابق ص ٦٤-٦٥

(٢) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/٦٦-٦٧) (١٢/٣١١،٣٣٠،٥٠٣)(١٤/٣٤٨)(٦/٥٥) نشأة الأشعرية وتطورها ص ١١٤-١١٦.

(٣) المواعظ والاعتبار (٢/٣٤٨)

(٤) لسان العرب (٦/٢١٥) وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٥٥ - ٥٦

(٥) فتح الباري (١١/٤٩٩)

(٦) المعتزلة لزهدي جار الله ص ٨

ولا جرم أن المعتزلة لا يقبلون بهذا الاسم وما تنصلهم من اسم القدرية وإنكـــارهم له بقوة وشدة إلا تخلصاً من وصمة اسم المجوسية لأن النبي صلى الله عليه وسـلم قد ذم القدرية وسماهم مجوس هذه الأمة[١].

ويقول الإمام ابن القيم :" ومن تأويل التحريف تأويل القدرية المجوسية بخصـــوص القدر مما أخرجها من حقائقها ومعانيها "[٢].

٥. المعـــطــلـــة :

كان أهل السنة يطلقون على الجهمية الأولى – نفاة الصفـــات – اســم المعطلـــة لتعطيلها الله تعالى عن صفاته[٣] أي تجريده تعالى منها وكانوا يرومون مـــن وراء هذه التسمية ذم الجهمية وهجوها ولما هزم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميـــة وأتى مدينة الموصل قال أهلها : يا جعدي يا معطل[٤] لأن مروان كان على مذهب المعطلة . ويذهب بعض الكتاب إلى أن مروان هـــذا كـــان قـــد اعتنـــق مذهـــب الاعتزال[٥]. وقيل غير ذلك[٦] وحين قام المعتزلة واقتبسوا من الجهميـــة الأولـــى قولها بنفي الصفات لزمهم اسم المعطلة .

يقول الشهر ستاني إن من معاني التعطيل تعطيل ظواهر الكتـــاب والســـنة عـــن المعاني التي تدل عليها[٧]. ومما لا شك فيه أن المعتزلة كانوا يلجأون في الآيـــات التي لا توافق أغراضهم إلى التأويل. والمتأمل في كتابات بعض علماء أهل السنة، كابن القيم وغيره يجد أنهم يستعملون في كلامهم لفظ المعطلة ويعنون به المعتزلـــة

---

(١) الملل والنحل (٣٨/١) صبح الأعشى (٢٥١/١٣)

(٢) الصواعق المرسلة (٢١٩/١)

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (١٩٢/١)

(٤) الكامل في التاريخ (٣٣٠/٤)

(٥) فجر الإسلام ص ٢٩٥

(٦) انظر مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية لسعدي أبو حبيب ص ٧٩-٨١

(٧) نهاية الإقدام في علم الكلام ص١٢٣

وقد ألف ابن القيم كتاب الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة وهو يقصد الرد على المعتزلة في الدرجة الأولى[١].

٦- الوعيدية :

لقول المعتزلة بالوعد والوعيد[٢] وهذا القول هو أحد الأصول الخمسة التي يقوم عليها الاعتزال .

كما سماهم به بعض المرجئة في شعر له يهجو به أبا هاشم الجبائي :

يعيب القول بالإرجاء حتى   يرى بعض الرجاء من الجرائر
وأعظم من ذوي الإرجاء جرما   وعيدي أصر على الكبائر[٣]

ويقول ابن تيمية :" والمعتزلة وعيدية في باب الأسماء والأحكام "[٤].

٧. مخانيث الخوارج :

يقول البغدادي : " ثم إن واصلا وعمرا وافقا الخوارج في تأبيد عقاب صاحب الكبيرة في النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر ولهذا قيل للمعتزلة إنهم مخانيث الخوارج لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود في النار سموهم كفرة وحاربوهم، والمعتزلة رأت لهم الخلود في النار ولم تجسر على تسميتهم كفرة ولا جسرت على قتال أهل فرقة منهم فضلا عن قتال جمهور مخالفيهم" [٥].

ولهذا نسب إسحاق بن سويد العدوي واصلا وعمرو بن عبيد إلى الخوارج لاتفاقهم على تأبيد عقاب أصحاب الذنوب فقال في بعض قصائده :

---

[١] المعتزلة لزهدي جار الله ص١٠

[٢] المعتزلة لجار الله ص١٠ وموقف المعتزلة من السنة النبوية ص١٣

[٣] الفرق بين الفرق ص١٩١

[٤] مجموع الفتاوى (٥٥/٦)

[٥] الفرق بين الفرق ص١١٩

برئت من الخوارج لست منهم من الغـــزال منهم وابن بـــاب
ومن قوم إذا ذكروا علـــيـــا يردون السلام على السحاب[1]

وقد سبهم بديع الزمان الهمداني بأنهم مخانيث الخوارج[2] ويقول أحمد أميـــن: "فالمعتزلة بالنسبة للخوارج كالمخانيث من الرجال"[3].

٨- مخـــانيث الفلاســفة :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " ومن الناس من يقول المعتزلة مخـــانيث الفلاســفة لأنه لم يعلم أن جهما سبقهم إلى هذا الأصل أو لأنهم مخانيثهم من بعض الوجـــوه والشهر ستاني يذكر أنهم أخذوا ما أخذوا عن الفلاسفة "[4].

ويقول :"ومن الناس من يقول : المعتزلة مخانيث الفلاسفة وقد ذكـــره الآشـــعري وغيره. هذا لأن قائله لم يعلم أن جهما سبق هؤلاء إلى هـــذا الأصـــل أو لأنـــهم مخانيثهم من بعض الوجوه. وإلا فإن مخالفتهم للفلاسفة كبيرة جدا والشهر ســـتاني يذكر عن شيوخهم أنهم أخذوا ما أخذوا عن الفلاسفة"[5].

٩. مخانيث الجهميـــة :

يقول ابن تيمية :" فالمعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية"[6].

هذا وقد ذكر المقريزي في كتابه : المواعظ والاعتبار أســماء أخـــرى للمعتزلـــة أطلقها عليهم خصومهم منها :-

- الحرقية : لقولهم الكفار لا يحرقون إلا مرة .
- المفنية : لقولهم بفناء الجنة والنار .

---

(١) المصدر السابق ص١١٩

(٢) ظهر الإسلام (٥٩/٤-٦١)

(٣) المصدر السابق (٥٩/٤-٦١)

(٤) مجموع الفتاوى (٢٢٧/٨)الفتاوى الكبرى (٦٤٣/٦)

(٥) المصدر السابق (٣٤٩/١٤)

(٦) مجموع الفتاوى (٢٢٧/٨) ، (٣٤٩/١٤) وقد كان للدكتور/ أحمد بن سعد الغامدي حفظه الله تحفظ على الألقاب الثلاثة الســابقة (السابع والثامن والتاسع)

- اللفظية : لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة .
- الملتزمة : لقولهم الله تعالى في كل مكان .
- القبرية : لإنكارهم عذاب القبر .
- الواردية : لقولهم لا يدخل المؤمنون النار وإنما يردون عليها ومن أدخل النار لا يخرج منها قط .
- الواسطية
- الوهمية
- الأحمدية[١]

ب) ما أطلقه المعتزلة على أنفسهم :-

١ - المعتزلة بمعنى أهل التقى والمجانبين للأقوال المحدثة والمبتدعة. يقول ابن المرتضى :" أما أسماؤهم فقلنا يسمون المعتزلة .. ويحتجون للاعتزال أي لفضله بقوله تعالى (واعتزلكم)[٢] ونحوها وهو قوله تعالى (واهجرهم هجرا جميلا)[٣] وليس إلا بالاعتزال عنهم واحتجوا من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم " من اعتزل من الشر سقط في الخير[٤] " .

ويقول :" إنه لما خالف واصل أقوال أهل زمانه في الفاسق واعتزلها كلها واقتصر على المجمع عليه وهو تسميته فاسقا ورجع عمرو بن عبيد إلى قوله بعد مناظرة وقعت بينهما سمي وأصحابه معتزلة لاعتزالهم كل الأقوال المحدثة والمجبرة تزعم أن المعتزلة لما خالفوا الإجماع في ذلك سموا معتزلة قلت لم يخالفوا الإجماع بل عملوا بالمجمع عليه في الصدر الأول ورفضوا المحدثات المبتدعة[٥] " .

---

(١) (٣٤٨/٢)
(٢) الآية "واعتزلكم وما تدعون من دون الله " مريم آية ٤٨
(٣) المزمل آية ١٠
(٤) المنية والأمل ص٢٥ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ١٦٥
(٥) المنية والأمل ص ١٢٤

وتقدم أن هذا الكلام ما هو إلا محاولة من المعتزلة لتغطية النقص الذي يشعرون به من جراء هذا الاسم ووسيلة تمكنهم من منع استغلال أعدائهم له في التحامل عليهم والنيل منهم وإلا فإنهم في حقيقة الأمر لا يرتاحون إليه .

٢ـ أهل العدل والتوحيد :

يقول المقبلي :" وتسمي المعتزلة نفسها بالعدلية وأهل العدل والتوحيد "[١] وفي موضع آخر يقول :" المعتزلة يسمون نفوسهم العدلية أو أهل العدل والتوحيد "[٢] .

وذكر ابن المرتضى أن المعتزلة يسمون بالعدلية والموحدة[٣].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك بقوله :" إن الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم على نفي شئ من الصفات يسمون فعلهم هذا توحيدا وطائفتهم االموحدين ويسمون علمهم علم التوحيد كما أن المعتزلة ومن وافقهم يسمون نفي القدر عدلا ويسمون أنفسهم العدلية وأهل العدل"[٤] وكذلك ابن قيم الجوزية[٥]والشهر ستاني[٦]. ويقول أحد الباحثين المحدثين عن المعتزلة إنهم: " كانوا يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد. أما التوحيد فلأنهم نفوا صفات الله عز وجل وعدوا القول بها تعديدا لله أما العدل فلأنهم نزهوا الله عما يقول خصومهم من أنه قدر على الناس المعاصي ثم عذبهم عليها وقالوا إن الإنسان حر فيما يفعل ومن أجل هذا عُذِّب على ما يفعل وهذا عدل" [٧].

وجاء في صبح الأعشى أن المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويعنون بالعدل نفي القدر والقول بأن الإنسان هو موجد أفعاله تنزيها لله تعالى من أن

---

[١] العلم الشامخ ص ٣٦٨ وانظر الملل والنحل (١/ ٣٨) الحور العين ص ٢٦٠

[٢] المصدر السابق ص٥١٣-٥١٤

[٣] المنية والأمل ص ٢٥

[٤] مجموع الفتاوى (٣٥٢/١٧)(١٧٦/٥-١٧٧)

[٥] الصواعق المرسلة (١٨٥/١-١٨٦)

[٦] الملل والنحل (٣٨/١)

[٧] أحمد أمين . فجر الإسلام ص ٢٩٦ . موقف المعتزلة من السنة النبوية ص١٧ – ١٨

يضاف إليه الشر ويعنون بالتوحيد نفي الصفات القديمة والدفاع عن وحدانيـــة الله عز وجل[١] .

والمعتزلة يفضلون أن يدعوا بهذا الاسم . وكان الصاحب بن عباد - أحد أشياخهم - إذا تحدث عنهم لا يستعمل غير هذا الاسم[٢] ذلك لأنه إضافة إلى المعنى الحسن الذي يتضمنه والذي كان يحوز رضى المعتزلة وقبولهم التامين ـ مشتق من أهـم قاعدتين من قواعد الاعتزال اللتين كانت تدور حولهما أكثر تعاليمهم ومعتقداتـــهم وهما أصل العدل وأصل التوحيد[٣]. يقول القاضي عبد الجبار " وإنما تسمينا بأهل التوحيد والعدل لأننا أثبتناه واحداً عدلاً"[٤].

٣. أهل الحق و الفرقة الناجية ولسان الكلام والمنزهون الله عن النقص :

يقول المقبلي:" وتسمي المعتزلة نفسها بالعدلية .. أهل الحـــق و الفرقـــة الناجيـــة والمنزهون الله عن النقص وغير ذلك وتسمي خصومها بالمجبرة القدرية المجـوزة المشبهة الحشوية المرجئة وغير ذلك"[٥].

ويقول صاحب الحور العين :" والمعتزلة يسمون لسان الكـــلام[٦] " لأنـــهم كـــانوا يرون أنهم على الحق وأن غيرهم على الباطل. ويظهر أن هذه الفكرة كانت قديمة عندهم فإن أبا جعفر المنصور لما قال لعمرو بن عبيـــد يـــا أبـــا عثمـــان أعنـــي بأصحابك. قال ارفع علم الحق يتبعك أهله[٧].

---

[١] صبح الأعشى (٢٥١/١٣)

[٢] معجم الأدباء (١٩٠/٦،٢٨٦)

[٣] المعتزلة لزهدي جار الله ص٦

[٤] المحيط بالتكليف ص٤٢٢

[٥] العلم الشامخ ص٣٦٨

[٦] الحور العين ص ٢٦٠

[٧] العقد الفريد (١٠٩/٣) (١٣٣/٢)(٣٠٥/٤-٣٠٦) الحور العين ص ٢٦٤

المسألة الثالثة :

تأريخ ومكان نشأة الاعتزال :

أ - تأريخ ظهور الاعتزال :

لقد اختلف الباحثون في وقت ظهور المعتزلة كاختلافهم في أصل تسميتها وذلك لأن كتاب الفرق والمؤرخين لم يستطيعوا تحديد السنة التي ظهرت فيها فرقة المعتزلة بسبب أن أصول التاريخ الإسلامي لم تعين ذلك ومع هذا فإن هذه الأقوال المختلفة كثير منها متقارب وليس بينه منافاة ولكي يكتمل البحث أذكر هذه الأقوال مبينا الراجح منها على النحو التالي : -

القول الأول : ما ذهب إليه صاحب كتاب أدب المعتزلة من أن تاريخ ظهورهم كان فيما بين سنة ٩٨هـ-١٠٠هـ وذلك لأنه يرى أن اكتمال عقلي واصل وصاحبه عمرو بن عبيد إنما يكون في حدود الثامنة عشرة من عمرهما[١].

القول الثاني : أن مدرسة المعتزلة بدأت بمواطنين من البصرة هما واصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد وكانت فترة نشاطهما أثناء خلافة هشام وخلفائه من الأمويين وذلك من سنة ١٠٥هـ إلى ١٣١هـ[٢].

القول الثالث : أن بداية ظهورهم كانت في البصرة بعد أن انشقوا عن حلقة الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠هـ وهذان المنشقان هما واصل بن عطاء وعمرو ابن عبيد وقد ولدا سنة ٨٠هـ .وعليه فلا يعقل أن يبدءا هذه الحركة الفكرية قبل العشرين من عمرهما وعلى ذلك تكون المعتزلة قد نشأت في بداية القرن الثاني الهجري في سنة محصورة بين (١٠٠و١١٠هـ)[٣] وهذا يوافق ما ذهب إليه المقريزي من أنهم ظهروا بعد المائة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة[٤]. وأيضا طاش كبرى زاده إذ يقول :" إن مبدأ شيوع الكلام كان بأيدي المعتزلة والقدرية في

---

[١] أدب المعتزلة ص١٠٩-١١٠ موقف المعتزلة من السنة النبوية ص٢٢

[٢] دائرة المعارف الإسلامية ص٤٢٢ موقف المعتزلة من السنة النبوية ص٢٢ وانظر قاضي القضاة في الإسلام لعصام شباروا ص٢٢٨

[٣] المعتزلة لزهدي جار الله ص١٢ الفرق الكلامية الإسلامية على المغربي ص٢٠٣

[٤] المواعظ والاعتبار (٣٥٧/٢) وقد وقع فيه خطأ من النساخ إذ الموجود في النسخة :"وفي أثناء ذلك حدث مذهب الاعتزال منذ الحسن بن الحسين البصري رحمه الله بعد المأتين من سني الهجرة " ومعلوم أن الحسن البصري مات بعد المائة الأولى سنة ١١٠هـ .

حدود المائة من الهجرة"[١] ويقول في موضع آخر : " وأول ما ظهر مذهب الاعتزال وشاع إنما ظهر من واصل بن عطاء"[٢].

وإلى هذا القول يذهب هنري كوربان في قوله :" يقصد بالمعتزلة جملة من المفكرين المسلمين نشأة في البصرة منذ النصف الأول في القرن الثاني للهجرة"[٣].

ونحو هذا ما قاله المستشرق هاملتون :" إن حركة الاعتزال بدأت في الواقع في نهاية القرن الأول الهجري كرد فعل للتطرف المذهبي لتعصب الخوارج من ناحية ولتراخي المرجئة من ناحية أخرى"[٤].

أما هنري لاووست فيقول :" تكاد تجمع المصادر على أن نشأة مذهب الاعتزال ترجع إلى اختلاف واصل بن عطاء مع شيخة الحسن البصري في الحكم على مرتكب الكبيرة واعتزاله مجلسه لهذا السبب "[٥] وهذه القصة المشهورة ذكرها أهل المقالات والفرق وتقدم تفصيل الكلام عليها.

وهكذا نستطيع القول أن المعتزلة قد ظهروا في أواخر القرن الأول في زمن الحسن البصري في مدينة البصرة المركز الثقافي المزدهر بمختلف النشاطات الفكرية بسبب انفصال واصل عن شيخه ليقرر ما ابتدعه من القول بالمنزلة بين المنزلتين[٦].

القول الرابع : إن نشأة الاعتزال تعود إلى أيام تنازل الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ حيث انصرف

---

[١] مفتاح السعادة (٢/١٦٦)

[٢] المصدر السابق (٢/١٦٣)

[٣] هنري كوربان تاريخ الفلسفة الإسلامية ص١٧٠

[٤] أصل العدل عند المعتزلة ص١٨

[٥] نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع ص ٧٨

[٦] موقف المعتزلة من السنة النبوية ص٢٢-٢٣

قوم من أصحاب علي ـ رضي الله عنه ـ واعتزلوا الناس ولزموا البيوت والمساجد قائلين نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك المعتزلة[1] .
ويقول الملطي :" وهم سموا أنفسهم معتزلة وذلك عندما بايع الحسن بن علي معاوية وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة[2] .

القول الخامس : ما ذهب إليه القاضي عبد الجبار وابن المرتضى من أن المعتزلة إنما تمتد في نشأتها إلى فجر الإسلام حيث تستند في نشأتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويستدلان على صحة قولهما بأن محمد بن الحنفية هو الذي ربى واصلا وعلمه حتى تخرج واستحكم وأخذ عنه علم الكلام .
يقول ابن المرتضى :" وسند المعتزلة لمذهبهم أوضح من الفلق إذ يتصل بواصل وعمرو اتصالا ظاهرا شاهرا وهما أخذا من محمد بن علي بن أبي طالب[*] وابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ، ومحمد هو الذي ربى واصلا وعلمه حتى تخرج واستحكم ومحمد أخذ عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "وما ينطق عن الهوى[**] " [3] .
ويقول القاضي عبد الجبار :" وسئل أبو هاشم بن محمد بن علي عن مبلغ علمه فقال : إذا أردتم معرفة ذلك فانظروا إلى أثره في واصل بن عطاء[4] .

---

[1] نظريات شيخ الإسلام ابن تيمية في السياسة والاجتماع ص٧٨

[2] التنبيه والرد ص ٤٩

[*] هذا باطل وليس بصحيح لأن محمد بن الحنفية توفي في السنة التي ولد فيها واصل بن عطاء وهي سنة ٨٠ أو ٨١هـ انظر دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية د/ عرفان عبد الحميد ص١١٦ ولهذا فإن بعض المصادر استبدلت اسم محمد بن الحنفية باسم ابنه أبي هاشم عبد الله . المصدر السابق ص١١٦

[**] النجم آية ٣

[3] المنية والأمل ص ١٢٥ وانظر فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ص ١٧

[4] فرق وطبقات المعتزلة ص ٣٠

ويقول أيضا :" ومن أولاد علي عليه السلام أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وهو الذي أخذ عنه واصل وكان معه في المكتب فأخذ عنه وعن أبيه "[1].

ويقول الخوارزمي :" وقد ذكرني ما رأيته قول من سئل عن أبي هاشم عبد الله ابن محمد ابن الحنفية رضي الله عنهم فقال له السائل : إني لم استكثر منه فصفه لي . فقال انظر إلى أثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فماذا أقول في جمـــر هذا شرره وفي سيف هذا أثره وفي كريم هذا نتائج سؤدده وآثار يده ..[2]".

وليس لنا أن نظن أن هذا السند بحذافيره من وضع ابن المرتضى فقد كان شـــيء منه معروفا قبله[3] فقد قال الشهر ستاني "ويقال أخذ واصل عن أبي هاشم عبـد الله ابن محمد ابن الحنفية"[4] وهذا ما أكده الحميري في الحور العين[5] والحيمي فـــي الروض النضير[6] والمقريزي في المواعظ والاعتبار[7]. ولكن يظـــهر أن ابـــن المرتضى هو الذي أكمله وأوصله إلى النبي صلى الله عليه وسلم[8]. غـــير أن آدم متز يرى أن هذا السند من وضع المعتزلة. حملهم على وضعه ونسبته إلى علـــي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن عددا كبيرا من الشيعة دخل في مذهب الاعـتزال في القرن الرابع الهجري[9] ولذلك فهو لا يرد مفصلا إلا في كتاب إمـــام الزيـــود الشيعة في اليمن[10]. ويبرر بعض المحدثين فعل المعتزلة بأنهم كانوا متحمســـين

(1) المصدر السابق ص٣١-٣٢ مفتاح السعادة (١٦٣/٢) وقال إن واصلا أخذ الاعتزال عن أبي هاشم .
(2) رسائل الخوارزمي ص ٨٣
(3) المعتزلة لزهدي جار الله ص١٣
(4) الملل والنحل (٤٤/١)
(5) الحور العين ص٢٦٠
(6) الروض النضير (٩٩/١)
(7) المواعظ والاعتبار (٣٤٥/٢)
(8) المعتزلة لزهدي جار الله ص١٣
(9) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١/ ٣٣٢ ــ ٣٣٣)
(10) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٣

لمذهبهم مؤمنين به فأسرفوا في الدعاية له فجرهم ذلك إلى نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

*** بيان القول الراجح من الأقوال السابقة :-**

بعد ذكر الأقوال في تأريخ نشأة الاعتزال أبين أن الراجح من هذه الأقوال هو قول من يرجع النشأة إلى الانشقاق الحاصل من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد عن حلقة أستاذهما الحسن البصري. والذي كان في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين وأما عن تحديد هذا الانشقاق بتاريخ معين بناء على اعتبارات معينة فأقول إن هذا مجرد ظن والظن لا يغني من الحق شيئا لأن التحديد بالدليل المعتبر حكم وبغيره تحكم ونحن هنا أمام بحث وتجرد فلا بد أن يكون التحديد مبنيا على أسس لا يتطرق الشك إليها وبناءا عليه نجد أن الأقوال الثلاثة الأولى متقاربة والفرق بينها يسير ليس ذا تأثير . وأما سبب الترجيح فقد تقدم ذكره عند الكلام على الرأي الثالث من الآراء المذكورة في أصل تسمية المعتزلة بذلك وأنه مبني على النقول التاريخية وأقوال الأساطين الذين كتبوا في الفرق والمقالات بل ومن أقوال كبار المعتزلة أنفسهم واعترافهم بذلك فكان القول الموافق للعقل والنقل.

وأما عن نسبة الاعتزال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه أمر غريب جدا والمغالاة في إسناده واضحة لا تحتاج إلى دليل فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم معتزليا ولم يعرف عنه ذلك قط إذ الثابت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن الجدل في مسائل العقيدة والخلاف فيها ، بل إنه عليه الصلاة والسلام حذر أصحابه بأن الأمم قبلهم ما هلكت إلا بسبب هذا الاختلاف. والإسلام الذي بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم جاء لجمع هذه الأمة على كلمة سواء هي الحق المبين لا ليفرقها شيعا وأحزابا كما أن الصحابة الكرام – رضي الله

(1) أصل العدل عند المعتزلة ص ٢١

عنهم – كلهم كانوا على عقيدة واحدة رباهم عليها من أرسله الله رحمة للعالمين فكيف يقال إنهم على عقيدة المعتزلة ؟! إنها دعاوى لا طائل تحتها فالشيعة تنسب التشيع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل التصوف يجعلون الخلفاء الأربعة أئمة الهدى رؤوسا للتصوف ، فلا يستبعد أن يأتي منحرف آخر فينسب إليهم ما هم منه براء كالاعتزال وغيره بل إن الشريف المرتضى في أماليه يقف في روايته عند علي رضي الله عنه ولا يرفعها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[1]. وما هذا إلا دليل على التناقض الصريح والكذب الذي لا مرية فيه. وغاية ما يمكن أن يعطوه من تبرير هو أنهم كانوا متحمسين لمذهبهم مؤمنين به فأسرفوا في الدعاية إليه فجرهم ذلك إلى نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[2] وهذا " اتجاه غريب لأن المعتزلة مدرسة فكرية ذات خصائص ومبادئ معينة ولها صبغتها التاريخية بسبب ردود أفعال لتقلبات دينية واتجاهات فكرية فكيف ترتبط بزمان معين هو بداية القرن الهجري الأول ؟ ورجل معين وهو واصل بن عطاء الغزال ؟ وحادثة معينه هي خلاف واصل مع أستاذه الحسن البصري وانفصاله عنه ؟ إن مذهب الاعتزال في أصوله الخمسة الأساسية المعروفة وهي : " التوحيد – العدل –الوعد والوعيد – المنزلة بين المنزلتين – الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " هو مذهب ذو صفة دينية واضحة ولم يترتب عليه وجهات سياسية عملية إلا من خلال هذه الأصول الخمسة لأن الإسلام كما هو معروف دين ودنيا والقول بالمنزلة بين المنزلتين في الحكم على مرتكبي الكبائر كان محل خلاف بين طوائف المسلمين فكيف التصور بعد هذا أن مذهب الاعتزال مأخوذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي وضع قواعد الدين وأصوله وفروعه كلا موحدا لا خلاف فيه ولا وجهات نظر ولا مذهب[3] " .

---

[1] (١/١٠٣)

[2] أصل العدل عند المعتزلة ص٢١

[3] المصدر السابق ص ٢٠-٢١

يقول القاضي عبد الجبار في بيان أن مذهب المعتزلة هو الحق وأنه مذهب السلف الصالح القائم على الأدلة من الكتاب والسنة :" يجب أن أملي كتابا في أن مذهب المعتزلة هو الذي يقتضيه العقل والكتاب والسنة وهو الذي مر عليه السلف والخلف "[١] وفي موضع آخر يقول :" فالمتمسك بالكتاب والسنة هم أصحابنا "[٢] وهذا ادعاء غير صحيح لأن العقل مقدم عندهم على النص. وبطلان كلام المعتزلة هذا يدركه من له أدنى معرفة بعقيدة أهل السنة والجماعة التي يخالفون بها المعتزلة تمام المخالفة في قضايا الإيمان بصفات الله تعالى ورؤيته في الآخرة والقدر والحكم على مرتكب الكبيرة وكون القرآن منزلا غير مخلوق وتقديم السمع على العقل وغيرها. ونسبة مذاهبهم إلى بعض التابعين من السلف يذكرها المعتزلة في كتبهم ولا دليل لهم على ذلك فما عرف من أحوال هؤلاء وأقوالهم ومواقفهم يدل على مخالفتهم للمعتزلة[٣]. ويقول صاحب مذاهب الإسلاميين بعد نقله وضع ابن المرتضى الخلفاء الراشدين في الطبقة الأولى من طبقات المعتزلة " وواضح أن ادراج هؤلاء ضمن المعتزلة إنما قصد به بيان أن المعتزلة هي اتقى الفرق وأبرها[٤] ".

وأما محاولة وصل المعتزلة بعلي بن أبي طالب لكون حفيده أبي هاشم وضع قواعد الاعتزال فهي محاولة أشبه باللزوم وتفتقر إلى ما يثبتها ، إذ ليست لدينا أخبار عن اعتزال محمد بن الحنفية والمأثور عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – إنما هو النهي عن الخوض في القدر وقد أورد الاسفراييني هذه الرواية في كتابه التبصير في الدين وذكر أن أبا القاسم بن حبيب أوردها في تفسيره بإسناده[٥] وقد حاول ابن المرتضى أن ينسب علي بن أبي طالب إلى الاعتزال ليثبت في

[١] فضل الاعتزال ص وطبقات المعتزلة ص ١٣٨

[٢] المصدر السابق ص ١٨٦

[٣] القضاء والقدر ١٣٠-١٣١

[٤] مذاهب الإسلاميين . عبد الرحمن بدوي (٤٠/١)

[٥] ص ٩٤

النهاية أن مذهب المعتزلة لم يخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة ما دام سند المذهب يعود إلى على رضي الله عنه[1].

وأما من قال إن تاريخ النشأة بدأ في قوم من أصحاب علي رضي الله عنه اعتزلوا السياسة وانصرفوا إلى العلم والعبادة عندما تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم[2] فهو أيضا قول مردود ذلك لأن المعتزلة الأسبقين اشتغلوا بالعلم والعبادة أيضا واعتزلوا عليا ومعاوية ــ رضي الله عنهما ــ وجميع أشياعهما ؟ فلماذا إذن نعين هؤلاء على أنهم أسلاف المعتزلة دون الأولين ؟ وإذا كان في الأولين رجل كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يصح أن يكون سلفا للمعتزلة لأنهم يزعمون أنه حشوي فمن أدرانا أنه لم يكن بين معتزلة عام الجماعة أحد يهتم بعلم الرواية فقط دون علم الدراية ويتقبل كثيرا من الأحاديث دون محاولة لتمييز صحيحها من زائفها وهو ما تعنيه كلمة حشوي لدى المعتزلة " هل وصل إلينا ثبت بأسماء كل هؤلاء المعتزلة لنرى من منهم يصلح أن يكون سلفا لرجال واصل بن عطاء ومن لا يصلح .. الذي يبدو لي أن هذا الرأي الذي استند إلى نص للملطي لا يفترق كثيرا عن سابقه – أي أنهم ممن اعتزل عليا ومعاوية – سوى أنه يحدد هؤلاء بأنهم كانوا من أصحاب علي وأن اعتزالهم كان بعد تنازل الحسن لمعاوية ومثل هذه الفروق غير جوهرية[3] ".

وهنا أمر يجدر التنبيه عليه وهو هل الحسن البصري كان شيخا لواصل بن عطاء في الاعتزال وأن واصلا أخذ الاعتزال عنه[4]. ذلك لأن من المعتزلة من ينسب مذهبهم إلى الحسن البصري[5]. ويؤيد ابن المرتضى ذلك معتبرا الحسن واحدا منهم لقوله بالعدل ونفى القدر في رسالة بعث بها إلى عبد الملك بن مروان[6]

---

(1) نشأة الأشعرية وتطورها ص١٢١

(2) التنبيه والرد ص٤٩

(3) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٥٨-٥٩

(4) الملل والنحل (١/ ٤٤)

(5) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٨٦ – ٨٧

(6) الملل والنحل (٤٢/١) ويقول في المنية والأمل : رسالته إلى عبد الملك مشهورة ص ١٣٣

وأن الخلاف بين الحسن وواصل حول مسألة واحدة وهي المنزلة بين المنزلتين لا يوجب اختلافهما في كل المسائل لا سيما وواصل تلميذ الحسن وعنه تلقى معارفه[1]. وهو ما قرره أبو بكر الخوارزمي من أن المعتزلة كانوا يعتدون بالحسن البصري وجعل ذلك في مصاف اعتداد الصحابة بالنبي صلى الله عليه وسلم والشيعة بالوصي والحجازيين بالشافعي والزيدية بزيد بن علي والإمامية بالمهدي[2]. فإن كان واصل قد انشق عن الحسن البصري في مسألة مرتكبي الكبائر فلا يمنع أن يكون تبعه في الأصول الأخرى كنفي القدر[3].

ويقول هاملتون :" مما يسبب كثيرا من الارتباك أن الحسن البصري وأبا حنيفة قد وصفا بآرائهما الصريحة أساس مذهب الاعتزال [4] " .

ويروي المعتزلة عن داوود بن أبي هند أنه قال سمعت الحسن يقول : " كل شئ بقضاء الله وقدره إلا المعاصي[5].

والرد على هذا الدعوى الباطلة يسير –ولله الحمد – أجمله فيما يلي :

١- أن الحسن البصري لا يمكن اعتباره معتزليا لكونه يرى أن القول بالمنزلة بين المنزلتين بدعة يخرج صاحبها عن عقيدة الجماعة[6].

٢- أن المعتزله أنفسهم لا يقطعون بنسبة الحسن إليهم ولذا نرى ابن المرتضى لما ذكر الحسن وقوله في القدر قال : " فإن قلت فقد روى أيوب أتيت الحسن فكلمته في القدر فكف عن ذلك. قلت : قد روى أنه خوفه بالسلطان فكف عن الخوض فيه[7] " ولكن هل الحسن البصري يخاف السلطان وهو الرجل الذي عرف بجهره بالحق والصدع به[8].

---

(1) موقف المعتزلة من السنة النبوية ص٢٧

(2) رسائل الخوارزمي ص ٦٣

(3) المعتزلة زهدي جار الله ص١٤

(4) أصل العدل عند المعتزلة ص ٢٠

(5) المنية والأمل ص ١٣٣

(6) موقف المعتزلة من السنة النبوية ص٢٧

(7) المنية والأمل ص ١٣٦ ــ ١٣٧

(8) انظر على سبيل المثال المصدر السابق ص ١٣٥ - ١٣٦

٣- أنه على فرض التسليم بكون الحسن موافقا للمعتزلة في القدر فإن هذا لا يبرر الحكم بأن الحسن البصري هو أصل مذهب الاعتزال وأن واصلا قد أخذه عنــه ، ذلك لأن المعتزلة أنفسهم لا يطلقون هذا الاسم إلا على من جمع القول بــالأصول الخمسة وهي : التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المــنزلتين والأمــر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلا فليس معتزليا[1] فلو كان الحسن قد قال بــأصل أو أصلين من أصولهم فإن هذا لا يقتضي أن يكون معتزليا - لما تقدم - فضــلا عن أن يكون هو مؤسس مذهب الاعتزال فكيف وهو لم يقل بذلك أصلا. إن "هــذا أكبر دليل على أن غرضهم هو التشرف بانتسابه إليهم وإلا فكيف عدوه منهم ولــم يقل بأصولهم كلها[2]" بل ولا بعضها .

٤- أن هذه الرسالة المنسوبة إلى الحسن البصري يقول عنــها الشــهر ســتاني : "ورأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصري كتبها إلى عبد الملك بن مــروان وقــد سأله عن القول بالقدر والجبر فأجابه بما يوافق مذهب القدرية واستدل فيها بآيــات من الكتاب ودلائل من العقل ولعلها لواصل بن عطاء[*] فما كــان الحســن ممــن يخالف السلف في أن القدر خيره وشره من الله تعالى فان هذه الكلمــة كــالمجمع عليها عندهم[3] " فهذه الرسالة إذن لم تصح نسبتها إلى الحسن البصري والمعتزلــة ينسبون إلى الحسن أقوالا بروايات منقطعة فمثلا نجد أن ابن المرتضى حين ذكــر أهل العدل والتوحيد عد منهم الحسن البصري وترجم له ترجمة طويلة ولمــا أراد أن يثبت أنه من أهل العدل قال : " فمن تصريحه بالعدل ما رواه علي بن الجعــد قال : سمعت الحسن يقول : من زعم أن المعاصي من الله عز وجل جــاء يــوم القيامة مسودا وجهه وقرأ (ويوم القيامة ترى الذين كذبــوا علــى الله وجوهــهم

---

(1) الانتصار ص١٨٨ مروج الذهب (٣/٢٣٥)

(2) القضاء والقدر ص١٣٣

(*) قوله لعلها لواصل بن عطاء ترفضه الحقيقة التاريخية لأن واصلا ولد سنة (٨٠هــ) وتوفي عبد الملك عام (٨٦هــ) فكم كان سن واصل حين كتب رسالته المزعومة . تاريخ المعتزلة السياسي ص ٢٦

(3) الملل والنحل (١ / ٤٢)

مسودة)[1][2] وعلي بن الجعد هذا الذي يقول سمعت الحسن لم يسمع منه ولم يلقه إذ أنه ولد سنة ١٣٤ هـ والحسن مات سنة ١١٠ هـ فكيف يسمع منه وبينهما مفازة تنقطع فيها أعناق الإبل إن هذا مما يدل على أنها منقطعة[3] .

٥- أن هناك من الروايات ما ينفي نسبة الحسن البصري إلى القول بالقدر على مذهب المعتزلة فقد روى ابن سعد في طبقاته عن عمر مولى غفره قال : كان أهل القدر ينتحلون الحسن بن أبي الحسن وكان قوله مخالفا لهم. كان يقول يا ابن آدم لا ترض أحدا بسخط الله ولا تطيعن أحدا في معصية الله ولا تحمدن أحدا على فضل الله ولا تلومن أحدا فيما لم يؤتك الله إن الله خالق الخلق والخلائق فمضوا على ما خلقهم عليه فمن كان يظن أنه مزداد بحرصه في رزقه فليزدد بحرصه في عمره أو يغير لونه أو يزيد في أركانه أو بنانه "[4] .

وما رواه عبد الله بن الإمام أحمد بسنده أن مرحوم بن عبد العزيز العطار قال : "سمعت أبي وعمي يقولان سمعنا الحسن وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهني يقول: لا تجالسوه فإنه ضال مضل "[5] وروى بسنده أيضا عن قتادة عن الحسن قال :" من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن"[6] وروى أيضا أن حميد الطويل قال : "قرأت على الحسن في بيت أبي خليفة القرآن أجمع من أوله إلى آخره فكان يفسره على الإثبات[7] " قال الحافظ ابن حجر : " يعني على إثبات القدر "[8]

---

(1) الزمر آية ٦٠

(2) أمالي المرتضى (١٥٣/١)

(3) أنظر حاشية أمالي المرتضى لمحمد أبو الفضل إبراهيم (١٥٣/١)

(4) الطبقات الكبرى (١٧٥/٧)

(5) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٣٩١/٢) وقال المحقق إسناده ضعيف

(6) المصدر السابق (٤٢٥/٢) وإسناده صحيح . ورواه أيضا عبد الرزاق في المصنف رقم ٢٠٠٨٥ (١١٩/١١) رقم ١٢٥٤

(7) السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٢٨)

(8) تهذيب التهذيب (٢٧٠/٢)

وروى أن خالد الحذاء قال للحسن البصري أرأيت آدم للجنة خلق أم للأرض ؟ قال للأرض قال قلت : أرأيت لو اعتصم ؟ قال :" لم يكن بد من أن يأتي على الخطيئة[1] .

وروى أن منصور بن عبد الرحمن قال سألت الحسن عن قوله " ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك[2] " فقال : الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك ومن رحم غير مختلف قلت ولذلك خلقهم قال : نعم خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره وخلق هؤلاء لرحمته وخلق هؤلاء لعذابه[3] ".

وروى عنه أيضا أنه قال للحسن قوله " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها "[4] . قال سبحان الله ومن يشك في هذا كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله قبل أن يبرأ النسمة[5].

وروى الخلال عن علي بن عيسى أن حنبل بن إسحاق حدثهم قال :" قال أبو عبدالله ونؤمن بالقدر خيره وشره قال ومن قال : بالقدر وعظم المعاصي ؟ فهو أقرب مثل الحسن وأصحابه قلت : من أصحاب الحسن قال علي الرفاعي ويزيد الرقاشي ونحوهم ومن قال بالإبطال بالرؤية كان أشد قولا وأخبث [6].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " والقدرية المحتجون بالقدر على المعاصي شر من القدرية المكذبين بالقدر وهم أعداء الملل وأكثر ما أوقع الناس في التكذيب بالقدر احتجاج هؤلاء به ولهذا اتهم بمذهب القدر غير واحد ولم يكونوا قدرية بل كانوا لا يقبلون الاحتجاج على المعاصي بالقدر كما قيل للإمام أحمد : كان ابن أبي ذئب قدريا. فقال : الناس كل من شدد عليهم المعاصي قالوا : هذا قدري. وقد قيل إنه بهذا السبب نسب إلى الحسن القدر لكونه كان شديد الإنكار للمعاصي ناهيا

---

[1] السنة (٢/ ٤٢٨)

[2] هود آية ١١٨-١١٩

[3] المصدر السابق (٢/٤٣٠)

[4] الحديد آية ٢٢

[5] المصدر السابق (٢/٤٣٣-٤٣٤)

[6] السنة (٣/٥٤٦-٥٤٧) وقال المحقق في إسناده علي بن عيسى — ابن الوليد — لم أتوصل إلى معرفته

عنها ولذلك نجد الواحد من هؤلاء ينكر على من ينكر المنكر ويقول هؤلاء قدر عليهم ما فعلوه فيقال لهذا وإنكار هذا المنكر أيضا بقدر الله فنقضت قولك بقولك[1]".

وروى اللالكائي بسنده عن نعيم العنبري وكان من جلساء الحسن يقول في قوله عز وجل " وكان تحته كنز لهما "[2] . قال لوح من ذهب مكتوب فيها عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن .. "[3] . وروى بسنده عن تمام بن نجيح قال سمعت الحسن وأتاه رجل فأخذ بعنان دابته فقال :" أيها الضال المضل حتى متى تضل الناس " ؟.

قال وما ذاك ؟

قال تزعم أن من قتل مظلوما فقد قتل في غير أجله ، قال فمن يأكل بقية رزقه يالكع خل الدابة قتل في أجله .

قال : فقال الرجل والله ما أحب أن لي بما سمعت منك اليوم ما طلعت عليه الشمس "[4] وأن أبا خلده قال سمعت الحسن يقول الشقي من شقي في بطن أمه[5].

وعن عاصم قال سمعت الحسن يقول في مرضه الذي مات فيه " إن الله قدر أجلا وقدر معه مرضا وقدر معه معافاة فمن كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن ومن كذب القرآن فقد كذب بالحق[6] " وعن ابن عون قال سمعت الحسن يقول من كذب بالقدر فقد كفر[7].

---

(1) منهاج السنة (٣/٢٤-٢٥)

(2) الكهف آية ٨٢

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/٦٨٠)

(4) المصدر السابق (٤/٦٨١)

(5) المصدر السابق (٤/٦٨١)

(6) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/٦٨٢)

(7) تهذيب التهذيب (٢/٢٧٠) سير أعلام النبلاء (٤/٥٨١)

وعن عوف قال سمعت الحسن يقول :" من كذب بالقدر فقد كذب بالإسلام ثم قال إن الله خلق خلقا فخلقهم بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم أرزاقهم بقدر والبلاء والعافية بقدر "[١] قال أيوب :" أدركت الحسن والله وما يقوله يعني القدر" [٢].

٦- أنه قد اشتهر عن بعض المعتزلة القدرية أنهم يكذبون على الحسن البصري فقد روى كل من الإمام عبد الله بن أحمد في كتاب السنة والإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وغيرهما عدة روايات تدل على ذلك. منها ما رواه الإمام عبد الله بن أحمد قال : حدثنا أبي نا عبد الصمد نا حماد نا حميد قال : قدم الحسن مكة فقال لي فقهاء مكة الحسن ابن مسلم وعبد الله ابن عبيد: لو كلمت الحسن فأخلانا يوما ؟ فكلمت الحسن فقلت : يا أبا سعيد إخوانك يحبون أن تجلس لهم يوما قال : نعم . ونعمت عين فوعدهم يوما فجاءوا واجتمعوا وتكلم الحسن وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم فسألوه عن صحيفة طويلة فلم يخطئ فيها شيئا إلا في مسألة فقال له رجل: يا أبا سعيد من خلق الشيطان فقال سبحان الله سبحان الله وهل من خالق غير الله؟ ثم قال إن الله عز وجل خلق الشيطان وخلق الشر وخلق الخير. فقال رجل منهم : قاتلهم الله يكذبون على الشيخ "[٣] .

وقال حدثني أبي نا عفان نا حماد بن سلمة قال : كان حميد من أكفهم عنه قال فجاء ذات يوم إلى حميد قال فحدثنا بحديث قال عمرو : كان الحسن يقوله. فقال حميد : لا تأخذ عن هذا شيئا فإنه يكذب على الحسن كان يأتي الحسن بعدما أسن فيقول : يا أبا سعيد أليس تقول كذا وكذا للشيء الذي ليس هو من قوله قال فيقول الشيخ برأسه هكذا"[٤].

---

[١] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٨٢/٤)

[٢] الطبقات الكبرى (١٦٧/٧) سير أعلام النبلاء (٥٨٠/٤)

[٣] السنة (٤٢٧/٢)

[٤] المصدر السابق (٢/ ٤٣٦)

وروى بسنده إلى حماد بن زيد قال : قال رجل لأيوب: إن عمرو بن عبيد روى عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم معاوية على المنبر فاقتلوه فقال : " كذب عمرو"[1]. وروى بسنده أيضا إلى حماد بن زيد قال : قيل لأيوب : إن عمراً روى عن الحسن أنه قال : لا يجلد السكران من النبيذ قال كذب أنا سمعت الحسن يقول يجلد السكران من النبيذ"[2].

وقال حدثني أحمد الدورقي نا أبو داود عن حماد بن زيد قال : " كنا نذكر عمرا عند أيوب وما يروي عن الحسن فيقول : كذب "[3].

وروى بسنده عن عباد بن منصور قال سمعت أنا وعمرو بن عبيد من الحسن تفسير "هود والرعد " فلما كان بعد ذلك فإذا هو قد أخرجها أكثر مما سمعنا فقلت له : يا أبا عثمان سمعت أنا وأنت من الحسن فما هذه الزيادة ؟ قال : هذا كلام قد زدته أرقق به قلوبهم "[4].

وروى بسنده عن بكر بن حمران قال كنا عند عوف فقال له رجل : ما تقول في كذا وكذا ؟ قال لا أدري. قال : كان عمرو بن عبيد يقول عن الحسن كذا وكذا. قال : مالنا ولعمرو ؟ عمرو يكذب على الحسن[5] ".

وروى الإمام اللالكائي بسنده أن حماد بن زيد قال : سمعت أيوب يقول :كذب على الحسن البصري صنفان من الناس : قوم القدر رأيهم فهم يريدون أن ينفقوا بذلك قولهم وقوم في قلوبهم له شنئان ، وبعض يقولون : من قوله كذا وليس من قوله كذا "[6].

فدلت هذه الروايات على أن من المعتزلة من كذب على الحسن ونسب إليه ما لم يقله خاصة أن هذه الروايات السابقة متعلقة بباب القدر وإذا كان الحسن البصري

---

(1) المصدر السابق (٢/ ٤٣٨)

(2) المصدر السابق (٢/ ٤٣٩)

(3) المصدر السابق (٢/ ٤٣٩)

(4) المصدر السابق (٢/٤٤٠)

(5) المصدر السابق (٢/٤٤١-٤٤٢)

(6) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٦٨١-٦٨٢) وانظر سير أعلام النبلاء (٤/٥٧٩ – ٥٨٠)

بريء من كذبهم فهو ولله الحمد على منهج السلف الصالح ولا يثبت كونه قدريا أو أنه كان يقول بقولهم .

قال الأوزاعي : " لم يبلغنا أن أحدا من التابعين تكلم في القدر إلا الحسن ومكحول فكشفنا عن ذلك فإذا هو باطل "[١] .

٧- أنه على فرض صحة قول الحسن البصري بالقدر فهو إما أنه رجع عنه أو أنّ كلامه حُمِّلَ ما لا يحتمل ولوي عنقه حتى يوافق ما عليه أهل القدر. فأما قولي إنه رجع عنه فقد استقيته من الرواية التي رواها اللالكائي بسنده عن أيوب قال : "نازلت الحسن في القدر فقال : إني لست بعايد فيه "[٢] . وبما رواه معمر عن قتادة عن الحسن قال :" الخير بقدر والشر ليس بقدر قال أيوب فناظرته في هذه الكلمة فقال لا أعود [٣] ".

وأورد الذهبي في السير أن أيوب وحميدا خَوَّفا الحسن بالسلطان فقال لهما ولا تريان ذلك ؟ قالا لا . قال : لا أعود[٤].

ويقول ابن قتيبة :" إن الحسن البصري تكلم في شئ من القدر ثم رجع عنه[٥].

وقال سليمان التيمي : رجع الحسن عن قوله في القدر[٦].

وقال أبو سعيد ابن الأعرابي : " كان يجلس إلى الحسن طائفة من هؤلاء فيتكلم في الخصوص حتى نسبته القدرية إلى الجبر وتكلم في الاكتساب حتى نسبته السنة إلى القدر كل ذلك لافتتانه وتفاوتهم عنده وتفاوتهم في الأخذ عنه وهو برئ من القدر ومن كل بدعة "[٧].

---

[١] ميزان الاعتدال (١٧٨/٤)

[٢] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٨١/٤)

[٣] تهذيب التهذيب (٢٧٠/٢)

[٤] سير أعلام النبلاء (٥٨٠/٤) الطبقات الكبرى (١٦٧/٧) المنية والأمل ص ١٣٦ - ١٣٧

[٥] المعارف ص ١٩٥

[٦] سير أعلام النبلاء (٥٨٠/٤)

[٧] سير أعلام النبلاء (٥٨٢/٤-٥٨٣)

قال الذهبي : " وقد مر إثبات الحسن للأقدار من غير وجه عنه سوى حكاية أيوب عنه فلعلها هفوة منه ورجع عنها ولله الحمد "[1].

وقال أيضاً : " وأما مسألة القدر فصح عنه الرجوع عنها وأنها كانت زلقة لسان"[2]

ويقول صاحب مفتاح السعادة : " وكان تكلم في شئ من القدر فرجع عنه ثم أنكر عليه أشد الإنكار"[3] وقال ابن العماد الحنبلي :" وكان تكلم في شئ من القدر ثم رجع عنه "[4]

وأما قولي إن كلامه حمّل ما لا يحتمل : فلأن هناك من النصوص ما يؤيد ذلك ويبرؤه من القول بالقدر ابتداء فقد ذكر الإمام ابن بطة أن هذه الدعوى إنما نشأت في عصره وروى أثراً عن حمزة بن دينار يبين أصل هذه الشبهة قال فيه :"عوتب الحسن في شئ من القدر فقال كانت موعظة فجعلوها دينا "[5] .

ويقول الدكتور أحمد بن سعد حمدان : " فالحسن رحمه الله إنما كان يتحدث بالوعظ ترغيباً وترهيباً وليس في حديثه إذن تأسيس عقيدة أو نشأة مذهب "[6].

وروى الذهبي في السير عن ابن سيرين وقيل له في الحسن وما كان ينحل إليه أهل القدر ؟ قال كانوا يأتون الشيخ بكلام مجمل لو فسروه (له) لساءهم "[7].

ففهم الكلام على غير مراد المتكلم إما نقص في المستمع أو خبث منه أو أن المتكلم لا يحسن أن يعبر عما في نفسه

وهذا مردود لأن الحسن ثبت أنه كان من أفصح الناس وأحسنهم بياناً قال فيه أبو عمرو بن العلاء : " ما رأيت أفصح من الحسن والحجاج "[8].

---

(1) المصدر السابق (٤/ ٥٨٣)

(2) ميزان الاعتزال (٤٨٣/١)

(3) مفتاح السعادة (١٦٤/٢)

(4) شذرات الذهب (١٣٧/١)

(5) الإبانة لابن بطة (٢٦٧/٢) ميزان الاعتدال (٦٠٧/١)

(6) هامش شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٨٠/٤)

(7) سير أعلام النبلاء (٥٨٢/٤) في المتن " لو فسروه لهم لساءهم " ولا يتضح المعنى إلا بما ذكرت وقد مال إليه محقق الكتاب .

(8) المصدر السابق (٥٧٨/٤)

وعن ابن عون قال : " كان يشبه كلام الحسن بكلام رؤبة بن العجاج "[١]. وقال ابن سعد : " نشأ الحسن بوادي القرى وكان فصيحا "[٢]. فلم يبق إلا أن العيب والخلل جاء من السامع له. يقول ابن قتيبة : إن عطاء بن يسار ومعبد الجهني كانا يأتيان الحسن فيسألانه ويقولان يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون الأموال ويفعلون ويقولون إنما تجري أعمالنا على قدر الله . فقال كذب أعداء الله . – قال ابن قتيبة – فيتعلق عليه بمثل هذا وأشباهه "[٣] وكلام الحسن هذا مجمل يحتمل أوجها عدة فلماذا يُحْمَل على البعيد المرجوح ولا يحمل على القريب الراجح[٤].

ب) مكان نشأة الاعتزال :

اختلف أهل المعرفة في مكان نشأة المعتزلة على قولين هما :

١ـ أن الاعتزال نشأ بالبصرة وهو ما كاد الباحثون أن يجمعوا عليه[٥] بل إن معظم المصادر العربية تردد أن ظهور المعتزلة كان بالبصرة[٦].

٢ـ أن الاعتزال نشأ بالمدينة. يقول الملطي : " وبالبصرة أول ظهور الاعتزال لأن أبا حذيفة واصل بن عطاء جاء به من المدينة "[٧].

ويستند الملطي في قوله هذا إلى أن المعتزلة السياسيين كانوا بالمدينة حيث كان بها الزهاد والعباد أيضا وأن واصلا كان من أهل المدينة ولد فيها ونشأ وأنه عاش مع أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية والحسن ابنا محمد بن الحنفية وهما من

---

(١) الطبقات الكبرى (١٦٦/٧) المعارف لابن قتيبة ص ١٩٥ وزاد : في فصاحة لهجته وعربيته .

(٢) المصدر السابق (١٥٧/٧)

(٣) المعارف ص ١٩٥ وقال مثله صاحب شذرات الذهب (١٣٨/١)

(٤) فكيف إذا عرفنا أن الأثر الذي يحوي أصل الشبهة والذي رواه ابن بطة عن حمزة بن دينار أن الحسن عوتب في شئ من القدر فقال " كانت موعظة فجعلوها دينا " أنه ضعيف لجهالة حمزه بن دينار فقد نقل ابن حجر عن الذهبي قوله فيه : لا أعرفه. تهذيب التهذيب (٣٠/٣)

(٥) المعتزلة للمعتق ص ٢٩ والمعتزلة لزهدي جار الله ص ١٢

(٦) أصل العدل عند المعتزلة ص ١٩

(٧) التنبيه والرد ص ٥١

أهل المدينة فتلمذ واصل على يد محمد بن الحنفية في المدينة ولما مات محمد صحب ابنه أبا هاشم صحبة طويلة. يقول البلخي : " كان واصل بن عطاء من أهل المدينة رباه محمد ابن الحنفية بن علي بن أبى طالب وعلمه وكان مع ابنه أبى هاشم عبد الله بن محمد في الكتاب ثم صحبه بعد موت أبيه صحبة طويلة وحكى عن بعض السلف أنه قيل له كيف كان علم محمد بن علي فقال إذا أردت أن تعلم ذلك فانظر إلى أثره في واصل "[١] .

القول الراجح :-

الراجح أن : الاعتزال الذي جاء به واصل من المدينة ليس هو مبادئ المعتزلة ذات الصبغة الكلامية الجدلية لأن المدينة لم تعرف بهذا وإنما كانت مدينة فقه وحديث وإذاً فليس الاعتزال الذي جاء به واصل سوى اعتزال له صلة باعتزال الفتنة وقد كانت المدينة موئلاً لأهم أقطابه مثل عبد الله بن عمر وسعد ابن أبى وقاص رضي الله عنهم[٢] وهذا ما يؤكده شيخ الشيعة المفيد بنفيه ظهور الاعتزال قبل قصة واصل مع أستاذه الحسن البصري بقوله : " لم يكن قبل ذلك يعرف الاعتزال ولا كان علماً على فريق من الناس "[٣] .

وأما زعم بعضهم أن أول من قام بالاعتزال أبو هاشم عبد الله والحسن ابنا محمد ابن الحنفية فليس بصحيح وإنما هذا من وضع كبار المعتزلة الذين يحبون أن يكسبوا مذهبهم بعض الأصالة والقداسة في نسبته إلى ابني محمد بن الحنفية كي يصلوا من ذلك إلى نسبته إلى علي بن أبى طالب رضي الله عنه كما أنه ليس هناك أسانيد تثبت صحة ما زعموه. وأيضا فقد أثر عن علي رضي الله عنه النهي عن الخوض في القدر إضافة إلى أن واصلاً كان تلميذاً للحسن البصري وتربى على يديه ولم يفارقه إلا عندما خالفه في مسألة مرتكب الكبيرة فأبعده الحسن عن مجلسه[٤] .

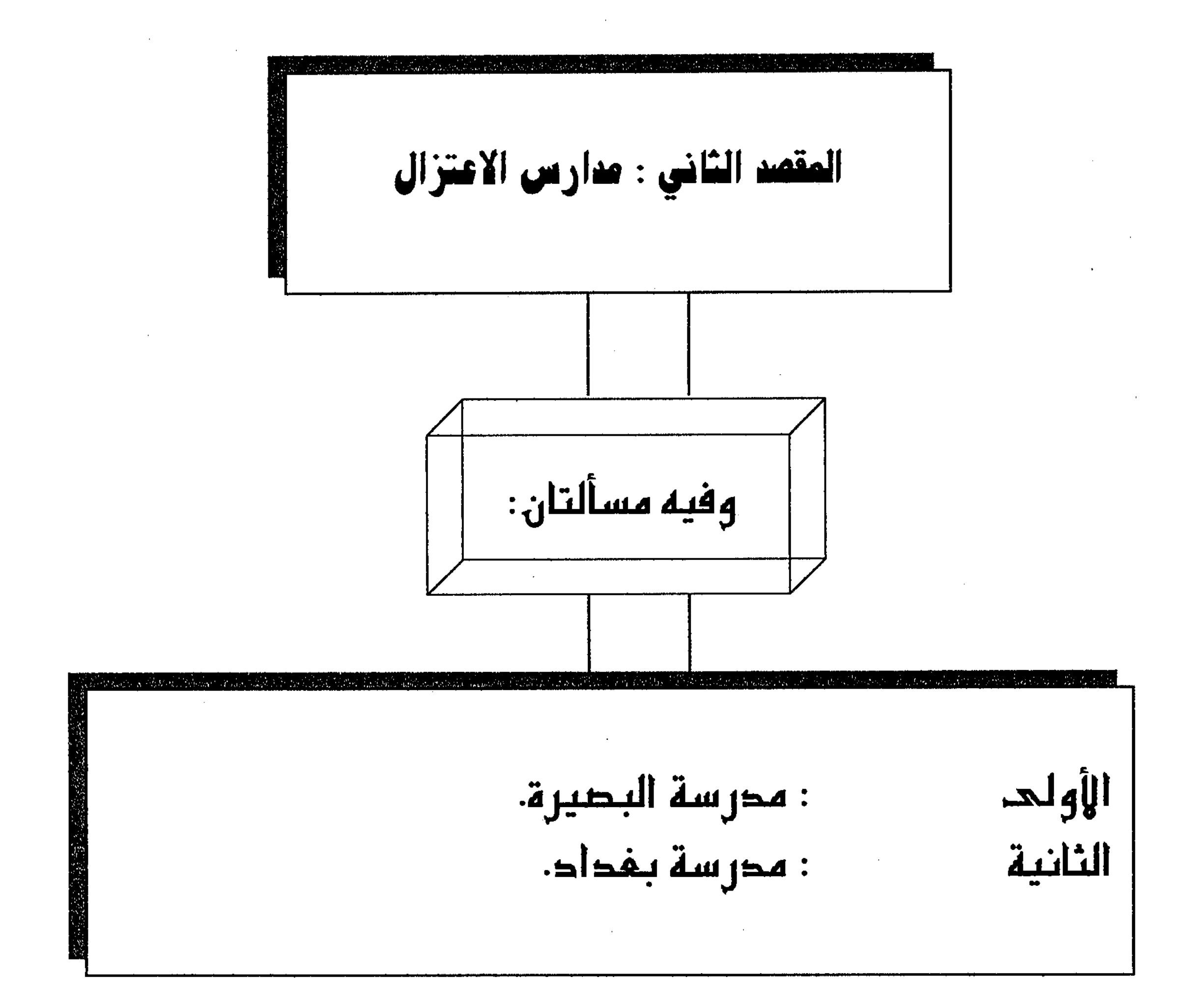
---

[١] فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٦٤ — ٦٥ وانظر رسائل الخوارزمي ص ٨٣

[٢] المعتزلة بين الفكر والعمل ص ٢٣

[٣] أوائل المقالات ص ٣٦ - ٣٧

[٤] المعتزلة لعواد المعتق ص ٢٩


المقصد الثاني : مدارس الاعتزال
وفيه مسألتان:
الأولى : مدرسة البصيرة.
الثانية : مدرسة بغداد.

المقصد الثاني : مدارس الاعتزال :-

نشأ الاعتزال في البصرة أول ما نشأ في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجريين ثم انتشر في العراق فاعتنقه من خلفاء بني أمية يزيد بن الوليد الملقب بالناقص ومروان بن محمد الملقب بالحمار آخر خلفاء بني أمية. يقول الإمام الشافعي :" ولي يزيد بن الوليد فدعا الناس إلى القدر وحملهم عليه "[١] .

ويقول المسعودي :" وكان يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه في الأصول الخمسة[٢] " بل إن المعتزلة تفضله على عمر بن عبد العزيز في الديانة.[٣] وهم الذين ساعدوه مساعدة فعالة كي يصل بقتل الخليفة السابق – الوليد بن يزيد – إلى سدة الخلافة[٤] .

وأما مروان بن محمد الملقب بالحمار فقد نسبه إلى الاعتزال والقدر الحافظ بن كثير وغيره[٥] لأنه كان تليمذا للجعد بن درهم حتى قيل مروان الجعدي. وكان الجعد قدريا[٦] فأخذ عنه ولما رمي الجعد بالزندقة انسحب هذا الوصف على مروان فطعن في دينه ورمي بالزندقة أيضا[٧]. وإن كان بعض الباحثين يخالف في ذلك[٨]. ثم جاء بعدهم بنو العباس فكان منهم من كان يكره أهل الكلام كالمنصور ومنهم من كان يكره الاعتزال وأهله كالرشيد[٩] .

وكان منهم من رام الاعتزال واعتنقه كداود بن علي وغيره[١٠] وانتصر له بعضهم بخيله ورجله وامتحن الناس به كالمأمون والمعتصم والواثق[١١] حتى قيض الله

---

[١] شذرات الذهب (١٦٧/١) العقد الفريد (٢٠٩/٥) البداية والنهاية (١٨/١٠) .

[٢] مروج الذهب (٢٣٤/٣) فجر الإسلام ص ٢٩٥ .

[٣] مروج الذهب (٢٣٩/٣)

[٤] مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية ص ٨١مروج الذهب (٢٣٩/٣) ضحى الإسلام (٩٠/٣) المعتزلة لصبحي(٢٦١/١)

[٥] المختصر في أخبار البشر لابن كثير (٢١٢/١) فجر الإسلام ص ٢٩٥

[٦] البداية والنهاية (٣٦٤/٩) ، (٢١/١٠) الفهرست ص ٤٧٢ تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٧٨ .

[٧] الفهرست ص ٤٧٢ ابن خلدون في تاريخه (٢٨٢/٣)

[٨] مروان بن محمد وأسباب سقوط الدولة الأموية ص ٨٠ .

[٩] ضحى الإسلام (٨٤/٣)

[١٠] تاريخ الإسلام للذهبي (٢٤٢/٥) . مروان بن محمد ص ٨٠

[١١] مروج الذهب (٢ / ٢٧٨) ضحى الإسلام (٣ / ٩٣) (٣ / ٨٥) البداية والنهاية (١٠/ ٣٤٦ ، ٣١٩ ، ٢٧٨) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ١٣٦ .

المتوكل فنصر السنة وقمع البدعة واستأصل شأفة المعتزلة[1]. وفي هذا العصر العباسي أصبح للاعتزال مدرستان كبيرتان. الأولى : وهي الأصل والأسبق في الوجود[2] المدرسة النظرية[3] مدرسة البصرة التي أسسها واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٣١هـ والثانية وهي الفرع والمدرسة العملية[4] مدرسة بغداد التي أسسها بشر بن المعتمر المتوفى سنة ٢١٠هـ [5].

هذا وسيكون عرض رجال المعتزلة - بحول الله تعالى - عن طريق الكلام على هاتين المدرستين الكبيرتين دون عرضهم عن طريق الطبقات وذلك لأن التقسيم عن طريق الطبقات يراعي المنحى التاريخي وتسلسله، والتقسيم عن طريق المدارس يراعي الفوارق المذهبية.[6]

---

(1) البداية والنهاية (١٠/ ٣١٩، ٣٣٠، ٣٦٥ - ٣٦٦) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ للقرماني (٢ / ١١٢).
ويقول البيهقي : "ولم يكن في الخلفاء قبله - أي المأمون - من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم "البداية والنهاية (١٠/ ٣٤٦) وهذا الكلام مع صحته إلا أنه عام وقد ثبت عن بعض خلفاء بني أمية كيزيد الناقص ومروان بن محمد الملقب بالحمار ما يخالف مذهب السلف الصالح .

(2) ضحى الإسلام (٣ / ٩٦) المعتزلة لأحمد صبحي(١/ ٢٥٩) التنبيه والرد ص ٥١ - ٥٢ فرق وطبقات المعتزلة ص ١٣٣ التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٢٦ .

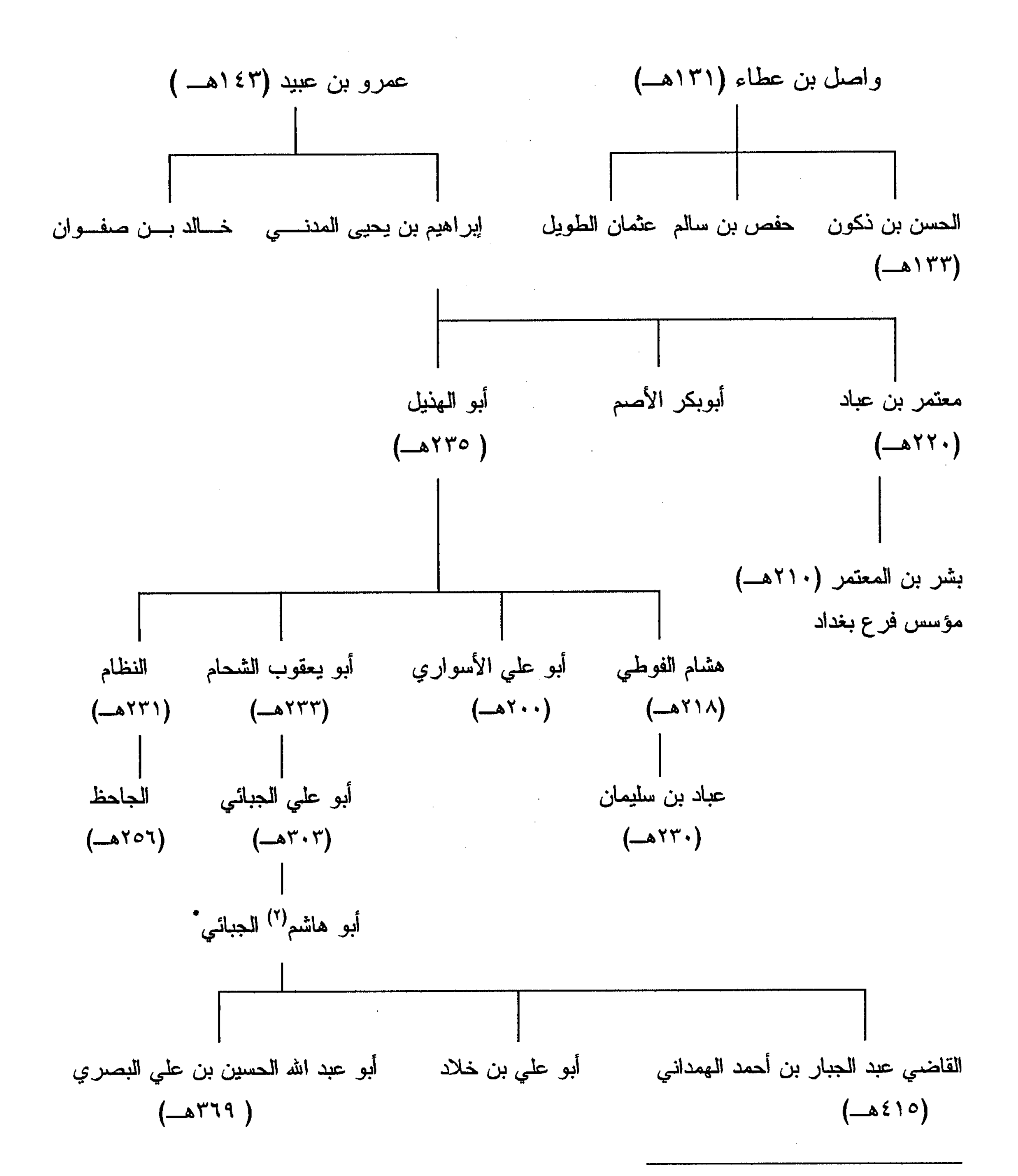
(3) قاضي القضاة في الإسلام ص ٢٢٨ .

(4) المصدر السابق ص ٢٢٨

(5) المعتزلة لأحمد صبحي (١/١١٥) التنبية والرد ص ٥٢ .

(6) انظر : مذاهب الإسلاميين (١/٤٠،٤٤)

المسألة الأولى : مدرسة البصرة أو معتزلة البصرة[1]



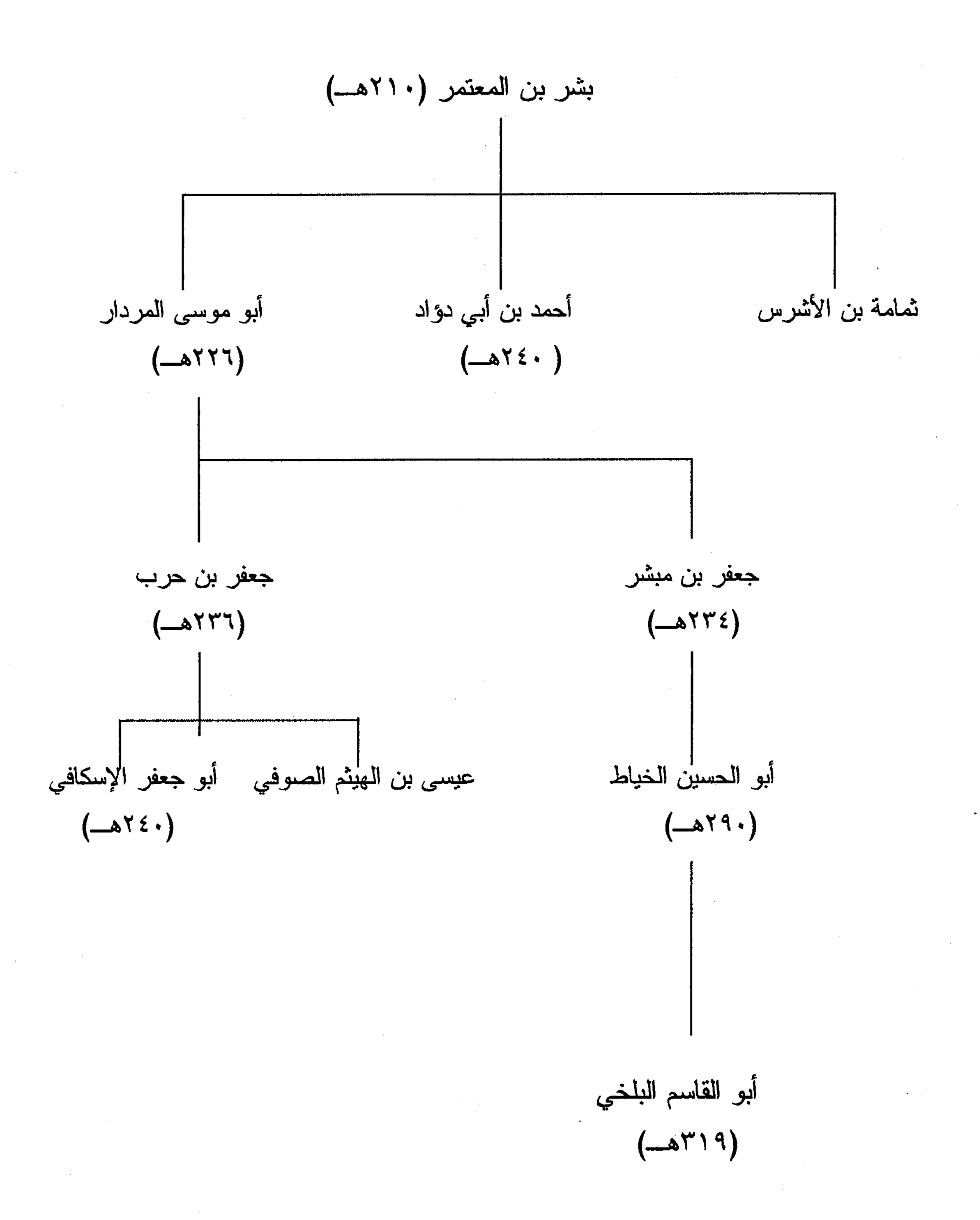
---

[1] مذاهب الإسلاميين (٤٥/١) ضحى الإسلام (٩٦/٣) المعتزلة لأحمد صبحي (١١٨/١)

[2] يقول د/ أحمد صبحي عن الطبقة التاسعة من طبقات المعتزلة والتي فيها أبو هاشم :" ويبدو أنه في هذه الفترة الزمنية – النصف الأول من القرن الرابع الهجري – امتزجت معتقدات الشيعة بآراء المعتزلة ومن ثم نجد في هذه الطبقة رجالا من كبار مفكري الشيعة كأبي سهل النوبختي والحسن بن النوبختي : صاحب كتاب فرق الشيعة ". المعتزلة (١ / ١١٦) وانظر فرق وطبقات المعتزلة ص ١٠٠-١١٠ .

* أبو علي الجبائي وأبو هاشم من شيوخ أبي الحسن الأشعري (ت سنة ٣٢١هـ)

المسألة الثانية : مدرسة بغداد أو معتزلة بغداد[1]



(1) مذاهب الإسلاميين (٤٦/١) ضحى الإسلام (١٤١/٣) المعتزلة لأحمد صبحي (١١٨/١)

وبين هاتيين المدرستين الاعتزاليتين من الاختلاف الشيء الكثير. يقول أبو الحسين الملطي :" وبين معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة اختلاف كثير فاحش يكفر بعضهم بعضا في بعض ذلك الاختلاف أكثر من ألف مسألة نعوذ بالله من الريب كله ونسأله السلامة"(١) .

وكما ذكرت سابقا أن التقسيم إلى مدارس ينبني على الفوارق المذهبية فإن لكل من المدرستين مسلكا خاصا وطريقا مميزا وفي هذا الموضع إن شاء الله أذكر بعض هذه الفوارق مما تيسر جمعه والوقوف عليه .

١-أن الاعتزال في البصرة كان مذهبا نظريا والاعتزال في بغداد كان عمليا متأثرا بالدولة قريبا من السلطان .

٢-أن تأثر الاعتزال بالفلسفة اليونانية كان أظهر في مدرسة بغداد منه في مدرسة البصرة لقوة حركة الترجمة في بغداد ولأن بلاط الخلفاء كان ملتقى رؤساء المسلمين برؤساء المفكرين من أهل الديانات الأخرى .

٣-أخذ البغداديون كثيرا من المسائل التي عرض لها البصريون فوسعوا مدى بحثها واستفادوا مما نشر من آراء الفلاسفة فيها كمسألة تحديد الشيء ومسألة الجوهر والعرض ولعل أهم مسألة وسعها معتزلة بغداد مسألة خلق القرآن(٢) ، حيث استعدوا الدولة على المخالفين ، وتكفير المخالف ، والممتنع عن القول بخلق القرآن ، ولم يكن كذلك موقف معتزلة البصرة(٣) .

٤-أن المعتزلة البصريين كانوا أعمق فكرا وأعظم رجالا من المعتزلة البغداديين(٤).

٥-أن مدرسة بغداد ذات المنبت الكوفي – لأن الكوفة التي نشأ فيها بشر بن المعتمر مؤسس فرع بغداد شيعية غلب عليها بل سادها التشيع مقتصدا وغاليا – ما إن نشأت حتى تسلل التشيع إلى الاعتزال وأطلق على معتزلة بغداد " متشيعة المعتزلة " تمييزا لهم عن معتزلة البصرة(٥) .

---

(١) التنبيه والرد ص ٥٣

(٢) ضحى الإسلام (٣ / ١٥٩ – ١٦١)

(٣) المحيط بالتكليف ص ٣٣١ المعتزلة لأحمد صبحي (١/٢٦٢ – ٢٦٣)

(٤) المعتزلة لأحمد صبحي (١ / ٢٦٣)

(٥) الانتصار للخياط ص ٩٧ – ٩٩ ، ٢٢٨ المعتزلة لأحمد صبحي (١/ ٢٦١ – ٢٦٢) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٠٦ ،١٢٦-١٤١

المقصد الثالث : فرق المعتزلـــة

المقصد الثالث : فـرق المعتـزلـة :

إن المعتزلة على تعدد فرقها واختلافها فيما بينها تجتمع علـى عقـائد مشـتركة يسمونها الأصول الخمسة وهي : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلـة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يقول الخياط المعتزلي : " وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القـول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المـنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي"[1] . ويقول المسعودي : " فهذا ما اجتمعت عليه المعتزلة ومن اعتقـد ما ذكرنا من هذه الأصول الخمسة كان معتزليا فإن اعتقد الأكـثر أو الأقـل لـم يستحق اسم الاعتزال فلا يستحقه إلا باعتقاد هذه الأصول الخمسة "[2] وهناك مـن يرى أن الإيمان والاعتقاد ببعض هذه الأصول كاف في الحصـول علـى لقـب الاعتزال أمثال شيخ الشيعة المفيد حيث يقول : " فمن وافق المعتزلة فيما تذهـب إليه من المنزلة بين المنزلتين كان معتزلياً على الحقيقة وإن ضم إلى ذلـك وفاقـاً لغيرهم من أهل الآراء وغلب عليه اسم الاعتزال ولم يخرج عنه دينونته بمـا لا يذهب إليه جمهورهم من المقال "[3] كما ذهب إلى ذلك المستشرقة سوسنّه ديفلـد بقولها : " من لم يقر بجميع الأصول المعتزلية الخمسة .. لم يكن ينفى عنه اسـم المعتزلي .. وكيفما كان الحال فإنه يبدو أنه كان يكفي أن يقر الرجل بقـول مـن أقوال المعتزلة حتى يعد منهم[4] ". والفيصل في هذا الخلاف أن نرجع إلى القاعدة التي تقول إن كل فن يؤخذ من أهله[5]. ونحن هنا نجد أن الخياط قد حدد الإطـار العام لمدرسة المعتزلة وحدد أيضاً هوية المنتسب إلى هذه المدرسة وأنه من يقـول بالأصول الخمسة لا غير بقوله : " فلسنا ندفع أن يكون بشر كثير يوافقونـا فـي العدل ويقولون التشبيه وبشر كثير يوافقونا في التوحيد ويقولون بالجبر وبشر كثير

---

[1] الانتصار ص ١٨٨ – ١٨٩

[2] مروج الذهب (٢/٢٣٥)

[3] أوائل المقالات ص ٣٧

[4] مقدمة طبقات المعتزلة لابن المرتضى لسوسنّة ديفلد ص:ج

[5] العواصم والقواصم لابن الوزير (٢/٤٢٩)

يوافقونا في التوحيد والعدل ويخالفونا في الوعد والأسماء والأحكام وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة .. وأما من سوى ذلك فليس تفتقر المعتزلة إلى إضافتهم إلى أنفسهم ولا إلى إدخالهم في جملتهم "[1] .
فهذا نص صريح واضح في أن من لم يؤمن بالأصول الخمسة جميعها لا يعتبر في عداد المعتزلة وإن وافقهم في بعضها .
ويسأل القاضي عبد الجبار نفسه بقوله :" ولم اقتصرتم على هذه الأصول الخمسة؟ فيجيب بقوله : لا خلاف أن المخالفين* لنا لا يعدو واحد هذه الأصول ألا ترى أن خلاف الملحدة والمعطلة والدهرية والمشبهة قد دخل في التوحيد وخلاف المجبرة بأسرهم دخل في باب العدل وخلاف المرجئة دخل في باب الوعد والوعيد وخلاف الخوارج دخل تحت المنزلة بين المنزلتين وخلاف الإمامية دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2] ". ويرى أيضا - وهو رأي المعتزلة عامة - أن المخالف في هذه الأصول الخمسة ربما كفر وربما فسق وربما كان مخطئا[3] .
والقصد أن :" هذه الأصول الخمسة هي ملجؤهم وأصل مذهبهم مع اختلاف في الفروع وهم يتوالون عليها ويعادون عليها "[4] .
ومن المسلم به أن المعتزلة كغيرها من الفرق عند نشوئها بدأت محدودة التفكير ضيقة الأفق مقتصرة على أصولها الخمسة ولكن بمرور الأيام والليالي اشتد عودها فصارت تتعمق في بحث تلك الأصول وتتوسع في شرحها مستعينة على ذلك بالفلسفة اليونانية التي ما إن درسها أتباعها وتشربوا ما فيها حتى دب الخلاف بينهم وتشعبت آراؤهم وتعددت وجهات نظرهم واشتد بهم الحوار والجدال حتى بلغ مبلغ تكفير بعضهم لبعض. وبين معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة اختلاف كثير فاحش يكفر بعضهم بعضا في بعض ذلك الاختلاف أكثر من ألف مسألة[5].

---

(1) الانتصار للخياط ص ١٨٨ ، ١٩٠

* في هامش شرح الأصول الخمسة ص١٢٤ قال المحقق ولعلها المخالف

(2) شرح الأصول الخمسة ص ١٢٤

(3) المصدر السابق ص ١٢٥ - ١٢٦

(4) التنبيه والرد ص ٥١ هكذا " يتوالون " ولعل الصواب " يوالون "

(5) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١١٣ التنبيه والرد ص ٥٣

فانقسموا بسبب ذلك إلى اثنتين وعشرين فرقة لكل واحدة منها آراؤها وأفكارهـا الخاصة وكل فرقة تتبع أحد رؤوس الاعتزال البارزين وتنتسب إليه .

وسأتكلم في هذا المبحث عن فرق المعتزلة فرقة فرقة مراعيا في ذلك عدة أمور:-

أ) الترجمة لرئيس الفرقة بما يكفي في معرفته.

ب) العقائد الخاصة لكل فرقة وهي إما أقوال فلسفية بحتة لا علاقة لها بالأصول الخمسة ألبته وإنما كانت نتيجة الترف الفكري آنذاك ، وإما أقوال تفصيلية متفرعة عن تلك الأصول .

ج) ترتيب هذه الفرقة ترتيبا زمنيا بحيث ينتج عنه تتبع تطور المعتزلة الفكري من عصر النشأة إلى بلوغ الذروة ومن ثم إلى السقوط .

١) الواصلية :

أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزال ولد سنة ٨٠هـ وكان تلميذا للحسن البصري ولم يفارقه إلى أن أظهر بدعته في المنزلة بين المنزلتين وهو مؤسس فرقة المعتزلة ورئيسها الأول الذي وضع الأصول الخمسة التي يرتكز عليها الاعتزال. توفي سنة ١٣١هـ[١].

واعتزال هذه الفرقة يدور على أربع قواعد :

أ) **القاعدة الأولى** : القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة وكانت هذه المقالة في بدئها غير نضيجة وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين وقال من أثبت معنى وصفة قديمة أثبت إلهين وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات إلى كونه عالما قادرا ثم الحكم بأنهما صفتان ذاتيتان هما اعتباران للذات القديمة كما قاله الجبائي أو حالتان

---

(١) الملل والنحل (٤٣،٤٠/١) ميزان الاعتدال (٣٢٩/٤) (٢٧٥/٣) الفرق بين الفرق ص ١١٧ المعتزلة لجار الله ص ١١٣

كما قاله أبو هاشم وقد مال أبو الحسين البصري إلى ردهما إلى صفة واحدة وذلك عين مذهب الفلاسفة[1] .

ب) **القاعدة الثانية** : القول بالقدر وإنما سلك في ذلك مسلك معبد الجهني وغيلان الدمشقي وقرر واصل بن عطاء هذه القاعدة أكثر مما كان يقرر قاعدة الصفات فقال : إن الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر وظلم ولا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمر وأن يحكم عليهم شيئا ثم يجازيهم عليه فالعبد هو الفاعل للخير والشر ويستحيل أن يخاطب العبد بافعل وهو لا يمكنه أن يفعل[2] .

ج) **القاعدة الثالثة** : القول بالمنزلة بين المنزلتين . وهي أن صاحب الكبيرة لا مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا بل هو في منزلة بين المنزلتين ودليله أن الإيمان عبارة عن خصال الخير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا وهو اسم مدح والفاسق لم يستجمع خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا وليس هو بكافر مطلقا أيضا لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه لا وجه لإنكارها لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدا فيها إذ ليس في الآخرة إلا فريقان فريق في الجنة وفريق في السعير لكنه يخفف عنه العذاب وتكون دركته فوق دركة الكفار. وهو أول من قال هذه المقالة وبسببها طرده الحسن البصرى عن مجلسه[3] .

د) **القاعدة الرابعة** : قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين إن أحدهما مخطئ لا بعينه وكذلك قوله في عثمان ـ رضي الله عنه ـ وقاتليه وخاذليه: أحد الفريقين فاسق لا محالة[4]. ويقول : لو شهد علي وطلحة أو علي والزبير ـ رضي الله عنهم ـ أو رجل من أصحاب علي ورجل من أصحاب

---

(1) الملل والنحل (١/ ٤٠)

(2) المصدر السابق (٤١/١)

(3) الملل والنحل (٤٢/١-٤٣) الفرق بين الفرق ص ١١٨ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٣٩

(4) الملل والنحل (٤٣/١)

الجمل عندي على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه ولو شهد رجلان من أحد الفريقين أيهما كان قبلت شهادتهما[١] .

وروى الجاحظ أن واصل بن عطاء زعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وعلي أيضا فأنشد :-

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصحبينا[٢]

ولكن في هذا نظر لأن واصلا كان يتجنب الراء في كلامه كيلا تظهر اللثغة القبيحة التي كانت فيه[٣]. ولأن البغدادي نسب هذا البيت لبشار بن برد وأنه هو القائل له في هذه القصة[٤] .

٢) العمروية :

أتباع عمرو بن عبيد بن باب مولى بني تميم وكان جده من سبي كابل ولد سنة ٨٠هـ ومات سنة ١٤٣هـ وقيل سنة ١٤٤هـ[٥] عاش عمرو بن عبيد في البصرة وعاصر واصل بن عطاء فلما قام واصل بحركته دخل معه عمرو في ذلك فأعجب واصل به وزوجه أخته وقال لها : زوجتك برجل ما يصلح إلا أن يكون خليفة[٦]. وكان عمرو أيضا معجبا بأستاذه واصل بن عطاء أيما إعجاب[٧]. وقد أصبح عمرو شيخ المعتزلة في وقته بعد واصل[٨] إلا أنه في الغالب لم يأت بآراء جديدة وكل ما فعله هو أنه وافق واصلا على أقواله وسار على مذهبه[٩] إلا في شئ يسير زاده عليه نحو :-

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١١٩ – ١٢٠ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٣٩

(٢) البيان والتبين (١٠/١)

(٣) المصدر السابق (٨/١)

(٤) الفرق بين الفرق ص ٥٤

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٢٠ وفيات الأعيان (٤٦٠/٣) فرق وطبقات المعتزلة ص ٤٨ تاريخ بغداد (١٦٤/١٢)

(٦) ميزان الاعتدال (٢٧٥/٣)

(٧) ميزان الاعتدال (٢٧٧/٣)

(٨) وفيات الأعيان (٤٦٠/٣)

(٩) الملل والنحل (٤٣/١) الفرق بين الفرق ص ١٢١

أ) قوله بتفسيق الفريقيين من أصحاب الجمل وصفين وأنهم من أهــل النــار[١].
ويقول لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان – رضي الله عنـــهم – علــى شراك نعل ما أجزت شهادتهم[٢] .
ب) كذبه على الحسن البصري[٣] .
ج) رده لبعض الأحاديث النبوية[٤] .

٣) الهــذيلــيـــة :

أصحاب أبي الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبـــدي المعـــروف بالعلاف وهو مولى لعبد القيس وشيخ المعتزلة البصريين في زمانه ومـــن أكـــبر علمائهم ، مقدم الطائفة ومقرر الطريقة والمنظر عليها قوي الجدال والمناظرة حتى إنه لم يدرك في أهل الجدل مثله. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل عـــن واصل ابن عطاء[٥]. وكان قد نظر في شئ من كتب الفلاسفة[٦]. وطـــالع كثـــيرا حتى خلط كلامهم بكلام المعتزلة[٧] فجاءت أكثر أقواله متأثرة بـــها. ولـــد ســـنة ١٣٥هـــ وتوفي سنة ٢٣٥هــ[٨] ، وقال الخطيب البغدادي : سنة ٢٢٦هــ[٩] وقـــد انفرد عن أصحابه بعشر قواعد هي :-

الأولى : أن الباري تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته قادر بقدرة وقدرته ذاته حي بحيـلة وحياته ذاته. وإنما اقتبس هذا من الفلاسفة الذين اعتقدوا أن ذاته واحدة لا كـــثرة فيها بوجه[١٠] .

---

[١] الملل والنحل (٤٣/١) الفرق بين الفرق ص ١٢١ وترتب عليه عدم قبوله لشهادة رجلين من أحد الفريقين لأنه يقول بفسق الفريقين جميعا.

[٢] ميزان الاعتدال (٢٧٥/٣)

[٣] المصدر السابق (٢٧٤/٣،٢٧٦،٢٧٧)

[٤] المصدر السابق (٢٧٨/٣)

[٥] وفيات الأعيان (٢٦٥/٤) الملل والنحل (٤٤/١) الفرق بين الفرق ص ١٢١ التنبيه والرد ص ٥٣

[٦] فرق وطبقات المعتزلة ص ٥٥ – ٥٦

[٧] مذاهب الإسلاميين (١٢٢/١)

[٨] وفيات الأعيان (٤ / ٢٦٦ – ٢٦٧)

[٩] تاريخ بغداد (١٣٩/٤) وقال المسعودي : أنه توفي سنة ٢٢٧هــ المروج (١٠٣/٤)

[١٠] الملل والنحل (٤٤/١) الفرق بين الفرق ص ١٢٧ . فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩١ – ١٩٢

الثانية : أنه أثبت إرادات لا محل لها يكون الباري تعالى مريدا بها وهو أول من أحدث هذه المقالة وتابعة عليها المتأخرون من المعتزلة [١] .

الثالثة : قال في كلام الباري تعالى إن بعضه لا في محل وهو قوله كن وبعضه في محل كالأمر والنهي والخبر والاستخبار وكان أمر التكوين عنده غير أمر التكليف[٢] .

الرابعة : قوله في القدر مثل ما قاله أصحابه إلا أنه قدري الأولى جبري الآخرة فإن مذهبه في حركات أهل الخالدين في الآخرة أنها كلها ضرورية لا قدرة للعباد عليها وكلها مخلوق للباري تعالى إذ لو كانت مكتسبة للعباد لكانوا مكلفين بها[٣] .

الخامسة : قوله إن حركات أهل الخالدين تنقطع وأنهم يصيرون إلى سكون دائم خمودا أو تجتمع اللذات في ذلك السكون لأهل الجنة أو تجتمع الآلام في ذلك السكون لأهل النار وهذا قريب من مذهب جهم حيث حكم بفناء الجنة والنار .

وإنما التزم أبو الهذيل هذا المذهب لأنه لما ألزم في مسألة حدوث العالم أن الحوادث التي لا أول لها كالحوادث التي لا آخر لها إذ كل واحدة لا تتناهى قال إني لا أقول بحركات لا تتناهى أولا بل يصيرون إلى سكون دائم وكأنه ظن أن ما ألزم به في الحركة لا يلزمه في السكون[٤] .

السادسة : قوله إن الاستطاعة عرض من الأعراض غير السلامة والصحة[٥] .

ثم هو يفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح فقال لا يجوز وجود أفعال القلوب من الفاعل مع قدرته عليها ولا مع موته وأجاز وجود أفعال الجوارح من الفاعل منا بعد موته وبعد عدم قدرته إن كان حيا لم يمت وزعم أن الميت والعاجز يجوز أن يكونا فاعلين لأفعال الجوارح بالقدرة التي كانت موجودة قبل الموت والعجز[٦].

---

(١) الملل والنحل (٤٥/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٢

(٢) المصدران السابقان نفس الجزء والصفحة . الفرق بين الفرق ص ١٢٧

(٣) الملل والنحل (٤٥/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٢

(٤) الملل والنحل (٤٥/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٢ . أنظر لسبب قوله : المعتزلة لجار الله ص ١١٨-١١٩

(٥) الملل والنحل (٤٥/١)

(٦) الفرق بين الفرق ص ١٢٨ الملل والنحل (٤٥/١ — ٤٦)

السابعة : قوله في المكلف قبل ورود السمع إنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر وإن قصر في المعرفة استوجب العقوبة أبدا ويعلم أيضا حسن الحسن وقبح القبيح فيجب عليه الإقدام على الحسن كالصدق والعدل والإعراض عن القبيح كالكذب والجور. وقال أيضا بطاعات لا يراد بها الله تعالى ولا يقصد بها التقرب إليه كالقصد إلى النظر الأول ولا يمكنه قبل النظر الأول التعرف به إليه فإنه لم يعرف الله تعالى بعد ، والفعل عبادة. وقال في المكره إذا لم يعرف التعريض والتورية فيما أكره عليه فله أن يكذب ويكون وزره موضوعا عنه[1] .

الثامنة : قوله في الآجال والأرزاق إن الرجل إن لم يقتل مات في ذلك الوقت ولا يجوز أن يزاد في العمر أو ينقص ، والأرزاق على وجهين :

أحدهما : ما خلق الله تعالى من الأمور المنتفع بها يجوز أن يقال خلقها رزقا للعباد وعلى هذا من قال إن أحدا أكل وانتفع بما لم يخلقه الله رزقا فقد أخطأ لما فيه أن في الأجسام ما لم يخلقه الله .

ثانيهما : ما حكم الله به من هذه الأرزاق للعباد فما أحل منها فهو رزقه وما حرم فليس رزقا أي ليس مأمورا بتناوله[2] .

التاسعة : ما حكاه الكعبي عنه أنه قال : إرادة الله غير المراد فإرادته لما خلق هي خلقه له وخلقه للشيء عنده غير الشيء بل الخلق عنده قول لا في محل وقال إنه تعالى لم يزل سمعيا يصيرا بمعنى سيسمع وسيبصر وكذلك لم يزل غفورا رحيما محسنا خالقا رازقا معاقبا مواليا معاديا آمرا ناهيا بمعنى أن ذلك سيكون[3] .

العاشرة : قوله إن الحجة من طريق الأخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفيما سواها لا تثبت بأقل من عشرين نفسا فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ولم يوجب بأخبار الكفرة والفسقة حجة وإن بلغوا عدد التواتر الذين لا يمكن تواطؤهم على الكذب إذا لم يكن فيهم واحد من أهل الجنة[4].

---

[1] الملل والنحل (٤٦/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٣ – ١٩٤ الفرق بين الفرق ص ١٢٩ – ١٣٠

[2] الملل والنحل (٤٦/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٤

[3] الملل والنحل (٤٦/١-٤٧) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٤

[4] الفرق بين الفرق ص ١٢٧ – ١٢٨

ولا تخلو الأرض عن جماعة هم أولياء الله معصومين لا يكذبون ولا يرتكبون الكبائر فهم الحجة لا التواتر إذ يجوز أن يكذب جماعة ممن لا يحصون عددا إذا لم يكونوا أولياء لله ولم يكن فيهم واحد معصوم[١].

وزعم أن ما دون الأربعة لا يوجب حكما وما فوق الأربعة إلى العشرين قد يصح وقوع العلم بخبرهم وقد لا يقع العلم بخبرهم وخبر العشرين إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة يجب وقوع العلم منه لا محالة[٢].

وقد تعقب البغدادي كلام أبي الهذيل بقوله : " ما أراد أبو الهذيل باعتبار عشرين في الحجة من جهة الخبر إذا كان فيهم واحد من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار الواردة في الأحكام الشرعية عن فوائدها "[٣].

وزاد أيضا أن أبا الهذيل العلاف قال بأن الجزء الذي لا يتجزأ لا يصح قيام اللون به إذا كان منفردا ولا تصح رؤيته إذا لم يكن فيه لون ، ثم عقب عليه بقوله : "وهذا يوجب عليه أن الله تعالى لو خلق جزءا منفردا لم يكن رائيا له[٤] ".

٤) النظامية :

أتباع أبي إسحاق إبراهيم بن سيار بن هانيء المعروف بالنظام مولى بني بحير ابن الحارث بن عباد الضبعي[٥]. وسمي بهذا الاسم لأنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ولد سنة ١٨٥هـ وتوفي سنة ٢٣١هـ وكان في زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنوية وقوما من السمنية القائلين بتكافؤ الأدلة وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة ثم خالط هشام بن الحكم الرافضي فأخذ عنه وعن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزأ ثم بنى عليه قوله بالطفرة التي لم يسبق إليها وهم أحد قبله. وأخذ من الثنوية قوله بأن فاعل العدل لا يقدر على فعل الجور والكذب وأخذ عن هشام ابن الحكم أيضا قوله بأن الألوان والطعوم والروائح

---

(١) الملل والنحل (٤٧/١)

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٢٨

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

(٤) المصدر السابق ص ١٣٠

(٥) لسان الميزان (٦٧/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ٥٩

والأصوات أجسام وبنى على هذه البدعة قوله بتداخل الأجسام في حيز واحد ودون مذهب الثنوية وبدع الفلاسفة وشبه الملحدة في دين الإسلام[١] .

وكان قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة[٢]. وأعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات ولم يجسر على إظهار هذا القول خوفا من السيف فأنكر إعجاز القرآن في نظمه وأنكر ما روى من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ليتوصل بإنكار معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام إلى إنكار نبوته ثم إنه استثقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها ولم يجسر على إظهار دفعها فأبطل الطرق الدالة عليها فأنكر لأجل ذلك حجة الإجماع وحجة القياس في الفروع الشرعية وأنكر الحجة من الأخبار التي لا توجب العلم الضروري وطعن في فتاوى أعلام الصحابة رضي الله عنهم .

هذا وجميع فرق الأمة من فريقي الرأي والحديث مع الخوارج والشيعة والنجارية وأكثر المعتزلة متفقون على تكفيره ولم يتبعه في ضلالاته إلا شرذمة قليلة من القدرية كالأسواري وابن خابط وفضل الحدثي والجاحظ مع مخالفة كل منهم له في بعض ضلالاته وزيادة بعضهم عليه فيها[٣] .

وقد قال بتفكيره أكثر شيوخ المعتزلة كأبي الهذيل والجبائي والإسكافي وجعفر ابن حرب ومن غير المعتزلة أبو الحسن الأشعري والقلانسي وغيرهم[٤] . وقد انفرد عن أصحابه بمسائل عدة :-

الأولى :

أن الله تعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي وليست هي مقدورة للباري خلافا لأصحابه فإنهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه لا يفعلها لأنها قبيحة .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٣١

(٢) الملل والنحل (٤٧/١)

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٣١ - ١٣٣

(٤) المصدر السابق ص ١٣٢ - ١٣٣

وقال بأن الله عز وجل لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم ولا يقدر على أن ينقص من نعيم أهل الجنة ذرة لأن نعيمهم صلاح لهم والنقصان مما فيه الصلاح ظلم عنده ولا يقدر أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة ولا على أن ينقص من عذابهم شيئا. وزعم أيضا أن الله تعالى لا يقدر على أن يخرج أحدا من أهل الجنة عنها ولا يقدر على أن يلقى في النار من ليس من أهل النار وقال : " لو وقف طفل على شفير جهنم لم يكن الله قادرا على إلقائه فيها وقدر الطفل على إلقاء نفسه فيها وقدرت الزبانية أيضا على إلقائه فيها "[1] .

الثانية :

قوله في الإرادة أن الباري تعالى ليس موصوفا بها على الحقيقة فإذا وصف بها شرعا في أفعاله فالمراد بذلك أنه خالقها ومنشئها على حسب ما علم وإذا وصف بكونه مريدا لأفعال العباد فالمعنى به أنه آمر بها وناه عنها وعنه أخذ الكعبي مذهبه في الإرادة[2] .

الثالثة :

قوله إن أفعال العباد كلها حركات فحسب والسكون حركة اعتماده والعلوم والإيرادات حركات النفس ولم يرد بهذه الحركة حركة النقلة وإنما الحركة عنده مبدأ تغير ما كما قالت الفلاسفة من إثبات حركات في الكيف والكم والوضع والأين والمتى إلى أحوالها[3].

الرابعة :

أن الإنسان في الحقيقة هو النفس والروح . والبدن آلتها وقابلها وهذه بعينها مقالة الفلاسفة غير أنه تقاصر عن إدراك مذهبهم فمال إلى قول الطبيعية منهم أن

---

(1) الملل والنحل (٤٧/١) الفرق بين الفرق ص ١٣٣ – ١٣٤ فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٥

(2) الملل والنحل (٤٨/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٦

(3) الملل والنحل (٤٨/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٦ الفرق بين الفرق ص ١٣٨

الروح جسم لطيف مشابك للبدن مداخل للقالب، أجزائه المائية في الورد والدهنية في السمسم والسمنية في اللبن. وقال إن الروح هي التي لها قوة استطاعة وحياة ومشيئة وهي مستطيعة بنفسها والاستطاعة قبل العقل[1] .

وقال إن الروح جنس واحد وأفعاله جنس واحد وأن الأجسام ضربان : حي وميت وأن الحي منها يستحيل أن يصير ميتا وأن الميت يستحيل أن يصير حيا . وإنما أخذ هذا القول من الثنوية البرهمية الذين زعموا أن النور حي ضعيف من شأنه الصعود أبدا وأن الظلام موات ثقيل من شأنه التسفل أبدا وأن الثقيل الميت محال أن يصير خفيفا وأن الخفيف الحي محال أن يصير ثقيلا ميتا[2] .

الخامسة :

قوله إن كل ما جاوز محل القدرة من الفعل فهو من فعل الله تعالى بإيجاب الخليقة أي أن الله تعالى طبع الحجر طبعا وخلقه ، إذا دفعته اندفع وإذا بلغ قوة الدفع مبلغها عاد الحجر إلى مكانه طبعا وله في الجواهر وأحكامها خبط مذهب ، يخالف المتكلمين والفلاسفة[3] .

السادسة :

أنه وافق الفلاسفة في نفي الجزء الذي لا يتجزأ قائلا بانقسام كل جزء لا إلى نهاية مخالفا في ذلك أستاذه أبا الهذيل العلاف ولما ألزم بمشي النملة على صخره من طرف إلى آخر بأنها قطعت مالا يتناهى وكيف يقطع ما يتناهى مالا يتناهى هنا ؟ قال : يقطع بعضها بالمشي وبعضها بالطفرة ، والطفرة شئ أحدثه النظام ليخرج من الإلزام وتعني أن الجسم قد يكون في مكان ثم يصير منه إلى المكان الثالث أو العاشر منه من غير مرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر ومن غير أن يصير معدوما في الأول ومعادا في العاشر[4].

---

(1) الملل والنحل (١/٤٨-٤٩) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٦ - ١٩٧

(2) الفرق بين الفرق ص ١٣٦

(3) الملل والنحل (١/٤٩) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٧

(4) الملل والنحل (١/٤٩) الفرق بين الفرق ص ١٣٩ – ١٤٠ مقالات الإسلاميين (٢/١٩،١٧)

السابعة :

قوله إن الجوهر مؤلف من أعراض اجتمعت. ووافق هشام بن الحكم في قوله إن الألوان والطعوم والروائح أجسام فتارة يقضي بكون الأجسام أعراضا وتارة يقضي بكون الأعراض أجساما[١].

الثامنة :

قوله إن الله تعالى خلق الموجودات دفعه واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونباتا وحيوانا وإنسانا. ولم يتقدم خلق آدم عليه السلام على خلق أولاده غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهورها من مكانها دون حدوثها ووجودها. وإنما أخذ هذه المقالة من أصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة[٢]. وفي هذا تكذيب منه لما اجتمع عليه سلف الأمة مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى والسامرة من أن الله تعالى خلق اللوح والقلم قبل خلق السموات والأرض وإنما اختلف المسلمون في السماء والأرض أيتهما خلقت أولا[٣].

التاسعة :

قوله إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة النبي عليه الصلاة والسلام ولادلالة على صدقه في دعواه النبوة وإنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب. فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف وفي هذا عناد منه لقول الله تعالى :" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "[٤] ولم يكن غرض منكر إعجاز القرآن إلا إنكار نبوة

---

(١) الملل والنحل (٤٩/١) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٨

(٢) الملل والنحل (٥٠/١) الفرق بين الفرق ص ١٤٢

(٣) الفرق بين الفرق ص١٤٢

(٤) الإسراء آية ٨٨

من تحدى العرب بأن يعارضوه بمثله[١] . وإلا فكيف يقول إنهم قادرون لو خلاهم وإنما صرفهم جبرا وتعجيزا[٢].

العاشرة :

قوله في الإجماع أنه ليس بحجة في الشرع وكذلك القياس في الأحكام الشرعية لا يجوز أن يكون حجة دائما وإنما الحجة في قول الإمام المعصوم[٣] . وتجويزه إجماع الأئمة في كل عصر وفي جميع الإعصار على الخطأ من جهة الرأي والاستدلال[٤]. وقوله إن الخبر المتواتر مع خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر ومع اختلاف همم الناقلين واختلاف دواعيها يجوز أن يقع كذبا هذا مع قوله بأن من أخبار الآحاد ما يوجب العلم الضروري[٥]. وقوله إنه لا يعلم بإخبار الله عز وجل ولا بإخبار رسوله عليه الصلاة والسلام ولا بإخبار أهل دينه شئ على الحقيقة ودعواه أن الأجسام والألوان لا يعلمان بالأخبار. والذي ألجأه إلى هذا القول الشنيع قوله بأن المعلومات ضربان : محسوس وغير محسوس والمحسوس منها أجسام ولا يصح العلم بها إلا من جهة الحس والحس عنده لا يقع إلا على جسم واللون والطعم والرائحة والصوت عنده أجسام قال : ولهذا أدركت بالحواس. وأما غير المحسوس فضربان : قديم وعرض وليس طريق العلم بهما الخبر وإنما يعلمان بالقياس والنظر دون الحس والخبر[٦].

الحادية عشر :

ميله إلى الرفض ووقيعته في كبار الصحابة رضي الله عنهم. قال أولا : لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه في مواضع وأظهره إظهارا لم يشتبه على الجماعة إلا أن عمر كتم

(١) الفرق بين الفرق ص ١٤٣ الملل والنحل (١/ ٥٠)

(٢) الملل والنحل (١/ ٥٠) والصرفة تعني "صرف الهمم عن المعارضة وإن كانت مقدورا عليها غير معجوز عنها إلا أن العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات كسائر المعجزات" انظر: الاعجاز في دراسات السابقين لعبد الكريم الخطيب ص ١٥٨.

(٣) الملل والنحل (١/ ٥٠) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٨

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٤٣

(٥) المصدر السابق ص ١٤٣

(٦) المصدر السابق ص ١٤٠ – ١٤١

ذلك ثم وقع في عثمان رضي الله عنه وذكر أحداثه وكذب ابن مسعود في روايته لحديث " السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه" وغيره[1] وزعم أن عمر الفاروق شك في دينه في الحديبية ويوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس وتكلم على علي رضي الله عنه[2].

الثانية عشر :

قوله في التفكر قبل ورود السمع أنه إذا كان عاقلا متمكنا من النظر يجب عليه تحصيل معرفة الباري تعالى بالنظر والاستدلال. وقال بتحسين العقل وتقبيحه في جميع ما يتصرف فيه من أفعاله. وقال لابد من خاطرين : أحدهما يأمر بالإقدام والآخر بالكف ليصح الاختيار[3].

الثالثة عشر :

في الوعد والوعيد زعم أن من خان في مائة وتسعة وتسعين درهما بالسرقة أو الظلم لم يفسق بذلك حتى تبلغ خيانته نصاب الزكاة وهو مائتا درهم فصاعدا فحينئذ يفسق وكذلك في سائر نصب الزكاة[4] .

الرابعة عشر :

قوله إن الإيمان هو اجتناب الكبيرة فحسب .ونتيجة هذا القول أن الأقوال والأفعال ليس شئ منها إيمانا . والصلاة عنده وأفعالها ليست بإيمان ولا من الإيمان وإنما الإيمان فيها ترك الكبائر فيها[5].

---

(1) السنة لابن أبي عاصم ص ٧٩ ، ٨٣ والروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني (٢/ ٥٦) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٣٦٨٥

(2) الملل والنحل (١/٥٠ – ٥٢) الفرق بين الفرق ص ١٤٧ – ١٥٠ فرق وطبقات المعتزلة ص ١٩٨ – ٢٠٠)

(3) الملل والنحل (١/٥٢) فرق وطبقات المعتزلة ص ٢٠٠

(4) الملل والنحل (١/٥٢) الفرق بين الفرق ص ١٤٤ فرق وطبقات المعتزلة ص ٢٠٠

(5) الفرق بين الفرق ص ١٤٤

الخامسة عشر :

قوله في باب المعاد أن العقارب والحيات والخنافس والذباب والغربان والجعلان والكلاب والخنازير وسائر السباع والحشرات تحشر إلى الجنة وزعم أن كل من تفضل الله عليه بالجنة لا يكون لبعضهم على بعض درجة في التفضيل وأنه ليس لأطفال المؤمنين فيها تفضيل بدرجة أو نعمة أو مرتبة على الحيات والعقارب والخنافس لأنه لا عمل لهم كما لا عمل لها وأن إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له في الجنه تفضيل درجة على درجات أطفال المؤمنين[1].

السادسة عشر :

أنه أدخل في أبواب الفقه ضلالات لم يسبق إليها كقوله إن الطلاق لا يقع بشيء من الكنايات سواء نوى بها الطلاق أو لم ينوه. وله في الظهار وقضاء الصلاة المفروضة الشيء الكثير[2].

السابعة عشر :

يرى النظام في جبر المتضادات على الاجتماع دليلا على وجود الخالق سبحانه وتعالى قال : " وجدت الحر مضادا للبرد ووجدت الضدين لا يجتمعان في موضع واحد من ذات أنفسهما فعلمت بوجودي لهما مجتمعين أن لهما جامعا جمعهما وقاهرا قهرهما على خلاف شأنهما وما جرى عليه القهر والمنع ضعيف ، وضعفه ونفوذ تدبير قاهره فيه دليل على حدثه وعلى أن محدثا أحدثه ومخترعا اخترعه لا يشبهه ... ليس هو الإنسان الذي جمعهما لأن الإنسان يجري عليه من القهر ما يجري عليهما "[3] فيكون الذي أوجدهما وقهرهما على الاجتماع وأوجد الإنسان هو الله تعالى الذي لا يشبهه شئ[4].

---

(1) الفرق بين الفرق ص ١٤٥ الملل والنحل (٥٢/١)

(2) الفرق بين الفرق ص ١٤٥ – ١٤٦

(3) الانتصار ص ٨٩ – ٩٠

(4) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٢٧

ويقول ابن الراوندي : إن النظام كان يحيل أن يكون الله قادرا على فعل المستحيل كأن يجعل المبرد مسخنا أو الحر مبردا لأن الجوهر محال أن يعمل ما ليس في طباعه عمله ولكن الخياط ينكر أن يكون النظام قد قال ذلك[1].

الثامنة عشر :

قوله الجسم هو الطويل العريض العميق وليس لأجزائه عدد يوقف عليه وأنه لا نصف إلا وله نصف ولا جزء إلا وله جزء وكانت الفلاسفة تجعل حد الجسم أنه العريض العميق[2]. ولا شئ في العالم إلا جسم لأن النظام كان لا يثبت عرضا إلا الحركة[3]. وأما الألوان والطعوم والأرابيح والأصوات والآلام والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فقد جعلها أجساما لطافا .

ويزعم أن حيز اللون هو حيز الطعم والرائحة وأن الأجسام اللطاف قد تحل في حيز واحد[4]. وعلى ذلك فكل شئ ليس هو حركة فإنه جسم لأنه لا يثبت عرضا في الدنيا إلا الحركة[5]. وللأعراض صفات منها :-

١ــ الأعراض فانية لا يجوز البقاء إلا للأجسام[6].

٢ــ الأعراض لا ترى بالعين[7] لأن الإنسان محال أن يرى إلا الألوان[8] والألوان عند النظام أجسام لطاف[9] وكذلك محال أن تدرك الأعراض بالحواس الباقية[10]

---

(١) الانتصار ص ٩١ – ٩٢

(٢) مقالات الإسلاميين (٦/٢)

(٣) المصدر السابق (٣٨/٢)

(٤) المصدر السابق (٣٨/٢)

(٥) المصدر السابق (٣٨/٢ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٦٤)

(٦) مقالات الإسلاميين (٤٧/٢)

(٧) المصدر السابق (٢ /٥٠ ، ٧٢)

(٨) المصدر السابق (٥٠/٢)

(٩) المصدر السابق (٣٨/٢)

(١٠) المصدر السابق (٥٠/٢)

لأن الأعراض حركات[١] والحركات ليست أجساما[٢] ولا يدرك بالحواس إلا الأجسام[٣].

٣ـ سميت الأعراض أعراضا لأنها تعترض في الأجسام وتقوم بها فلا يمكن أن يكون العرض لا في مكان ولا يجوز أن يحدث عرض لا في جسم[٤].

٤ـ الأعراض لا تتضاد لأن التضاد إنما يكون بين الأجسام كالحرارة والبرودة والحلاوة والمرارة والبياض والسواد[٥].

٥ـ الأعراض جنس واحد لأنها جميعا حركات[٦].

٦ـ يجوز أن يقدر الله عباده على فعل الأعراض ولا يجوز أن يقدرهم على غير الحركات لأن الألوان والطعوم والحرارة والبرودة والأصوات وغيرها أجسام ولا يصح أن يقدر الله تعالى عباده على الأجسام[٧].

٥) الثمامية :

أتباع ثمامة بن أشرس النميري كنيته أبو معن البصري من كبار المعتزلة وزعيم القدرية في زمان المأمون والمعتصم والواثق . كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس توفي سنة ٢١٣ هـ[٨] وذكره القاضي عبد الجبار في أوائل أصحاب الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة[٩]. ويقول الإسفراييني : " اعلم أن هذا المبتدع كان يظهر البدعة وكان في الحقيقة ملحدا ولكنه كان يستر إلحاده بما كان يظهر من موافقة أهل البدع "[١٠].

وقد انفرد عن أصحابه بمسائل عدة :-

---

(١) المصدر السابق (٢/٤٧،٥٠)

(٢) المصدر السابق (٢/٣٨)

(٣) المصدر السابق (٢/٧٢)

(٤) المصدر السابق (٢/٥٧)

(٥) المصدر السابق (٢/٦٢)

(٦) المصدر السابق (٢/٣٨)

(٧) المصدر السابق (٢/٦٤)

(٨) الفرق بين الفرق ص ١٧٣ الملل والنحل (١/٦١) ميزان الاعتدال (١/٣٧١) التبصير في الدين ص ٧٩

(٩) فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٠ - ٧١

(١٠) التبصير في الدين ص ٨٠. و انظر نقل البغدادي تكفير الأمة له في الفرق بين الفرق ص ١٧٢

الأولـــــــى :

تماديه في باب الوعيد حيث جعل من مات من المسلمين مصرا على كبيرة واحــدة مخلدا في النار مع فرعون وأبي لهب مع أن الشهر ستاني نقل اتفاق المعتزلة على عقابه أخف من عقاب الكفار[١].

الــثــانــيـــــة :

قوله : المتولدات أفعال لا فاعل لها[٢]، أو أن الفعل يصح من غير فاعل[٣] وهـــذا يؤدي إلى القول بنفي وإنكار خالق العالم لأنه لو صح وجود فعل بلا فاعل لصــح وجود كل فعل بلا فاعل ولم يكن حينئذ في الأفعال دلالة على فاعلها ولا كان فـي حدوث العالم دلالة على صانعه[٤].

الثــالــثـــة :

قوله إن عوام الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة يصيرون في القيامة ترابا . وكذلك قوله في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين[٥]. وهذا مبني على قوله إن من لم يضطره الله إلى معرفته لم يكن مأمورا بالمعرفــة ولا منـــهيا عن الكفر وكان مخلوقا للسخرة والاعتبار فحسب كسائر الحيوانات التــي ليســت بمكلفة[٦].

الــرابـعـــة :

قوله : إن المعرفة متولدة من النظر وهو فعل لا فاعل له كسائر المتولدات[٧].

---

[١] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٢/٥) الملل والنحل (٣٩/١ ، ٦١)

[٢] الملل والنحل (٦١/١) الفرق بين الفرق ص ١٧٣

[٣] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤١

[٤] الفرق بين الفرق ص ١٧٣ التبصير في الدين ص ٧٩ – ٨٠

[٥] الملل والنحل (٦٢/١) الفرق بين الفرق ص ١٧٢

[٦] الفرق بين الفرق ص ١٧٢

[٧] الملل والنحل (٦٢/١)

الخامسة :

أن الاستطاعة هي السلامة وصحة الجوارح وتخليتها من الآفات وهي قبل الفعل[1].

السادسة :

أنه كان يقول في دار الإسلام إنها دار شرك وكان يحرم السبي لأن المسبي عنده ما عصى ربه إذا لم يعرفه وإنما العاصي عنده من عرف ربه بالضرورة ثم جحده أو عصاه[2].

السابعة :

قوله : لا فعل للإنسان إلا الإرادة وما عداها فهو حدث لا محدث له. وحكي عنه ابن الراوندي أنه قال : العالم فعل الله تعالى بطباعه[3]. أي أن طبيعة الله تعالى هي التي جعلته يضع هذا الكون فالكون نتيجة قوة طبيعية كامنة في الله وليس نتيجة مشيئته واختياره[4]. ويرى الشهر ستاني أنه أراد بذلك ما تريده الفلاسفة من الإيجاب بالذات دون الإيجاب على مقتضى الإرادة لكن يلزمه على اعتقاده ذلك ما لزم الفلاسفة من القول بقدم العالم إذ الموجب لا ينفك من الموجب[5].

الثامنة :

قوله : إن الآخرة إنما هي دار ثواب أو عقاب وليس فيها لمن مات طفلا ولا لمن لا يعرف الله تعالى بالضرورة طاعة يستحقون بها ثوابا ولا معصية يستحقون عليها عقابا فيصيرون حينئذ ترابا إذ لم يكن لهم حظ في ثواب ولا عقاب[6].

---

(1) المصدر السابق (٦٢/١)

(2) الفرق بين الفرق ص ١٧٣

(3) الملل والنحل (٦٢/١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٢/٥)

(4) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٣٠

(5) الملل والنحل (٦٢/١ – ٦٣)

(6) الفرق بين الفرق ص ١٧٢

٦) المعـــمـــريـــة :

أصحاب أبي عمرو معمر بن عباد السلمي توفي سنة ٢٢٠ هـ من أهل البصـرة ثم سكن بغداد[١]. يقول فيه الشهر ستاني : " أعظم القدرية في تدقيق القول بنفـي الصفات ونفي القدر خيره وشره من الله والتكفير والتضليل على ذلك[٢] ".

وقد انفرد عن أصحابه بمسائل عـدة :-

الأولـــى :

أن الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض من لون أو طعم أو رائحة أو حيـاة أو موت أو سمع أو بصر وأنه لم يخلق شيئا من صفات الأجسام وأن الله إنما خلـق الأجسام فقط وهذا مخالف لقوله تعالى :" قل الله خالق كـل شـئ وهـو الواحـد القهار"[٣] وقوله تعالى :" له ملك السموات والأرض يحي ويميت وهو على كـل شئ قدير"[٤][٥] وفي قوله أن الله تعالى لم يخلق حياة ولا موتا تكذيب منه لوصـف الله سبحانه نفسه بأنه يحي ويميت وكيف يحي ويميت مـن لا يخلـق حيـاة ولا موتا[٦].

وزعم أن فناء كل فان فعل له بطبعه وزعم أنه ليس لله تعالى في الأعراض صنـع ولا تقدير[٧].

الـثـانـيـة :

أنه كان ينكر القول بأن الله تعالى قديم لأن القديم أخذ من قدم يقدم فهو قديم وهـو فعل كقولك أخذ منه ما قدم وما حدث وأنه أيضا يشعر بالتقادم الزمـاني ووجـود الباري تعالى ليس بزماني[٨].

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٥١ لسان الميزان (٧١/٦) المنية والأمل ص ١٥٥

(٢) الملل والنحل (٥٨/١)

(٣) الرعد آية ١٦

(٤) الحديد آية ٢

(٥) التبصير في الدين ص ٧٤

(٦) الفرق بين الفرق ص ١٥٢

(٧) الفرق بين الفرق ص ١٥١-١٥٢ الملل والنحل (٥٨/١) ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص ٦٩

(٨) الملل والنحل (٥٩/١) الفرق بين الفرق ص ١٥٥

الثالثة :

قوله : إن الإنسان ليس الصورة التي نشاهدها وإنما هو شئ في هذه الصورة يتصف بالعلم والحياة والقدرة والإرادة ثم لا متحرك ولا ساكن ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحضره زمان ومع ذلك فهو المدبر للجسد ، وإذا فعلاقته بالجسد علاقة تدبير وتصريف وليست حلول وتمكن[١].

وهذا القول يوجب أن لا يرى إنسان إنسانا ويوجب أن لا يكون الصحابة رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وكفاه بذلك خزيا[٢].

الرابعة :

قوله : الأعراض لا تتناهى في كل نوع . وقال كل عرض قام بمحل فإنما يقوم به لمعنى أوجب القيام. وذلك يؤدي إلى التسلسل وعن هذه المسألة سمي هو وأصحابه أصحاب المعاني وزاد على ذلك فقال : الحركة إنما خالفت السكون بمعني أوجب المخالفة لا بذاتها وكذلك مغايرة المثل ومماثلته وتضاد الضد كل ذلك عنده لمعنى[٣].

الخامسة :

قوله : إن الله تعالى لم يخلق شيئا من الأعراض وأنكر مع ذلك صفات الله تعالى الأزلية وعليه لم يقدر أن يقول إن كلامه فعله كسائر المعتزلة لأنه يرى أن الله تعالى لم يفعل شيئا من الأعراض ولما كان الله – عنده – لا يخلق إلا الأجسام فقط وكانت الأجسام هي التي تخلق الأعراض في نفسها لم يكن شئ من المعجزات من فعل الله .

والقرآن عنده فعل الجسم الذي جل الكلام فيه وليس هو فعلا لله تعالى ولا صفة له[٤] .

---

(١) التبصير في الدين ص ٧٤ الفرق بين الفرق ص ١٥٤

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٥٥ التبصير في الدين ص ٧٤

(٣) الملل والنحل (١/٥٨-٥٩) الفرق بين الفرق ص ١٥٢-١٥٣

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٥٢

وعليه لا يكون لله تعالى كلام يتكلم به على مقتضى مذهبه وإذا لم يكن له كلام لم يكن آمرا ناهيا وإذا لم يكن أمر ونهي وتكليف لم تكن شريعة أصلا ولا تكليف[١].

السادسة :

قوله في حقيقة الإنسان إن الإنسان معنى أو جوهر غير الجسد وهو عالم قادر مختار حكيم ليس بمتحرك ولا ساكن ولا متلون ولا متمكن ولا يرى ولا يلمس ولا يحس ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان ولا يحصره زمان لكنه مدبر للجسد وعلاقته مع الجسد علاقة التدبير والتصرف. وإنما أخذ هذا القول من الفلاسفة – كما يقول الشهر ستاني – الذين قضوا بإثبات النفس الإنساني أمرا ما هو جوهر قائم بنفسه ولا متحيز ولا متمكن وأثبتوا من جنس ذلك موجودات عقلية مثل العقول المفارقة ثم لما كان ميل معمر بن عباد إلى مذهب الفلاسفة ميز بين أفعال النفس التي سماها إنسانا وبين القالب الذي هو جسده فقال فعل النفس والإرادة فحسب. والنفس إنسان ففعل الإنسان هو الإرادة وما سوى ذلك من الحركات والسكنات والاعتمادات فهي من فعل الجسد[٢].

السابعة :

مما ذكره البغدادي عنه من امتناعه عن القول بأن الله تعالى يعلم نفسه لأن من شرط المعلوم عنده أن يكون غير العالم به[٣]. بل صرح الشهر ستاني أن معمر قال إن الله تعالى محال أن يعلم نفسه[٤]. وهذا يبطل عليه بذكر الذاكر نفسه لأنه إذا أجاز أن يذكر الذاكر نفسه جاز أن يعلم العالم نفسه[٥].

---

(١) الملل والنحل (٥٨/١) الفرق بين الفرق ص ١٥٢

(٢) الملل والنحل (٥٩/١) الفرق بين الفرق ص ١٥٣-١٥٤ وهذه المسألة قريبة من المسألة الثالثة.

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٥٥

(٤) الملل والنحل (٥٩/١ – ٦٠)

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٥٥

٧) البشرية :

أصحاب بشر بن المعتمر أبو سهل الهلالي من كبار المعتزلة ورئيس معتزلة بغداد ومؤسس هذا الفرع. من أهل بغداد وقيل من أهل الكوفة ولعله كان كوفيا ثم انتقل إلى بغداد توفي سنة ٢١٠ هـ[١].

وقد انفرد عن أصحابه بمسائل عدة :-

الأولى :

إفراطه بالقول في التولد حتى زعم أنه يصح من الإنسان أن يفعل الألوان والطعوم والروائح والرؤية والسمع وسائر الإدراكات على سبيل التولد إذا فعل أسبابها وكذلك قوله في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة[٢].

وإنما أخذها من الفلاسفة الطبيعيين[٣]. وقوله هذا مخالف لإجماع المسلمين لأن أهل السنة لا يقولون بالتولد أصلا فالحوادث كلها لابد لها من محدث وأما المعتزلة فيقولون به ولا يفرطون فيه إذ لا يقولون بالتولد إلا في الحركات والاعتمادات[٤].

الثانية :

قوله : من تاب عن كبيرة ثم راجعها عاد استحقاقه العقوبة الأولى فإنه قبل توبته بشرط أن لا يعود وهذا مخالف لإخوانه المعتزلة لأنهم وإن قالوا بالمنزلة بين المنزلتين وأن الفاسق يخلد في النار إلا أنهم لا يقولون إنه يعاقب في النار على ما تاب منه من الذنوب والأفعال[٥].

---

(١) لسان الميزان (٣٣/٢) فرق وطبقات المعتزلة ص ٦٢ الملل والنحل (٥٦/١)

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٥٧ الملل والنحل (٥٦/١)

(٣) الملل والنحل (٥٦/١)

(٤) التبصير في الدين ص ٧٥ الفرق بين الفرق ص ١٥٧

(٥) الملل والنحل (٥٧/١) التبصير في الدين ص ٧٥ الفرق بين الفرق ص ١٥٧-١٥٨

الثالثة :

قوله : إن الله تعالى ما والى مؤمنا في حال إيمانه ولا عادى كافرا في حال كفره وأن الله تعالى لا يكون مواليا للمطيع في حال وجود طاعته ولا معادياً للكافر في حال وجود كفره وإنما يوالي المطيع في الحالة الثانية من وجود طاعته ويعادي الكافر في الحالة الثانية من وجود كفره .

واستدل على ذلك بأنه لو جاز أن يوالي المطيع في حال طاعته وجاز أن يعادي الكافر في حال وجود كفره لجاز أن يثيب المطيع في حال طاعته ويعاقب الكافر في حال كفره[١].

الرابعة :

قوله : إن الحركة تحصل وليس الجسم في المكان الأول ولا في المكان الثاني ولكن الجسم يتحرك به من الأول إلى الثاني ولا واسطة بين حالي كونه في المكان الأول وكونه في المكان الثاني وقوله هذا غير معقول له فكيف يكون معقولا لغيره[٢].

الخامسة :

قوله : إن الله تعالى يقدر على أن يعذب الطفل ظالما له في تعذيبه إياه فإنه لو فعل ذلك لكان الطفل بالغا عاقلا مستحقا للعذاب[٣]. وأول هذا الكلام ينقض آخره .

السادسة :

كان أبو الهذيل يقول : إن حقيقة الإنسان هي الجسد. وكان النظام يرى أن حقيقة الإنسان هي : الروح وأما بشر فقد خالف هذين القولين وقال : إن الإنسان هو الروح والجسد جميعا وأن الفعّال هو الإنسان الذي هو روح وجسد[٤].

---

[١] الفرق بين الفرق ص ١٥٧ مقالات الإسلاميين (١/٢٦٥)

[٢] الفرق بين الفرق ص ١٥٨-١٥٩ الملل والنحل (١/٥٧) التبصير في الدين ص ٧١

[٣] الفرق بين الفرق ص ١٥٨ الملل والنحل (١/٥٧)

[٤] مقالات الإسلاميين(٢/٢٥-٢٦)

٨) الـهشـامـيـة :

أتباع هشام بن عمرو الفوطي الشيباني من أهل البصرة توفـي سـنة ٢٢٦ هـ ومبالغته في القدر أشد وأكثر من مبالغة أصحابه. وكان يمتنع من إطلاق إضافات أفعال إلى الباري تعالى وإن ورد بها التنزيل[١].

وقـد انفـرد بأقـوال عـدة :

الأول : أن الله لا يؤلف بين قلوب المؤمنين بل هم المؤتلفون باختيارهم مع أنه قد ورد في سورة الأنفال قوله تعالى :" ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم"[٢][٣].

الثـاني : أن الله تعالى لا يحبب الإيمان إلى المؤمنين ولا يزينه في قلوبهم مع أن الله تعالى يقول :" ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون "[٤] [٥] وتحريمه على الناس أن يقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل وغير ذلك مما ورد به القرآن الكريم[٦].

الـثـالـث :

أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن إذ لا فائدة في وجودهما جميعا، خاليتان ممن ينتفع ويتضرر بهما. وبقيت هذه المسألة منه اعتقادا للمعتزلة .

وقال بتكفير من قال إن الجنة والنار مخلوقتان الآن. وأخلافه من المعتزلة شكوا في وجودهما اليوم ولم يقولوا بتكفير من قال إنهما موجودتان الآن[٧].

---

[١] الفرق بين الفرق ص ١٥٩ الملل والنحل (٦٣/١) لسان الميزان (١٩٥/٦)

[٢] الأنفال من الآية ٦٣

[٣] الملل والنحل (٦٣/١)

[٤] الحجرات آية ٧

[٥] الملل والنحل (٦٣/١)

[٦] الفرق بين الفرق ص١٥٩ التبصير في الدين ص ٧٥

[٧] الملل والنحل (٦٤/١) الفرق بين الفرق ص ١٦٤ التبصير في الدين ص٧٦

الرابع :

أن الإمامة لا تنعقد في أيام الفتنة واختلاف الناس وإنما يجوز عقدها في حال الاتفاق والسلامة وكذلك أبو بكر الأصم من أصحابهم كان يقول الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة على بكرة أبيهم .

وإنما أراد بذلك الطعن في إمامة علي رضي الله عنه إذ كانت بيعته في أيام الفتنة من غير اتفاق جميع الصحابة إذ بقي في كل طرف طائفة على خلافه[١].

الخامس :

أن الأعراض لا يدل شئ منها على الله تعالى وإن فلق البحر وقلب العصا حية وانشقاق القمر ومحق السحر والمشي على الماء لا يدل شئ من ذلك على صدق الرسول في دعواه الرسالة .

وقال إن الدليل على الله تعالى يجب أن يكون محسوسا والأجسام محسوسة فهي الأدلة على الله تعالى والأعراض معلومة بدلائل نظرية فلو دلت على الله تعالى لاحتاج كل دليل منها إلى دليل سواه لا إلى نهاية[٢].

السادس :

قوله من كان مؤمنا صالحا إلا أنه في علم الله يموت كافرا مرتدا فهو الآن عند الله كافر ومن كان كافرا متمردا إلا أنه في علم الله يموت مؤمنا تائبا فهو الآن مؤمن ولم يزل الله ساخطا على الذي مات كافرا ، راضيا عن الذي مات مؤمنا لأنه تعالى لا يتغير علمه[٣].

السابع :

إنكاره حصار عثمان وقتله بالغلبة والقهر وزعمه أن شرذمة قليلة قتلوه غرة من غير حصار مشهور. وقوله بجواز قتل مخالفيه في السر غيلة. وقوله بإنكار افتضاض الأبكار في الجنة[٤].

---

[١] الملل والنحل (١/٦٣-٦٤) الفرق بين الفرق ص ١٦٣-١٦٤

[٢] الفرق بين الفرق ص ١٦٢ الملل والنحل (١/٦٣)

[٣] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/١٠١) وانظر المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٣٧

[٤] الفرق بين الفرق ص ١٦٣-١٦٤ الملل والنحل (١/٦٤) الانتصار ص ٢٤٠-٢٤١ أصول الدين للبغدادي ص ٢٨٧-٢٨٨

٩) المردارية :

أصحاب أبي موسى عيسى بن صبيح المردار أخذ الاعتزال عن بشر بن المعتمر ومن جهته انتشر الاعتزال في بغداد ويسمى راهب المعتزلة توفي سنة ٢٢٦ هـ[١].

وقد انفرد عن أصحابه بمسائل عدة :

الأولى :

قوله في القدر إن الله تعالى يقدر على أن يكذب ويظلم ولو كذب وظلم كان إلها كاذبا ظالما تعالى الله عن قوله علوا كبيرا[٢].

الثانية :

قوله في التولد مثل قول أستاذه وزاد عليه بأن جوز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد[٣].

الثالثة :

قوله إن من أجاز رؤية الله تعالى بالأبصار بلا كيف فهو كافر والشاك في كفره كافر وكذلك الشاك في الشاك لا إلى نهاية . والباقون من المعتزلة إنما قالوا بتكفير من أجاز الرؤية على جهة المقابلة أو على جهة اتصال شعاع بصر الرائي بالمرئي[٤].

الرابعة :

قوله في القرآن إن الناس قادرون على مثل القرآن وبما هو أفصح منه وهو الذي بالغ في القول بخلق القرآن وكفر من قال بقدمه[٥].

---

(١) المنية والأمل ص ١٦٤ الفرق بين الفرق ص ١٦٤ الملل والنحل (٦٠/١)

(٢) الملل والنحل (٦٠/١) الفرق بين الفرق ص ١٦٦

(٣) الملل والنحل (٦٠/١) الفرق بين الفرق ص ١٦٦

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٦٦ الملل والنحل (٦١/١) الانتصار ص ١١٨ ، ١٢٠

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٦٥ الملل والنحل (٦٠/١)

الخامسة :

قوله بتكفير من لابس السلطان وأنه لا يرث ولا يورث، والمعتزلة قبله يقولون هو فاسق لا مؤمن ولا كافر[1].

السادسة :

قوله في عثمان وقاتليه إنهم جميعا في النار لأن عثمان كان قد فسق وكذلك فسق قاتلوه لأن فسقه كان لا يوجب القتل فاستحقوا جميعا بفسقهم الخلود في النار[2].

وكان المردار يرى أنه يجوز أن يبعث الله نبيا كافرا فاجرا مع زعمه أن الإملم لا يكون إلا برا تقيا[3].

١٠) الجعفرية :

أتباع جعفر بن حرب الهمداني توفي سنة ٢٣٦ هـ من كبار معتزلة بغداد[4] وجعفر بن مبشر توفي سنة ٢٣٤ هـ من معتزلة بغداد أيضا [5] ذكرهما ابن المرتضى في رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة[6].

وقد انفردا بمسائل عدة :

الأولى :

قولهما إن الله تعالى خلق القرآن في اللوح المحفوظ ولا يجوز أن ينتقل إذ يستحيل أن يكون الشيء الواحد في مكانين في حالة واحدة وما نقرؤه فهو حكاية عن المكتوب الأول في اللوح المحفوظ وذلك فعلنا وخلقنا[7].

---

(1) الفرق بين الفرق ص ١٦٥ الملل والنحل (٦١/١)

(2) أصول الدين ص ٢٨٨

(3) الانتصار ص ١٤٩

(4) ميزان الاعتدال (٤٠٥/١) الأعلام (١٢٣/٢) تاريخ بغداد (١٧٣/٧) ضحى الإسلام(١٤٨/٣-١٤٩)

(5) ميزان الاعتدال (٤١٤/١) الأعلام(١٢٦/٢) تاريخ بغداد(١٧٢/٧) المعتزلة لصبحي(١١٨/١)

(6) المنية والأمل ص ١٦٥

(7) الملل والنحل (٦١/١)

الثانية : قولهما في تحسين العقل وتقبيحه : إن العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع وعليه أن يعلم أنه إن قصد ولم يعرفه ولم يشكره عاقبه عقوبة دائمة فأثبت التخليد واجبا بالعقل[1].

الثالثة :

قول جعفر بن مبشر إن في فساق هذه الأمة من هو شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة هذا مع قوله بأن الفاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر فجعل الموحد الذي ليس بكافر شرا من الثنوي الكافر[2].

الرابعة :

قول ابن مبشر إن إجماع الصحابة على ضرب شارب الخمر الحد وقع خطأ لأنهم أجمعوا عليه برأيهم فشارك ببدعته هذه نجدات الخوارج في إنكارها حد الخمر[3].

الخامسة :

قول جعفر بن مبشر إن من سرق حبة أو ما دونها فهو فاسق مخلد في النار ، وخالف بذلك أسلافه الذين قالوا بغفران الصغائر عند اجتناب الكبائر[4].

السادسة :

قول ابن مبشر إن رجلا لو بعث إلى امرأة يخطبها ليتزوجها وجاءته المرأة فوثب عليها فوطئها من غير عقد إنه لا حد عليها لأنها جاءته على سبيل النكاح وأوجب الحد على الرجل لأنه قصد الزنى ولم يعلم أن المطاوعة للزاني زانية إذا لم تكن مكرهة ولم يقل أحد من سلف الأمة بسقوط الحد عن المطاوعة للزاني كما قال ابن مبشر[5].

---

(1) المصدر السابق (٦١/١)

(2) الفرق بين الفرق ص١٦٨ الانتصار ص ١٣٣

(3) الفرق بين الفرق ص ١٦٨

(4) المصدر السابق ص ١٦٨

(5) المصدر السابق ص ١٦٨-١٦٩

السابعة :

قول جعفر بن حرب إن الممنوع من الفعل قادر على الفعل وليس يقدر على شئ[1].

١١) الأسوارية :

أتباع علي الأسواري توفي سنة ٢٤٠ هـ وكان من أتباع أبي الهذيل العلاف ثم انتقل إلى مذهب النظام[2] وزاد عليه أمورا منها :-

الأول :

قوله إن ما علم الله أن لا يكون لم يكن مقدورا لله تعالى وهذا القول منه يوجب أن تكون قدرة الله متناهية ومن كانت قدرته متناهية كانت ذاته متناهية والقول به كفر من قائله[3]. وإنما يقدر الله على إحداث ما قد علم أنه يحدثه[4]. هذا مع قوله إن الله لا يقدر على ما أخبر بعدمه أو علم عدمه والإنسان قادر عليه[5].

الثاني :

ما نقله عنه ابن الراوندي أنه قال محال أن يقدر الله على ألا يديم أفعاله في الآخرة وأن يقطعها حتى يبقى وحده كما كان وحده ، وعقب عليه الخياط بقوله :" وهذا خطأ عن علي الأسواري وكذب عليه "[6].

١٢) الإسكافية :

أتباع أبى جعفر بن عبد الله الإسكافي توفي سنة ٢٤٠ هـ أخذ ضلالته في القدر عن جعفر بن حرب ثم خالفه في بعض فروعه وهو أحد متكلمي المعتزلة ، بغدادي أصله من سمرقند[7].

---

(١) المصدر السابق ص ١٦٩

(٢) فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٧ الفرق بين الفرق ص ١٥١

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٥١ الانتصار ص ٥٨ التبصير في الدين ص ٧٣

(٤) أصول الدين ص ٩٤

(٥) المواقف في علم الكلام ص ٤١٦

(٦) الانتصار ص ٥٨

(٧) لسان الميزان (٥/٢٢١) الأعلام (٦/٢٢١) المنية والأمل ص ١٦٩ الفرق بين الفرق ص ١٦٩

وقد انفــرد بمسائل عــدة :

الأولى :

أن معنى الجسم أنه مؤتلف وأقل الأجسام جزءان وأن الجزئين إذا تآلفا فليس كـل واحد منهما جسما ولكن الجسم هو الجزءان جميعا وأنه يستحيل أن يكون الـتركيب في واحد والواحد يحتمل اللون والطعم والرائحة وجميع الأعراض إلا التركيب[1].

الثـــانيـــــة :

قوله إن الله تعالى لا يقدر على ظلم العقلاء ويقدر على ظلم الأطفــال والمجـانين وأنه لا يقال إن الله خالق المعازف والطنابير وإن كان هو الذي خلق أجسامها[2].

الثــالــثــة :

قوله إنه يجوز أن يقال إن الله يكلم العباد ولا يجوز أن يقال إنه يتكلم وسماه مكلمـا ولم يسمه متكلما وزعم أن متكلما يوهم أن الكلام قام به ومكلم لا يوهم ذلك[3].

١٣) الخابطية أو الحائطية والحدثية :

أصحاب أحمد بن خابط المتوفى سنة ٢٣٢ هـ وذكر اليافعي أنه أحمد بن حائط[4] وأصحاب الفضل الحدثي المتوفى سنة ٢٥٧ هـ وكلاهما يشكل فرقة واحدة كانـا من أصحاب النظام وطالعا كتب الفلاسفة أيضا[5]. وقد غلت فـي أقوالـها حتـى اعتبرها البغدادي من فرق الغلاة الخارجة عن الإسلام[6]. ويقول الخياط : " وأمـا ابن حائط فلا أعلم أحدا كان أغلظ عليه من المعتزلة ولا أشد عليه منها ولقد بلـغ من شدتها عليه أن أخبرت الواثق بإلحاده فأمر ابن أبي دؤاد أن ينظر فـي أمـره وأن يقيم حكم الله فيه فمات لعنه الله في ذلك الوقت وعجل بروحه إلى النار وأمـا

---

(١) مقالات الإسلاميين (٥/٢)

(٢) المواعظ والاعتبار (٣٤٦/٢) الفرق بين الفرق ص ١٦٩ المواقف في علم الكلام ص ٤١٦ ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص٦٩

(٣) الفرق بين الفرق ص ١٧٠

(٤) ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ص٦٥ وفي لسان الميزان لابن حجر حابط (١٤٨/١) وفي الانتصار للخياط "حائط" ص٢١٨-٢١٩ وقال مثله صاحب المواعظ والاعتبار (٣٤٧/٢)

(٥) الملل والنحل (٥٣/١) الفرق بين الفرق ص ٢٧٧ فرق وطبقات المعتزلة ص ٢٠٢

(٦) الفرق بين الفرق ص ٢١ ، ٢٧٧

أهله فإنهم لعمري معتزلة معروفون وأهل حق مشهورون وليس يعيب عليهم أن يكون رجل منهم ألحد وخرج عن الإسلام "[1] فإذا الخياط هنا يتبرأ من ابن حائط ويذكر أن المعتزلة نفته وطردته وسعت في هلاكه . وقد زاد ابن خابط والفضل الحدثي على مذهب النظام ثلاث مسائل هي :

الأولى :

حملهما ما ورد في القرآن والسنة من رؤية الباري تعالى مثل قوله عليه الصلاة والسلام :" إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته"[2] على رؤية العقل الأول الذي هو – عنده – أول مبدع وهو العقل الفعال الذي منه تفيض الصور على الموجودات وإياه عنى حديث " أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحسن منك بك أعز وبك أذل وبك أعطى وبك أمنع"[3] فهو الذي يظهر يوم القيامة وترتفع الحجب بينه وبين الصور التي فاضت منه فيرونه كمثل القمر ليلة البدر فأما واهب العقل فلا يرى ألبته[4].

الثانية :

زعما أن للخلق ربين وخالقين أحدهما قديم وهو الله سبحانه والآخر مخلوق وهو عيسى بن مريم وزعما أن المسيح ابن الله على معنى دون الولادة وزعما أيضا أن المسيح هو الذي يحاسب الخلق في الآخرة وهو الذي عناه الله بقوله :" وجاء ربك والملك صفا صفا"[5]. وهو الذي يأتي " في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور "[6]. وهو الذي خلق آدم على صورة نفسه[7]. وزعم أنه

---

[1] الانتصار ص ٢١٩-٢٢٠

[2] صحيح البخاري (٢٠٠/٤) الترمذي (٩٥/٤) أبو داوود (٥٣٥/٢)

[3] حديث موضوع انظر الموضوعات لابن الجوزي (١٧٤/١) اللآلي المصنوعة للسيوطي (١٢٩/١-١٣٠) تنزيه الشريعة لابن عراق (٢١٣/١) المقاصد الحسنة للسخاوي ص١١٨،١٣٤ منهاج السنة (١٥/٨-١٦)

[4] الملل والنحل (٥٥/١-٥٦)

[5] الفجر آية ٢٢

[6] البقرة آية ٢١٠

[7] رواه البخاري (٣/١١) ومسلم حديث رقم (٢٨٤١) وغيرهما

هو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله " ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر "[1] وهو الذي عناه بقوله " إن الله تعالى خلق العقل "[2] وقالا إن المسيح تدرع جسدا جسمانيا وهو الكلمة القديمة المتجسدة كما قالت النصارى وكان قبل التدرع عقلا[3].

وقد شاركا الثنوية والمجوس في دعوى خالقين وقولهما شر من قولهم لأن الثنوية والمجوس أضافوا اختراع جميع الخيرات إلى الله تعالى وإنما أضافوا فعل الشرور إلى الظلمة وإلى الشيطان وهذان أضافا فعل الخيرات كلها إلى عيسى بن مريم وأضافا إليه محاسبة الخلق في الآخرة [4].

الثالثة :

قولهما إن الله تعالى أبدع خلقه أصماء سالمين عقلاء بالغين في دار سوى هذه الدار التي هن فيها اليوم وخلق فيهم معرفته والعلم به وأسبغ عليهم نعمه ولا يجوز أن يكون أول ما يخلقه إلا عاقلا ناظرا معتبرا فابتدأهم بتكليف شكره فأطاعه بعضهم في جميع ما أمرهم به وعصاه بعضهم في جميع ذلك وأطاعه بعضهم في البعض دون البعض فمن أطاعه في الكل أمره في دار النعيم التي ابتدأهم فيها ومن عصاه في الكل أخرجه من تلك الدار إلى دار العذاب وهي النار ومن أطاعه في البعض وعصاه في البعض أخرجه إلى دار الدنيا فألبسه هذه الأجسام الكثيفة وابتلاه بالبأساء والضراء والشدة والرخاء والآلام واللذات على صور مختلفة من صور الناس وسائر الحيوانات على قدر ذنوبهم فمن كانت معاصيه أقل وطاعته أكثر كانت صورته أحسن وآلامه أقل ومن كانت ذنوبه أكثر كانت صورته أقبح والآلام أكثر[5]. ثم إن الروح لا تزال في هذه الدنيا تتكرر في قوالب وصور مختلفة مادامت طاعته مشوبة بذنوبه وعلى قدر طاعاته وذنوبه يكون منازل قوالبه

---

(1) تقدم تخريجه آنفا

(2) تقدم تخريجه آنفا

(3) الفرق بين الفرق ص٢٢٨ ، ٢٧٧ الملل والنحل (٥٤/١) المواقف في علم الكلام ص ٤١٧ المواعظ والاعتبار (٣٤٧/٢)

(4) الفرق بين الفرق ص ٢٧٧-٢٧٨

(5) الملل والنحل (٥٤/١)

في الإنسانية والبهيمية ثم لا يزال من الله تعالى رسول إلى كل نوع من الحيـــوان وتكليف للحيوان أبدا إلى أن يتمحض عمل الحيوان طاعات فيرد إلى دار النعيـــم الدائم وهي الدار التي خلق فيها أو يتمحض عمله معاصي فينقل إلى النار الدائـــم عذابها[1].

وهذا هو عين القول بتناسخ الأرواح[2]. ويقول بعض الباحثين إنه يظن هذا القــول إما أن يكون مأخوذا عن الهنود وهو الأرجح أو أن يكون بقية من بقايا الطوطمائية الجاهلية القديمة[3].

١٤) المـــويـــســـية :

أتباع مويس المتوفى سنة ٢٤٦ هـــ يكاد لا يرد عن هذه الفرقة في كتب العقـــائد شئ ولا تشير كتب التاريخ إلى رئيسها ولذلك اكتفى بذكر اسمها[4].

١٥) الصـــالحـــية :

أصحاب صالح قبة المتوفى سنة ٢٤٦ هـــ أبو جعفر عده ابن المرتضى من رجال الطبقة السابعة للمعتزلة[5].

وقد انفرد بعدة بمسائل منها :

أ) جواز قيام العلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر بالميت وخلو الجوهر عــن الأعراض[6].

---

(1) الفرق بين الفرق ص ٢٧٤-٢٧٥

(2) الملل والنحل (٥٤/١) الفرق بين الفرق ص ٢٧٥

(3) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٤٤

(4) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٤٥ انظر فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٦ فقد ذكر في الطبقة السابعة مويس بن عمران الفقيه فلعله هو. وانظر المنية والأمل ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

(5) المنية والأمل ص ١٦٥فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٨

(6) المواقف في علم الكلام ص ٤١٧

ب) قال بإثبات الجزء الذي لا يتجزأ وأحال أن يلقي الجزء ستة أمثاله أو مثليه وقال : يستحيل أن يلقى الجزء الواحد جزئين وجوز أن يحله جميع الأعراض إلا التركيب وحده[1].

ج) وقال فيما يقع بالحواس من إدراك المحسوسات هو من يبتدئه ابتداء ويخترعه اختراعا إن شاء أن يرفعه والبصر صحيح والفتح واقع والشخص محاذ والضياء متوسط وإن شاء أن يخلقه في الموات فعل[2].

د) قال إن الإنسان لا يعقل إلا في نفسه وأن ما حدث عند فعله كذهاب الحجر عند الدفعة واحتراق الحطب عند مجامعة النار والألم عند الضربة فالله سبحانه هو الخالق له وكذلك المبتدئ له وجائز أن يجامع الحجر الثقيل الجو الرقيق ألف عام فلا يخلق له فيه هبوطا ويخلق سكوتا وجائز أن يجتمع النار والحطب أوقاتا كثيرة ولا يخلق الله احتراقا وأن توضع الجبال على الإنسان فلا يجد ثقلها وأن يخلق سكون الحجر الصغير عند دفعة الدافع له ولا يخلق إذهابه ولو دفعه أهل الأرض جميعا واعتمدوا عليه وجائز أن يحرق الله سبحانه إنسانا بالنار ولا يألم بل يخلق فيه اللذة وجائز أن يضع الله سبحانه الإدراك مع العمر والعلم مع الموت .
وجوز أن يرفع الله سبحانه ثقل السموات والأراضين حتى يكون ذلك أجمع أخف من ريشة ولم ينقص ذلك من أجزائه شيئا[3]. فقيل له فما تنكر أن تكون في هذا الوقت بمكة جالسا في قبة قد ضربت عليك وأنت لا تعلم ذلك لأن الله سبحانه لم يخلق قبل العلم به هذا وأنت صحيح سليم غير مَئُوفٍ ؟ قال لا أنكر فلقب بقبة[4].
هـ) قيل له في أمر الرؤيا إذا كان بالبصرة فرأى كأنه بالصين أنه قال : أكون في الصين وإذا رأيت أني في الصين فقيل له : فلو ربطت رجلك برجل إنسان في

---

[1] مقالات الإسلاميين (٢/١٦)
[2] المصدر السابق (٢/٧٠)
[3] المصدر السابق (٢/٩٠-٩١)
[4] المصدر السابق (٢/٩١)

العراق فرأيت كأنك في الصين قال أكون في الصين. وإن كانت رجلي مربوطة برجل الإنسان الذي بالعراق[1].

١٦) الجاحظية :

أتباع أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري وقيل له الجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين. والجحوظ : النتو. وكان يقال له الحدقي لذلك أيضا. توفي سنة ٢٥٥ هـ وكان قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط وروج بعبارته البليغة[2].

وقد انفرد عن أصحابه بمسائل عدة :

الأولى :

قوله باستحالة عدم الأجسام بعد حدوثها فالأعراض تتبدل والجوهر لا يجوز أن يفني وهذا يوجب القول بأن الله سبحانه وتعالى يقدر على خلق شئ ولا يقدر على إفنائه وأنه لا يصح بقاؤه بعد أن خلق الخلق منفردا كما كان منفردا قبل أن خلق الخلق[3].

وهؤلاء لما أنكروا جواز عدمها وزعموا أنها لا تفنى قالوا إنها إنما تتغير من حال إلى حال باختلاف الأعراض عليها[4]، والله قادر على أن يفرق أجزائها ويعيد تركيبها فقط[5].

الثانية :

أنه تبع الفلاسفة الطبيعيين فقال بإثبات الطبائع للأجسام وأثبت لها أفعالا مخصوصة بها وقال بأن العباد لا فعل لهم سوى الإرادة وأن سائر الأفعال تنسب

---

(١) المصدر السابق (٩١/٢)

(٢) وفيات الاعيان (٤٧٠/٣-٤٧٤) الملل والنحل (٦٥/١)

(٣) الفرق بين الفرق ص١٧٦ الملل والنحل (٦٥/١)

(٤) اصول الدين ص ٢٣٠

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٦٢/٥)

إلى العباد على معنى أنها وقعت منهم طباعا وأنها وجبت بإرادتهم وأن الله لا يدخل النار أحدا وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها ثم تمسكهم في نفسها على الخلود[١].

الثالثة :

قوله في نفي الصفات : يوصف الباري بأنه مريد بمعنى أنه لا يصح عليه السهو في أفعاله ولا الجهل ولا يجوز أن يغلب ويقهر وقال إن الخلق كلهم من العقلاء عالمون بأن الله تعالى خالقهم وعارفون بأنهم محتاجون إلى النبي وهم محجوجون بمعرفتهم ثم هم صنفان : عالم بالتوحيد وجاهل به فالجاهل معذور والعالم محجوج[٢].

الرابعة :

قوله : من انتحل دين الإسلام واعتقد أن الله تعالى ليس بجسم ولا صورة ولا يرى بالأبصار هو عدل لا يجوز ولا يريد المعاصي وبعد الاعتقاد والتبيين أمر بذلك كله فهو مسلم حقا وإن عرف ذلك كله ثم جحده وأنكره أو دان بالتشبيه والجبر فهو مشرك كافر حقا وإن لم ينظر في شئ من ذلك واعتقد أن الله ربه وأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله فهو مؤمن لا لوم عليه ولا تكليف عليه غير ذلك[٣].

الخامسة :

قوله إن القرآن جسد يجوز أن يقلب مرة رجلا ومرة حيوانا وهذا مثل ما يحكي عن أبي بكر الأصم أنه زعم أن القرآن جسم مخلوق وأنكر الأعراض أصلا وأنكر صفات الباري تعالى[٤].

---

[١] الفرق بين الفرق ص ١٧٥-١٧٦ الملل والنحل (٦٥/١) المواعظ والاعتبار (٣٤٨/٢)

[٢] الملل والنحل (٦٥/١-٦٦) المواعظ والاعتبار (٣٤٨/٢)

[٣] الملل والنحل (٦٦/١)

[٤] الملل والنحل (٦٦/١) المواقف في علم الكلام ص ٤١٨ المواعظ والاعتبار (٣٤٨/٢)

السادسة :

قول ابن الراوندي إن الجاحظ يقول إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اعتمدت المعاصي وواقعتها على غير تأويل وارتكبتها مع العلم بأن الله قد نهاها عنها[1].

وهذا يعني أنه ينفي العصمة عنهم وهو مخالف لقول أكثر المعتزلة[2].

١٧) الشحامية :

أتباع أبي يعقوب يوسف بن عبد الله بن إسحاق الشحام من صغار أصحاب أبي الهذيل وإليه انتهت رياسة المعتزلة في البصرة في وقته توفي سنة ٢٦٧ هـ[3].

عاش ثمانين سنة وكلامه ككلام تلميذه الجبائي إلا أنه أجاز كون مقدور واحد لقادرين يصح أن يحدثه كل واحد منهما على البدل[4].

والشحام أول من أحدث القول بأن المعدوم شئ وبالغ فيه حتى أصبح قوله هذا أهم قول يعرف به وكان معه في هذا الإحداث زميله الخياط إلا أنه كان أكثر تطرفا من الشحام[5].

١٨) الخياطية :

أتباع أبي الحسين عبد الرحيم بن أبي عمرو محمد بن عثمان الخياط المتوفى سنة ٣٠٠هـ من أصحاب جعفر بن مبشر وأستاذ أبي القاسم الكعبي من معتزلة بغداد.

وقد انفرد ـ الخياط ـ عن سائر المعتزلة بقول لم يسبق إليه حيث أثبت المعدوم شيئاً وقال إن الجسم في حال عدمه يكون جسما لأنه يجوز أن يكون في حال حدوثه جسما ولم يجز أن يكون المعدوم متحركا لأن الجسم في حال حدوثه لا يصح أن يكون متحركا عنده فقال : كل وصف يجوز ثبوته في حال الحدوث فهو ثابت له في حال عدمه ويلزمه على هذا الاعتلال أن يكون الإنسان قبل حدوثه

---

(١) الانتصار ص ١٤٨

(٢) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٤٨ انظر أصول الدين ص ١٦٨

(٣) فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٧ الفرق بين الفرق ص ١٧٨

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٧٨

(٥) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٤٩

إنسانا لأن الله تعالى لو أحدثه على صورة الإنسان بكمالها من غير نقل لـــه فـــي الأصلاب والأرحام ومن غير تغيير له من صورة إلى صورة أخرى يصح ذلك .
وقيل له ولأتباعه المعدوميـــة لإفراطـــهم بوصفـــهم المعـــدوم بـــأكثر أوصـــاف الموجودات[١].
وأنكر أيضا صحة خبر الآحاد وفي ذلك يقول البغدادي : " وما أراد بقـــول هـــذا الإنكار أكثر أحكام الشريعة فإن أكثر فروض الفقه مبنية على أخبار مـــن أخبـــار الآحاد[٢].

١٩) الجـــبـــائـــيـــة :

أتباع أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان الجبائي ـــ نسبة إلى جبي وهي بلد من أعمال خوزستان في طرف من البصرة والأهـــواز – البصري أحد أئمة المعتزلة كان إماما في علم الكلام ولد سنة ٢٣٥ هـــ وتوفـــي سنة ٣٠٣ هـــ أخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصـــري رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره وله في مذهب الاعتزال مقالات مشـــهورة[٣].
انفرد بها عن أصحابه هي :

الأولـــــى :

قوله : إن حقيقة الطاعة موافقة الإرادة وكل من فعل مراد غيره فقد أطاعه فقال له أبو الحسن الأشعري يلزمك على هذا الأصل أن يكون الله تعالى مطيعا لعبـــده إذا فعل مراده فالتزم ذلك فقال له أبو الحسن الأشعري خـــالفت إجمـــاع المســـلمين وكفرت برب العالمين ولو جاز أن يكون الله تعالى مطيعا لعبده لجـــاز أن يكـــون خاضعا له. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[٤].

---

(١) الفرق بين الفرق ص١٧٩-١٨٠ المواعظ والاعتبار (٣٤٨/٢) الملل والنحل (٦٦/١) المواقف في علم الكلام ص٤١٧-٤١٨

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٨٠

(٣) وفيات الأعيان (٢٦٧/٤) الفرق بين الفرق ص ١٨٣ المنية والأمل ص ١٧٠-١٧٤

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٨٣

الثــانيــة :

قوله : إن الجوهر ما إذا وجد كان حاملا للأعراض وأن الجوهر جواهر بأنفسها وأنها تعلم جواهر قبل أن تكون[١] وأنها على جنس واحد وهي بأنفسها جواهر متغايرة بأنفسها ومتفقة بأنفسها وليست تختلف في الحقيقة[٢]. وكان الجبائي يثبت الجزء الذي لا يتجزأ ويقول إنه يلقي بنفسه ستة أمثاله ويجيز عليه ما يجوز على الجسم من الحركة والسكون واللون والطعم والرائحة والمماسة إذا كان منفردا وينكر أن يحله طول أو تأليف وهو منفرد أو يحله علم أو قدرة أو حياة وهو منفرد وجوز أن يخلق الله حيا لا قدرة فيه وأحال تعري الجوهر من الأعراض[٣].

ومع إثباته الجزء الذي لا يتجزأ إلا أنه خالف أصحابه ممن يثبتونه في جواز حلول حركتين عليه فقال : الجزء الواحد قد يجوز أن يحله حركتان وذلك إذ دفع الحجر دافعان حل كل جزء منه حركتان معا[٤].

الثــالــثــة :

قوله : إن الله تعالى لم يزل سميعا بصيرا على معنى أنه كان حيا لا آفة به تمنعه من إدراك المسموع إذا وجد وأنه لم يكن في الأزل سامعا مبصرا وإنما صار سامعا مبصرا عند وجود المسموع والمرئي[٥]. يقول البغدادي ": ولا يدرى من أين أخذ فرقه بين السامع والسميع وهل أخذ من لغة العرب أو العجم أو من لغة شيطانه الذي أغواه وإلى الضلال دعاه[٦] ".

وزعم أن أسماء الله تعالى جارية على القياس وأجاز اشتقاق اسم له من كل فعل فعله وألزمه أبو الحسن الأشعري أن يسميه بمحبل النساء لأنه خالق الحبل فيهن

---

(١) مقالات الإسلاميين (٨/٢)

(٢) المصدر السابق (٩/٢)

(٣) المصدر السابق (١٢/٢،١٤)

(٤) المصدر السابق (١٧/٢) وانظر ايضا (٥/٢)

(٥) أصول الدين ص ٩٦-٩٧

(٦) المصدر السابق ص ٩٦-٩٧

فالتزم ذلك فقال له بدعتك هذه أشنع من ضلالة النصارى في تسمية الله أبا لعيسى مع امتناعهم من القول بأنه محبل مريم[١].

الرابعة :

قوله : إن الصوت والألم والحركات والفكر والإرادات والكراهات أعراض غير باقية وأجاز بقاء الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والاعتماد والتأليف واللون والحياة والقدرة والعجز والعلوم والاعتقادات[٢].

وأما السكون فقال إنه على ضربين : سكون الجماد وسكون الحيوان ، فسكون الحي المباشر الذي يفعله في نفسه لا يبقى وسكون الموات يبقى .

والسكون الذي يفعله الحي في نفسه غير باق وكل ما فعله الحي في نفسه مباشرا من الأعراض فهو غير باق وأن الباقي من الأعراض يبقى لا ببقاء وأن الأجسام أيضا تبقى لا ببقاء[٣].

وقال إن ما يعرف الخلق كيفيته أو يقدرون على جنسه أو لا يجوز أن يبقى فليس بجائز أن يعاد وما كان غير ذلك من الأعراض فجائز أن يعاد وزعم أن ما يجوز أن يعاد فجائز عليه التقديم في الوجود والتأخير وأن الحركات وما أشبه ذلك مما لا يجوز أن يعاد لو أعيد لكان يجوز عليه التقديم في الوجود والتأخير ولو جاز ذلك على الحركات لكان ما يقدر أن يفعل بعد عشرة أوقات يجوز أن يقدم قبل ذلك أو كان ما يقدر عليه أن يفعل في الوقت الثاني يجوز أن يفعل في الوقت العاشر معادا ولو كان ذلك جائزا - وليس لما يقدر عليه البارئ من حركات الأجسام نهاية - لكان جائزا أن يفعل ذلك في وقتنا هذا ولو جاز ذلك لجاز أن يقدم الإنسان ما يقدر أن يفعله في أوقات لا تتناهى فيفعله في هذا الوقت ولو كان ذلك جائزا لكان الإنسان لو لم يفعل ذلك في هذا الوقت لكان يفعل لها تروكا لا كل لها وذلك

---

[١] الفرق بين الفرق ص ١٨٣-١٨٤ المواعظ والاعتبار (٣٤٨/٢)

[٢] أصول الدين ص ٥١

[٣] مقالات الإسلاميين (٤٧/٢) أصول الدين ص ٥١

فاسد فلما فسد ذلك فسد أن تعاد الحركات وكان يعتل بهذا في وقت كان يزعم أن ترك كل شئ غير ترك غيره وأن تركا واحد يكون لشيئين[١].

وجوز أيضا وجود عرض واحد في أمكنة كثيرة وفي أكثر من ألف مكان وذلك أنه أجاز وجود كلام واحد في ألف ألف محل وزعم أن الكلام المكتوب في محل إذا كتب في غيره كان موجودا في المحلين من غير انتقال منه عن المكان الأول إلى الثاني ومن غير حدوث في الثاني وكذلك إن كتب في ألف مكان أو ألف ألف محل[٢].

الخامسة :

قوله : إن الله تعالى إذا أراد أن يفني العالم خلق عرضا لا في محل أفنى به جميع الأجسام والجواهر ولا يصح في قدرة الله تعالى أن يفني بعض الجواهر مع بقاء بعضها وقد خلقها تفاريق ولا يقدر على إفنائها تفاريق[٣].

السادسة :

قوله : إن كل وصف يستحقه الحادث لنفسه أو لجنسه فإن الوصف ثابت له في حال عدمه وزعم أن الجوهر كان في حال عدمه جوهرا أو كان العرض في حال عدمه عرضا وكان السواد سوادا والبياض بياضا في حال عدمهما وامتنع عن تسمية المعدوم جسما لأن الجسم عنده مركب وفيه تأليف وطول وعرض وعمق ولا يجوز وصف معدوم بما يوجب قيام معنى به[٤].

ولما قال الخياط إن الجسم في حال عدمه يكون جسما لأنه يجوز أن يكون في حال حدوثه جسما رد عليه أبو علي الجبائي في قوله هذا بكتاب مفرد وذكر فيه أن قول الخياط هذا يؤدي به إلى القول بقدم الأجسام .

---

(١) مقالات الإسلاميين (٢/٦١)

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٨٤

(٣) المصدر السابق ص ١٨٤. وانظر مقالات الإسلاميين (٢/٥٥)

(٤) الفرق بين الفرق ص ١٧٩

ولكن البغدادي يتعقب الجبائي ويقول إن هذا الإلزام متوجه على الخياط وعلى الجبائي نفسه وابنه في قولهما بأن الجواهر والأعراض كانت في حال العدم أعراضا وجواهر فإذا قالوا :" لم تزل أعيانا وجواهر وأعراضا ولم يكن حدوثها لمعنى سوى أعيانها " فقد لزمهم القول بوجودها في الأزل وصاروا في التحقيق إلى معنى قول الذين قالوا بقدم الجواهر والأعراض[١] .

السابعة :

اعتقاده باستحالة بعض الأجسام بعد تفرقها بالموت ولذلك فإنه يتأول الآيتين الكريمتين :" يحي الموتى "[٢] " وأن الله يبعث من في القبور "[٣] على معنى أن الله يحي أرواح الموتى ويبعث أرواح من في القبور[٤] .

٢٠) الكعبية :

أتباع أبى القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي من معتزلة بغداد ومن كبار المتكلمين توفي سنة ٣١٧ هـ[٥]. وقد خالف معتزلة البصرة في مسائل عدة هي :

الأولى :

قوله : إن إرادة الله ليست صفة قائمة بذاته ولا هو مدبر لذاته ولا إرادته حادثة في محل وإنما يرجع ذلك إلى العلم فقط والسمع والبصر يرجع إلى ذلك أيضا .

وأنكر الرؤية وقال إذا قلنا إنه يرى المرئيات فإنما ذلك يرجع إلى علمه بها وتميزها قبل أن توجد[٦] . فليس الله عنده مريدا أو سميعا أو بصيرا على الحقيقة[٧] .

---

(١) الفرق بين الفرق ص١٧٩-١٨٠

(٢) الحج آية ٦. الشورى آية ٩ الأحقاف آية ٣٣ . القيامة آية ٤٠

(٣) الحج آية ٧

(٤) الصواعق المرسلة (٧١٢/٢)

(٥) وفيات الأعيان (٤٥/٣) المواعظ والاعتبار (٣٤٨/٢)

(٦) المواعظ والاعتبار (٣٤٨/٢)

(٧) انظر الفرق بين الفرق ص ١٨١ أصول الدين ص ٤٤،٩٠

الثانية :

زعم أن المقتول ليس بميت وعاند قول الله تعالى " كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور"[١] : وسائر الأمة مجمعون على أن كل مقتول ميت وأنى يصح مقتول غير ميت[٢].

الثالثة :

قال إن الله تعالى لا يرى نفسه ولا يراه غيره[٣] إلا على معنى علمه بنفسه وبغيره وتبع النظام في قوله :" إن الله تعالى لا يرى شيئا في الحقيقة "[٤].

الرابعة :

أن الاستطاعة ليست غير الصحة والسلامة مخالفا البصريين الذين قالوا إنها معنى غير صحة البدن والسلامة من الآفات[٥] .

الخامسة :

أوجب على الله تعالى فعل الأصلح في باب التكليف[٦] .

السادسة :

قوله في الإمامة إن القرشي أولى بها من الذي يصلح لها من غير قريش فإن خافوا الفتنة جاز عقدها لغيره[٧] .

السابعة :

قوله إن المعدوم شئ أو معلوم ومذكور وليس بجوهر ولا عرض[٨].

---

(١) آل عمران آية ١٨٥

(٢) الفرق بين الفرق ص ١٨٢

(٣) التبصير الدين ص٨٥

(٤) الفرق بين الفرق ص١٨١

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٨٢

(٦) المصدر السابق ص ١٨٢

(٧) أصول الدين ص ٢٧٥

(٨) الفرق بين الفرق ص ١٧٩

٢١) البهشمية :

أتباع أبي هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي ولد سنة ٢٤٧ هـ شيخ المعتزلة وابن شيخهم توفي في شعبان سنة ٣٢١ هـ ببغداد. ذكره ابن المرتضى في أول الطبقة التاسعة وقال : وإنما قدمناه وإن تأخر في السن عن كثير ممن نذكر في هذه الطبقة لتقدمه في العلم[١] .

وله أقوال تميز واشتهر بها وهي :

الأول :

قوله في التوبة إنها لا تصح من ذنب مع الإصرار على قبيح آخر يعلمه قبيحا أو يعتقده قبيحا وإن كان حسنا وزعم أن التوبة من الفضائح لا تصح مع الإصرار على منع حبة تجب عليه وعول فيه على دعواه في الشاهد أن من قتل ابنا لغيره وزنى بحرمته لا يحسن منه قبول توبة من أحد الذنبين مع إصراره على الآخر ومما عول عليه أيضا قوله إنما وجب عليه ترك القبيح لقبحه فإذا أصر على قبح آخر لم يكن تاركا للقبيح المتروك من أجل قبحه . وقال أيضا إن التوبة لا تصح عن الذنب بعد العجز عن مثله فلا يصح عنده توبة من خرس لسانه عن الكذب ولا توبة من جب ذكره عن الزنى[٢].

الثاني :

قوله في الإرادة المشروطة –التي أوجدها – إنه لا يجوز أن يكون شئ واحد مرادا من وجه مكروها من وجه آخر وإنما يكون المريد للشيء مريدا له من جميع وجوهه حتى لا يكون كارها له من وجه وبقوله هذا – كما يقول البغدادي – حلت على نفسه مسائل منها هدم أصول المعتزلة وقد ارتكب أكثرها[٣] .

ومما يلزمه بسبب قوله هذا أن يكون من القبائح العظام ما لم يكرهه الله تعالى أو من الحسن الجميل ما لم يرده وكذلك إذا أراد أن يكون القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله إخبار عن محمد بن عبد الله وجب أن لا يكرهه أن يكون

---

[١] المنية والأمل ص ١٨١ شذرات الذهب (٢/٢٨٩) وفيات الأعيان (٣/١٨٣)

[٢] الفرق بين الفرق ص ١٩٠-١٩١

[٣] المصدر السابق ص ١٩٢

إخبارا عن محمد آخر مع كون ذلك كفرا . ويلزمه إذا كره الله تعالى أن يكون السجود عبادة للصنم أن لا يريد كونه عبادة لله تعالى مع كونه عبادة لله طاعة حسنة[1] .

الثالث :

قوله باستحقاق الذم والشكر على فعل الغير فزعم أن زيدا لو أمر عمرا بأن يعطي غيره فأعطاه استحق الشكر على فعل الغير من قابض العطية على العطية التي هي فعل غيره وكذلك لو أمره بمعصية ففعلها لا يستحق الذم على نفس المعصية التي هي فعل غيره. قال البغدادي : " وليس قوله في هذه كقول سائر فرق الأمة أنه يستحق الشكر أو الذم على أمره إياه به لا على الفعل المأمور به الذي هو فعل غيره وهذا المبتدع يوجب شكرين أو ذمين أحدهما : على الأمر الذي هو فعله والآخر على المأمور به الذي هو فعل غيره[2]. وقوله باستحقاق الذم والعقاب لا على فعل وذلك لزعمه أن القادر يجوز أن يخلو من الفعل والترك مع ارتفاع الموانع من الفعل .

وقد أجاز بقاء المستطيع أبدا مع بقاء قدرته وتوفر الآلة وارتفاع الموانع عنه خاليا من الفعل والترك. وقال إن القادر المكلف لو مات قبل أن يفعل بقدرته طاعة له فإنه يستحق الذم والعقاب الدائم لا على فعل ولكن من أجل أنه لم يفعل ما أمر به مع قدرته عليه وتوفر الآلة فيه وارتفاع الموانع منه. فقيل له : كيف استحق العقاب بأن لم يفعل ما أمر به وإن لم يفعل ما نهى عنه دون أن يستحق الثواب بأن لم يفعل ما نهى عنه وإن لم يفعل ما أمر به ؟ وزعم أيضا : أنه لو تغير تغيرا قبيحا فإنه يستحق بذلك قسطين من العذاب أحدهما للقبيح الذي فعله والثاني لأنه لم يفعل الحسن الذي أمر به .

ولو تغير تغيرا حسنا وأطاع بمثل طاعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يفعل شيئا واحدا مما أمره الله تعالى به ولا ضده لاستحق الخلود في النار[3] .

---

(1) الفرق بين الفرق ص ١٩٢-١٩٣

(2) المصدر السابق ص ١٨٩

(3) المصدر السابق ص ١٨٦-١٨٧

الرابع :

قوله بنفي جملة من الأعراض التي أثبتها أكثر مثبتي الأعراض كالبقاء والإدراك والكدرة والألم والشك وقد زعم أن الألم الذي يلحق بالإنسان عند المصيبة والألم الذي يجده عند شرب الدواء الكريه ليس بمعنى أكثر من إدراك ما ينفي عن الطبع والإدراك ليس بمعنى عنده ومثله إدراك جواهر أهل النار في النار. وكذلك اللذات عنده ليست بمعنى ولا هي أكثر من إدراك المشتهي ، والإدراك ليس بمعنى. وقال في الألم الذي يحدث عند الوباء إنه معنى كالألم عند الضرب واستدل على ذلك بأنه واقع تحت الحس. وقال إن اللذة في نفسها نفع وحسن فأثبت نفعاً وحسناً ليس بشيء وقال كل ألم ضرر وجاء من هذا أن الضرر ما ليس بشيء عنده[١] .

الخامس :

قوله في باب الفناء إن الله تعالى لا يقدر على أن يفني من العالم ذرة مع بقاء السموات والأرض وبناه على أصله في دعواه بأن الأجسام لا تفنى إلا بفناء يخلقه الله تعالى لا في محل يكون ضداً لجميع الأجسام لأنه لا يختص ببعض الجواهر دون بعض إذ ليس هو قائماً بشيء منها فإذا كان ضداً لها نفاها كلها ، وحسبه من الفضيحة في هذا قوله بأن الله يقدر على إفناء جملة لا يقدر على إفناء بعضها[٢] .

السادس :

قوله بالأحوال التي كفره فيها مشاركوه في الاعتزال فضلاً عن سائر الفرق[٣].
وذلك أن صفات الله هي عند المعتزلة عين ذاته وشرحها أبو الهذيل بقوله : " الله عالم وعلمه ذاته " ووضحها أبو علي الجبائي بقوله :" صفات الله هي لذاته " أي أن الله يوصف بالقدرة والعلم والحياة لذاته لا لصفات زائدة عن ذاته أما أبو هاشم فقد قال : إن صفات الله لما هو عليه في ذاته أي لأحوال هو عليها في ذاته أي أن

---

[١] الفرق بين الفرق ص ١٩٦-١٩٧

[٢] المصدر السابق ص ١٩٧

[٣] المصدر السابق ص ١٩٥

هناك أحوالا أو معاني من أجلها اتصفت الذات بالعلم والقدرة والحياة ولا تعلم هذه الصفات إلا مع الذات وبالذات[1].

٢٢) الحمارية :

هؤلاء قوم من معتزلة عسكر مكرم ليس لهم مذهب خاص وإنما أخذوا واختاروا من بدع أصناف القدرية ضلالات مخصوصة . فأخذوا من ابن خابط قوله بتناسخ الأرواح في الأجساد والقوالب. وأخذوا من عباد بن سليمان الضمري قوله بأن الذين مسخهم الله قردة وخنازير كانوا قبل المسخ ناسا وكانوا معتقدين للكفر بعد المسخ .

وأخذوا من الجعد بن درهم الذي ضحى به خالد بن عبد الله القسري قوله بأن النظر الذي يوجب المعرفة تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعل لها .

ثم زعموا بعد ذلك أن الخمر ليست من فعل الله تعالى وإنما هي من فعل الخمار لأن الله تعالى لا يفعل ما يكون سبب المعصية .

وزعموا أن الإنسان قد يخلق أنواعا من الحيوانات كاللحم إذا دفنه الإنسان أو يضعه في الشمس فيدود ، زعموا أن تلك الديدان من خلق الإنسان وكذلك العقارب التي تظهر من التبن تحت الآجر زعموا أنها من اختراع من جمع بين الآجر والتبن[2] .

ومن أقوالهم إن النظر أوجب المعرفة وهو لا فاعل له وكذلك الجماع أوجب الولد فشك في خالق الولد وأن الإنسان يخلق أنواعا من الحيوانات بطريق التهجين وزعموا أنه يجوز أن يقدر الله العبد على خلق الحياة والقدرة[3] .

ويقول البغدادي : " وهؤلاء شر من المجوس الذين أضافوا اختراع الحيات والحشرات والسموم إلى الشيطان ومن عدهم من فرق الأمة كمن عد المجوس من فرق الأمة "[4].

---

(١) الفرق بين الفرق ص١٩٥-١٩٦ . المعتزلة لأحمد صبحي (٣١١/١)

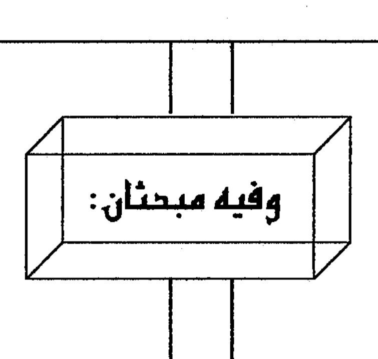
(٢) الفرق بين الفرق ص٢٧٨-٢٧٩

(٣) المواعظ والاعتبار (٣٤٧/٢)

(٤) المصدر السابق ص٢٧٩

الفصل الثاني :

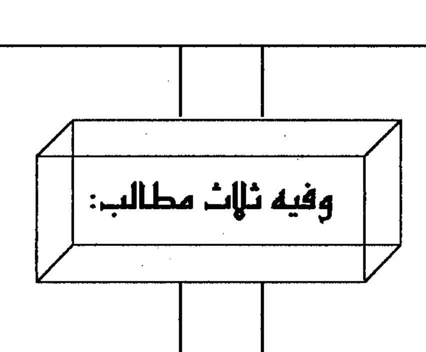
الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة والمعتزلة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.



المبحث الأول : الصلة التأريخية بين الشيعة والمعتزلة.

المبحث الثاني : الصلة العقديــة بين الشيعة والمعتزلة.

المبحث الأول :
الصلة التأريخية بين الشيعة والمعتزلة.



المطلب الأول : أقوال العلماء في ثبوت الصلة.
المطلب الثاني : الأسباب التي دفعت الشيعة والمعتزلة الى تلك الصلة.
المطلب الثالث : الأقوال الواردة في تحديد بداية الصلة.

المطلب الأول :

أقوال العلماء في ثبوت الصلة.



المقصد الأول : أقوال أهل السنة.

المقصد الثاني : أقوال الشيعة.

المقصد الثالث : أقوال المستشرقين.

المطلب الأول : أقوال العلماء في ثبوت الصلة .

تمهيد :

إن من أكثر الأمور صعوبة تحديد البداية التي تـم فيـها التلاقـي بيـن الشـيعة والمعتزلة بل إن هذه القضية – قضية الصلة بين الشيعة والمعتزلة – هي مشـكلة قديمة تشكل كما يقول مكدونالد : " عقدة هي من أكثر المسائل غموضا في تـاريخ الفكر الإسلامي "[1] وذلك لأن الاضطراب في الروايات التأريخية يدعو البـاحث إلى التروي والتعامل معها بحذر شديد إضافة إلى أن هذه الظاهرة كانت موضـع مناقشة وجدال منذ القرن الرابع الهجري حيث وجد من علمـاء الشـيعة قديمـا وحديثا[2] من ينكر هذه الصلة وأن يكون الشيعة قد اقتبسوا أو أخذوا شـيئا مـن المعتزلة ومن أقدمهم شيخ الشيعة المفيد المتوفى سنة ٤١٣ هـ في كتابه أجوبـة المسائل الصاغانية الذي يحاول فيه تفنيد رأي من يـرى اقتبـاس الشـيعة مـن المعتزلة بقوله :" لسنا نعرف للشيعة فقيها متكلماً على ما حكيت عنـه مـن أخـذ الكلام عن المعتزلة وتلفيقه الاحتجاج "[3]. وهذا أمر متوقع ممن يتمذهب بمذهـب الرافضة. ذلك أن الهيكل العام للتعاليم الشيعية إنما " قام على ما روي من أحـاديث وأخبار عن الإمام المعصوم فمنطوق المذهب يقضي بطرد كل احتمـال للتـأثير الخارجي لا بل وإنكاره باعتبار أن المذهب الشيعي وحدة فكريـة قائمـة بذاتـها مستمدة من تعاليم الإمام "[4].

---

[1] دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ١١٤

[2] من المتقدمين : المفيد في : أجوبة المسائل الصاغانية ضمن سلسلة مؤلفات المفيد (٤١/٣) والمسعودي في مروج الذهب (٢٣٥/٣ – ٢٣٦) ذكر أنه كتب في مؤلف له بعنوان :" الإبانة " الفرق بين المعتزلة وأهل الإمامة وما بان به كل فريق منهم عن الآخر . ومن المعاصرين : عبد الله نعمه في : فلاسفة الشيعة ص ٤١-٤٤،٥٢،١٧٥،٨٩-٩٠ ومحمد جواد مغنية في معالم الفلسفة الإسلامية ص ١٦٨-١٧٠ وهاشم معروف الحسني في : الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة ص ٢٤٣ وحسن الصدر في تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٣٧٠،٣٧٤ وجعفر السبحاني في : مع الشيعة الإمامية في عقائدهم ص ٤٥ ودور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية ص ٧٨-٨٩،٩٠ ومحمد جعفر شمس الدين في دراسات في العقيدة الإسلامية ص ٦٦-٦٧-،٧٢) وعلي خامنئي في : دراسة عن دور المفيد ص ٣٤-٤٥ ، ٥٨ ، ٦٠ ورسول جعفريان في : المسار الفكري بين المعتزلة والشيعة ص ٣ – ٤ وموسى الهادي في كتاب الشيخ ابن أبي جمهور الأحسائي ص ١٨٤ وإدريس هاني في محنة التراث الآخر ص ١١٥-١١٦ وغيرهم .

[3] أجوبة المسائل الصاغانية مطبوع ضمن سلسلة مؤلفات المفيد (٤١/٣) .

[4] دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ١١٥.

وعلى الطرف الآخر يقابل هؤلاء الشيعة جم غفير من علماء السنة والشيعة ومن المستشرقين على حد سواء كلهم يثبت الصلة العقدية بين هاتين الطائفتين مع اختلاف يسير في تحديد تأريخ بداية هذه الصلة. بيد أن الجميع يتفق على أنها قد بدأت منذ وقت مبكر ، وهذه بعض أسماء ونصوص من أثبت الصلة بين التشيع والاعتزال مبتدءا بذكر علماء أهل السنة وأعني بهم كل من أثبت خلافه أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ثم الشيعة ثم المستشرقين .

المقصد الأول : أقوال علماء أهل السنة :-

١ – أبو الحسن الأشعري ويقول :

" واختلفت الروافض أصحاب الإمامة في التجسيم وهم ست فرق ... والفرقة السادسة من الرافضة يزعمون أن ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس. وقالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج وهؤلاء قوم من متأخريهم فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه "[١]

٢– أبو علي الجبائي ويقول :-

" وافقونا _ أي الشيعة _ في التوحيد والعدل وإنما خلافنا في الإمامة فاجتمعوا حتى تكونوا يدا واحدة " [٢]

٣– القاضي عبد الجبار الهمداني ويقول :-

" وأما الزيدية فأكثرهم في الإمامة يسلكون طريقتنا وإنما يقع الكلام فيما بيننا وبينهم في طريقة السمع فربما أثبتوا في السمع نصا على عين الإمام وربما أثبتوه على صفته ونحن لا نثبت النص إلا على صفته دون العين ويقع الخلاف بيننا

---

[١] مقالات الإسلاميين (١٠٩/١) وأنظر نفس المصدر (١١٧/١ – ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠)

[٢] فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٩١

* إن نسبة زيد بن علي إلى الاعتزال نسبة غير صحيحة لأن الثابت عنه حسب الدراسات الاستقرائية أنه من أهل السنة والجماعة. أنظر الإمام زيد بن علي المفترى عليه ، لشريف الخطيب وص ٢٥٤-٢٧١ من هذه الرسالة .

وبينهم في بعض أوصاف الإمام دون سائره. والخلاف بيننا وبينهم لا يقدح في الأصول وإنما يجب أن ينظر في الصحيح منه من غير أن يولد ذلك تهمة في الدين "[1] .

٤ – المقريزي ويقول :

" والفرقة الرابعة الزيدية ... وهم يوافقون المعتزلة في أصولهم كلها إلا في مسألة الإمامة ...[2] " ويقول أيضاً :" وقلما يوجد معتزلي إلا وهو رافضي إلا قليلا منهم"[3].

٥ – أبو الحسين الملطي ويقول :-

" والفرقة الرابعة من الزيدية هم معتزلة بغداد "[4]

٦- عبد القاهر البغدادي ويقول :-

" ولقد سخنت عيون الرافضة القائلين بالاعتزال بشك شيخ المعتزلة – واصل ابن عطاء – في عدالة علي وأتباعه "[5].

٧- شمس الدين المقدسي ويقول :-

" وشيعة عمان وصعدة وأهل السروات وسواحل الحرمين معتزلة إلا عمان "[6]

٨ – الشهرستاني ويقول :

" وأكثرهم – أي الشيعة ـــ في زماننا مقلدون لا يرجعون إلى رأي واجتهاد أما في الأصول فيرجعون إلى رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت ..." [7] ويقول أيضا :" وكان التشبيه بالأصل

---

(١) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٠/ ١ / ٣٨ – ٣٩)

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣٥٢/٢)

(٣) المصدر السابق (٣٤٨/٢)

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٤٦

(٥) الفرق بين الفرق ص ١٢٠ ، أصول الدين ص ٢٩١

(٦) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٩٦ وانظر ص ١٢٦ ، ٣٢٣ ، ٣٩٥ ، ٤٣٩

(٧) الملل والنحل (١٦٢/١)

والوضع في الشيعة وإنما عادت إلى بعض أهل السنة بعد ذلك وتمكن الاعتزال فيهم لما رأوا أن ذلك أقرب إلى المعقول وأبعد من التشبيه والحلول ... "[١]

٩- أبو الفرج ابن الجوزي ويقول :-

" وفي سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهاء المعتزلة الحنفية فأظهروا الرجوع وتبرؤا من الاعتزال ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للإسلام وأخذ خطوطهم بذلك... "[٢].

وغير هؤلاء من العلماء والباحثين في الماضي والحاضر كثير أمثال : مرعي الكرمي الحنبلي[٣] والشوكاني[٤] ، وصديق خان القنوجي[٥] ومحمود شكري الألوسي[٦] وجمال الدين القاسمي[٧] وغيرهم[٨] .

١٠ - فخر الدين الخطيب الرازي ويقول :-

" وقول هؤلاء _ أي الزيدية _ في الأصول قريب عن مذهب المعتزلة " [٩]

---

[١] الملل والنحل (١٧٦/١) وأنظر نفس المصدر (٧١/١) (١٦٦/١)

[٢] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٢٨٧/٧)

[٣] رفع الشبهة والغرر ص ٣٤

[٤] البدر الطالع (١٩٤/٢) في ترجمة الفقيه محمد بن الحسن الديلمي ت سنة ٧١١هـ

[٥] خبيئة الأكوان ص ٢٢

[٦] المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر ص ٢٧٨،٣٣٤،٣٣٧،٣٤٠

[٧] تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٥١ ، ٥٦

[٨] انظر : المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٨٠ ، ٢١٨ - ٢١٩ ، ٢٠٣ - ٢٠٧ وضحى الإسلام لأحمد أمين (٢٦٧/٣-٢٦٨) وظهر الإسلام (٤٣/٤،٦٦،١١٨،١٤٥) والمعتزلة لأحمد صبحي (٢٥٩/١ - ٢٦٢) وإعجاز القرآن لمنير سلطان ص ٨ وتاريخ الفرق الإسلامية لعلي الغرابي ص ٢٩١ وفي الفلسفة الإسلامية لمذكور ص ٣٧،٦٦ والشيعة في إيران للشابي ص ١١٣ ونشأة علم الكلام لهاشم فرغل ص ١٦٠،١٥٨ ودراسات في الفرق والعقائد لعرفان عبد الحميد ص ١١٣ وتاريخ الإسلام السياسي لحسن إبراهيم حسن (٤٣٢/١ - ٤٣٦) والإمام زيد لأبي زهرة ص ٤٠ ودراسة في علم الكلام للشافعي ص ١٠٧-١٠٨ والمعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ص ١٢٤ وموقف المعتزلة من السنة النبوية. أبو لبابة حسين ص ٢٦ وأصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية لعائشة المناعي ص ٤٤٧ - ٤٥١ وأصول مذهب الشيعة الإمامية للقفاري (٥٤٥/٢ ، ٥٤٩) والكيسانية في التأريخ والأدب لوداد القاضي ص ٣٠١ - ٣٠٤ وحركات الشيعة المتطرفين لمحمد جابر ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ودور الشيعة في تطوير العراق السياسي الحديث. عبد الله النفيسي ص ٧١ ، ودراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، عبد الله الأمين ص ٣٣٨ - ٣٣٩ ، والتأريخ السياسي والفكري لعبد المجيد بدوي ص ٩٢ - ١٠٨ والإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٢٤٦ ومعتزلة اليمن لعلي محمد زيد ص ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ والصلة بين الزيدية والمعتزلة لأحمد عارف ص ١٤ ، ١٥ ، ١٨ ، ٦٢ وتأريخ المذاهب الدينية لأيمن فؤاد سيد ص ٢٢٥ ، ٢٥٤ - ٢٥٥ والإمام المهدي أحمد بن المرتضى لمحمد الكمالي ص٢٧-٣٠

[٩] محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ص ٢٤٧

١١ – شيخ الإسلام ابن تيمية ويقول :-

" ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي صاحب كتاب " الآراء والديانات " وأمثاله وجاء بعد هؤلاء المفيد ابن النعمان وأتباعه ولهذا تجد المصنفين في المقالات كالأشعري لا يذكرون عن أحد من الشيعة أنه وافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم إلا عن بعض متأخريهم وإنما يذكرون عن بعض قدمائهم التجسيم وإثبات القدر وغيره ... [١]

ويقول : " فلما كان بعد زمن البخاري من عهد بني بويه الديلم فشا في الرافضة التجهم وأكثر أصول المعتزلة " [٢]

١٢ – شمس الدين الذهبي ويقول :

" ومن حدود سبعين وثلاثمائة إلى زماننا هذا تصادق الرفض والاعتزال وتواخيا"[٣]

ويقول أيضا :" ولكن غلت الشام في زمانه _ أي أبو الحسن علي بن موسى ابن السمار – بل ومصر والمغرب بالدولة العبيدية بل والعراق وبعض العجم بالدولة البويهية واشتد البلاء دهرا وشمخت الغلاة بأنفها **وتواخي الرفض والاعتزال حينئذ** والناس على دين الملك نسأل الله السلامة في الدين " [٤] .

١٣ – ابن قيم الجوزية ويقول :-

" وكان الرجل وشيخه _ أي أبو هاشم وشيخه أبو علي الجبائي – في زمن قوة شوكة المعتزلة وكانت الدولة دولة رفض واعتزال وكان السلطان عضد الدولة ابن

---

[١] منهاج السنة النبوية (١/ ٧٢) .

[٢] الفتاوى الكبرى (٣٦٩/٦) ونصوص ابن تيمية في هذا المقام كثيرة أنظر : منهاج السنة النبوية (٩/١ ، ٦٨ – ٧٢) (٢٩٩/٢ – ٣٠٢ ، ٢٨٨،٣٠٣،٣٠٤،٢٣٤،٣٦٩،٣٧١) ، (٣/٥-٧،٩،٤٦٢) (١٦٢/٥) ، (٣٩٦/٦) ، (٧٢/٧)

[٣] ميزان الاعتدال (١٤٩/٣)

[٤] سير أعلام النبلاء (٥٠٧/١٧) وأنظر نفس الكتاب (٢١٦/١٤) (١١٣/١٥،١٣٤،٣٦٣) (٢٥٠/١٦) (٥١٠/١١) والمنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٤٩ إذ يقول فيه :" وهذا على قول شيعة زماننا أوجه فإنهم معتزلة " وانظر (٢٤،٣٢،٣٣،٣٩،٧١،٧٤،١٠٧،١٢١،١٤٣،٣٤٠،٣٤٢،٣٥٦،٣٦٠،٣٦١،٤٤٨)

بويه وله صنف أبو علي " الإيضاح " وكان الوزير إسماعيل بن عباد معتزليا وقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد معتزليا ... [1]"

١٤ – ابن حجر العسقلاني ويقول :–

" وقول المصنف _ أي الذهبي _ إن الرفض والاعتزال تواخيا من حدود سبعين وثلاثمائة ليس كما قال بل لم يزالا متواخيين من زمن المأمون "[2]

١٥– محمد شاكر الكتبي ويقول :–

" وصار زيد* وجميع أصحابه معتزلة في المذهب والاعتقاد [3] "

١٦– أحمد عبد الأحد السر هندي الحنفي ويقول :–

" إن الزيدية في الفروع على مذهب أبي حنيفة وفي الأصول على مذهب المعتزلة"[4]

١٧– صالح المقبلي اليمني ويقول :–

"...كالزيدية في الجبل من اليمن هم معتزلة في كل الموارد إلا في شيء من مسائل الإمامة وهي مسألة فقهية "[5] ويقول أيضا :" ومن المعتزلة : الشيعة الزيدية والإمامية"[6].

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ص ٢٩٣

(٢) لسان الميزان (٢٤٨/٤)

(٣) فوات الوفيات (٣٧/٣)

(٤) تائية أهل السنة ص ١٦ طبعه حسين حلمي باستنبول بتركيا ، نقلا عن أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة للخميس ص ٦٣٢

(٥) العلم الشامخ ص ١١ – ١٢

(٦) المصدر السابق ص ٢٨١ وانظر نفس المصدر ص ٣٤٨ ، ٣٨٩ ، ٣٥٦– ٣٥٧

المقصد الثاني : أقـــوال علمـــاء الشـــيـعة :-

١ – نصير الدين الطوسي ويقول :-

" وسَمُّوا الإمامية بعده – أي زيد – الروافض لأنهم رفضوا زيدا حتى قتل . وهـم في الأصول معتزليون وفي الفروع حنفيون إلا في مسائل معدودة "[1]

٢ – المنصور بالله عبد الله بن حمزة – أحد أئمة الزيدية – ويقول :-

"وهم – أي المعتزلة – يدينون بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد ولهم علوم واسـعة وتصانيف جمة وخلافهم لنا قليل إنما يخالفون في الإمامة " [2]

ويقول أيضا : والشيعة فرق كثيرة إلى ثلاث عشرة فرقة أكثرها يضلله أهل البيت ومنهم من يكفرونه والعمدة في التشيع مذهب الزيدية وعدلية الإمامية ــ ويقــترب ــ إليهم المعتزلة لقولهم في العدل والتوحيد وبينهم الخلاف في مسائل الإمامة "[3]

٣ – الهادي بن إبراهيم الوزير ويقول :-

" أرشد الله طائفتين من بريته فتمسكا بهدي محمد وذريته وهـم الزيديــة الزكيــة والمعتزلة المرضية وإنهم لفرقة واحدة على التحقيق "[4]

ويقول أيضا " ورأيت تقديمهم _ أي المعتزلة _ علــى الزيديــة لأنــهم ســاداتها وعلماؤها فألحقت سمطهم سمط الأئمة عليهم السلام وذلك لتقدمهم فـــي الرتبــات ولأنهم مشايخ ساداتنا السادات وعلماؤنا القادات " [5]. ويقول أيضا " إنهما فرقـــة واحدة في التحقيق إذ لم يختلفوا فيما يوجب الإكفار والتفسيق " [6]

---

[1] تلخيص المحصل ص ٢٤٧

[2] الشافي (١ / ١٣٦)

[3] المصدر السابق (١/١٣٩-١٤٠)

[4] رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار والعلماء الأبرار . مخطوط (خ ورقه ١٣٦ م ١٩٧) نقلا عن كتاب ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية د / علي الحربي (١/٢٦٢)

[5] المصدر السابق (خ ورقة ١٣٧) نقلا عن ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية (١/٢٦٢)

[6] المصدر السابق نقلا عن العلم الشامخ للمقبلي ص ١١

٤ – علي بن الحسين المسعودي ويقول :-

" ... والكلام بين متكلمي العثمانية والزيدية من معتزلة البغداديين القائلين بإمامة المفضول وغيرهم من البتريه وفرق الزيدية " [١]

٥ – حميدان بن يحيى بن حميدان ويقول :-

" وافقناهم _ أي المعتزلة _ في الأصول ولم يوافقونا في الإمامة فعلام الاتفاق "[٢]

٦ – ابن أبي الحديد ويقول :-

" القول فيما يذهب إليه أصحابنا المعتزلة في الإمامة والتفضيل ... وأما نحن فنذهب إلى ما ذهب إليه شيوخنا البغداديون عن تفضيله عليه السلام "[٣]

وغير هؤلاء من علماء الشيعة كثير كلهم أثبت الصلة بينهم وبين المعتزلة في العقيدة [٤]

المقصد الثالث : أقوال المستشرقين :-

١ – آدم متز ويقول :-

" أما من حيث العقيدة والمذهب فإن الشيعة هم ورثة المعتزلة ولابد أن تكون قلة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة مما لاءم أغراض الشيعة. ولم يكن للشيعة في القرن الرابع مذهب كلامي خاص بهم فنجد مثلا أن عضد الدولة وهو من الأمراء المتشيعين يعمل على حسب مذهب المعتزلة ... ثم إن الطريقة التي سار عليها ابن

---

(١) التنبيه والإشراف ص ٢١٤

(٢) نقلا عن الزيدية د / أحمد صبحي (٣/٣١٥)

(٣) شرح نهج البلاغة (١/ ٧ – ٩)

(٤) أنظر الناشي الأكبر . مسائل الإمامة (٥٦ – ٥٨) . الهادي يحيى بن الحسين في كتابه البالغ المدرك (ورقه ٢ م١٧٦). والإمام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون في شرحه للبالغ المدرك . والمطهر بن محمد المطهر الزيدي في الأبيات الفخرية في أصول الدين نقلا عن العلم الشامخ ص ١١ – ١٢ ، ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية د / علي الحربي (١/٢٦٢ – ٢٦٣) والمنية والأمل لابن المرتضى ص ٨٩،٢٠٠ وابن المطهر الحلي في نهج المسترشدين ص ٣٢ والنواقض لبنيان الروافض لميرزا مخدوم ص ٦٩-٧٠ نقلا عن الفكر السلفي عند الشيعة ص ٢٦٨ والصلة بين التصوف والتشيع لكامل الشيبي (٢/٣٢١) وعلم الكلام لمرتضى مطهري ص ٤٣،٥٤،٦٣-٦٦ وطبقات أعلام الشيعة لآغا بزرك (٤/٨٨) (٥/٦،٢٣) ، (٦/هـ ، ١٦٦ – ١٦٧) والفكر السلفي عند الشيعة للجابري ص ١٧١،١٧٢،١٨٢،٢١٣،٢٢٠،٢٢٧ وروح التشيع لعبد الله نعمة ص ٣٩٧ والفوائد البهية لمحمد العاملي (١/١٩٦) والنظرية السياسية المعاصرة للشيعة محمد عتوم ص ٤٩

بابوية القمي أكبر علماء الشيعة في القرن الرابع الهجري في كتابه المسمى كتاب العلل تذكرنا بطريقة علماء المعتزلة الذين كانوا يبحثون عن علل كل شيء. وكان في مذهب الشيعة كما كان في مذهب المعتزلة مكان لكل ألوان الزندقة. فنجد ابن معاوية منذ القرن الثاني الهجري " الثامن الميلادي" يجمع حوله الزنادقة. وقتل أحد هؤلاء لأنه أنكر البعث وكان يقول إن الناس تفنى كالنباتات " [1].

ويقول أيضا : " قد أثر مذهب المعتزلة في التشيع إلى عصرنا ومن الخطأ قول من قال: إن مذهب المعتزلة لم يلعب دورا كبيرا في الدين والأدب بعد انتصار الأشاعرة. ومما يثبت بطلان هذا الرأي ما انتهى إلينا من كتب كثيرة للشيعة يتجلى فيها تأثير المعتزلة ، فمن ذلك أن الشيعة يقسمون كتبهم إلى باب العدل والتوحيد بل نجد من كبار المعتزلة كالنظام من قرر من قبل أن الحجة في قول الإمام المعصوم وقول الشيعة بضرورة وجود إمام معصوم له اتصال بما اختص به المعتزلة من القول بوجوب هداية أساسها الحكمة والعدل الإلهيان فلا بد عند بعض المعتزلة من أن يجعل الله لكل عصر إماما معصوما " [2] .

٢ - جولد تسيهر ويقول :-

" إن النزعة الغالبة على التشيع في المسائل التي لا تتأثر الإجابة عليها بنظرية الإمامة تقترب كثيرا من نزعة المعتزلة التي ألممنا بها في القسم الثالث حتى أن فقهاء الشيعة عرفوا كيف يستعينون بالآراء الاعتزالية لبناء القواعد الخاصة بمذهبهم فقد مالوا لأن يتسموا بالعدلية أي أنصار العدل ... وقد استقر الاعتزال في مؤلفات الشيعة حتى يومنا هذا ... ويمكن أن نعتبر كتب العقائد الشيعية كأنها من مؤلفات المعتزلة لأنها تنقسم إلى قسمين كبيرين يندرج تحت أحدهما أبواب الوحدانية ويندرج تحت القسم الآخر أبواب العدالة ... ومما يستدعي النظر أن علم

---

(١) آدم مستتد . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١/١٠٦ – ١٠٧)

(٢) المصدر السابق (١/١٢٨)

الكلام الشيعي يتجه بصفة خاصة نحو المعتزلة لأنه يستند فيما يسوقه من براهين لتأييد نظرية الإمامة على قواعد اعتزالية بحتة "[1].

٣- دوايت م. رونلدسن ويقول :-

" وفي الأسلوب الذي يبرهن فيه علماء الشيعة على هذه العقيدة - أي عصمة الأنبياء - نجد كذلك أثر المناقشة العقلية التي امتاز بها المعتزلة "[2].

٤- مارتن مكدرموت ويقول :-

" إن ابن بابويه محدث يشبه في بعض آرائه مع المعتزلة في آرائها وأحكامها والشيخ المفيد متكلم وفي الحال نفسها محدث وأنظاره التي تتفق في الأساس مع أنظار ابن بابويه قد سلكت شوطا أبعد في الاتجاه الاعتزالي "[3].

ويقول أيضا :" إن " كتاب التوحيد " للصدوق متأخر في تأليفه عن كتابيه الآخرين "اعتقادات الإمامية " و " الهداية " وأن الصدوق فيه كان أقرب إلى الفكر الاعتزالي منه فيهما إذ أن الصدوق بعد ما هاجر إلى الري كان يعيش في بلاط البويهيين هناك ولعل هذا الفرق يعود إلى ضغط الوزير الصاحب بن عباد والأثر الذي كانت تتركه أدلة المعتزلة في نفس الصدوق اللذين أوجبا التغيير الذي حصل في تفكير الصدوق[4]". إلى غير ذلك من المستشرقين الذين أثبتوا الصلة العقدية بين الشيعة والمعتزلة[5].

---

[1] العقيدة والشريعة في الإسلام ص ١٩٨-٢٠٠

[2] عقيدة الشيعة ص ٣٢٨

[3] نظريات علم الكلام عند الشيخ المفيد - الطبعة الإنجليزية - دار المشرق ص ٣٦٧ - ٣٦٩

[4] المصدر السابق ٣٢٣ ، ٣٤١ - ٣٤٩

[5] انظر على سبيل المثال مقدمة سوسنة ديفلد - فلزر لكتاب طبقات المعتزلة لأحمد بن يحيى المرتضى .

المطلب الثاني:
الأسباب التي دفعت الشيعة والمعتزلة إلى تلك الصلة.

وفيه ثلاثة مقاصد:

المقصد الأول : أسباب تتعلق بالمعتزلة.
المقصد الثاني : أسباب تتعلق بالشيعة الزيدية.
المقصد الثالث : أسباب تتعلق بالشيعة الإمامية.

المطلب الثاني : الأسباب التي دفعت الشيعة والمعتزلة إلى تلك الصلة :

تمهيد :

إن الصلة الحاصلة بين الشيعة والمعتزلة قد مرت بمرحلتين مرحلة بداية كانت متمثلة في عدد من أفراد الشيعة والمعتزلة ومرحلة استقرار برزت على إثرها هذه الظاهرة على المستوى الجماعي .

وغريب هذا التقارب والتزاوج بين فرقتين متضادتين كل التضاد خلا الزيدية من الشيعة وذلك لأن الباحث في جذور العلاقة الفكرية بين المعتزلة والشيعة الإمامية سيجد أن هذه العلاقة منبتة تماما . فليست هناك وشائج فكرية وصلات عقدية تربط بين الفرقتين. فالمعتزلة يذهبون إلى التنزيه المطلق بمعنى تعطيل الذات الإلهية عن صفاتها ، والإمامية المتقدمون كهشام بن سالم الجواليقي وأبي جعفر محمد بن علي النعمان الملقب بشيطان الطاق وهشام بن الحكم الشيباني وعلي ابن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار وعلي بن منصور والسكاك محمد بن الجليل والحرار أبي محمد وداود الجواربي ويونس القمي مولى آل يقطين وزراة بن أعين وغيرهم يذهبون إلى التجسيم والتشبيه بل إن أول من قال في الإسلام إن الله جسم هو هشام بن الحكم [١] وفي المقابل نجد أن أول من قال إن الله ليس بجسم هم الجهمية والمعتزلة [٢]. ولذا يذكر الخياط المعتزلي تجسيم متقدمي الرافضة بقوله:" وهذا توحيد الرافضة بأسرها إلا نفرا منهم يسيرا صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد فنفتهم الرافضة عنهم وتبرأت منهم فأما جملتهم ومشايخهم مثل هشام ابن سالم الجواليقي وشيطان الطاق أبو جعفر محمد بن علي النعمان وعلي ابن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار والحرار أبو محمد وأبو حاكم هشام ابن الحكم الشيباني وعلي بن منصور والسكاك هو محمد بن الجليل فقولهم ما حكيت عنهم -أي التجسيم -"[٣].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٢٢٠)

(٢) المصدر السابق (٢/٢٢٠)

(٣) الانتصار ص ٣٦ – ٣٧ ولمعرفة ما هم عليه من تجسيم. انظر : ص ٣٣٢-٣٤٥ مما سيأتي.

ويكرر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الحقيقة مرارا في رده على بن المطهر الرافضي كقوله : " قدماء الرافضة مجسمة بل غلاة في التجسيم ومتأخروهم معطلة يوافقون المعتزلة وغيرهم "[1] ويقول :" متقدموا الشيعة مشبهة ومتأخروهم قالوا في التوحيد بقول المعتزلة والخوارج قاله الأشعري "[2]

والناظر في كتب الفرق والعقائد والملل والنحل يجدها حافلة بأمثلة عديدة لتجسيم متقدمي الشيعة[3].

بينما المعتزلة يعتمدون على العقل اعتمادا كبيرا بلغ حد التقديس فهم يجعلونه حاكما على الوحي لأن الوحي – بزعمهم – عرفت صحته عن طريق العقل [4].

في حين أن الشيعة يستمدون حقائقهم من الإمام المعصوم وهذا الإمام قوله شرع والإيمان به وطاعته أصل من أصول الإيمان لا يتحقق إيمان الشيعي إلا بالتسليم به[5] لأن الإمام معصوم وخطأه محال. وأيضا فإن المعتزلة يرون الخروج على الإمام الجائر وخلعه [6] منطلقين في ذلك من أصلهم الخامس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أن المعتزلة ينكرون الشفاعة لأهل الكبائر إنكارا تاما[7] كي يتحقق وعد الله للمؤمنين ووعيده للكافرين لأن هذا مما يقتضيه عدل الله ويستلزمه، وهذا مبني على أصلهم الثالث الوعد والوعيد. في حين أثبت الشيعة الشفاعة ليس للأنبياء فقط بل لأئمتهم أيضا إلى غير ذلك مما لا يمكن أن يلتقي

---

(1) منهاج السنة النبوية (٢/٢٤٣)

(2) المصدر السابق (٢/٢٢٠) . وانظر مقالات الإسلاميين (١/١٠٩، ١١٧-١٢٠) ، الانتصار ص ٤١

(3) أنظر الفرق بين الفرق ص ٦٥ – ٧٠ . مقالات الإسلاميين (١/١٠٦ -١٠٩) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨١-٨٤ وقال : " وكان بدو ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل بنان بن سمعان ... وهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبو جعفر الأحول الذي كان يدعى شيطان الطاق وهؤلاء رؤساء علماء الروافض " . والملل والنحل للشهرستاني (١/١٨٧ – ١٩٢) ، التبصير في الدين ص ٣٩ – ٤٣ .

(4) المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٣/٢٨٠)

(5) التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي د/ عبد المجيد بدوي ص ٩٣

(6) مقالات الإسلاميين (٢/١٥٧)

(7) شرح الأصول الخمسة ص ٦٨٨ ، ٦٩٠

المعتزلة مع الأمامية فيه مما يتعلق بالنص على الإمام وقولهم بالغيبة والرجعة والتقية والعلم اللدنى وما شابه ذلك .[١]

إن هذه الفروق فروق جوهرية جعلت المعتزلة والإمامية يتباعدان ، في الأساس كل البعد. ولما كانت غير متحققة بين المعتزلة والزيدية فقد أمكن فهم السر في التقارب بينها منذ البداية واستمراره وتوثقه بعد ذلك .[٢]

إذا فلا غرابة أن يكون العداء سافرا ظاهرا بين المعتزلة والإمامية وأن يتبادل مفكرو الطائفتين الطعن في عقائد كل منهما حتى أواخر القرن الثالث الهجري حيث بدأ يظهر بين الفرقتين لون من التقارب والتعاطف أدى إلى تبني عدد من الشيعة الإمامية لآراء المعتزلة كالحسن بن موسى النوبختي الذي يضعه مؤرخوا الاعتزال كالقاضي عبد الجبار[٣] وابن المرتضى[٤] ضمن رجال الطبقة التاسعة من طبقات المعتزلة كقول القاضي عبد الجبار " ومنهم إمامية كالحسن بن موسى النوبختي "[٥].

وهذا النص يشير إلى تأثير الاعتزال على بعض الشيعة الإمامية أصحاب هذه الحقبة فقد ولد ابن النوبختي في السنوات الوسطى من القرن الثالث الهجري حيث أدرك رأس الثلاثمائة كهلا قد تقدم به السن وهو هنا يعطي نموذجا واحدا يعكس اتجاها اعتزاليا ظهرت بداياته بين الإمامية في أواخر القرن الثالث [١]. ثم اتسع هذا الاتجاه وأستقر في القرن الرابع الهجري وما بعده .

وابن تيمية يؤكد على هذه الحقيقة بقوله :" ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي صاحب كتاب الآراء والديانات وأمثاله وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان وأتباعه ".[٦]

---

(١) التاريخ السياسي والفكري ص ٩٣

(٢) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ٣٢٨ .

(٣) فرق وطبقات المعتزلة ص ١١٠

(٤) المنية والأمل ص ٢٨

(٥) فرق وطبقات المعتزلة ص ١١٠

(١) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ٣٢٨

(٦) منهاج السنة النبوية (١/٧٢)

ويقول أيضا : " فلما كان بعد زمن البخاري من عهد بني بويه الديلم فشا في الرافضة التجهم وأكثر أصول المعتزلة " [١]

إن هذه الحالات الفردية قد وجدت قبل الحسن بن موسى النوبختي بزمن طويل كأبي سهل عوف الأعرابي البصري (ت سنة ١٤٧هـ) فقد وصف بأنه قدري رافضي [٢]. ومحمد بن اسحاق بن يسار (ت سنة ١٥٢هـ) وصف بأنه يتشيع وكان قدريا [٣]. ومحمد بن راشد المكحولي الشامي (ت سنة ١٧٠هـ) قال شعبة إنه معتزلي خشبي رافضي [٤]. وجعفر بن سليمان الضبعي (ت سنة ١٧٨هـ) شيعي من جلساء عوف الأعرابي القدري الشيعي[٥]. وإسماعيل بن محمد بن يزيد السيد الحميري (ت سنة ١٧٩هـ) رافضي معتزلي[٦]. وأبي إسحاق إبراهيم ابن محمد بن أبي يحيى الأسلمي المدني (ت سنة ١٨٤هـ) معتزلي رافضي[٧]. والمأمون عبد الله بن هارون الرشيد (ت سنة ٢١٨هـ) كان فيه تشيع واعتزال[٨]. وبكر بن محمد بن عدي المازني النحوي (ت سنة ٢٣٠هـ) إمامي معتزلي[٩]. وأبي جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي البغدادي (ت سنة ٢٤٠هـ) من رؤساء متشيعة المعتزلة[١٠] وغيرهم يتبين لنا من هذا أن الصلة كانت موجودة قبل ابن النوبختي وقبل بني بويه بزمن بعيد ولكنها كانت على مستوى الأفراد الذين تعرض كثير منهم للطرد والإبعاد بسبب هذه الصلة لأن تلك الحقبة من التأريخ كانت حربا كلامية وعداء سافرا بين المعتزلة والشيعة الإمامية. فهذا الجاحظ المعتزلي (ت سنة ٢٥٥هـ) يهاجم الشيعة الإمامية هجوما مرا في كتابه " فضيلة

---

[١] الفتاوى الكبرى (٣٦٩/٦)

[٢] ميزان الاعتدال (٣٠٥/٣)

[٣] معجم الأدباء (٧/١٨)

[٤] ميزان الاعتدال (٥٤٣/٣)

[٥] ميزان الاعتدال (٤٠٨/١ – ٤٠٩) لسان الميزان (٤٣٧/١)

[٦] لسان الميزان (٤٣٦/١ – ٤٣٧)

[٧] ميزان الاعتدال (٥٧/١ – ٥٩) الجامع في الجرح والتعديل. جمع أبي المعاطي النوري ورفاقه (٣٤/١)

[٨] البداية والنهاية (٢٨٧/١٠ – ٢٨٨ ، ٢٩١) شذرات الذهب (٣٩،٢٧/٢) أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ (٩٧/٢)

[٩] معجم الأدباء (١٠٨/٧ – ١٢٥) لسان الميزان (٥٧/٢)

[١٠] الانتصار ص ١٥٦

المعتزلة " وكتاب "العثمانية " وغيرها وفي المقابل يتصدى للرد عليه أحمد ابن الراوندي معتزلي الأمس ورافضي اليوم (ت سنة ٢٩٨هـ وقيل سنة ٢٥٠هـ) بكتابه الذي تأذى منه المعتزلة لما فيه من الفضائح الأمر الذي دفع أبا الحسين الخياط (ت سنة ٣٠٠هـ) للرد عليه بصارمه الشهير " الأنتصار والرد على ابن الراوندي الملحد " ورغم أن الخياط هو أحد أئمة مدرسة بغداد المعتزلية المتشيعة فإن من يقرأ كتاب الانتصار يقف على حقيقة هامة وهي: أن اللقاء بين المعتزلة والشيعة الإمامية يكاد يكون مستحيلا[1]. فعندما اتهم الجاحظ الرافضة في كتابه " فضيلة المعتزلة " بأنهم مجسمة مشبهة يقولون إن الله صورة وأنكر ذلك ابن الراوندي رد عليه أبو الحسين الخياط بقوله :" إنك لتضر الرافضة بنفيك عنها قولا هو عندها التوحيد الصحيح ولهي أشد عليك في نفيك عنها القول بأن الله صورة من المعتزلة. وبعد فهل كان على الأرض رافضي إلا وهو يقول إن الله صورة ويروي في ذلك الروايات ويحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم إلا من صحب المعتزلة منهم قديما فقال بالتوحيد فنفته الرافضة عنها ولم تقربه "[2]

ويقول أيضا : " وأما جملة قول الرافضة فهو أن الله عز وجل ذو قد وصورة وحد يتحرك ويسكن ويدنو ويبعد ويخف ويثقل وأن علمه محدث وأنه كان غير عالم فعلم وأن جميعهم يقول بالبداء وهو أن الله يخبر أنه يفعل الأمر ثم يبدو له فلا يفعله هذا توحيد الرافضة بأسرها إلا نفرا منهم يسيرا صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد فنفتهم الرافضة وتبرأت منهم ... "[3] فالخياط يتهم الرافضة بأنهم مشبهة مجسمة على بكرة أبيهم إلا النفر القليل الذين صحبوا المعتزلة وقالوا بتوحيدهم فنفتهم الرافضة وتبرأت منهم . إضافة إلى أنه يصم الرافضة بالخروج من الإسلام بسب قولهم بالرجعة فيقول : " ليس تسهيلك بالقول بالرجعة بمزيل للشنعة ولا بمخرج للرافضة من الكفر بالقول به وإنما تسميتك من أنكر القول بالرجعة أموية

---

(1) التأريخ السياسي والفكري ص ٩٤

(2) الانتصار ص ٢١٤

(3) المصدر السابق ص ٣٦ ، ٤١

كبعض ما مضى من كذبك في هذا الكتاب وبهتك. ثم يقال له : ألست تعلم أن الخوارج والمرجئة والمعتزلة والحشوية والزيدية والجارودية والأمة كلها إلا أهل الإمامة تنكر القول بالرجعة وتدفعها وتكفر قائلها وتخرجه من الإسلام ؟ ولعلم الرافضة بخروجها من الإسلام عند الأمة في قولها بالرجعة قد تواصوا بكتمانها وألا يذكروها في مجالسهم ولا في كتبهم إلا فيما قد أسروه من الكتب ولم يظهروه"[١]. إن هذا وغيره مما ورد عن الخياط في حق الشيعة الإمامية ليؤكد أن الاعتزال والتشيع لا يمكن أن يجتمعا لأن أصولهما منبتة تماما. ولكن ومع كل هذا الاختلاف البين والتناقض الواضح بين أصول الشيعة والمعتزلة – كما قرره الخياط المعتزلي وغيره – نجد أن الخصومة بينهما تبدأ في الاضمحلال والزوال في أواخر القرن الثالث الهجري ويسفر هذا الاضمحلال عن مصالحة عامة وتآلف متين تثبت أوتاده وترسخ جذوره في القرن الرابع الهجري إلى يومنا هذا حتى بلغ الأمر بأحد أئمة الاعتزال في القرن الثالث وهو أبو علي الجبائي أن يدعو رفاقه وأصحابه إلى طي صفحات الماضي وابتداء صفحة جديدة مع الشيعة كلها تعاون وتآخ[٢]. إذن فما هي الأسباب التي هيأت وأدت إلى هذه الصلة رغم تباعد أصول كلا الفرقتين في فترة ما قبل الاتصال وعداء كل منهما للأخرى لفترة طويلة من الزمن ؟

إن هذه الأسباب تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول متعلق بالمعتزلة. والثاني متعلق بالشيعة الإمامية والثالث متعلق بالشيعة الزيدية وكل كان له دوره في دفع صاحبه نحو هذا التقارب والاندماج. وبيان ذلك فيما يلي :

---

[١] المصدر السابق ص ١٩٨ ، ١٨٨ وانظر المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٠/ ١ /٣٦ – ٣٧) .

[٢] يقول أبو علي الجبائي " وافقونا أي الشيعة في التوحيد والعدل وإنما خلافنا في الإمامة فاجتمعوا حتى تكونوا يدا واحدة " فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٩١

المقصد الأول : أسباب تتعلق بالمعتزلة :-

١) تأثير النزعة الإقليمية على فكر معتزلة بغداد حيث كانت الكوفة – التي نشأ فيها بشر بن المعتمر مؤسس فرع بغداد – شيعية غلب عليها بل سادها التشيع مقتصدا وغاليا ، وكان بين الكوفة والبصرة صراع فكري انعكس على كثير من مظاهر الفكر الإسلامي حتى أصبحت مدرسة الكوفة ذات طابع متمايز بل متباين عن مدرسة البصرة لا في علم الكلام أو موقفهم من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فحسب بل حتى في علم النحو فحين تشيعت الكوفة اتهمت البصرة بالعثمانية وحقيقة لم يكن معتزلة البصرة "عثمانيين" ولكنهم على الأقل لم يستجيبوا للتشيع حتى في صورته الزيدية الأقل غلوا ولم يكن ذلك منهم انسجاما مع موقف أهل السنة فذلك ما لم يكن يعني معتزلة البصرة أو يقصدونه[١].

٢) العلاقة التي كانت بين معتزلة البصرة وبعض رجالات الشيعة حيث نتج عن ذلك تأثر وتأثير منذ وقت مبكر[٢]. أما معتزلة بغداد فإنهم تأثروا في هذا الاتجاه ببعض رجال المذهب الزيدي. إذ يذكر الشهر ستاني أن قوما من المعتزلة منهم : جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب –وهما من معتزلة بغداد – قد تابعا سليمان ابن جرير – الزيدي – في قوله بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل[٣] .

٣) إن من أصول المعتزلة الخروج على السلطان الجائر ومن هنا وجدوا في الحركات الزيدية متنفسا لهذه العقيدة فلقد اشترك كثير من المعتزلة في حركات

---

(١) المعتزلة د / أحمد صبحي (٢٦١/١).

(٢) التاريخ السياسي والفكري ص ٩٢ الهامش

(٣) الملل والنحل (١٥٩/١ – ١٦٠)

الزيدية[1]. فربما كان ذلك من أسباب التقارب بين الزيدية والمعتزلة الذين يجمعهم هذا المبدأ وهو الخروج على السلطان الجائر[2] .

٤) الوضع السياسي والمذهبي الذي آل إليه المعتزلة في تلك الفترة حيث فقد المعتزلة مكانتهم السياسية والمذهبية بعد أن انقلب عليهم المتوكل - الخليفة العباسي - فأبعدوا عن مهام الحكم والوظائف الهامة في الدولة ومن ثم لم يعد لمذهبهم ما كان يتمتع به من هيبة السلطان في نفس الوقت الذي فقد فيه المعتزلة أعظم رجالهم في الفكر وقوة البرهان ومن هنا شعر المعتزلة بحاجتهم إلى عنصر جديد يشد أزرهم ويقف بجانبهم في محنتهم وهم على استعداد للترحيب بهذا العنصر الجديد المؤازر بشرط أساسي وهو أن ينضوي تحت لوائهم الأشهر : لواء العدل والتوحيد ومن الممكن بعد ذلك التجاوز عن بعض جزئيات المذهب دون إخلال بهذين الأصلين،[3] أملا في أن يجدوا لأنفسهم في المستقبل مكانا في دولة شيعية تبسط عليهم رعايتها وتعوضهم بعض ما فقدوه من عز السلطة والسلطان .

٥) رجوع أبي الحسن الأشعري عن مذهب المعتزلة وانفصاله عنهم بعد صحبة طويلة للاعتزال بدأت من صدر شبابه إلى حين بلوغه سن الأربعين[4] هذه الصحبة التي أتاحت له معرفة مواطن الضعف لدى المعتزلة فانبرى لتقويض حصونهم العقلية إضافة إلى نقده اللاذع للمذهب الشيعي - إماميا كان أو إسماعيليا - ثم صار أتباعه من بعده على منواله كالباقلاني وإمام الحرمين والغزالي

[1] فرق وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار ص ٥٣ ، مقالات الإسلاميين (١/١٤٥) ذكر المعتزلة لأبي القاسم البلخي ص ١١٧ ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة وانظر ص ٢٢٦ - ٢٢٧

[2] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٢٤٧

[3] التأريخ السياسي للمعتزلة ص ٣٣١ - ٣٣٢. المعتزلة لزهدي جار الله ص ٢٠٤

[4] التأريخ السياسي للمعتزلة ص ٣٣٧

والرازي وغيرهم ، وهنا اتجهت المعتزلة إلى رحاب الشيعة الإمامية والزيدية واتحدت بهم[١].

٦) البحث عن حليف قوي يساعدهم على كسر شوكة العدو المشترك الذي هو في نظرهم أهل السنة والجماعة[٢] .

٧) كون المعتزلة يمثلون فكرا بلا جمهور والشيعة جمهورا بلا فكر فأراد المعتزلة أن يستفيدوا من هذا الجمهور في تلقي ونشر أفكارهم ومعتقداتهم[٣] .

٨) أن المعتزلة أصل دينهم مرض في القلب وشبهات وعدم إيمان كما ينبغي فنظروا أي طائفة خير لهم أن ينغمسوا فيها فإذا هي طائفة الشيعة لأنهم عاطفة بلا عقل والمعتزلة عقل وجدل وكلام بلا عاطفة وروحانيات فالتقت العاطفة مع العقل والجدل والتقى الاثنان وأصبحا خطا واحدا الشيعة معتزلة والمعتزلة شيعة[٤] .

المقصد الثاني : **أسباب تتعلق بالشيعة الزيدية :**

١) محاولة المعتزلة بقدر إمكانهم أن يجعلوا عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فنسبوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أئمة آل البيت إلى الاعتزال وكان من هؤلاء الأئمة زيد بن علي فربما أدت نسبة زيد إلى الاعتزال على هذا النحو إلى اعتناق الزيديين للمذهب المعتزلي اتباعا لما ينسب إلى إمامهم[٥].

---

[١] مقدمة فرق وطبقات المعتزلة ص ١٥ لعلي سامي النشار وعصام الدين محمد علي .

[٢] انظر التأريخ السياسي والفكري ص ١٠٥

[٣] شرح العقيدة الطحاوية (١ / ١٤) د/ سفر الحوالي .

[٤] المصدر السابق (١/ ١٤) .

[٥] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٢٤٦ .

٢) انتساب المعتزلة للزيدية وموافقتهم لهم في الإمامة وقولهم بإمامة زيد بن علي كما ذكر ذلك القاضي عبد الجبار[١]. كل ذلك كان من العوامل التي دفعت الزيديين إلى اعتناق المذهب المعتزلي وجعلت الصلة بين المعتزلة والزيدية تـــزداد قــوة وتماسكا كما جعلت هؤلاء الزيديين يبتعدون عن أهل السنة المخـــالفين لـــهم فـــي آرائهم في الإمامة وغيرها[٢] .

٣) انضمام أكثر المعتزلة لبعض ثورات أئمة الزيدية واعترافهم بصحة بيعتـــهم وإمامتهم[٣]. وتضحيتهم في سبيل تحقيق هذه الإمامة بأرواحهم حيث قتلت المعتزلة بين يدي هؤلاء الأئمة الزيدية[٤]. كل ذلك كان من أسباب قبول الزيدية للمعتزلـــة وأخذهم لأصولهم الاعتزالية .

المقصد الثالث : أسباب تتعلق بالشيعة الإمامية :-

١) ما وجده الشيعة الرافضة في بعض أقوال المعتزلة مما يتلاءم مـــع عقيدتـــهم الشيعية مثل :

أ – إنكار النظام أن يكون إجماع المسلمين حجة في الشرع وإنما الحجة في قـــول الإمام المعصوم[٥].

ب – قلة اعتداد المعتزلة بالأخبار المأثورة مما لاءم أغـــراض الشـــيعة[٦] الذيـــن رفضوا كل الأحاديث التي لا تخضع لأصولهم المذهبية واعتبروا أن الإمـــام هـــو باب العلوم ومنه يستمدون الهدى والتوجيه فالتقى الشيعة والمعتزلـــة فـــي عـــدم الاهتمام بالآثار المروية. أما الشيعة فلأنهم يستقون توجيهاتهم من الإمـــام ، وأمـــا

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٧٥٧ .

(٢) انظر الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٢٤٧ .

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢/٢٠ /١٤٩)

(٤) مقالات الإسلاميين (١٥٤/١) ذكر المعتزلة لأبي القاسم البلخي ص ١١٧ . الحور العين ص ٢٦٣ - ٢٦٤

(٥) الملل والنحل (٥٠/١) الفرق بين الفرق ص ١٣٢

(٦) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١٠٦/١ — ١٠٧)

المعتزلة فلأنهم يتهمون الطرق التي وصلت من خلالها هذه الآثار[1] أو لمخالفتها ما سبق أن قرروه من معتقدات مستقاة من العقل الذي جعلوه حاكما على الشرع .

ج – نظرية الصلاح والأصلح وتتلخص في أنه إذا كان هناك صلاح وأصلح فإنه يجب على الله رعاية الأصلح لعباده وهذا قول جمهور المعتزلة عدا بشر ابن المعتمر ومن تابعه لأن ذلك نوع من اللطف الإلهي بهم خضوعا لأصل العدل عندهم.[2] وهنا وجد الشيعة بغيتهم فوجهوا هذه النظرية لخدمة مبدئهم في النص على الإمام فهم يرون أن عدم النص على الإمام يدفع الرعية إلى مجاهل التخبط وسوء الاختيار والفتن فالأصلح للرعية أن يكون إمامها منصوصا عليه دفعا للزلل والفتنة. ومراعاة لهذا الأصلح وجب على الله أن يحدد للأمة إمامها الذي ترجع إليه في شئون دينها ودنياها لأن ذلك هو اللطف الذي تكفل الله به لعباده[3] .

د – موقف المعتزلة من التفضيل بين الصحابة ومن الحروب التي خاضها علي رضي الله عنه مع غيره من الصحابة رضي الله عنهم .

* ففيما يتعلق بالتفضيل نجد أن الاتجاه السائد لدى المعتزلة عموما هو تفضيل علي على عثمان رضي الله عنهما ، عدا قدماء البصريين فإنهم يجعلون ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة[4]. وخالف منهم واصل ابن عطاء فقدم عليا على عثمان[5]. بل إن المعتزلة البغداديين ـ قديمهم ومتأخرهم ـ يقولون إن عليا أفضل من أبي بكر[6].

** وأما فيما يتعلق بحروب علي مع طلحة والزبير فمنهم – كواصل بن عطاء – من تختلف الروايات عنه فبعضها يذكر أنه توقف في الحكم على أحد الفريقين أوله وبعضها الآخر يذكر تفسيقه لفريق غير معين . ومنهم – كعمرو بن عبيد – من

---

(1) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ٣٣٠

(2) انظر مقالات الإسلاميين (٣١٣/١ – ٣١٤)

(3) تاريخ المعتزلة السياسي ص ٣٣٠

(4) شرح نهج البلاغة (٧/١)

(5) المغني في أبواب التوحيد والعدل (١١٤/٢/٢٠)

(6) شرح نهج البلاغة (٩/١)

يحكم بتفسيق الفريقين[1]. وأما عن أكثر متأخريهم فيقول ابن أبي الحديد :" هم عند أصحابنا هالكون كلهم إلا عائشة وطلحة والزبير فإنهم تابوا ولولا التوبة لحكم لهم بالنار لإصرارهم على البغي ... إن أصحابنا يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه ولا ريب في أن الباغي على الإمام الحق والخارج عليه بشبهة أو بغير شبهة فاسق ..."[2].

وأما القاضي عبد الجبار فيرى أن ما روي من أخبار عن توبة خصوم علي في معركة الجمل ترد على واصل في تخطئته أحد الفريقين لا بعينه. بل هو ممن كان له السبق في رواية كثير من الأخبار في ندم وتوبة طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم[3] والتي لا يشك في اختلاقها أحد لديه أدنى معرفة بعلم الحديث ودرايته وترتب عليه جزم كثير من متأخري المعتزلة بتخطئة هؤلاء الصحب الكرام رضي الله عنهم لكونهم رأوا أن مضمون التوبة هو الاعتراف بالخطأ والقصد إلى تلافيه غير أن بعضا منهم كواصل بن عطاء وأبي الهذيل العلاف لا يلقي بالا لمثل هذه الروايات ويتوقف عن إصدار حكم عليهم[4] .

* ** وأما عن الحرب التي بين علي رضي الله عنه ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما فهم يرون أن عليا وأتباعه كانوا على الحق وأن معاوية وعمرا ومن انضم إليهما من أهل الشام بغاة هالكون لكونهم خرجوا على الإمام الحق. يقول ابن أبي الحديد : " وأما عسكر الشام بصفين فإنهم هالكون كلهم عند أصحابنا لا يحكم لأحد منهم إلا بالنار لإصرارهم على البغي وموتهم عليه رؤساؤهم والأتباع جميعا "[5].

بل إن الخياط المعتزلي لما وجد ابن الراوندي يتهكم بالمعتزلة في كتابه " فضيحة المعتزلة " ، ويذكر أنهم يعلنون البراءة من معاوية وعمرو ومن كان في صفهما لا

---

[1] الفرق بين الفرق ص١٢٠ – ١٢١ الانتصار ص ١٥١

[2] شرح نهج البلاغة (٩/١)

[3] المصدر السابق (٨٤/٢/٢٠، ٨٦ – ٨٨ ، ٩٠)

[4] انظر تاريخ المعتزلة السياسي ص١٣١

[5] شرح نهج البلاغة (٩/١)

يحاول أن يتلمس الأعذار لهم كعادته ويدافع عنهم وإنما يؤيده بقولـــــه :" لا تـــبرأ المعتزلة منه ولا تعتذر عن القول فيه "[1].

إن هذا الموقف المعتزلي نال القبول والرضى لدى الشيعة حيث أرضى عواطفـــهم تجاه علي رضي الله عنه ولم يتعارض مع بغضهم وبراءتهم من الذين سلوا عليـــه السيف وحاربـــــوه خاصة معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنـــهما وأهـــل الشام، فهذا القدر من الاتفاق كان في حد ذاته كافيا للتقارب بين الشيعة والمعتزلـــة ولقبول الأولى للثانية ودخولها فيها رغم اختلاف الدافع إلى كلا الموقفيـــن. فكـــان هذا الاعتزال المتشيع هو النافذة التي تسربت منها عقائد المعتزلة إلى عموم الشيعة خاصة في مبحثي العدل والتوحيد .

٢) إن في احتواء الشيعة للمعتزلة تصديع لأهل السنة المثبتين لخلافة الثلاثـــــة يقول زهدي جار الله : " إن الشيعة لم يبدؤا المعتزلة بالعدوان ، وكيف يعادونـــــهم وهم الذين كانوا يكرهون السنة ويكيدون لأهلها ويشغبون عليهم ...؟ أفلا يرحبـــون بحركة الاعتزال التي كان فيها تصديع لوحدة أهل السنة وإثارة للخلاف بينهم "[2].

٣) لما كان المعتزلة هم الذين هاجموا الرافضة فاضطر هؤلاء إلى أن يدافعـــــوا عن عرضهم ويردوا عن أنفسهم هجوم أعدائهم عليهم كان في كفهم عـــــن قتـــال الرافضة ونسيانهم للعدوات التاريخية بينهما والانضمام إليهم مكسب للرافضة كبير وهو التخلص من شرهم وتشويه المعتزلة لصورتهم ودينهم فكان حريا بالرافضـــة أن يستقبلوهم بالبشر والترحاب والاندماج معهم[3].

---

(١) الانتصار ص ١٥٢ – ١٥٣

(٢) المعتزلة لزهدي جار الله ص ٢٠٥

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٥

٤) الاستفادة من خبرة المعتزلة ومنهجهم الكلامي ، واتخاذهم أداة لمقاومة أهل السنة والنكاية بهم[١]. وبناء قلعة محصنة ضد الأشاعرة الذين ازدهرت عقائدهم بعد أن قضوا على المعتزلة فأراد الرافضة الاستعانة ببقايا مذهب الاعتزال لإيقاف المد الأشعري[٢] الذي كان له آنذاك دور كبير في فضح الرافضة وتزييف عقائدهم[٣].

٥) قد يكون فيما يذكره ابن مسكويه من محبة عضد الدولة للعلم والنظر تعليل آخر لتقريبه المعتزلة ودخوله في مذهبهم فإنه روى أن عضد الدولة بسط الرسوم للعلماء والأدباء عامة ، وأفرد في داره لأهل الخصوص والحكماء والفلاسفة موضعا يقرب من مجلسه وهو الحجرة التي يختص بها الحجاب فكانوا يجتمعون فيها للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة على حد تعبيره[٤].

٦) وضع المعتزلة الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ضمن رجال الطبقة الأولى من طبقات الاعتزال بل أول رجل فيها مما نتج عنه ميل الشيعة إلى المعتزلة وأخذهم الاعتزال عنهم إضافة إلى وضعهم للحسنين رضي الله عنهما في أول رجال الطبقة الثانية رغم أن المعتزلة لم يذكروا جعفر الصادق في هذا السند المعتزلي الذي وضعوه[٥].

٧) محاولة الرافضة وإيهامهم خصومهم أنهم يعظمون العقل ويعطونه دوره في علومهم رغم أن أصل مذهبهم يقوم على أمور غير معقولة كالإمام الغائب الذي ينتظرون رجعته كل ليلة إلى غير ذلك من عقائدهم الباطلة[٦].

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (٢٩١/٢)

(٣) انظر موقف ابن تيمية من الأشاعرة . د/ عبد الرحمن المحمود (٧٠٥/٢-٧٢٠)

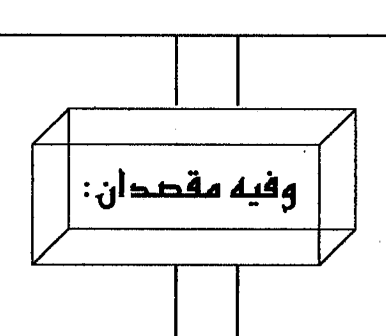
(٤) تجارب الأمم (٤٠٨/٦)

(٥) فرق وطبقات المعتزلة ص ٢٣ ، ٢٨

(٦) المعتزلة بين القديم والحديث . محمد العبده وطارق عبد الحكيم ص ١٢٤

المطلب الثالث:

الأقوال الواردة في تحديد بداية الصلة.



المقصد الأول : ذكر هذه الأقوال.

المقصد الثاني : القول الراجح.

المطلب الثالث : الأقوال الواردة في تحديد بداية الصلة :

المقصد الأول : ذكر هذه الأقوال :

وبعد ذكر الأسباب التي أدت إلى هذه الصلة رغم تباعد أصول الفرقتين وعداء كل منهما للأخرى لفترة طويلة من الزمن سواء كانت هذه الأسباب متعلقة بالمعتزلة أو بالشيعة بقسميها الرافضة والزيدية ، أذكر هنا ـ إن شاء الله ـ بداية هذه الصلة التي طالما كثرت فيها الآراء وتعددت فيها الأقوال فأقول مستعيناً بالله : الأقوال الواردة في تحديد بداية الصلة بين الشيعة والمعتزلة :-

القول الأول :

إن بداية الصلة تعود إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأن سند مذهب المعتزلة كما يقول القاضي عبد الجبار وابن المرتضى أصح أسانيد أهل القبلة وأوضح من الفلق إذ يتصل إلى واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد اتصالا ظاهرا شاهرا وهما أخذا عن محمد بن علي بن أبي طالب وابنه أبي هاشم عبد الله ابن محمد ، ومحمد هو الذي ربي واصلا وعلمه حتى تخرج واستحكم ومحمد أخذ عن أبيه علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]. فالقاضي عبدالجبار هنا ومعه ابن المرتضى يصلان المعتزلة في هذا الإسناد بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي تضعه الشيعة كأول إمام من أئمتها. وعلى هذا القول فالصلة تكون قد بدأت في وقت مبكر يرجع إلى عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

نقد هذا القول :

١ – إن ابن المرتضى الذي يمثل مرحلة متأخرة من مؤرخي الزيدية المعتزلة (سنة ٨٤٠هـ) لا يهتم ببحث البداية الصحيحة التي أنتقل فيها تأثير المعتزلة إلى

---

(١) المنية والأمل ص ٢٦ ، ١٢٥-١٢٦ فرق وطبقات المعتزلة ص ١٢-١٧

الزيدية بل يعكس الأمر فيصور المعتزلة لا كفرقة تابعة للزيدية أخذت عنها فحسب بل يجعل الفكر المعتزلي هو الدين الإسلامي الذي شرعه الله لعباده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمله بعده الخلفاء الراشدون فيضع في الطبقة الأولى من طبقات المعتزلة الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم مبتدأ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ويضع في الطبقة الثانية الحسن والحسين رضي الله عنهما وعلي بن الحسين ومحمد بن علي بن الحسين ومحمد بن الحنفية وغيرهم وفي الطبقة الثالثة يضع الحسن بن الحسن وابنه عبد الله وولده محمد ابن عبد الله المعروف بالنفس الزكية وأبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية. وفي الطبقة الرابعة يضع غيلان الدمشقي وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد [1]. ثم قال بعد ذلك : " لما فرغنا من ذكر طبقات المعتزلة على وجه الاختصار ذكرنا من وافقهم في المذهب من العترة الطاهرة. قال الحاكم : وكل العترة عدليون إلا القليل " [2]

لكن هذا التصنيف للمعتزلة يخالف ما جاءت به المصادر التاريخية المتقدمة على عصر ابن المرتضى بقرون. حيث بات ثابتا أنه كما أن كلمة " معتزلة " قد ظهرت حين أطلقت على نفر من الصحابة اتخذوا موقف الحياد من حرب الجمل سنة ٣٦ هـ ومن حرب صفين بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ سنة ٣٨ هـ فإن المعتزلة في صورة مذهب فكري قد بدأت في أواخر الدولة الأموية على يد واصل بن عطاء (٨١ – ١٣١ هـ) وعمرو بن عبيد (٨٠ – ١٤٤ هـ)[3] وعليه تكون المعتزلة قد ظهرت بمعزل عن الشيعة الإمامية والزيدية والتقت معهما في مرحلة تالية من مراحل تطورها مما يبطل أسطورة هذا الإسناد المركب.

---

[1] المنية والأمل ص ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٧

[2] المصدر السابق ص ٢٩ ، ٢٠٠

[3] معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره . علي محمد زيد ص ٢٨ .وأنظر نشأة المعتزلة من هذه الرسالة ص ١٠٣ وما بعدها .

٢) إن منهج الغلو الذي أتبعته هذه المصادر - حيث صعدت بسلسلة الاعتزال إلى الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ووضعهم في الطبقة الأولى من طبقات السند الإعتزالي - تفسيره هو أنهم أرادوا توثيق مذهبهم وإكسابه وجاهة واحتراما فادعوا الخلفاء الأربعة والحسنين ومحمد بن الحنفية وغيرهم مع أن كل هؤلاء ليسوا معتزلة بالمعنى الاصطلاحي.[١] بل إن خصوم المعتزلة في ردهم عليهم سلكوا نفس المسلك واستدلوا بنفس الدليل فهذا عبد القاهر البغدادي يذكر أئمة أصول الدين وعلماء الكلام من أهل السنة فيجعل أول متكلميهم من الصحابة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وأنه ناظر الخوارج والقدرية وعبد الله بن عمر وأنه تبرأ من معبد الجهني في نفيه القدر كما جعل منهم الحسن البصري [٢]. إذن كل فريق يريد أن يوثق مذهبه بشخصيات لا يرقى الشك إلى صدق إسلامها وخلوص عقيدتها غير أن الصحابة أئمة الهدى رضي الله عنهم ليسوا بشيعة ولا معتزلة ولا أشاعرة ولا غيرهم من الفرق المنحرفة إنما هم على ما تركهم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم قولا وعملا واعتقادا .

٣ - إن نسبة الاعتزال إلى النبي عليه الصلاة والسلام من الكذب الصراح والغلو الظاهر الذي لا يحتاج إلى بيان لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن الجدل والاختلاف في مسائل الدين مبينا لأصحابه رضي الله عنهم أن الأمم قبلهم ما هلكت إلا بهذا الاختلاف. من ذلك قوله: " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل "[٣] وقوله :" إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب"[٤]. والله تعالى إنما بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بالإسلام الذي تجمع به قلوب العالمين

[١] التاريخ السياسي للمعتزلة ص٦١

[٢] الفرق بين الفرق ص ٣٦٣ وانظر نشأة الأشعرية وتطورها . جلال موسى ص ١٢١ ويقول :" قد حاول ابن المرتضى أن ينسب علي بن أبي طالب إلى الاعتزال ليثبت في النهاية أن مذهب المعتزلة لم يخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة مادام سند المذهب يعود إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه" أ.هـ . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (٣٣٢/١ - ٣٣٣) .

[٣] إسناده حسن رواه الإمام أحمد في المسند (٢٥٢/٥،٢٥٦) والترمذي في سننه (٣٥٣/٥) وابن ماجه في سننه (١٩/١) عن أبي أمامة رضي الله عنه. وانظر صحيح الجامع الصغير للعلامة الألباني (٩٨٤/٢) .

[٤] رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٥٣/٤) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

على كلمة سواء على الحق المبين لا لتتفرق شيعا وأحزابا. وإن كان هناك من تبرير لفعل المعتزلة فهو أنهم كانوا متحمسين لمذهبهم فأسرفوا في الدعاية له فجرهم ذلك إلى نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[١].

ويقول أحد الباحثين المحدثين :" ولكن إيصال السند إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالذي يظهر أن ابن المرتضى هو الذي أكمله وأوصله[٢] " كما يؤكد بعض المستشرقين على أن هذا السند من وضع الشيعة[٣].

٤ – إن القول بأن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد أخذا عن محمد بن الحنفية[٤]. خطأ كبير لا يخفى على من له أدنى بصيرة وفهم ذلك لأن ابن الحنفية مات في السنة التي ولد فيها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد أو بعد ميلاد عمرو بسنة فكيف يقال إنهما تلقيا عنه ودرسا عليه وكيف يقال إن محمد بن الحنفية هو الذي ربي واصلا وعلمه حتى تخرج واستحكم[٥]. إذن هذه الفرضية باطلة[٦]. ولهي أوضح دليل _ إضافة إلى ما سبق _ على التركيب والاختلاق لهذا السند الاعتزالي الذي هو بزعمهم أصح أسانيد أهل القبلة وأوضح من الفلق !!

القول الثاني :

أن العلاقة بين الشيعة _ الزيدية _ والمعتزلة تعود إلى زيد بن علي الذي تنسب إليه هذه الفرقة وليس إلى أبعد منه. يقول الشهر ستاني :" وزيد بن علي ... أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم فتلمذ في الأصول لواصل ابن عطاء الغزال رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل بأن جده علي بن أبي طالب في

---

(١) أصل العدل عند المعتزلة ص ٢١

(٢) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٣

(٣) آدم متز . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١/٣٣٢ – ٣٣٣)

(٤) المنية والأمل ص ١٢

(٥) المصدر السابق ص ١٢

(٦) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص ١١٦

حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأصحاب الشام ما كان علي يقين من الصواب وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه فاقتبس منه الاعتزال وصارت أصحابه كلها معتزلة "[1] ويقول أيضا :" وجرت بينه – أي زيد – وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذا الوجه بل من حيث كان يتتلمذ لواصل ابن عطاء ويقتبس العلم ممن يجوز الخطأ على جده في قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطا في كون الإمام إماما حتى قال له يوماً على قضية مذهبك والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج "[2]. ولم يخالف زيد المعتزلة إلا في مسألة المنزلة بين المنزلتين [3]. وكان كثير من معتزلة بغداد ينتسبون إلى زيد في كتبهم ويقولون نحن زيدية . [4]

نقد هذا القول :-

١ – إن العلاقة بين المعتزلة والزيدية بدأت متأخرة وليس بواسطة زيد بن علي بدليل أن الهادي يحيى بن الحسين (ت سنة ٢٨٩هـ) وهو من أهم أئمة الزيدية يدخل المعتزلة في عداد الفرق الهالكة أي أنه يكفرهم وهذا أمر لم يستطع ابن المرتضى فهمه إذ كيف يكفر الهادي المعتزلة بينما ابن المرتضى يرى أن عليا ومعه بقية الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة رضي الله عنهم وآل البيت هم الذين أرسو أساس المعتزلة وما المعتزلة إلا نبت من زرعهم لذلك يحاول مناقشة الهادي والبحث عن مخارج تفسر كلام الهادي على نحو يتناسب والقول بأن الزيدية هم

---

[1] الملل والنحل (١/١٥٤) أنظر فوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي (٣/٣٧)

[2] المصدر السابق (١/١٥٥)

[3] فرق وطبقات المعتزلة ص ٤٦ المنية والأمل ص ١٤٣

[4] الحور العين ص ٢٤٠

المعتزلة منذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]. رغم أن الهادي من تلاميذ أبي القاسم البلخي وممن يصرح بأنه معتزلي[2].

٢ - إن الرواية التي تتحدث عن المجادلات بين زيد بن علي وأخيه محمد حول الإمام مشكوك في صحة سندها. يقول الإمام عبد الله بن حمزة إن سلسلة الرواة في الروايات التي نقلت عن محمد بن علي بن الحسين حول الإمامة يظهر عليها التلفيق وكذلك الروايات المسلسلة إلى الحسين وبعضها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام[3] .

٣ - إن هذه الرواية التي تتحدث عن المناظرة بين زيد وأخيه محمد بن علي يبدو أنها من المناظرات والمجادلات التي حدثت مؤخرا بين الإمامية والزيدية[4] لأنها تتحدث عن نظرية خاصة لزيد في الإمامة تختلف عن نظرية أخرى صاغها أخوه محمد بن علي بينما الواقع أن زيداً كان ينظر إلى أخيه محمد نظرة إجلال ككبير لآل الحسين وكشخصية من أهم الشخصيات العلوية آنذاك وكان بالنسبة لزيد أخا ووالدا وأستاذا وبالتالي لا يمكن أن تحدث زيدا نفسه بمنازعة محمد في أمر الإمامة. ويبدو مؤكدا أن زيدا لم يحدث نفسه بأمر الإمامة إلا بعد موت أخيه حينما أيد بعض الشيعة ابن أخيه جعفر بن محمد بن علي لهذا المنصب واحتاج الأمر فترة امتدت من سنة ١١٤هـ ـ السنة التي مات فيها محمد بن علي ـ إلى سنة ١٢١ هـ كي يخرج زيد إلى العراق داعيا إلى مبايعته ولا يبدو أنه كان يرغب في الخروج بتلك السرعة لولا ما ألحقه به بنو أمية من أذى سواء بالمدينة أو بدمشق التي سبق أن ذهب إليها شاكيا عامل المدينة[5] .

---

[1] معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ٣٠

[2] يحيى بن الحسين . الزهر (١/ق/١٨) نقلاً عن الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ٧٠ - ٧١

[3] العقد الثمين (ق١٢) نقلاً عن معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ٣٠

[4] الزيدية نظرية وتطبيق لعلي الفضيل ص ٢١ - ٢٢

[5] معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ٢٩ - ٣٠ الزيدية نظرية وتطبيق ص ٢٢

٤ – إن توثق عرى الاتصال بين معتزلة بغداد والزيدية بصورة أشد مما نلاحظه بين معتزلة البصرة – المدرسة الأولى للاعتزال وأصله الذي تفرعت عنه مدرسة بغداد – وبين الزيدية ليدل على عدم الثقة بروايات تتلمذ زيد على واصل ، وواصل على أبي هاشم . لأن رئيس المعتزلة واصل بن عطاء لو كان شيخا لزيد وكان بينهما أثر وتأثير لبدأ ظهوره في مدرسة البصرة وليس في مدرسة بغداد التي جاءت بعدها بزمن طويل .

وأما محاولة بعض الباحثين المحدثين البحث عن أجوبة مقبولة للإجابة على هذا الاستفهام كقولهم إن بعض معتزلة بغداد قد أتيحت لهم فرصة التلمذة على رجال المذهب الزيدي فتأثروا بهم جزئيا دون أن ينسلخوا من اعتزالهم ، أو أن بشر ابن المعتمر – شيخ معتزلة بغداد – كان ذا ميول شيعية واضحة[1]. أقول إن هذه الأجوبة تبرر تشيع معتزلة بغداد ولا تبرر عدم تشيع معتزلة البصرة فالاستفهام لازال قائما .

٥ – إن القول بأن الإمام زيد بن علي تتلمذ على رئيس المعتزلة واصل بن عطاء هو من الأغلاط الشائعة ولعل الشهر ستاني (ت سنة ٥٤٨ هـ) هو أول من دَوَّن هذه الغلطة في كتابه الملل والنحل ثم تابعه أكثر من بحث الاعتزال والمعتزلة إهمالا منهم للفحص والتمحيص لما يروونه[2]. والشهر ستاني إنما أطلق حكما مجملا ــ أعني تلمذة زيد على واصل في الأصول ــ ولم يذكر رأيا اعتقاديا واحدا لزيد يوافق فيه رأي واصل مع أن مؤرخي الفرق والمذاهب الذين تقدموا الشهر ستاني لم يذكروا ذلك أمثال أبي الحسن الأشعري (ت سنة ٣٣٠هـ) والملطي (ت سنة ٣٧٣ هـ) والنوبختي – من أعلام القرن الثالث الهجري – وعبد القاهر البغدادي (ت سنة ٤٢٩هـ) كل هؤلاء لم يذكروا صلة زيد بواصل

---

(١) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٣٩

(٢) الزيدية نظرية وتطبيق ص ١٩

ولم ينسبوا إليه آراء اعتزالية[1]. فربما رجع الشهر ستاني فيما ذكره إلى مصادر غير موثوق بها ولهذا نجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر أن الشهر ستاني يظهر الميل إلى الشيعة إما بباطنه وإما مداهنة لهم وأنه صنف كتاب الملل والنحل لرئيس من رؤسائهم هو علي بن جعفر الموسوي الذي كان أميرا على خراسان وأن من مصادره التي اعتمد عليها في كتابه هذا كتب الروافض والمعتزلة والزيدية[2].

مما دفع محمد بن إبراهيم الوزير إلى الإنكار على الشهر ستاني فكان بذلك من السابقين إلى نفي تلمذة زيد على واصل وتقليده إياه في مذهبه بقوله :" وأما ما نقله الشهر ستاني في الملل والنحل من كون زيد قلد واصل بن عطاء وأخذ مذهب الاعتزال تقليدا .. فهذا باطل من غير شك ولعله من أكاذيب الروافض ولم يورد له الشهر ستاني سندا ولا شاهدا .. ولو كان الشهر ستاني كامل المعرفة والإنصاف لذكر مع ما ذكره ما هو أشهر منه في كتب الرجال وتواريخ العلماء وأئمة السنة وفي الجامع الكافي ثم ذكر الراجح من النقلين وقواه بوجوه الترجيح[3]".

وأيضا فان جعل سبب تلمذة زيد على واصل تحصيل علم الأصول والفروع كي يتحلى بالعلم هو من الشهر ستاني أغرب وأعجب لأن المعلوم عند جميع المؤرخين والباحثين أن المدينة النبوية وليس البصرة هي معدن العلم ومدينته كما قال الإمام أبو حنيفة لمن سأله عمن تلقى علمه فقال :" كنت في معدن العلم ولزمت فقيها من فقهائهم[4]" يعني الإمام جعفر الصادق حيث لازمه عامين وكان يقول لولا السنتان لهلك النعمان. فهل من المعقول أن يخرج الإمام زيد من معدن

---

(1) الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٥٩

(2) منهاج السنة (٦/٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧) وانظر كتاب مقالات في المذاهب والفرق لعبد العزيز العبد اللطيف ص٣٦-٥٣ ومنهج الشهرستاني في كتابه الملل والنحل لمحمد السحيباني ص ١١٩ وما بعدها .

(3) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم. مخطوط (مجلد ٣/ل١٢/أ) نقلاً عن كتاب: ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي ص٦٠

(4) الإمام زيد لأبي زهره ص ٤١

العلم وينبوعه ومدينته ليذهب إلى البصرة ليحصل على علم الفروع والأصول كي يتحلى بالعلم كما قال الشهر ستاني إنه لأمر غريب وعجيب[١] .
كل هذا يؤكد أن هذه الدعوى – دعوى التلمذة – تفتقد الوثاقة التأريخية والمعايير العلمية الصحيحة •

٦– إن ما قيل من إقامة زيد بن علي بالبصرة واختياره لها بعينها ليعلم أصول العقائد عند الفرق المختلفة [٢] لم يذكره أحد من المؤرخين القدماء كالطبري وابن كثير وابن عساكر واليعقوبي والمسعودي والمقدسي وابن الأثير وغيرهم ، وغاية ما ذكره الطبري من إقامة زيد بالبصرة أنه أقام بها شهرين[٣]. وأما ابن العماد الحنبلي فذكر أن زيدا لم يمكث إلا شهراً واحدا أثناء إقامته بالكوفة وهو يعد العدة ويجمع الرجال تأهبا للخروج على بني أمية[٤]. أي أنه ذهب إليها بعد أن جاوز الأربعين من عمره ليقوم بكل ما يتطلبه الخروج من جهد وعمل .
وفي مثل هذا السن الناضجة وفي مثل هذه الظروف أيضا لا يمكن أن يقال إن زيدا تتلمذ فيها على واصل[٥] لأنه في سن نضج علمي إضافة إلى مشاغله العملية آنذاك خاصة إذا عرفنا أنهما في سن واحدة وأن زيدا أتى من مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام التي هي مدينة العلم ومعدنه ومنبعه[٦] .
وإن كان بعض الباحثين يستغرب كون التساوي في السن أمرا مرجحا لعدم التلمذة بقوله :" لم يقل أحد إن صغر السن في طالب العلم عن أستاذه شرط لتلمذته له كما لم يقل أحد بامتناع التأثر بين العالمين إذا تقاربا في السن أو تساويا فيه[٧]. لكن يقال له إن صغر سن التلميذ عن أستاذه هو غالب حال التلاميذ وأكثره وإنما يتعلم

[١] الزيدية نظرية وتطبيق ص ٢٠
[٢] زيد بن علي لأبي زهرة ص ٣٩
[٣] تاريخ الأمم والملوك (١٧١/٧)
[٤] شذرات الذهب (١٥٨/١)
[٥] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٥٧
[٦] انظر زيد بن علي لأبي زهره ص ٣٩
[٧] رزق الحجر . ابن الوزير ومنهجه الكلامي ص ٥٨

الشخص ممن هو مساو له أو أصغر سنا منه في حالة وجود ما يحتاجه لديه ولم يكن قد تمكن منه من قبل أو تمكن منه ومنعه مانع وهذا هنا غير متحقق فزيد كان في موطن العلم بل أخذ العلم عن أهله المعتبرين سواء أكانوا من أهل البيت أم غيرهم إضافة إلى أنه قدم البصرة في سن متقدمة وهي سن الأربعين لأجل تحقيق غاية تشغل باله وفكره وتأخيرها يضره وهي إعداد العدة وتجهيز العدد للخروج على بني أمية مع أن مدة بقائه بها شهر أو شهران فقط فكيف يقال إنه تتلمذ على واصل هذا بعيد إلا أن يقال ناظره أو تذاكر معه فهذا معقول وسيأتي – إن شاء الله – أن هذه المناظرة للإنكار على واصل بن عطاء في فكره المنحرف .

٧ – أن من المتعارف عليه عند أهل التحقيق أن الزيديين المتأخرين أصبحوا على مذهب الاعتزال شأنهم في ذلك شأن الاثنى عشرية صرح بذلك الشهرستاني بقوله:" وصارت أصحابه كلها معتزلة[١] "، وليس أدل على ذلك من كتبهم التي تطفح بالاعتزال أمثال :" المنية والأمل " لأبن المرتضى " وشرح الثلاثين مسألة " و" الدر النضير في العدل والتوحيد " لأحمد بن يحيى وغيرها[٢] ولذلك لا نعجب إذ وجدنا أحد هؤلاء الزيديين المعتزليين وهو الحسين بن المرتضى ينسب إلى زيد ابن علي ما يؤيد اعتزاله إذ المهم عند الزيديين المتأخرين أن يكون إمامهم إماما لهم في جميع الآراء سواء أكانت سياسية أم اعتقادية وأن يظهروا بمظهر السائر على نهجه والمقتفي أثره كما فعل غيرهم عندما أدرج أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ضمن المعتزلة بل أوصلوا سندهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأن مقصود كل فريق توثيق مذهبه بشخصيات لا يرقي الشك إلى صدق إسلامها وخلوص عقيدتها[٣]. بل إن ابن المرتضى المتأخر (ت سنة ٨٤٠هـ) لما وجد الهادي يحيى بن الحسين يدخل

---

[١] الملل والنحل (١/ ١٥٤) وغيره كثير أنظر ذلك ص ٢٢٦-٢٣١ من هذه الرسالة .
[٢] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٦٠
[٣] التاريخ السياسي للمعتزلة ص ٦١

المعتزلة في عداد الفرق الهالكة[١] لم يرق له ذلك فبدأ بمحاولة إيجاد مخرج يفسره به ويحمل عليه كلام الهادي بما يتناسب والقول بأن الزيدية هم المعتزلة منذ علي بن أبي طالب وبالطبع مرورا بزيد بن علي[٢] .

٨ – إن القصة التي تحكي أن واصلا دخل المدينة ونزل على إبراهيم بن يحيى فسارع إليه زيد بن علي وابنه يحيى وعبد الله بن الحسن وإخوته ومحمد ابن عجلان وأبو عباد الليثي فقال جعفر بن محمد الصادق لأصحابه : " قوموا بنا إليه " فجاء والقوم عنده ــ أعني زيد بن علي وأصحابه – فقال جعفر : " أما بعد فإن الله تعالى بعث محمدا بالحق والبينات والنذر والآيات وأنزل عليه " وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله[٣] " فنحن عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس إليه وأنت يا واصل أتيت بأمر يفرق الكلمة وتطعن به على الأئمة وأنا أدعوكم إلى التوبة ، فقال واصل : " الحمد لله العدل في قضائه الجواد بعطائه المتعالي عن كل مذموم والعالم بكل خفي مكتوم ، نهى عن القبيح ولم يقضه وحث على الجميل ولم يحل بينه وبين خلقه ، وإنك يا جعفر وابن الأئمة شغلك حب الدنيا، فأصبحت بها كلفا وما أتيناك إلا بدين محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وضجيعية ابن أبي قحافة وابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وجميع أئمة الهدى فإن تقبل الحق تسعد به وإن تصدف عنه تبوء بإثمك فتكلم زيد ابن علي فأغلط على جعفر وأنكر عليه قوله قائلاً: " ما منعك من اتباعه إلا الحسد لنا فتفرقوا "[٤] .

إن هذه القصة لم يذكرها أحد من المؤرخين الذين رجعت إليهم وليس لها سند تاريخي يمكن تصديقها من خلاله[٥] وإنما اقتصر على ذكرها شخصان معتزليان

---

(١) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ٣٠

(٢) المصدر السابق ص ٣٠

(٣) الأحزاب آية ٦

(٤) المنية والأمل ص ١٤٢

(٥) الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٥٧ – ٥٨

هما الحسين بن المرتضى في المنية والأمل[1] والقاضي عبد الجبار في فرق طبقات المعتزلة[2]. ومن المعلوم أن المعتزلة - وهذا شأن أهل البدع عموما - في سبيل نصرة مذهبهم وبيان أصالته - في نظرهم - يرتقون بطبقاتهم الأُولى ليس إلى آل البيت فقط بل إلى النبي صلى الله عليه وسلم مرورا بالصحابة ومنهم الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم فلا عجب إذاً أن يجعلوا زيدا من أصحاب هذه الطبقات كما جعلوا غيره من أئمة البيت كالصادق والباقر وزين العابدين وآبائهم وأجدادهم كذلك إذ نسبوا إليهم من الأقوال ما يظهر اعتزالهم[3] بينما هم من أئمة علماء الحديث وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة ذكر ذلك عدد من أعلام أهل السنة والجماعة كشيخ الإسلام ابن تيمية[4] والذهبي في المنتقى من منهاج الاعتدال[5] وصاحب مختصر التحفة الاثنى عشرية[6] والشيخ عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب في جواب أهل السنة النبوية[7] وغيرهم فلو كان هناك مغمز في عقيدتهم لذكروه وما الإمام زيد بن علي إلا واحداً من هؤلاء الأئمة الأعلام الذين استحقوا ثناء أهل السنة والجماعة وتوثيقهم .

ثم إنهما قد جاءا بهذه الرواية بصيغة التمريض التي تشير إلى التضعيف وعدم الثقة بها حيث قالا في أول القصة " روي أن واصلا " وفي آخرها قالا " روى ذلك الحاكم والله أعلم بصحتها " مما يدل دلالة واضحة على عدم ثقتهما بها[8] .

٩ - إن الرواية السابقة التي ذكرها كل من ابن المرتضى والقاضي عبد الجبار تشير إلى مناوشة كلامية حدثت بين زيد بن علي وابن أخيه جعفر الصادق بسبب

---

[1] ص ١٤٢

[2] ص ٤٤ - ٤٦

[3] فرق وطبقات المعتزلة ص ٢٣،٢٨،٣٢،٤٦ وغيرها

[4] منهاج السنة (١/١٧٣ ، ٢٢٢،٢٧٢)(٢/١٢٣-١٢٤ ،١٢٦،١٦٢) (٤/١٠٥)

[5] ص ١٧٢

[6] ص ٣٤

[7] ص ١٥١

[8] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٥٨

إغلاظ الأخير القول على واصل بن عطاء حيث قام زيد مدافعا عن واصل ورادا على ابن أخيه الصادق قوله. وبعد هل يتصور أن زيارة واحدة من واصل ابن عطاء للمدينة النبوية يمكن لها أن تشيع الفرقة والانقسام بين أفراد البيت العلوي على النحو المذكور في القصة ؟ ثم إن الأخبار التي توضح العلاقة الطيبة بين الصادق وعمه زيد بن علي كثيرة جدا منها على سبيل المثال أن جعفرا لما قيل له إن الرافضة يبرؤن من عمك زيد قال :" برأ الله ممن تبرأ منه كان والله أقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله وأوصلنا للرحم ما تركنا وفينا مثله[1] ". ومنها أنه كان يمسك لعمه بالركاب ويسوي ثيابه على السرج[2]. ولما سأله بعض الشيعة عن مبايعتهم لزيد قال لهم : نعم بايعوه فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا[3]. هذا مع دعائه له لما خرج بالنصر والبقاء وأن لا يريهم الله فيه مكروها[4]. وشهادته له عندما بلغه خبر مقتله بأنه مضى شهيدا إلى الجنة[5] .

فهل يقال بعد هذا إن جعفر الصادق يرى العلاقة قوية بين عمه زيد بن علي وبين واصل الذي يجوز على جده علي رضي الله عنه الخطأ ثم يستمر في ثنائه وإجلاله لعمه زيد. إن هذا بعيد كل البعد وإنما يدل على أن جعفر الصادق لم يعرف عن عمه الاعتزال[6] وإلا لما عامله تلك المعاملة الحسنة .

١٠ – إن الإمام أبا حنيفة كان حربا على المعتزلة ويصمهم بأهل القدر والاعتزال[7] وقد أرشد طلابه إلى كيفية مناظرتهم وإقامة الحجة عليهم ودمغ باطلهم. يقول أبو يوسف سمعت أبا حنيفة يقول : إذا كلمت القدري فإنما هما حرفان إما أن يسكت وإما أن يكفر. يقال له : هل علم في سابق علمه أن تكون

[1] سير أعلام النبلاء (٥/٢٣٦ – ٢٣٧)

[2] مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص١٢٦ الروض النضير للسياغي (٥٤/١)

[3] تاريخ الأمم والملوك (١٨١/٧) الكامل في التاريخ (٢٤٣/٥)

[4] رسائل العدل والتوحيد. يحيى بن الحسين . تحقيق محمد عمارة (٨١/٢)

[5] المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

[6] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٦١

[7] الفقه الأكبر ص ٣٣

هذه الأشياء كما هي ؟ فإن قال : لا فقد كفر، وإن قال : نعم، يقال له : أفـأراد أن تكون كما علم أم أراد أن تكون بخلاف ما علم ؟ فإن قال أراد أن تكون كما علم فقد أقر أنه أراد من المؤمن الإيمان ومن الكافر الكفر وإن قال أراد أن تكون بخلاف ما علم فقد جعل ربه متمنيا متحسرا لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون أو لا يكون ما علم أنه يكون متمن متحسر ومن جعل ربه متمنيا متحسرا فهو كافر[1] وصرح بلعن رجلهم وإمامهم الثاني عمرو بن عبيد لأنه فتح للناس الطريق إلى الكلام[2] وأنكر عليهم إبطالهم للصفات. فقال " ولا يقال : أن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف"[3].

بل إن أثر عدائه للمعتزلة ظهر جليا في مواقف صاحبية منهم فهذا أبو يوسف يرمي المعتزلة بالزندقة[4]. وذاك محمد بن الحسن الشيباني يوصي من صلى خلف المعتزلي بإعادة صلاته[5]. ويرى أن المعتزلي لا تجوز الصلاة عليه[6]. وفي الجملة فإن كتابه الفقه الأكبر رد على الجهمية والمعتزلة فيما أنكروا من أسماء الله تعالى وصفاته فقد ضمنه جملة من الصفات الإلهية التي وردت في الكتاب والسنة الصحيحة[7].

هذا موقف الإمام أبي حنيفة من المعتزلة والقدرية ومع هذا فهو يرسل مع أحد الفقهاء الذين خرجوا مع زيد رسالة يأمره بإيصالها إليه ويقول له :" قل لزيد لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح"[8].

---

(1) تاريخ بغداد(١٣ / ٣٧٣)

(2) ذم الكلام وأهله للهروي (٢٢١/٤)

(3) الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ص ٣٣

(4) الفرق بين الفرق ص ١٧١

(5) المصدر السابق ص ١٧١

(6) أصول الدين للبغدادي ص ٣٤٢

(7) أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة ص١٩٤

(8) مقاتل الطالبين ص١٤١

وأنه " سئل عن الجهاد معه فقال : خروج يضاهي خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر. فقيل له لم تخلفت عنه ؟ قال : لأرد ودائع كانت عندي للناس عرضتها على بن أبي ليلى فما قبلها فخفت أن أقتل مجهلا للودائع[1] ".

وقال في معرض اعتذاره لرسول زيد بن علي عن عدم الخروج :" لو علمت أن الناس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق لكنت اتبعه وأجاهد معه من خالفه لأنه إمام حق ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه لكني أعينه بمالي فيتقوى به على من خالفه " وقال لرسوله ابسط عذري عنده وبعث إليه بعشرة آلاف درهم[2] ".

ويذكر ابن العماد عنه أنه كان مؤيدا لزيد في خروجه على هشام وأنه أمده بثلاثين ألف درهم بل وكان يحث الناس على الخروج معه ولم يخرج معه لأنه كان مريضا[3]. ليس هذا فحسب وإنما أيضا كان يثني عليه بالعلم فيقول :" شاهدت زيد ابن علي كما شاهدت أهله فما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابا ولا أبين قولا. لقد كان منقطع القرين[4] " الأمر الذي جعل محمد بن جعفر الصادق يقول :" رحم الله أبا حنيفة لقد تحققت مودته لنا في نصرته زيد بن علي[5] ".

فكل هذا يدلنا على أن زيد بن علي لم يكن مع المعتزلة ولا كان منهم يوما من الأيام وإلا لما نال تأييد إمام اختط لنفسه ولتلاميذه طريق حربهم وكشف عوراهم وتحذير الناس منهم .

١١- إن القول بلقاء زيد لواصل في البصرة إثبات هو بحاجة إلى دليل يثبته وينص على تلمذة زيد لواصل أو أنهما قد تدارسا العلم. وكذلك نفيه لا بد أن يكون مستندا إلى دليل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" إن النافي عليه الدليل إذا لم

---

(١) مناقب أبي حنيفة للموفق المكي (١/٢٣٩-٢٤٠)

(٢) المصدر السابق (١/٢٣٩) ويذكر الزمخشري في الكشاف (١/٦٤) أن أبا حنفية كان يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي وحمل المال إليه والخروج معه " ١٠هـ

(٣) شذرات الذهب (١/١٥٩) مناقب أبي حنيفة (١/٢٣٩)

(٤) الروض النضير (١ / ٥٠)

(٥) مقاتل الطالبين ص١٤١

يكن نفيه بديهيا كما أن على المثبت الدليل فالقضية سواء كانت سلبية أو إيجابية إذا لم تكن بديهية فلا بد لها من دليل وأما السلب بلا علم فهو قول بلا علم"[1]، وليس هناك دليل صريح يشهد لواحد منهما وإنما هي القرائن التي قد تقوى في جانب وتضعف في آخر فالمعاصرة واردة وإمكان اللقي وارد ولكن مذهب جمهور علماء الحديث اشتراط اللقي وثبوته. قال النووي في رده على مسلم بأن المعاصرة فقط كافية :"وهذا الذي صار إليه مسلم قد أنكره المحققون وقالوا : هذا الذي صار إليه ضعيف والذي رده هو المختار الصحيح الذي عليه أئمة هذا الفن علي ابن المديني والبخاري وغيرهما[2].

وهو أيضا رأي أبي بكر الصيرفي الشافعي وابن الصلاح والعلائي و أحمد وأبي زرعة وأبي حاتم والبرديجي وابن رجب وابن حجر العسقلاني والذهبي وغيرهم[3] وهنا لم يثبت اللقاء أثنا زيارته للبصرة ولو مرة. أضف إلى ذلك انشغاله بالحرب وجمعه الرجال والمال لها وبلوغه سن الأربعين كل هذا مما يمنع حصول التلمذة وأما اللقاء فقد يكون بعيدا وقد يكون ممكنا ولو حصل فهو لقاء جدال ومناظرة بين المذهب الحق الذي يعتقده زيد والمذهب الباطل الذي يعتقده واصل[4].

ومما يقوي هذا الرأي ما نقله ابن عساكر عن زيد من رفضه لمذهب الاعتزال عندما "قال له مطلب بن زياد : يازيد أأنت الذي تزعم أن الله أراد أن يعصى ؟ فقال له زيد أفعصى عنوة "[5]. إضافة إلى أن له كتابا في الرد على القدرية من القرآن[6] وقد تقدم أن المعتزلة والقدرية شئ واحد فهم – أي المعتزلة – الوارثون لها وحاملوا فكرها واعتقادها[7].

---

[1] الرد على المنطقين ص٧

[2] شرح مسلم (١/٣٢،١٢٨)

[3] شرح صحيح مسلم للنووي(١/٣٢) ، صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ص١٣١ والعلائي في جامع التحصيل ص١٣٤ وابن رجب في شرح العلل (٢/٥٨٦ – ٥٩٩) وابن حجر في نخبة الفكر ص٦٤ مع النزهة وسير أعلام النبلاء (١٢/٥٧٣)

[4] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص٦٤

[5] تهذيب تاريخ دمشق (٦/٢١) تاريخ الإسلام للذهبي (٨/١٠٧) حوادث سنة ١٢١هـ

[6] أصول الدين ص٢٠٧

[7] انظر ص ١٣٢ من هذه الرسالة .

١٢- إن زيد بن علي كان من أئمة آل البيت ومن خيار التابعين ورأى جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]. ومعتقده هو معتقد أهل السنة الجماعة بشهادة أساطين العلم وأهل الخبرة والنظر والأمانة والديانة رغم أن الشيعة الزيدية ينتسبون إليه وإلى آل البيت زورا واختلاقا. وهل أئمة أهل البيت إلا سلف لهذه الأمة في الدين والعقيدة ؟ نص على ذلك جمع من أئمة أهل السنة والجماعة منهم: شيخ الإسلام بن تيمية الذي يقول في معرض حديثه عن ذرية فاطمة رضي الله عنها ومبينا أن زيد بن علي من أهل السنة والجماعة :" فليست ذرية فاطمة كلهم محرمين على النار بل فيهم البر والفاجر. والرافضة تشهد على كثير منهم بالكفر والفسق وهم أهل السنة منهم المتولون لأبي بكر وعمر كزيد بن علي بن الحسين وأمثاله من ذرية فاطمة رضي الله عنها فإن الرافضة رفضوا زيد بن علي ابن الحسين ومن والاه وشهدوا عليه بالكفر والفسق بل الرافضة أشد الناس عداوة إما بالجهل وإما بالعناد لأولاد فاطمة رضي الله عنها[2] ".

ويقول في موضع آخر : " والشيعة المنتسوبون إلى آل البيت الموافقون لهؤلاء المعتزلة أبعد الناس عن مذاهب أهل البيت في التوحيد والقدر، فإن أئمة أهل البيت كعلي وابن عباس ومن بعدهم كلهم متفقون على ما اتفق عليه سائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان من إثبات الصفات والقدر. والكتب المشتملة على المنقولات الصحيحة مملوءة بذلك[3] ".

ويقول أيضا " فليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق من كان ينكر الرؤية أو يقول بخلق القرآن أو ينكر القدر أو يقول بالنص على علي أو بعصمة الأئمة الإثني عشر أو يسب أبا بكر

---

(1) تهذيب التهذيب (٤١٩/٣) الثقات لابن حبان (٤ / ٢٤٩-٢٥٠)

(2) منهاج السنة النبوية (٦٣/٤-٦٤) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٧٢

(3) المصدر السابق (١٠٠/٢)

وعمر والمنقولات الثابتة المتواترة عن هؤلاء معروفة موجودة وكانت مما يعتمد عليه عند أهل السنة"[1].

ويقول الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب : إن أئمة أهل البيت أمثال زين العابدين وابنه زيد بن علي وأشباههم رضي الله عنهم شهد لهم أهل العلم بالصدق والأمانة والديانة[2]. ويقول صاحب مختصر التحفة الإثني عشرية :" إن أهل السنة هم أتباع بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهم السالكون طريقتهم والمجيبون دعوتهم والأئمة الأطهار كانوا على ما عليه أهل السنة الأخيار كيف لا وأبو حنيفة ومالك وغيرهما من العلماء الأعلام قد أخذوا عن أولئك العظام[3] ".

وكان رحمه الله يعرف للشيخين رضي الله عنهما قدرهما وما لهما من المنزلة العظيمة فقد روى الحافظ ابن عساكر عن آدم بن عبد الله الخثعمي وكان من أصحاب زيد قال : سألت زيدا عن قوله تعالى "والسابقون السابقون أولئك المقربون"[4] من هؤلاء ؟ قال أبو بكر وعمر. ثم قال : لا أنالني الله شفاعة جدي إن لم أوالهما[5] ". وذكر أيضا عن كثير الكوفي أنه قال : سألت زيدا عن أبي بكر وعمر فقال : تولهما فقلت له : كيف تقول فيمن تبرأ منهما ؟ قال ابرأ منه حتى تموت"[6].

وقال الإمام الذهبي : وروى هاشم بن البدير عن زيد بن علي قال : كان أبو بكر رضي الله عنه إمام الشاكرين ثم تلا "وسيجزي الله الشاكرين"[7] ثم قال البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي"[8].

---

[1] المصدر السابق (٣٦٨/٢ – ٣٦٩)

[2] جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية ص١٥١

[3] مختصر التحفة الإثني عشرية ص٣٤

[4] الواقعة آية ١٠ – ١١

[5] تهذيب تاريخ دمشق (٢١/٦) فوات الوفيات (٣٦/٢)

[6] تهذيب تاريخ دمشق (٢١/٦)

[7] آل عمران آية ١٤٤

[8] سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٥)

بل قد صرح زيد رحمه الله أنه متبع لأهل بيته الذين كانوا قبله فيما يعتقدونه نحو الشيخين من إثبات الأفضلية لهما وأحقية إمامتهما ذكر ذلك ابن جرير في تاريخه : أنه عندما حصل الطعن في زمنه من الرافضة على أبي بكر وعمر منعهم من ذلك وقال لهم : "ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيرا"[1] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك :" والنقل الثابت عن جميع علماء أهل البيت من بني هاشم من التابعين وتابعيهم من ولد الحسين بن علي وولد الحسن وغيرهما: أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر وكانوا يفضلونهما على علي والنقول عنهم ثابتة متواترة"[2]

وليس هذا موقفه من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فحسب بل كان موقفه أيضا من ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه فهو يواليه ويترضى عليه ويرفض البراءة منه ويقرنه بأبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ولم يكن متوقفا فيه كما هو الحال لدى بعض المتأخرين فقد روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى زيد بن علي أنه قال: "البرآءة من أبي بكر وعمر وعثمان البراءة من علي والبراءة من علي البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان[3] ".

وروى الحافظ بن عساكر بإسناده إلى السدي قال : أتيته – أي زيد – وهو في بارق – حي من أحياء الكوفة – فقلت له: أنتم سادتنا وأنتم ولاة أمورنا فما تقول في أبي بكر وعمر؟ فقال : تولهما وكان يقول : البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان البراءة من علي والبراءة من علي البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان[4]"

---

[1] تاريخ الأمم والملوك (١٨٠/٧)

[2] منهاج السنة النبوية (٣٩٦/٧) غير أن الشهر ستاني يقول : إن زيدا يرى أن عليا أفضل الصحابة "أ.هـ الملل والنحل (١٥٤/١) وتبعه محمد شاكر الكتبي في فوات الوفيات (٣٧/٢) و أبو زهره في الإمام زيد ص ١٨٨-١٨٩

[3] تاريخ بغداد (٢/ ٨٧)

[4] تهذيب تاريخ دمشق (٦ / ٢١)

وفي رواية :" البراءة من أبي بكر وعمر البراءة من علي فإن شئت فتقدم وإن شئت فتأخر[1] ".

فهذا يدل على أن زيدا لم يختلف موقفه من عثمان رضي الله عنه عن موقفه من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إذ كان رحمه الله مثبتا فضل الخلفاء الراشدين الذين كانوا قبل علي رضي الله عنه وكان مواليا لهم ومنكرا غاية الإنكار على من حاول الإزراء بهم والحط من قدرهم وأنه كان يرتبهم في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة[2]. فهو إذن على معتقد أهل السنة والجماعة قولا وعملا واعتقادا .

١٣- إن الإمام زيد بن علي لم يكن شيعيا على الإطلاق ولم تكن حركته للشيعة ولا كان خروجه وقتاله على قاعدة من قواعد الإمامة التي يقولها الرافضة من استحقاق أهل البيت للإمامة دون غيرهم وأنها في ذرية الحسين وإنما كان داعيا إلى الكتاب والسنة يقول ابن خلدون :" ظهر زيد بن علي بالكوفة خارجا على هشام داعيا للكتاب والسنة"[3].

ويقول النشار : "أريد هنا أن أصل إلى النتيجة القاطعة في حقيقة زيد بن علي أنه لم يكن شيعيا على الإطلاق ولم تكن حركته للشيعة وإنما هي حركة إسلامية استهدفت الخروج على الإمام الظالم من عالم من علماء المسلمين يمتاز عن غيره من العلماء أنه من دوحة النبوة ومن أبناء علي عليه السلام"[4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" إن زيد بن علي بن الحسين لما خرج في خلافة هشام وطلب الأمر لنفسه كان ممن يتولى أبا بكر وعمر فلم يكن قتاله على قاعدة من قواعد الإمامة التي يقولها الرافضة[5] "، وأهم قاعدة لدى الرافضة هي حصر

---

(1) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٩٤٠/٣)

(3) تاريخ ابن خلدون (٩٨/٣)

(4) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام (١٥٧/٢-١٥٨)

(5) منهاج السنة النبوية (٦/ ٣٤١)

الإمامة في أهل البيت[1] ، ابتداءً بعلي بن أبي طالب ثم الحسن وبعده الحسين رضي الله عنهم وبقائها في ذرية الحسين على الترتيب الذي تقدم ذكره[2].

وقد كان منكرا على الشيعة الإمامية - الرافضة - معتقدهم الباطل في الصحابة رضي الله عنهم وجميع معتقداتهم المنكرة من القول بالعصمة والمهدية والرجعة والتقية للإمام ونسبة العلم اللدني إليه. يقول العلامة الألوسي :" وكان زيد بن علي منكرا لجميع معتقدات الإمامية كما روى الزيدية والإمامية معا إنكاره[3] ". فهو يصرح بأنه ليس هناك إمام من أئمة آل البيت تجب على المسلمين طاعته ويرد على الرافضة الذين يدعون إمامة علي بن الحسين وأخيه محمد الباقر ويبين أن ذلك لم يكن. فليس هناك نص على أحد منهم بالإمامة أبدا وأنه إن كان هناك حق لهم في الإمامة من الله ثم يجحد هذا الحق جاحد فإنه كافر ، ولكن أهل البيت كبقية الناس . ويذكر الحميري عنه أنه قال :" ثم كنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فينا إمام مفترضة طاعته والله ما ادعي علي بن الحسين ولا أحد منزلة علي ولا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال في الحسن والحسين غير أنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يقولون : حسدت أخي وابن أخي!! أأحسد أبي حقا هو له ؟ لبئس الولد أنا من ولد ، إني إذا لكافر إن جحدت حقا هو له من الله فوالله ما ادعاها علي بن الحسين ولا ادعاها أخي محمد منذ صحبته حتى فارقني"[4] ، ولا يرد هنا لماذا خرج على هشام بن عبد الملك ؟ وذلك لأنه كان ملتزما الطاعة لا يخرج على الجماعة ولا يخالف[5]. وإنما خرج جهادا للظالمين وداعيا إلى الرفع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين والعدل في قسمة الفيء ورد المظالم وأفعال الخير ونصر أهل البيت[6].

---

[1] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٩٤٢/٣) وانظر الملل والنحل (١٦٣/١)

[2] انظر ص ٩١-٩٢ من هذه الرسالة

[3] مختصر التحفة الإثني عشرية ص ١٩٨

[4] الحور العين ص٢٤٢

[5] الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص١٤٣

[6] تاريخ ابن خلدون (٩٨/٣)

إن شهادة علماء السنة له بأنه على عقيدة أهل السنة والجماعة ، وتوثيق علماء الجرح والتعديل له ، وعدم رميهم إياه بأي بدعة سواء أكانت تشيعا أم اعتزالا ليؤكد نفي هاتين التهمتين عنه وإلا لكانت قادحة عند أهل الاختصاص ولعدلوا عن توثيقه وتقديره وثنائهم عليه فهذا الذهبي يثني عليه بقوله :"وكان ذا علم وجلالة وصلاح هفا وخرج فاستشهد[1]" ويقول :" وكان أحد العلماء الصلحاء بدت فيه هفوة فاستشهد فكانت سببا لرفع درجته في آخرته[2] " ووثقه ابن حجر العسقلاني[3] وذكره ابن حبان في الثقات وأثنى عليه في غيره[4] بقوله : " كانت الشيعة تنتحله وكان من أفاضل أهل البيت وعبادهم[5] " أي كانت الزيدية تدعي متابعتها له مع أنه برئ منها ومن معتقداتها .

إذن الإمام زيد بن علي ثقة ولا مطعن فيه ألبتة ومن نسبه إلى التشيع أو إلى الاعتزال فقد تكلم بغير علم ولا هدى وإنما بالشبهة والهوى. وإن المناقشة التفصيلية لمن يقول بأن زيدا اعتنق أصول المعتزلة ستبدي لنا بطلان قوله وتثبت بما لا يدع مجالا للشك أن زيد بن علي ليس معتزليا ولا شيعيا وإنما هو من أئمة أهل السنة والجماعة وعليه فإن القول بأن العلاقة بين الشيعة الزيدية والمعتزلة تعود إلى زيد بن علي قول غير صحيح لمخالفته الأدلة الواضحة والواقع والتاريخ الذين تطرقت إلى ذكر بعض منها[6] .

---

(1) سير أعلام النبلاء (٣٨٩/٥)

(2) تاريخ الإسلام (١٠٥/٨) حوادث سنة ١٢١هـ

(3) تقريب التهذيب ص ٢٢٤ تهذيب التهذيب (٤١٩/٣)

(4) الثقات (٢٤٩/٤ – ٢٥٠)

(5) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار ص ١٠٤

(6) ولمزيد التوسع في الرد على هذا القول انظر : الإمام زيد المفترى عليه ص ١٥٤ وما بعدها

القول الثالث :-

إن بداية الصلة بين الشيعة والمعتزلة تعود إلى المدرسة التي أنشأها في المدينة محمد ابن الحنفية والتي خرجت منها آراء الاعتزال والإرجاء[1]. فينسب الاعتزال إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وينسب الإرجاء إلى ابنه الحسن وكان واصل وعمرو قد تتلمذا على محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم وأخذا عنهما الاعتزال[2] .

نقد هذا القول :-

١) إن القول بتلمذة واصل بن عطاء على أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية المتوفى سنة ٩٨ أو ٩٩ هـ قول يحتاج إلى إثبات لأن المصادر القديمة التي تبحث في الرجال وأحوالهم وعقائدهم لا نجدها تذكر ذلك كالملل والنحل للشهرستاني[3] ، ووفيات الأعيان[4] ، وشذرات الذهب[5] ، وتاريخ ابن معين[6] ، والعقد الفريد[7] ، وسير أعلام النبلاء[8] ، والبداية والنهاية[9] ، والكامل في التاريخ لابن الأثير[10] ، ولسان الميزان[11]، تذهيب التهذيب للخزرجي[12] ، والكاشف للذهبي[13] ، وتهذيب التهذيب[14]، والتحفة اللطيفة للسخاوي[15] ، وغيرها وإنما

---

(1) الصلة بين الزيدية والمعتزلة د/ أحمد عارف ص٥٩-٦٠

(2) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٧ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨

(3) (٤٠/١ – ٤٣ ، ١٤٩ – ١٥١)

(4) (٧/٦ – ١١) (٤٦٠/٣ – ٤٦٢)

(5) (١٨٢/١ – ١٨٣)

(6) (٣٢٩/٢)

(7) (٣٣٣/٥)(٢٢٤/٢،٢٤٦)(١٤٠/٣،١٤٦) (٣٣٣/٥)

(8) (٤/ ١٢٩ – ١٣٠)

(9) (٤١/٩)،(٦٢/١٠،٨٢،٣٣٣)

(10) (١٥٥/٤)

(11) (٢١٤/٦ – ٢١٥)

(12) (٩٦/٢)

(13) (٢ / ١٢٧)

(14) (١٦/٦) وما بعدها

(15) (٤٠٠/٢ – ٤٠١)

يذكر هذه التلمذة بعض المعتزلة المتقدين وتابعهم على ذلك عدد من المتأخرين والكتاب المحدثين ليس إلا. فالقاضي عبد الجبار في فرق وطبقات المعتزلة يؤكد على أن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد أخذا عن محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم وأن واصلا أخذ عن ابن الحنفية علم الكلام[١]. كذلك ابن المرتضى في المنية والأمل يقرر هذه التلمذة سائرا على خطى القاضي عبد الجبار[٢] ، والسياغي في الروض النضير[٣] ، وغيرهم[٤]. والعجيب أن بعض المعاصرين نقل الإجماع بقوله :" تجمع المصادر على أن واصل بن عطاء شيخ المعتزلة وقديمها تتلمذ على أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية"[٥] . ونحن نتسائل أين هذه المصادر التي أجمعت على هذا الرأي ؟ إن الثقة بهذه المقولة لا تزال ضعيفة بسبب أن رواتها المتقدمين معتزلة ولا غرابة حين يحاولون إلصاق اعتزالهم بآل البيت عبر إسناد مركب لكسب الشرف والمكانة وثقة الناس وقد رأينا سابقا أن القاضي عبد الجبار وابن المرتضى أوصلاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يشك أحد في كذبه ووضعه لأن النبي صلى الله عليه وسلم جاء بالإسلام ليجمع به القلوب وليس بالاعتزال أو غيره ليتفرق الناس شيعا وأحزابا. ومما يقوي الشك بها وعدم الثقة أنها جعلت واصلا وعمرا من تلامذة محمد بن الحنفية كما أنهما من تلامذة ابنه أبي هاشم. فكيف تكون السنة التي مات فيها محمد بن الحنفية – ٨٠هـ – وولد فيها كل من واصل وعمرو قد حصلت فيها التلمذة ؟! أليس هذا من الكذب والاستخفاف بعقول الناس ؟ فإذا بطل الشق الأول من هذه التلمذة بطل الشق الآخر لثبوت كذب الناقل .

---

[١] فرق وطبقات المعتزلة ص ١٧ ، ٢٩ ، ٣٠– ٣٢

[٢] المنية والأمل ص ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢

[٣] الروض النضير (٥١/١)

[٤] مفتاح السعادة (١٦٣/٢) الحور العين ص ٢٦٠

[٥] التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٢٤

٢) إن الأقوال في وصف حال معتقد أبي هاشم متضاربة فمن المؤرخين من يقول إنه شيعي[١] ، ومنهم من يقول إنه سبئي يتبع السبئية ويجمع أحاديثهم[٢]، ومنهم من يقول إنه أول من أحدث مذهب الاعتزال وأن واصلا أخذه عنه[٣]، ومنهم من يذكر أن الشيعة تنتحله[٤]، ومنهم من يوثقه في الرواية[٥] ، فإذا ما جئنا لتمحيص هذه الأقوال وجدنا أن رميه بالاعتزال فيه نظر ولا نستطيع اعتباره معتزليا بالمعنى الاصطلاحي لأن هذا المعنى لم يتبلور إلا بتأثير واصل بن عطاء بعد تقريره أصل المنزلة بين المنزلتين ثم بعد ذلك استقرت الأصول الخمسة المعروفة التي تكون أركان الاعتزال بمعناه الاصطلاحي[٦]، كما لا يمكن اعتباره شيعيا أو سبئيا لأن من المؤرخين من ذكر أن الشيعة تنتحله - أي تدعي الانتساب إليه - وليس هو منها في شئ ولأنه أخذ من أبيه محمد بن الحنفية الذي تلقى العقيدة الصافية عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إضافة إلى أن توثيق بعض العلماء المعتبرين له يدل على عدم وجود بدعة فيه لأن البدعة تنافي التوثيق. والحاصل أن هذا التضارب في الأقوال ليدعو الباحث إلى التروي والتثبت عند إطلاقه أي وصف قادح على أبي هاشم ابن محمد ابن الحنفية.

٣) إن كتب الرجال التي رجعت إليها ذكرت عددا غير قليل من تلامذة أبي هاشم منهم ابنه عيسى والزهري وعمرو بن دينار وسالم بن أبي الجعد وإبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وغيرهم[٧]، ولم تذكر واصل بن عطاء

---

(١) تهذيب التهذيب (١٦/٦) سير أعلام النبلاء (١٢٩/٤-١٣٠)

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢٩/٤-١٣٠) التحفة اللطيفة (٤٠٠/٢-٤٠١)

(٣) مفتاح السعادة (١٦٣/٢) الزيدية نظرية وتطبيق ص ٢٠ . ويقول: إن واصل بن عطاء أخذ المنزلة بين المنزلتين من أبي هاشم. والصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ٥٩ وابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي ص ٦٠ .

(٤) الطبقات الكبرى (٣٢٨/٥)التحفة اللطيفة (٤٠٠/٢-٤٠١)

(٥) سير أعلام النبلاء (١٢٩/٤) تهذيب التهذيب (١٦/٦) الكاشف (١٢٧/٢)

(٦) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٥٩

(٧) تهذيب التهذيب (١٦/٦) تذهيب التهذيب (٩٦/٢) الكاشف (١٢٧/٢)

وعمرو بن عبيد فلو كانت لهما تلك المنزلة والملازمة[1] لكانا أولى بالذكر من غيرهما لأنهما حينئذ يعتبران من خاصة طلابه وأقربهم منه .

٤) إنه على فرض ثبوت تلمذة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد على أبي هاشم فهل يمكن القول بأنهما شيعيان ؟ إن ثبوت ذلك من عدمه يتوقف على موقفهما من الأمور التالية:

أ) موقفهما من التفضيل .

ب) موقفهما من أصحاب الجمل.

ج) موقفهما من النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في صفين وحادثة التحكيم .

أ) موقفهما من التفضيل :-

*** موقف واصل بن عطاء :-**

تنسب بعض المصادر القديمة إلى واصل أنه يذهب إلى تفضيل أبي بكر وعمر على جميع الصحابة – رضي الله عنهم – وأنه يفضل عليا على عثمان – رضي الله عنهما – مع موالاته لعثمان[2]. ويفسر في ضوء هذا التفضيل الأخير ما وصف به واصل من التشيع[3] لأنه كما حكى الجاحظ كان في الصدر الأول لا يسمى شيعيا إلا من قدم عليا على عثمان ولذلك قيل شيعي وعثماني فالشيعي من قدم عليا على عثمان والعثماني من قدم عثمان على علي رضي الله عنهما[4] مع تولي الشيعة آنذاك لأبي بكر وعمر[5] ــ رضي الله عنهما ــ. هذا ما قيل عن موقف واصل من التفضيل .

---

(١) أنظر فرق وطبقات المعتزلة ص ١٧-١٨ ، ٢٩ – ٣٢

(٢) المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٠/٢/١١٤)

(٣) المنية والأمل ص ٨١

(٤) المنية والأمل ص٨١ المغني (٢٠/٢/١١٤) الحور العين ص ٢٣٤

(٥) العقد الفريد (٢/٢٤٥)

**** موقف عمـــرو بن عبيـــد :-**

يسلك عمرو بن عبيد في مسألة التفضيل مسلك أهل السنة والجماعة فيرتبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة[1].

ب) موقفهما من أصحاب الجمل :-

موقف واصل بن عطـــاء :-

إن موقف واصل هنا منحصر بين توقفه عن الحكم على أحد الفريقين أو له وبين قوله بتفسيق أحدهما لا بعينه. فأما توقفه في الحكم على أصحاب الجمل فينقله الخياط عنه وعن صاحبه عمرو بن عبيد بقوله :" كان القوم عندهما أبرارا أتقياء مؤمنين قد تقدمت لهم سوابق حسنة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرة وجهاد وأعمال جميلة ثم وجداهم قد تحاربوا وتجالدوا بالسيوف فقالا : قد علمنا أنهم ليسوا بمحقين جميعا وجائز أن تكون إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة ولم يتبين لنا من المحق منهم من المبطل فوكلنا أمر القوم إلى عالمه وتولينا القوم على أصل ما كانوا عليه قبل القتال"[2].

وأما تفسيقه لأحد الفريقين لا بعينه فينقله البغدادي بقوله :" زعم أن فرقة من الفريقين فسقه لا بأعيانهم وأنه لا يعرف الفسقة منهما وأجازوا أن يكون الفسقة من الفريقين عليا وأتباعه كالحسن والحسين وابن عباس وعمار بن ياسر وأبي أيوب الأنصاري وسائر من كان مع علي يوم الجمل وأجاز كون الفسقة من الفريقين عائشة وطلحة والزبير وسائر أصحاب الجمل[3]".

وذكر الشهر ستاني والبغدادي وابن حزم وابن تيمية والذهبي وابن حجر وغيرهم أنه كان يتوقف في عدالة أهل الجمل ويقول : " إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها فلو شهد عندي علي وعائشة وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم لعلمي بأن

---

(1) المغني (٢٠/٢/١١٤)

(2) الانتصار ص١٥١-١٥٢ وانظر لسان الميزان (٦/٢١٥)ميزان الاعتدال (٤/٣٢٩)

(3) الفرق بين الفرق ص ١٢٠

أحدهما فاسق لا بعينه كما لا أحكم بشهادة المتلاعنين لعلمي بأن أحدهما فاسق لا بعينه ولو شهد رجلان من أحد الفريقين أيهما كان قبلت شهادتهما[1] ونلاحظ هنا أنه لا فرق بين القول بتوقفه وبين تفسيقه فريقاً غير معين من الفريقين لأن حاصل القولين هو التفسيق لفريق غير معين فقد يكون فريق علي وقد يكون الفريق الآخر ولهذا رتب على قوله هذا عدم قبول شهادة علي وعائشة وطلحة ولو على باقة بقل فيجوز على قوله هذا - كما ذكر البغدادي - أن يكون الفسقة عليا رضي الله عنه وأتباعه أو يكون عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم ومن كان معهم. وأما قول بعض الباحثين :" إن الخياط تتضح الأمانة في تفسيره بخلاف البغدادي الذي يتجاهل أن واصلا يكل الحكم على هؤلاء الأجلاء إلى ربهم وحده لأن موازين البشر في مثل هذه الحالة قد تضل فالتوقف أسلم الحالين طلبا لسلامة هؤلاء الرجال عليه[2] " فهو مردود لأن حكم واصل على أحد الفريقين بالفسق - ولو كان غير معين - هو حكم عليه بأنه مخلد في النار في الآخرة[3] وفي الدنيا هو ليس بمؤمن ولا كافر[4] فأين إرجاء الحكم عليهما وإيكاله إلى الله سبحانه وتعالى ؟!

** موقف عمرو بن عبيد :-

لا يتوقف عمرو في الحكم على أطراف النزاع في معركة الجمل كما فعل واصل ويقول بتفسيق أحدهما لا بعينه وإنما يحكم بتفسيق الفريقين جميعاً فريق علي رضي الله عنه وفريق طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ولذلك يرد شهادة من ينتسب إلى أحد الفريقين لأنه قال بفسقهما معاً[5].

---

(1) انظر: الملل والنحل (٤٣/١) والفرق بين الفرق ص ١٢٠ وأصول الدين ص ٢٩٠-٢٩١ ، ٣٣٥ والفصل في الملل والأهواء والنحل (١٥٣/٤) منهاج السنة النبوية (٧٠/١-٧١) ومجموع الفتاوى (٩٧/١٣) وميزان الاعتدال (٣٢٩/٤) . لسان الميزان (٢١٥/٦)

(2) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٢٧

(3) انظر شرح نهج البلاغة (٩/١) أصول الدين ص ٢٩١

(4) أصول الدين ص ٢٩١

(5) الفرق بين الفرق ص١٢١ الملل والنحل (٤٣/١) أصول الدين ص ٣٣٥

غير أن الخياط وابن حزم قد نسبا عمرا إلى التوقف عن تفسيق إحدى الطائفتين لا بعينها كما فعل واصل بن عطاء[1] وقد يفهم هذا من قول شيخ الإسلام ابن تيمية:"وكان قدماء المعتزلة وأئمتهم كعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهم متوقفين في عدالة علي فيقولون أو من يقول منهم : قد فسقت إحدى الطائفتين إما علي وإما طلحة والزبير لا بعينها[2] إلا أننا إذا تأملنا كلام ابن تيمية السابق نجد أنه ليس فيه ما يؤيد القول بتوقف عمرو لأنه قال : فيقولون أو من يقول منهم فهذا الشك وعدم الجزم يجعلنا نرجع إلى ما ذكرته كتب الفرق من أن واصلا يفسق إحداهما لا بعينها وعمرا يفسق الطائفتين معا لكي يحمل الشك على اليقين[3].

ويؤكد هذا ما أورده الذهبي في ميزان الاعتدال عن الفلاس قال : سمعت عبد الله ابن سلمه الحضرمي يقول : سمعت عمرو بن عبيد يقول :" لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان على شراك نعل ما أجزت شهادتهم"[4].

وأما قول بعض المعاصرين إن ما أثر عن عمرو من صدق التدين ورسوخ العقيدة يشكك في نسبة هذا الرأي إليه[5] فإنه يدل على عاطفة طيبة ولكن الواجب هنا – حسب قواعد البحث العلمي – يقتضي أن نحكم على عمرو بن عبيد بحسب قوله وفعله لنعرف عظم البدعة التي وقع فيها بسبب طعنه في جمع من خيار الصحابة رضي الله عنهم وأما عن زهده وعبادته فيقول الحافظ ابن كثير :" والزهد لا يدل على صلاح فإن بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه عمرو ولا كثير من المسلمين في زمانه[6] ".

---

[1] الانتصار ص١٥١ – ١٥٢ الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٣٣/٤)

[2] منهاج السنة النبوية (٧٠/١-٧١)

[3] يؤيد ذلك أن ابن تيمية في مجموع الفتاوى نقل هذا القول عن بعض متقدمي المعتزلة ثم قال :" وهذا القول شاذ فيهم والذي عليه عامتهم تعظيم علي رضي الله عنه " (٩٧/١٣)

[4] (٢٧٥/٣)

[5] التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٢٩

[6] البداية والنهاية (٨٢/١٠)

وأما البغدادي فلم يتناقض في النقل عن عمرو لأنه عندما قرنه بواصل[٤] كان ذلك في أمر قد حصل الاتفاق عليه بينهما ثم ذكر في موضع آخر ما تفرد به عمرو عن واصل وزاده عليه وهو أنه رد شهادة كلا الفريقين سواء انفردا أو اجتمعا فالفسق عنده يصدق على الفريقين معًا فريق علي رضي الله عنه وفريق طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم وهذا هو قوله الذي تميز به واستقر عليه[١].

ج) موقفهما من النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في صفين وحادثة التحكيم :-

إن رأي المعتزلة جميعاً يكاد يكون محل اتفاق حول هذه النقطة فهم يرون أن عليا رضي الله عنه وأتباعه كانوا على الحق وأن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما ومن انضم إليهما من أهل الشام بغاة خارجون على الإمام الحق تبرأ منهم المعتزلة[٢]. ولهذا لما قال ابن الراوندي في كتابه فضيحة المعتزلة :" وهم الذين من قبلهم مجتمعون على البراءة من عمرو ومعاوية ومن كان في شقهما[٣] " يريد بذلك النيل من المعتزلة لم يكن جواب الخياط هو الدفاع وتلمس الأعذار وإنما التصريح بصحة ذلك بقوله : " هذا قول لا تبرأ المعتزلة منه ولا تعتذر من القول به"[٤].

ويقول ابن أبي الحديد :" وأما عسكر الشام بصفين فإنهم هالكون كلهم عند أصحابنا لا يحكم لأحد منهم إلا بالنار لإصرارهم على البغي وموتهم عليه رؤساؤهم والأتباع جميعا – إلى قوله – وجملة الأمر أن أصحابنا يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه ولا ريب في أن الباغي على الإمام الحق والخارج عليه بشبهة أو

---

[٤] أصول الدين ص ٢٩٠-٢٩١

[١] المصدر السابق ص ٣٣٥ . الفرق بين الفرق ص ١٢١ والملل والنحل (١ / ٤٣)

[٢] شرح نهج البلاغة (١ / ٩) . التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٢٧ - ١٢٨

[٣] الانتصار ص ١٥٢

[٤] المصدر السابق ص ١٥٢

بغير شبهة فاسق[1] " وهذا القول إنما هو لجمهورهم وليس جميعهم يقولـه إذ قـد ذكر البغدادي أن الأصم قال في علي ومعاوية رضي الله عنهما أقوالا جعل معاوية فيها أحسن حالا من علي"[2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" ومن المشهور عندهم – أي المعتزلة – ذم معاوية وأبي موسى وعمرو بن العاص لأجل علي ومنهم من يكفر هؤلاء ويفسقهم"[3].

ويذكر الشهر ستاني أن قول واصل في أصحاب صفين كقوله في أصحاب الجمل. أي أن أحدهما مخطئ لا بعينه[4].

إذاً هذا هو قول عامة المعتزلة إلا ما نقل عن الأصم من أقوال في علي ومعاويـة رضي الله عنهما تجعل معاوية أحسن حالا من علي وما نقله الشهر ستاني من توقف واصل في أصحاب صفين وتفسيقه لفريق لا بعينه .

وبعد بيان موقف هذين التلميذين لأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفيـة فـهل يمكن اعتبارهما شيعيين ؟ أما عمرو بن عبيد فلا يمكن اعتباره كذلك قولا واحـدا لأن " دائرة التشيع تضيق عنده إلى حد قد ينفي عنه هذا الوصف على الإطلاق"[5] كما تقدم ذلك عند قوله في مسألة التفضيل وحكمه على أصحاب الجمل[6].

وأما واصل بن عطاء فمن الباحثين المحدثين من يقول إن تأثر واصل بأبي هاشـم كان في نطاق معتدل وذلك لسبب بسيط هو أن أبا هاشم نفسه لـم يكـن شـيعيا بالمفهوم الذي تحدد عند الإمامية فيما بعد. ولم يعن التشيع في أصوله الأولى أكـثر من الوقوف بجانب علي رضي الله عنه بالقول أو بالعمل في نزاعه مع الآخريـن. ولم يعن التشيع آنذاك التولي والتبري الذين ظهرا مؤخرًا أعني تولي علي والـبراة من الصحابة إلا نفرا يسيرا جدا[7].

---

(1) شرح نهج البلاغة (٩/١)

(2) أصول الدين ص ٢٩١ وانظر المنية والأمل ص ١٥٦ فرق وطبقات المعتزلة ص ٦٥

(3) مجموع الفتاوى (٩٧/١٣)

(4) الملل والنحل (٤٣/١)

(5) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٢٨

(6) انظر ص ٢٧٥-٢٧٩ من هذه الرسالة .

(7) المصدر السابق ص ١٢٤

ويقول آخر بعد أن بين أن واصلا هو الذي أخذ أصول مذهب الاعتزال عن الشيعة :" وليس الشيعة هم الذين أخذوا عنه هذا المذهب فعلى افتراض أن واصلا هو صاحب الأصول الأولى لمقالات المعتزلة فقد قال بها بوصفه شيعيا ويقوي ذلك أيضا أننا لو سلمنا أن زيداً نقل الاعتزال إلى الزيدية عن واصل فإننا لا نستطيع أن نفسر انتقال هذا المذهب المعتزلي إلى فرق الشيعة من غير الزيدية(1)".

غير أن هناك من ينفي هذا الوصف عن واصل بن عطاء قائلاً : " إن رأس المعتزلة وهو واصل بن عطاء لم يكن مشايعا لعلي ، بلى إنه أدان الفريقين المتحاربين : علياً وخصومه"(2) والحقيقة أن الناظر في قول واصل في أصحاب الجمل الذي تضافرت على نقله جملة من كتب الفرق والمقالات لتضعف ثقته ويساوره الشك فيما نقله القاضي عبد الجبار من أن واصل بن عطاء يفضل عليا على عثمان خلافا لعمرو بن عبيد وذلك لتضارب الموقفين وتعارضهما ولما رواه الجاحظ – المنتمي لفرع البصرة الذي أسسه واصل بن عطاء – من أن واصلا زعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقيل له وعلي أيضا فأنشد :

وما شر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذي لا تصحبينا(3)

وبما نقل من أن النظام والجاحظ وهشام الفوطي والشحام والقاضي عبد الجبار – وهم من معتزلة البصرة – يذهبون في التفضيل مذهب عمرو بن عبيد أي أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل كترتيبهم في الخلافة خلافا لواصل(4). وأما أبو الهذيل العلاف فإنه يرى رأي واصل إلا أنه زاد عليه بأن جعل أبا بكر وعلياً – رضي الله عنهما – في الفضل سواء لا فضل بينهما(5).

---

(1) ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي ص ٦٠
(2) المعتزلة لأحمد صبحي (١/١١٠ ، ١٨٢)
(3) البيان والتبيين (١/١٠) ويؤيد الحافظ ابن حجر نسبة هذا البيت لواصل بن عطاء انظر لسان الميزان (٦/٢١٥)
(4) شرح نهج البلاغة (١/٧)
(5) التنبيه والرد ص ٥٥

ومما قد يعيب رواية إنشاد واصل بن عطاء البيت السابق في ذم علي – رضي الله عنه– أن فيها ذكراً لحرف الراء الذي كان واصل يتجنبه في خطبه وكلامه لئلا تظهر اللثغة القبيحة التي كانت فيه[1]. إضافة إلى أن عبد القاهر البغدادي قد نسبه إلى بشار بن برد وأنه القائل له في هذه القصة[2]. غير أنه يرد عليه أن الضرورة الشعرية وقلة الحاضرين – حيث كان السائل واحدا فقط – جعلا واصلا ينطق بها ولو كان في ذلك إظهار للثغته القبيحة .

مما تقدم يظهر لنا أن القول بتشيع واصل بن عطاء قول لا يستند إلى دليل صحيح صريح سالم من النقد والاعتراض فنبقى على الأصل حتى يأتي ما يثبت تشيعه .

وأما قول الشيخ أبي زهرة – بعد نقله قول واصل بن عطاء أن علياً لم يكن على الحق بيقين في قتال الأمويين – :"إن كثيرين يشكون كل الشك في نسبة هذا الرأي إلى واصل بن عطاء نفسه[3].

فإنه متعقب بأن المصادر التي نقلت هذا الأمر عن واصل كادت أن تتواتر بخلاف النقل عنه بتقديم علي على عثمان رضي الله عنهما فلم يذكره إلا بعض المعتزلة أو المقلدين لهم فضلاً عن كونه مبنياً عندهم على ثبوت تلمذة واصل على أبي هاشم وعلى تشيع الأخير وأن واصلاً تأثر به ومن ثم صار شيعياً وبعضهم يقول إنه أخذ عن أبي هاشم الاعتزال وبعضهم يقول ابتدأ أصول الاعتزال وقال بها بوصفه شيعياً وقد تقدم بيان مخالفة هذه الأقوال للواقع والحقيقة .

٥) إن واصل بن عطاء أخذ العلم من شخصيات متباينة الآراء ومن ثم لم يكن تابعا لواحد منها بعينه حيث تلقى عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وعلى الحسن البصري ومعبد الجهني وغيرهم[4]. فكما أنه تتلمذ على الحسن البصري

---

[1] البيان والتبيين (٨/١)

[2] الفرق بين الفرق ص ٥٤ والحافظ المزي أيضاً انظر لسان الميزان (٢١٥/٦)

[3] الإمام زيد ص ٥٣

[4] المعتزلة لأحمد صبحي (١٨١/١-١٨٢)

وخالفه واتخذ مذهبا مغايرا لمذهبه مذهب أهل السنة والجماعة فما المانع أن يحصل الشيء نفسه مع أبي هاشم الذي ينسب إلى التشيع ؟ وأما قول بعض المعاصرين :" لقد نص المحققون من المعتزلة والزيدية على أن مسألة المنزلة بين المنزلين قد أخذها واصل عن أستاذه أبي هاشم[1] " فمخالف لما تواتر من أن هذه المسألة حدثت أثناء تلمذته للحسن البصري فكانت أول قواعد المعتزلة وكان واصل أول من أظهرها[2].

٦) مما يؤكد عدم تشيع واصل بن عطاء أن رأيه في أصحاب الجمل وصفين كان مبنيا على أصول أصلها وقواعد قعدها بعد اعتزاله لحلقة شيخه الحسن البصري ورأيه هذا وإن قال عنه بعض المعاصرين إنه رأي غريب[3] أو رأي غامض[4] فهو في غاية الاتساق مع أصوله وقواعده ومذهبه الذي أسسه ولا غرابة فيه ألبتة لأنه مرتبط برأيه في مرتكب الكبيرة وكما حصل الاختلاف بين الأمة في الحكم على مرتكب الكبيرة كذلك اختلفت الأقوال في الحكم على الصحابة. فالخوارج تكفر طلحة والزبير وعائشة – رضي الله عنهم – وأتباعهم يوم الجمل كفر نعمة لقتالهم عليا – رضي الله عنه – وتكفر معاوية – رضي الله عنه – ومن معه وتعتبر عليا – رضي الله عنه – مصيبا إلى وقت التحكيم ثم كفر بسببه. وأما جمهور المسلمين فيقولون بصحة إسلام الفريقين وأن عليا – رضي الله عنه – كان على الحق في قتالهم وأن أصحاب الجمل كانوا مخطئين في قتال علي – رضي الله عنه – وأما واصل فقد اعتبر الحرب قتلا عمداً ، ومن ثم فهي كبيرة يحكم على صاحبها بالفسق وأنه لا بد أن يكون أحد الفريقين محقا والآخر على الباطل ومن ثم كان أحد الفريقين فاسقاً لا بعينه وتابعه على ذلك بعض المعتزلة

---

(١) الزيدية نظرية وتطبيق ص ٢٠

(٢) لسان الميزان (٢١٥/٦) معجم الأدباء (٢٤٦/١٩) الانتصار ص ٢٣٧

(٣) المعتزلة لأحمد صبحي ص ١٨٥ ، ١٨٢

(٤) الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ٥٤

كالنظام ومعمر والجاحظ وغيرهم وأما جمهور المعتزلة - لا سيما معتزلة بغداد - فيجعلون عليا - رضي الله عنه - مصيبا في حروبه كلها[١].

٧) إن نقل بعض المحدثين الإجماع على أن واصل بن عطاء كان مولى لآل محمد ابن الحنفية[٢] ليس بأعجب من نقله نص المحققين من المعتزلة والزيدية على أن مسألة المنزلة بين المنزلتين قد أخذها واصل بن عطاء من أستاذه أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية فكل قول ليس عليه دليل يبرهن على صدقة وصحته فإنه لا يوثق به والثابت عن المؤرخين هو خلاف ذلك تماما ، فإن ابن خلكان يقول عنه : مولى بني ضبة وقيل : مولى بني مخزوم[٣]. ومثله ياقوت الحموي يقول عنه مولى بني ضبة[٤]. ويقول القاضي عبد الجبار وابن المرتضى : قيل إنه مولى لضبه وقيل لبني مخزوم وقيل لبني هاشم[٥]. فأين إجماع المؤرخين وعلى أي نسبة أجمعوا أو بأيها قال أكثرهم؟؟؟ إن هذا مما يقوي عدم تلمذته على أبي هاشم لبعده عنه .

٨) إن محاولة إثبات قدم الصلة بين المعتزلة والشيعة عن طريق أخذ المعتزلة عن الشيعة لكون واصل بن عطاء رأس المعتزلة تتلمذ لجعفر الصادق هي محاولة في غاية الغرابة لأن واصل بن عطاء وإن عاصر جعفر الصادق إلا أنه كان بالبصرة وجعفر بالمدينة فالظاهر أن واصلا لم يلتق به لأن جعفر الصادق لم يخرج إلى العراق إلا في عهد المنصور كما تدل على ذلك الأخبار وواصل قد مات قبل ذلك في سنة ١٣١هـ[٦] أي قبل الصادق بنحو ست عشرة

---

(١) المعتزلة لأحمد صبحي (١/١٨٥)

(٢) الزيدية نظرية وتطبيق ص ٢٠

(٣) وفيات الأعيان (٦/٧)

(٤) معجم الأدباء (١٩/٢٤٣)

(٥) فرق وطبقات المعتزلة ص ٤٢ المنية والأمل ص ١٤٠ الأمالي للمرتضى (١ / ١٦٣)

(٦) جعفر الصادق لأبي زهرة ص١٥١

سنة[1] ويقول أحمد أمين عن هذه التلمذة :" فلا يعقل كثيرا أن يتتلمذ واصل لجعفر "[2].

وبعد أن بينت عدم حصول هذه التلمذة أرى أنه لا بد من بيان برآة جعفر الصادق من التشيع والاعتزال والقدر وفي هذا يقول الشهر ستاني عنه :" وقد تبرأ عما كان ينسب بعض الغلاة إليه وتبرأ عنه ولعنهم وبرئ من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم من القول بالغيبة والرجعة والبدء والتناسخ والحلول والتشبيه لكن الشيعة بعده افترقوا وانتحل كل واحد منهم مذهبا وأراد أن يروجه على أصحابه ونسبه إليه وربطه به والسيد برئ من ذلك ومن الاعتزال والقدر أيضا"[3] ثم ذكر بعضا من كلامه الدال على عدم قوله بالقدر[4]. ومما يؤكد حسن عقيدة جعفر الصادق وأنه من أهل السنة والجماعة خلو السند الاعتزالي الشهير منه ، فالقاضي عبد الجبار واضع السند لم يذكره والأمر في ذلك واضح لأن جعفر الصادق لم يكن قدريا[5]. وقد تقدم قول أهل العلم بأنه وسائر أئمة أهل البيت النبوي على طريقة السلف ومعتقد أهل السنة والجماعة*. وذكر البغدادي أن له كتابا في الرد على القدرية وآخر في الرد على الخوارج ورسالة في الرد على الغلاة من الروافض[6]. مما يعني أنه لم يكن مقيدا بنحلة أو فرقة بل كان فوق تنازع الفرق ، كان يقول الحق سواء وافق قوله قول المعتزلة أم غيرهم لأن منهاجه القويم الذي رسمه لنفسه هو التزام الكتاب والسنة وتأييد الحقائق التي اشتملت عليها نصوصهما بالعقل السليم والمنطق المستقيم[7].

---

(1) المصدر السابق ص٢١٥

(2) ضحى الإسلام (٣/٢٦٨)

(3) الملل والنحل (١/ ١٦٧)

(4) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

(5) انظر فرق وطبقات المعتزله ص١٦ الفرق بين الفرق ص٣٦٣

* انظر ص ٢٦١،٢٦٦-٢٦٩

(6) الفرق بين الفرق ص٣٦٣

(7) أنظر جعفر الصادق لأبي زهره ص١٠٠

القول الرابع :

أن الصلة بين الشيعة والمعتزلة قد حصلت في حدود سنة سبعين وثلاثمائة للهجرة في عهد الدولة البويهية[1].

نقد هذا القول :-

هذا الرأي قاله الإمام الذهبي وهو يمثل مرحلة استقرار الصلة وانتشارها على المستوى العام وذلك صحيح لا مرية فيه غير أن الحديث هنا عن تحديد بداية الصلة بين الشيعة والمعتزلة والتي هي بلا شك قبل هذا التاريخ بسنين عديدة بل بقرون كما سيأتي بيانه إن شاء الله عند ذكر القول الراجح في بداية الصلة بينهما .

القول الخامس :

إن الصلة بين الشيعة والمعتزلة كانت حاصلة في زمن المأمون الخليفة العباسي السابع يقول الحافظ ابن حجر :" وقول المصنف – أي الذهبي – إن الرفض والاعتزال تواخيا من حدود سبعين وثلاثمائة ليس كما قال بل لم يزالا متواخيين من زمن المأمون "[2].

نقد هذا القول :

إن هذا الرأي كسابقه يمثل مرحلة من مراحل الاتصال ولا يمثل بداية الصلة التي يجري الحديث عنها .

وبعد سرد الأقوال الواردة في بيان بداية الصلة بين التشيع والاعتزال ومناقشة كل قول منها أذكر القول الذي ترجح لدي في تحديد بداية هذه الصلة .

---

(1) ميزان الاعتزال (٣/١٤٩)

(2) لسان الميزان (٤/٢٤٨)

القول الراجح في تحديد بداية الصلة بين الشيعة والمعتزلة :-

لعل من المناسب في هذا المكان أن أكرر ما سبق ذكره من أن تحديد بداية هذه الصلة يعتبر من أكثر الأمور غموضا وتعقيدا. لأنه ما من قول قيل في تحديدها إلا كان موضع نقاش طويل ثم يظهر لنا في نهاية المطاف أنه مما لا يعتمد عليه وذلك إما لعدم صدق جزئياته عليه واما لعدم صدق هذه الجزئيات نفسها والتي انبنى عليها هذا القول ولهذا كان لزاما علي أن أسلك مسلك التحري والدقة ما أمكن إلى ذلك سبيلا متوخياً في ذلك الاعتماد على الوقائع التاريخية والدراسات الشخصية لرجالات هاتين الفرقتين وما جرى بينهم من مجادلات كلامية عقدية بحيث أصل من خلالها إلى معرفة ما يمكن أن نسميه بداية أو إرهاصات اللقاء بينهما وتأثيره على كلا الفرقتين كلا أو بعضا خلال القرون الثلاثة الأولى من التاريخ الهجري .

إنه وبعد الرجوع إلى كتب التاريخ والمقالات والفرق نجد أن أقدم حدث جرى فيه اجتماع الشيعة – الزيدية – والمعتزلة أو بعبارة أخرى حصلت فيه بواكير اللقاء بينهما هو تلك الثورة التي قادها محمد بن عبد الله – النفس الزكية – وأخوه إبراهيم على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ والتي انضم فيها إلى جانب الشيعة كثير من المعتزلة . ويظهر أن سبب خروجهم ابتداءً كان لتحقيق أحد أصولهم الخمسة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لأن المعتزلة كانوا يؤملون خيرا في الخلافة العباسية التي خلفت الخلافة الأموية ويرجون بمقدمها تحقيق العدل وإرساء المفاهيم الإسلامية بيد أنهم لم يجدوا تمثيلا لهذه المفاهيم في شخصية السفاح الذي اتسم عهده بالإفراط في إراقة الدماء والقتل على الشبهات ، ولما سنحت لهم الفرصة للثورة على هذا الحكم في عهد المنصور ووجدوا الإمام الذي يثقون به عقدوا له البيعة وثاروا معه ضد الخليفة العباسي.

ويصور لنا الأشعري هذا الخروج بقوله :" خرج بعد محمد بن عبد الله أخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالبصرة فغلب

عليها وعلى الأهواز وعلى فارس وأكثر السواد وشخص عن البصرة في المعتزلة وغيرهم من الزيدية* يريد محاربة المنصور ومعه عيسى بن زيد بن علي فبعث إليه أبو جعفر – المنصور – بعيسى بن موسى وسعيد بن سلم فحاربهما إبراهيم حتى قتل وقتلت المعتزلة بين يديه"[١] ويقول نشوان الحميري :" وخرجت المعتزلة مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على أبي جعفر المنصور ورئيس المعتزلة يومئذ : بشير الرحال وكان متقلداً سيفاً حمائله تسعة وعليه مدرعة صوف متشبهاً بعمار بن ياسر فقتلوا بين يديه صبراً وذلك أن أصحاب إبراهيم انهزموا فوقف هو والمعتزلة فقتلوا جميعاً بباخمري على بعد ستة عشر فرسخاً من الكوفة[٢] " وجاء في بعض المصادر[٣] أن المنصور استدعى بشير الرحال أحد رؤوس المعتزله الذين اشتركوا بعد ذلك في ثورة إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن – بعيد قتل المنصور لأخيه عبد الله بن الحسن ـ وأمره بدخول بيت فدخله فراعه منظر عبد الله وهو مقتول فسقط مغشيا عليه فلما أفاق أعطى الله عهده أن ينتقم من ظلم المنصور. وروى أبو الفرج الأصفهاني أنه قال :" إن في صدري حرارة لا يطفيها إلا برد عدل أو حر سنان"[٤] ولا شك أن موقف بشير هذا يعكس مواقف المعتزلة الآخرين الذين اتبعوه وانضووا تحت لواء إبراهيم بالبصرة – موطن الاعتزال – كي يحققوا ما أرادوا من عدل وإزالة ما وقع على الناس من ظلم على يد الإمام الذي اتبعوه ورأوه أهلا لتحمل مسئولية الحكم فعقدوا له البيعة وانضووا تحت لوائه وهذا الإمام المناسب – من وجهة نظرهم – هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن لأنهم رأوا في ثورته القوة التي يؤبه لها وتستطيع

* وقد شاركت الزيدية في فتن كثيرة إلى جانب العلويين كما بايعوا مع المعتزلة في سنة ١٤٥هـ محمد بن عبدالله النفس الزكية ولكنهم لم يؤلفوا قط جماعه متحدة إلا بعد أن تولى زعامتهم رجال من العلويين ممن كانوا يدعون الإمامة " تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ص ٢١٨.

(١) مقالات الإسلامين (١٥٤/١)

(٢) الحور العين ص ٢٦٣ – ٢٦٤ وانظر الكامل في التاريخ (١٨/٥-١٩) وذكر المعتزلة للبلخي ص ١١٠ ومقاتل الطالبيين ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٣) ذكر المعتزلة ص ١١٧ المنية والأمل ص ١٤٧ فرق وطبقات المعتزلة ص ٥٣

(٤) مقاتل الطالبيين ص ٢٩٤

أن تحقق ما ثارت لأجله من إسقاط للإمام الجائر – كما يقولون – ولهذا نجد أن من متأخري المعتزلة من أكد ثبوت الإمامة لهذين الإمامين – محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم – كالقاضي عبد الجبار الهمداني الذي يقول بأنه :" ثبتت إمامة محمد بن عبد الله وإبراهيم لأنه قد ثبت في جملتهم من يصح ببيعته إقامة الإمام خصوصا إبراهيم فإن عامة أصحابه كانوا من المعتزلة[1] " وقد ذكر أبو القاسم البلخي طائفة من هؤلاء المعتزلة الذين خرجوا مع إبراهيم منهم : بشير الرحال وإبراهيم بن نميله العبثمي وعبد الله بن خالد الجدلي وعاصم بن عبيد الله ابن عاصم بن عمر بن الخطاب وهارون بن سعيد العجلي وغيرهم"[2] ومما يجدر ذكره هنا أن عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة بعد واصل ابن عطاء كانت له علاقة قوية بالخليفة العباسي أبي جعفر المنصور[3] جعلته لا يشارك في أية ثورة ضده أو أن يحض غيره على المشاركة فيها مما جعل المنصور يأمن جانبه الأمر الذي بلغ به استشارته في بعض الأمور ذات الأهمية الخاصة في مسار الثورة والخروج عليه. فقد روى ابن خلكان أنه لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم على أبي جعفر المنصور وقدم البصرة ثم خرج منها وبلغ المنصور خبره أقبل مسرعا في سنة ١٤٢ هـ وبها عمرو ابن عبيد فقال له أصحابه نخرج للقائه فأبى فعادوا وغلبوه على رأيه حتى خرج إليه فقال له : يا أبا عثمان هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ قال : لا. قال : أفأقتصر على قولك وأنصرف ؟ قال : نعم. فانصرف ولم يدخلها"[4] والسبب واضح وهو أن عمرو بن عبيد كان قد والى المنصور وقال بإمامته[5]. قال أبو جعفر المنصور فيه :" ما خرجت المعتزلة حتى مات عمرو بن عبيد"[6] أي

---

[1] المغني (١٤٩/٢/٢٠)

[2] ذكر المعتزله ص١١٧ – ١١٩

[3] عيون الأخبار لابن قتيبة (٣٣٧/٢) وفيات الأعيان (٤٦١/٣) المنية والأمل ص ١٤٦فرق وطبقات المعتزلة ص٥٢ الملل والنحل (٢٢/١) الحور العين ص ٢٦٤

[4] وفيات الأعيان(٤٦١/٣-٤٦٢) وقد وقع تصحيف في اسم الحسن بن علي بن أبي طالب إلى الحسين والصحيح ما أثبته

[5] الملل والنحل (٢٢/١)

[6] ذكر المعتزله ص١١٠ الحور العين ص ٢٦٤

سنة١٤٤هـ وكانت معركة المنصور مع إبراهيم بن عبد الله سنة ١٤٥هـ[١] أي بعد وفاته بسنة وإذا كان عمرو لم يخرج لقتال المنصور لأمر ما فإن كثيراً من المعتزلة كانوا في صف إبراهيم بن عبد الله لملاقات المنصور وجنده. وقد وصف بعض الباحثين المعاصرين هؤلاء المعتزلة – الذين خرجوا مع إبراهيم – "بمتشيعة المعتزلة "[٢]. ولكن لا يمكن قبول هذا القول بكل ما فيه لأن الاتجاه الشيعي لدى المعتزلة ومثله الاتجاه الاعتزالي لدى الشيعة لم تتضح معالمها إلا في أوائل القرن الثالث الهجري في مدرسة بغداد الاعتزالية التي أنشأها بشر بن المعتمر[٣]. وإنما يمكن القول إن هذه الحادثة تكاد تمثل البداية للتعاون والتقارب العملي[٤] إن لم نقل والفكري أيضا وذلك لأن الجميع كان يدين حكم المنصور ويسعى إلى إبداله بخير منه وهذه الخيرية اتفق الطرفان على أنها متمثلة في محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم .

ولما كان هذا الخروج لم يحقق ما ثار لأجله فإن هذه الثورات قد خفت صوتها من سنة ١٤٥هـ إلى سنة ١٩٨هـ عندما خرج محمد بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب على المأمون فكان بهذا الخروج أول إمام علوي – شيعي – يقود ثورة ضد الخلافة العباسية منذ مقتل محمد بن عبد الله في المدينة وأخيه إبراهيم في البصرة سنة ١٤٥هـ وهذه الفترة التي امتدت لأكثر من نصف قرن بدون خروج إمام شيعي تعد أمرا ملحوظا في تاريخ الزيدية التي تشترط في الإمام أن يعلن دعوته ويخرج شاهرا سيفه في قتال الظلمة ولعل مرد هذا الركود إلى القسوة التي واجهتها ثورة محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم من جهة والتعقيد الذي ساد العلاقة بين الدعوة العباسية والدعوة العلوية من جهة أخرى إذ كان الشيعة هم أنفسهم الذين أوصلوا العباسيين إلى الحكم[٥].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك (٧ / ٥٥٢)

(٢) المعتزله لزهدي جار الله ص١٦٠

(٣) التاريخ السياسي للمعتزله ص ١٨٩

(٤) انظر معتزله اليمن دولة الهادي وفكره ص٣١

(٥) معتزله اليمن دولة الهادي وفكره ص٣١-٣٢

وإذا رجعنا إلى العلاقة بين محمد وإبراهيم - ابني عبد الله بن الحسن - والمعتزلة نجد أن ابن المرتضى في أماليه يذكر أن محمد بن عبد الله وأخاه إبراهيم كانا ممن دعاهما واصل إلى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة[١].

وهذا التأثير المعتزلي لم يقتصر على هذين الأخوين بل تعداهما إلى أخ ثالث لهما هو إدريس بن عبد الله (ت سنة ١٨٧هـ) وكان قد شهد وقعة فخ مع أخيه محمد ابن عبد الله على أبي جعفر المنصور وخرج على الخلافة العباسية غير أن الهادي أبا جعفر قد جرد له جيشا قويا أدى إلى هزيمته وأنصاره المعتزلة وعلى إثر هذه الهزيمة نجا إدريس بنفسه فلاذ بمصر أولا ومن ثم توجه بمساعدة والي العباسيين على مصر - واضح بن منصور - إلى المغرب وقد قطع الهادي رأس واضح هذا فيما بعد لولائه للعلويين . ولما وصل إدريس إلى المغرب واستقر بها دعا لنفسه هناك في عهد أبي جعفر المنصور فحصل له ما أراد. وهناك استقبل إدريس هذا إسحاق بن محمود زعيم المعتزلة حيث هيأ له أمر الإمامة وعن تأثير هذه العلاقة يقول أبو القاسم البلخي : إن إسحاق بن محمود هو الذي أدخل إدريس بن عبد الله لما ورد عليه في الاعتزال[٢]. وهو ما يؤكده نشوان الحميري في الحور العين[٣]. ويستأنس له بما جاء عن ابن المرتضى من أن محمداً وإبراهيم أخوي إدريس كانا من مريدي واصل بن عطاء[٤]. وما قاله الشهرستاني من أن بقيه قليلة من الواصلية لا تزال إلى عصره في بلاد إدريس بن عبد الله الحسيني[٥]. فلا يستبعد أن يكون إدريس من هؤلاء المريدين ومن ثم تكون الأفكار الاعتزالية قد رافقته إلى المغرب مع ما فيها من اعتزال سابق إذ لا يتصور أن يستقبل إسحاق ابن محمود إدريس دون أن تكون هناك اتصالات وعلائق فكرية من شأنها أن تهيأ له

---

(١) الأمالي (١/١١٧)

(٢) ذكر المعتزلة ص ١١٠

(٣) الحور العين ص ٢٦٥

(٤) الأمالي (١/١١٧)

(٥) الملل والنحل (١/٤٠) ذكر المعتزلة ص ١٠٩ ، ١١٩

أمر الإمامة وقد دامت هذه الدولة الزيدية المعتزلية في المغرب زهاء قرنين من الزمان إذ أنها قد أسست عام ١٧٢هـ على يد إدريس بن عبد الله وانتهت عام ٣٢٣هـ بسبب الحروب المستمرة مع الخوارج غير أنه ورغم زوالها لا زالت هناك بقية منها يسميها الشهر ستاني الواصلية[١]. وما هذه البقية إلا جزء من جند الدولة الزيدية[٢]. وهو ما يؤكده أبو الرجال من أن الزيدية في تلك البلاد هم العدد الكثير وأن زيدية اليمن بالنسبة إليهم كالشعرة البيضاء في أديم الثور الأسود[٣] .

هذا أول حدث وجدته يمكن أن استخلص منه بداية اللقاء التعاوني بين المعتزلة والشيعة الزيدية حيث توالت بعده اللقاءات والتي استمرت على المستوى الفردي ردحا من الزمان سواء في عهد أبي جعفر المنصور أو من جاء بعده. وإذا ما حاولنا أن نبحث في عصر خلافة المنصور (١٣٦ – ١٥٨ هـ) عن حالات فردية أخرى اجتمع فيها التشيع والاعتزال فإننا سنقف على حالتين اثنتين – مع إمكان العثور على غيرهما – تتمثلان في أبي سهل عوف الأعرابي البصري المتوفى سنة ١٤٧هـ الذي قال فيه بُندار :" والله لقد كان عوف قدريا رافضيا شيطانا"[٤] وقال فيه ابن المبارك أيضا " والله ما رضي عوف بدعة حتى كانت فيه بدعتان كان قدريا وكان شيعيا"[٥]. وأرى من الضروري هنا أن أشير إلى ما سبق ذكره من أن القدرية والمعتزلة أصبحوا بعد ظهور الاعتزال فرقة واحدة حيث اندمج القدرية بالمعتزلة وذابو فيهم[٦] .

والحالة الثانية هي : محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة ١٥٢هـ الذي قال فيه الشاذكاني :" كان محمد بن يسار يتشيع وكان قدريا "[٧]. ولا يقف الأمر عند عهد المنصور بل يستمر فهذا المهدي العباسي ابن أبي جعفر المنصور الذي

(١) المصدر السابق (١/٤٠) وانظر الأنساب للسمعاني (٥ / ٥٦٤).

(٢) الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص٦٦

(٣) مطلع البدور لأبي الرجال (١/١٠) نقلاً عن الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ٦٦

(٤) ميزان الاعتدال (٣/٣٠٥)

(٥) المصدر السابق (٣/٣٠٥)

(٦) المعتزلة لزهدي جار الله ص ١٥٨

(٧) معجم الأدباء (٧/١٨)

استمرت خلافته من (١٥٨هـ - ١٦٩هـ) وجد فيها نموذج من هؤلاء هو : محمد بن راشد المكحولي الشامي المتوفى قبل سنة ١٧٠هـ قال فيه شعبة : إنه معتزلي خشبي رافضي. وقال دحيم : يذكر بالقدر. وقال أبو حاتم كان رافضيا[١]. غير أن المهدي كان يشجع المعتزلة في الرد على الرافضة والملحدين[٢]. ويقول أبو زهرة عن المهدي :" إنه شجع المعتزلة وغيرهم للرد على الزنادقة وأخذهم بالحجة وكشف شبهاتهم وفضح ضلالاتهم فرضوا في ذلك غير وانين[٣] ". وليس يعني هذا أن المهدي يرى رأي المعتزلة كلا بل كان لتحقيق غاية محدودة هي إفحام الشكاكين وأهل الأهواء من الرافضة وغيرهم ولأجل ذلك شجع المعتزلة وغيرهم أيضا[٤]. لأن الثابت عنه أنه كان شديدا على الزنادقة والمخالفين وقد جَدَّ سنة ١٦٧هـ في طلبهم والبحث عنهم في الآفاق وعيَّن لذلك موظفا خاصا فقتل عددا منهم كصالح بن عبد القدوس سنة ١٦٧هـ وبشار بن برد سنة ١٦٨هـ[٥] .

وجاء بعد المهدي ابنه هارون الرشيد الذي امتدت خلافته من سنة ١٧٠هـ إلى سنة ١٩٣هـ وكان فيها عدد من الشيعة المعتزليين أو المعتزلة المتشيعين أمثال جعفر بن سليمان الضبعي الشيعي المتوفى سنة ١٧٨هـ والذي كان مجالسا لأبي سهل عوف الأعرابي القدري الشيعي[٦]. ولا شك أن هذه المجالسة كان لها أثرها في جعفر بن سليمان لأنهما شيعيان والشيخ فيهما قدري وأيضا إسماعيل ابن محمد بن يزيد بن ربيعة السيد الحميري المتوفى سنة ١٧٩هـ كان رافضياً خشبيا بل كيسانيا ثم رجع وصار إماميا يقول بإمامة جعفر الصادق إضافة إلى كونه من أهل الاعتزال[٧] وكأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحي الأسلمي المدني المتوفى سنة ١٨٤هـ قال فيه الإمام أحمد : قدري معتزلي. وقال البخاري : كان يرى

---

(١) أنظر هذه الأقوال في ميزان الاعتدال (٥٤٣/٣)

(٢) إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص٢٥

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية ص٢١٩

(٤) التاريخ السياسي للمعتزلة ص١٩١

(٥) تاريخ اليعقوبي (٤٠٠/٢) تاريخ الأمم والملوك (١٦٥/٨-١٦٧)

(٦) ميزان الاعتدال (٤٠٨/١-٤٠٩) لسان الميزان (٤٣٧/١)

(٧) لسان الميزان (٤٣٦/١-٤٣٧)

القدر وكان جهميا. وقال ابن معين: كذاب رافضي. وقال العجلي : رافضي جهمي.[1] وكإبراهيم بن أبي يحيى المتوفى سنة ١٨٤هـ وقيل ١٩١هـ قال فيه يحي بن معين : كان قدرياً وكان رافضياً[2] وقال العجلي : كان قدريا معتزليا رافضيا[3] .

وإذا أردنا أن نعرف موقف الخليفة هارون الرشيد من أهل البدع في عصره وجدنا أنه كان رجلا سلفيا في تدينه شديد الحرص على تخليص مفاهيم الإسلام من كل الشوائب الغريبة أو التي يراها ماسة بقدسية الإسلام وهيبته وإذا رأى ما يتصوره تهديدا لهذه المفاهيم قاومه بكل قوة وحزم أيا كان مصدر هذا التهديد ، فقد هم بالفتك بأحد أعمامه لقوله للراوي بعد سماعه الحديث الذي رواه البخاري وغيره عن احتجاج آدم وموسى : أين التقيا يا أبا معاوية ؟ معتبرا ذلك زندقة فدعا بالنطع والسيف فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشفعون فيه فقال الرشيد : هذه زندقة. ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبره بمن ألقى إليه هذا فأقسم عمه بالأيمان المغلظة ما قال هذا أحد له وإنما كانت هذه الكلمة بادرة منه وأنه يستغفر الله ويتوب إليه فأطلقه[4]. كما أن الرشيد قد ضيق على بعض رجال المعتزلة بل سجن بعضهم كبشر بن المعتمر لما قيل له إنه رافضي وما أفرج عنه حتى تبرأ من الرفض[5]. وكثمامة بن أشرس لما وقف على كذبه في أمر أحمد بن عيسى ابن زيد سنة ١٨٥هـ[6]. ولما ذكروا أمامه أن بشر بن المريسي المتوفى سنة ٢١٨هـ يقول بخلق القرآن قال : لله عليّ إن أظفرني به لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحدا قط[7]. ويذكر ابن القيم :" أنه أقصى الجهمية وتبعهم بالحبس والقتل[8] " ويقول

---

[1] أنظر هذه الأقوال في ميزان الاعتدال (١/٥٧-٥٩) الجامع في الجرح والتعديل (٣٤/١)

[2] تاريخ ابن معين (٣٣٠/٢)

[3] تهذيب التهذيب (١٦٠/١)

[4] البداية والنهاية (٢٢٤/١٠)

[5] المنية والأمل ص ١٥٣-١٥٤ فرق وطبقات المعتزلة ص ٦٢

[6] تاريخ الأمم والملوك (٢٧٥/٨)

[7] تاريخ بغداد (٦٨/٧)

[8] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١٠٧٢/٣)

أحمد أمين : إن الرشيد كان يكره الاعتزال والمعتزلة[1] ، ويستدل على ذلك بما رواه الجهشياري من أن كلثوم بن عمرو العتابي الكاتب الشاعر كان يقول بالاعتزال فاتصل ذلك بالرشيد وكثر عليه في أمره فأمر فيه بأمر عظيم فهرب إلى اليمن فكان مقيما بها حتى احتال له يحي بن خالد البرمكي فأعاده[2].

ويذكر ابن المرتضى أن الرشيد منع من الجدال في الدين وحبس أهل علم الكلام[3]. غير أن هناك من الأحداث ما يدل على ثقة الرشيد الكاملة ببعضهم الأمر الذي جعله يسند إليهم تأديب بعض أولاده. وفي هذا تذكر بعض المصادر أن يحي ابن المبارك اليزيدي المتوفى سنة ٢٠٢هـ كان يتهم بالاعتزال وقد أسند إليه الرشيد مهمة تأديب المأمون[4]. وما جرى لثمامة بن أشرس لم يكن لوقوف الرشيد على آراء منحرفة له وإنما كان لأجل كذبه في أمر أحمد بن عيسى بن زيد[5]. وليس يعنى هذا ما يقوله بعض المعاصرين من أنه لما بدأ عصر الرشيد تنفس المعتزلة الصعداء وبدأوا يرفعون رؤوسهم ثانية – أي بعد أن خفت صوتهم في زمن المهدي – لأن الرشيد قرب بعض رجالاتهم كابن السماك وثمامة بن أشرس ويحي بن المبارك اليزيدي[6]، ومرد هذا الخلط هو الاعتماد على مواقف جزئية والتوصل من خلالها إلى إصدار حكم عام يحتاج إلى مزيد من التقصي[7] لأن الثابت أن الحقائق التاريخية ترده إذ المعلوم من حياة الرشيد أنه كان كثير التدين شديدًا في أمور الدين[8]. ورغم حصول علاقة محدودة بينه وبين بعض المعتزلة إلا أنهم لم يجسروا على نشر مقالاتهم وعقائدهم والجهر بها[9] لأن الجزاء الرادع

---

(1) ضحى الإسلام (٨٤/٣)

(2) الوزراء والكتاب لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ص ٢٣٣

(3) المنية والأمل ص ١٥٥ – ١٥٦ فرق وطبقات المعتزلة ص ٦٣

(4) معجم الأدباء (٢٠/٢٠،٣١)

(5) تاريخ الأمم والملوك (٢٧٥/٨) تاريخ بغداد (١٥٧/٧) ثم رضي عنه وجالسه وانظر ملحق الفهرست لابن النديم ص ٣

(6) المعتزلة لزهدي جار الله ص١٦١

(7) التاريخ السياسي للمعتزلة ص١٩٤

(8) المعتزلة لزهدي جار الله ص١٦١ وانظر تاريخ الأمم والملوك (٨ / ٣٤٧).

(9) البداية والنهاية (٢٢٤/١٠ ، ٢٣٠)

ينتظر كل من تسول له نفسه فعل ذلك. ولكن هنا حقيقة هامة وهي أن هذا الدور المحدود الذي أداه المعتزلة في عصر الرشيد كان عظيم الأهمية بالنسبة إلى مستقبلهم حيث مهد لهم السبيل للوصول إلى قصر الخليفة وجعل بعضهم من جلسائه ووعاظه وبعضهم مؤدبين لأولاده وبذلك شاع ذكرهم واتسع نفوذهم فيما بعد خاصة في عهد المأمون وتحريضهم إياه لتأجيج نار الفتنة كما سيأتي بيانه وبعد الرشيد تولى الخلافة ابنه الأمين (١٩٣ هـ - ١٩٨هـ) وفي عهده انكمش نفوذ المعتزلة والرافضة وسائر الزنادقة وانتكس حالهم لأنه كان أشد من أبيه في مسائل الدين فقد حبس الزنادقة وضرب على أيدي شاربي الخمر[١]. وظل بهم هذا الحال إلى أن قتل الأمين وخلفه المأمون حيث تبدل الحال فرفعوا رؤوسهم مرة أخرى وجاهروا بمقالاتهم لكون الخليفة منهم إلا أنه ومع كثرة البحث لم أعثر على أشخاص وصفوا بالتشيع والاعتزال في هذه الفترة مع أنني لا أحيل وجودهم إذ قد وجدوا قبلها وبعدها بأعداد كبيرة فلا يمتنع معها وجودهم في عهد الآمين. وبعده تولى الخلافة أخوه المأمون عبدالله بن هارون الرشيد(١٩٨ - ٢١٨ هـ) الذي كان شيعيا معتزليا بل رافضيا معتزليا ولقد كانت سنة توليه الحكم بداية عصر جديد فريد في تاريخ المعتزلة لأن الخليفة الذي صارت إليه مقاليد الأمور لم يكتف بالإحسان إلى المعتزلة ومنحهم نصيبا من الحرية في ممارسة نشاطهم فحسب بل إنه اعتنق آراءهم وتبناها ودافع عنها وحاول في آخر حياته فرضها على الناس بما يملكه من وسائل الترهيب والترغيب غير أن المنية عاجلته ولم تمهله فقضى نحبه قبل أن يحقق ما أراد ولكنه حمّل خليفته المعتصم أمانة تحقيقها .

إذاً فالحديث عن المأمون هو حديث عن معتزلي أصيل صارت مقاليد الحكم في عهده بيد المعتزلة الذين أصبحت لهم الكلمة العليا في ميدان الخصومات المذهبية واستطاع مفكروهم أن ينتشروا ويضموا إليهم أنصارا محاولين صبغ الدولة كلها بالصبغة الاعتزالية وهو أمر لم يتح لهم قبل ذلك بهذه الصورة القوية[٢] .

---

[١] تاريخ الأمم والملوك (٥١٦/٨،٥٢٥،٥١٨،٥٢٤)

[٢] التاريخ السياسي للمعتزلة ص١٩٩

يقول ابن القيم عن المأمون إنه :" كان يحب أنواع العلوم وكان مجلسه عامرا بأنواع المتكلمين في العلوم فغلب عليه حب المعقولات فأمر بتعريب كتب اليونان وأقدم لها المترجمين من البلاد فعربت له واشتغل بها الناس .. فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية ـ المعتزلة ـ ممن كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه فقبلها واستحسنها ودعا الناس إليها وعاقبهم عليها"[١] .

وكان المأمون قد تأثر بشخصيات اعتزالية عديدة من أبرزها مؤدبه يحي ابن المبارك اليزيدي المتوفى سنة ٢٠٢هـ وثمامة بن أشرس وبشر المريسي وأبو الهذيل العلاف وأحمد بن أبي دؤاد وغيرهم .

فأما يحي بن المبارك اليزيدي فقد ذكر ياقوت الحموي أنه اتصل بالرشيد فجعله مؤدبا لولده المأمون وكان يتهم بالميل إلى الاعتزال[٢] ، فإذا صحت هذه التهمة فمن المعقول أن يتعرف المأمون على الاعتزال عن طريق يحيى اليزيدي ويتهيأ ذهنيا لاعتناقه عند اكتمال نضجه العقلي[٣] وأما ثمامة بن أشرس فقد كان ملازما للمأمون منذ بداية خلافته وإن كان قبل ذلك قريبا من والده هارون الرشيد متمكنا منه[٤] وحتى عندما سجنه الرشيد فإنه ما لبث أن فك أسره وعفا عنه وقربه[٥] وهذا يجعله أيضا على مرأى ومسمع من المأمون قبل خلافته فقد جاء في كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري أن ثمامة كان مع المأمون بخراسان[٦] والمعروف أن المأمون بدأ خلافته من خراسان ولم يغادرها إلا في سنة ٢٠٢ هـ بعد أن انتقضت عليه بغداد وكان ثمامة قد حل من المأمون بمكان مكين[٧]. ورغم أن

---

(١) الصواعق المرسلة (١٠٧٢/٣) وانظر سير أعلام النبلاء (٢٣٦/١١، ٥١٠) النجوم الزاهرة (٢٧٥/٢)

(٢) معجم الأدباء (٣٠/٢٠-٣١)

(٣) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٢٠١ وإن كان هناك من يذكر أن المأمون أخذ الاعتزال عن يحيى اليزيدي. أنظر عصر المأمون لأحمد فريد الرفاعي (٣٦٧/١)

(٤) فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٣ والمنية والأمل ص ١٦٢

(٥) تاريخ بغداد (٧ / ١٥٧)

(٦) الوزراء والكتاب ص٣١٤-٣١٥

(٧) الملل والنحل (٦٣/١)

المأمون قد عرض عليه الوزارة مرارا وفي كل مرة يصر ثمامة على الامتناع إلا أن المأمون كان يرجع إليه عندما يريد تعيين أحد الرجال في منصب مرموق[1] وهذه المنزلة الخاصة التي حظي بها ثمامة لدى المأمون جعلت الأخير يثق بصاحبه ثقة كبيرة أدت به إلى اعتناق الفكر المعتزلي ولهذا يذكر البغدادي عن ثمامة أنه هو الذي أغوى المأمون بأن دعاه إلى الاعتزال[2].

وأما بشر بن غياث المريسي المتوفى سنة ٢١٨هـ فقد اتصل بالمأمون أيضا في هذه المرحلة من حياته المذهبية وشارك في المناظرات التي كان يعقدها المأمون فقد ذكر الحافظ الذهبي في ترجمة عبد السلام بن صالح أبي الصلت الهروي قول الدار قطني فيه إنه رافضي خبيث . ثم قال :" ذكره أحمد بن سيار في تاريخ مرو فقال : قدم مرو غازيا فلما رآه المأمون وسمع كلامه جعله من خاصته ولم يزل عنده مكرماً إلى أن أظهر المأمون كلام جهم فجمع بينه وبين المريسي وسأله أن يكلمه وكان أبو الصلت يرد على المرجئة والجهمية والقدرية فكلم بشرا غير مرة وبحضرة المأمون مع غيره من أهل الكلام فكل ذلك كان الظفر له[3] ". غير أن هناك بعضاً من المؤرخين ممن يدرج بشراً المريسي ضمن المرجئة[4]. وبعضهم يجعله من المعتزلة[5]. وكان قد أخذ مذهبه من الجهم بن صفوان وعنه أخذ أحمد ابن أبي دواد[6] الذي كان له أكبر الوزر في حمل المأمون الناس على القول بخلق القرآن . يقول الحافظ ابن كثير عن المأمون:" وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن غياث المريسي فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل"[7].

---

(1) أنظر بغداد لابن طيفور ص١١٨ ، ملحق الفهرست ص ٢

(2) الفرق بين الفرق ص١٧٢ وأنظر معتزلة البصرة وبغداد . د / رشيد الخيون ص ١٨٣

(3) ميزان الاعتدال (٦١٦/٢) الكاشف (١٩٥/٢)

(4) وفيات الأعيان (٢٥١/١)

(5) البداية والنهاية (٢٨٧/١٠-٢٨٨) قال د/ سليمان السلومي ولا يمنع أن يكون مرجئاً معتزلياً .

(6) المصدر السابق (٣٦٤/٩)

(7) المصدر السابق (٢٨٧/١٠-٢٨٨)

ويقول أيضاً :" لما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعتزال فرح بذلك بشر المريسي وكان بشر هذا شيخ المأمون "[1] وفي موضع ثالث يقول عنه :" بشر ابن غياث المريسي المتكلم شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون"[2] كما يميل بعض المستشرقين إلى أن المأمون حين انتهج في نهاية حكمه سياسة ترمي إلى فرض الاعتزال بالقوة كان واقعاً تحت تأثير بشر هذا[3].

وأما الشخصية الرابعة التي كان لها دور كبير في جذب المأمون تجاه الاعتزال وإتاحة الفرصة أمامه لاعتناقه هي شخصية أبي الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٢٧هـ وقيل ٢٣٥هـ يقول عنه الملطي :" لم يدرك في أهل الجدل مثله وهو أبوهم وأستاذهم وكان الخلفاء الثلاثة المأمون والمعتصم والواثق يقدمونه ويعظمونه وكان الوزير ابن أبي دؤاد من تلامذته ، وكان لا يقوم له في الكلام خصم يصوغ الكلام صياغته"[4]، وكان قد اتصل بالمأمون في وقت مبكر أيضا عن طريق ثمامة ابن أشرس الذي وصفه للمأمون[5] فلما رآه وسمع كلامه مدحه وأثنى عليه وجرده للرد على المخالفين من أصحاب الديانات الأخرى لإحاطة أبي الهذيل بمقالاتهم[6].

ويذكر أبو حنيفة الدينوري أن أبا الهذيل كان أستاذ المأمون في الأديان والمقالات[7]. وهناك شخصية أخرى تأثر بها المأمون تأثرا بالغا هي شخصية أحمد بن أبي دؤاد الإيادي – تلميذ بشر المريسي – المتوفى سنة ٢٤٠؟ أحد زعماء المعتزلة والذين كان لهم الدور البارز في فرض الاعتزال عقيدة رسمية للدولة العباسية بفضل قربه من المأمون والمعتصم والواثق حيث تعاظم نفوذه ونفوذ أتباعه – أهل الاعتزال – مما فجر الصراع الدامي بسبب مسألة خلق القرآن الكريم التي تصدى لهم فيها إمام أهل السنة والجماعة أبو عبد الله أحمد بن

---

(1) المصدر السابق (٢٨٩/١٠)

(2) المصدر السابق (٣٠٠/١٠)

(3) لاوست . مادة أحمد بن حنبل . دائرة المعارف الإسلامية

(4) التنبيه والرد ص ٥٣

(5) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٥٧ المنية والأمل ص ١٥٠

(6) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٥٤ – ٢٦٣

(7) الأخبار الطوال ص٤٠١ وانظر حياة الحيوان الكبرى للدميري (٩٥/١)

حنبل حتى كانت نكبتهم على يد المتوكل جعفر بن المعتصم وقد كانت بداية اتصال ابن أبي دؤاد بالمأمون سنة ٢٠٤هـ ، حيث كان يحضر مجلس القاضي يحي بن أكثم مع الفقهاء فأرسل المأمون إلى يحيى أن يحضر ومعه جلساؤه فحضروا جميعا وتجاذب المأمون معهم أطراف الحديث في فنون من الكلام وحين سمع كلام أحمد أقبل عليه يتفهم ما يقوله ويستحسنه ثم قال له :" لا أعلمن ما كان لنا من مجلس إلا حضرته .. ثم اتصل الأمر[١] " ثم ما لبث أن زادت مكانته عند المأمون وأصبح موضع ثقته وحسن ظنه . ويروي ابن خلكان عن بعضهم أنه قال :" كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الأنصار ليلة العقبة فاختلفوا في ذلك ودخل ابن أبي دؤاد فعدهم واحدا واحدا بأسمائهم وكناهم وأنسابهم فقال المأمون : إذا استجلى الناس فاضلا مثل أحمد. فقال أحمد : بل إذا جالس العالم خليفة فمثل أمير المؤمنين الذي يفهم عنه ويكون أعلم بما يقول منه"[٢]. وقد استطاع ابن أبي دؤاد الذي أخذ الاعتزال عن هياج بن العلا السلمي أحد أصحاب واصل بن عطاء[٣] وتمكن بلباقته وغزارة علمه وذلاقة لسانه أن يسيطر على المأمون حتى حمله على نشر مقالة خلق القرآن وامتحان الناس بها. والكتّاب مجمعون على أن ابن أبي دؤاد مسؤول عن المحنة لأنه هو الذي زينها للخليفة[٤] ودس له القول بخلق القرآن وحسنه عنده وجعله يعتقده حقاً. وحمله على نشر الاعتزال بقوة السلطان[٥] حتى لقبه بعض المؤرخين بإمام المحنة[٦]. هذه أهم الشخصيات المعتزلية التي برزت في هذه المرحلة المبكرة من خلافة المأمون وكان لها الدور الكبير في اعتناق المأمون للاعتزال.

---

[١] وفيات الأعيان (٦٦/١-٦٧)

[٢] المصدر السابق (٦٤/١)

[٣] وفيات الأعيان (٦٣/١) البداية والنهاية (٣١٩/١٠) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٢٠٦/١)

[٤] المعتزلة لزهدي جار الله ص١٦٤ وانظر النجوم الزاهرة (٣٦١/٢) تاريخ بغداد (٣٦٥/٤)

[٥] تاريخ بغداد (٤ / ٣٦٥).طبقات الشافعية الكبرى (٢٠٦/١)

[٦] النجوم الزاهرة (٣٢٠/٢)

ولكن – وكما ذكرت من قبل – لم يكن الاعتزال هو المعتقد الذي وقف المأمون عنده واكتفى به عن غيره وذلك لأنه أضاف إليه عقيدة أخرى هي أشد وأخزى من هذا الاعتزال هذه العقيدة هي الرفض والتشييع وتبدأ بدعوة المأمون علي ابن موسى بن جعفر وأهل بيته بالمدينة النبوية إلى الانتقال إليه في مرو حاضرة خراسان ففعلوا[1] وهناك عندما وصلوا إليه أعلن المأمون أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب فلم يجد في وقته أحدا أفضل ولا أحق بالأمر من علي بن موسى فعهد إليه بالخلافة من بعده* وذلك في رمضان سنة ٢٠١هـ ولقبه بالرضا من آل محمد وعدل عن شعار بني العباس وهو اللون الأسود إلى الخضرة وضرب اسم " علي " على الدينار والدرهم[2] ، ثم توج ذلك سنة ٢٠٢هـ بأن زوجه ابنته أم حبيب وزوج ابنته الأخرى أم الفضل من محمد بن علي ابن موسى الملقب بالجواد[3] وهنا ثار العباسيون وأهل بغداد ثورة بقيادة المنصور وإبراهيم ابني المهدي أعلنت عصيانها للمأمون بل خلعه وتنصيب إبراهيم ابن المهدي خليفة للمسلمين ومبايعته سنة ٢٠٢ هـ وهنا ولما لم يستطع والي بغداد من قبل المأمون الحسن بن سهل على السيطرة على الوضع نظراً لطرده من بغداد وسيطرة إبراهيم ومن معه عليها[4]، رأى المأمون أنه لابد من المسير إليها بنفسه لإخماد هذه الفتنة في طريقه إلى بغداد وعند وصوله إلى طوس توفي علي الرضا فجأة سنة ٢٠٣ هـ فدفنه المأمون بجوار قبر أبيه الرشيد[5]، ثم واصل مسيره إلى بغداد حتى دخلها سنة٢٠٤ هـ وشعاره الخضرة ثم بعد ثمانية أيام من دخوله بغداد غير هذا اللون ورجع إلى السواد بعد أن أشار عليه بذلك قائده طاهر ابن

---

(1) تاريخ اليعقوبي (٤٤٨/٢) مروج الذهب (٢٧/٤– ٢٨)

* ذكر بن الأثير في الكامل (١٢٣/٥) "أن الفضل بن سهل هو الذي أشار على المأمون بالبيعة لموسى الرضا وكان الفضل يتشيع " وللتوسع في هذه المسألة أنظر كتاب الشيعة في إيران د/ علي الشابي ص ١٠١ ونشأة الشيعة الإمامية :نبيلة عبد المنعم داود ص ٢٢٥ -٢٣٣ .

(2) تاريخ الأمم والملوك (٥٥٤/٨) وفيات الأعيان (٤٣٢/٢–٤٣٣) الكامل في التاريخ (٣٢٦/٦) مروج الذهب (٢٨/٤)

(3) تاريخ الأمم والملوك (٥٦٦/٨) البداية والنهاية (٢٤٧/١٠)

(4) تاريخ الأمم والملوك (٥٥٥/٨)

(5) المصدر السابق (٥٦٨/٨)

الحسين[1]. وبدخوله بغداد قدم له العباسيون بعض الولاء والطاعة كما سبقه اختفاء إبراهيم بن المهدي[2] وتلاشي الفتن واستتاب الأمر له .

ولعل السبب الظاهر وراء بيعة المأمون لعلي الرضا ما كان فيه من تشيع فقد ذكر الحافظ ابن كثير أن المأمون كان يتشيع[3] بل قال بعض المؤرخين إنه كان يبالغ في التشيع[4] ولذلك اتهمه البغداديون بالرفض لمكان علي بن موسى منه[5]، وبايعوا إبراهيم بن المهدي وأطلقوا عليه لقب الخليفة السني[6] ، ولم يكتف المأمون بذلك بل زاد عليه بأن أمر مناديا ينادي – سنة ٢١١هـ – أن برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[7]، وأوشك أن يزداد غلوا بأن هم بلعن معاوية رضي الله عنه على المنابر لكن يحيى ابن أكثم – قاضي قضاته – آنذاك خوفه نتائج إقدامه على هذا الفعل وذكر له أن العامة لا تحتمل لعن أحد الصحابة وربما فتح هذا الأمر أبوابا من الفتن يصعب سدها[8] ، بل وصل الأمر بالمأمون إلى أن فضل عليا على سائر الصحابة رضي الله عنهم والعجيب أن هذا الحادث حدث في نفس السنة التي أظهر فيها القول بخلق القرآن في نفس الشهر أيضا[9] والأمر واضح حيث أن المعتزلة الذين يحيطون به هم من معتزلة بغداد المتشيعة وهم قاطبةً قدماؤهم ومتأخروهم يقولون

---

(1) المصدر السابق (٨/٥٧٤-٥٧٥) الكامل في التاريخ (٦/٣٥٧)

(2) البداية والنهاية (١٠/٢٥٠)

(3) البداية والنهاية (٠/٢٧٥) وانظر (١٠/٢٨٧-٢٩١) وجاء في شذرات الذهب (٢/٢٧) أن " المأمون سنة ٢١٢هـ أظهر القول بخلق القرآن مع ما أظهر في العام الماضي من التشيع وكان في اعتقاده معتزلياً شيعياً " وانظر أيضاً (٢/٣٩) وسير أعلام النبلاء (١١/٢٣٦)

(4) النجوم الزاهرة (٢/ ٢٤٨) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٢١ وذكر صاحب غاية الأماني في أخبار القطر اليماني (١/ ١٤٨) أن المأمون سنة ١٩٩ هـ أباح نكاح المتعة ثم رجع عن ذلك .

(5) الكامل في التاريخ (٥/ ١٩١).

(6) المصدر السابق (٥/ ١٩١).

(7) تأريخ الأمم والملوك (٨/ ٦١٨) الكامل في التاريخ (٥/ ٢١٥) النجوم الزاهرة (٢/ ٢٤٨) .

(8) المحاسن والمساوئ للبيهقي ص١٤١ المنية والأمل ص ١٦١

(9) تاريخ الأمم والملوك (٨/ ٦١٩) . الكامل في التأريخ (٥/ ٢١٦) النجوم الزاهرة (٢/٢٥٠) غاية الأماني في أخبار القطر ر اليماني (١/١٥٢)

إن عليا – رضي الله عنه – أفضل من أبي بكر – رضي الله عنه –[1]. ولعله كان من تأثير ثمامة ابن أشرس وأحمد بن أبي دؤاد*. ومما يؤكد تقديم المأمون لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم على جميع الصحابة رضي الله عنهم – مع توليه لهم – قصيدته التي نقلها الحافظ ابن كثير والتي يقول فيها :

أصبح ديني الذي أدين به ولست منه الغداة معتذرا
حب "علي" بعد النبي ولا أشتم "صديقة" ولا" عمرا "
ثم "ابن عفان "في الجنان مع الأبرار ذاك القتيل مصطبرا
ألا ولا أشتم "الزبير" ولا "طلحة" إن قال قائل عذرا
و"عائش" الأم لست أشتمها من يفتريها فنحن منه برا*[2]

وفي نهاية المطاف نصل إلى أن المأمون كان معتزليا متشيعا على مذهب معتزلة بغداد[3] ، وبعض العلماء يجعل تقديم علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما غلوا في التشيع ويطلق عليه الرفض[4] وعليه يكون المأمون قد جمع بين الرفض والاعتزال وهذا بالنسبة للمأمون وأما بالنسبة لغيره ممن جمع بين التشيع والاعتزال في هذه الفترة فهم كثير منهم:مؤسس فرع معتزلة بغداد بشر بن المعتمر المتوفى سنة ٢١٠هـ ويطلق على الفرع الذي أسسه فرع متشيعة المعتزلة ، لأن بشرا كان ذا ميول شيعية واضحة حتى أن بعض المصادر تذكر أن الرشيد سجنه لأنه كان رافضيا فقال في الحبس شعرا منه :

لسنا من الرافضة الغلاة ولا من المرجية الجفاة

---

(1) شرح نهج البلاغة (٧/١)

* لأنهما من معتزلة بغداد المتشيعة ومعهم بشر بن المعتمر وغيره . أنظر التاريخ السياسي للمعتزلة ص١٣٩-١٤٠

* وقد جاء في نثر الدرر (١١٩/٢) أن المأمون قال "لأن اقتدي بسيرة أنوشروان أحب إلي من أقتدي بسيرة عمر بن عبد العزيز" ١٠هـ فربما لأنه يحب الشيعة الفرس أو لكون عمر أمويا .

(2) البداية والنهاية (٢٧٧/١٠)

(3) ضحى الإسلام (٢٩٥/٣)

(4) هدي الساري ص٤٨٣ وفي طبقات الحنابلة (٤١/٢)قال طعم بن عمرو وسفيان بن عيينه :" من قدم عليا على عثمان فهو رافضي قد رفض آثار أصحاب رسول الله ١٠هـ فيكون من باب أولى أن من قدمه على الشيخين رضي الله عنهما أنه رافضي.

لا مفرطين بل نرى الصديقا مقدما والمرتضى الفاروقا

نبـرأ من عمرو ومن معاويـة

إلى آخر ما ذكره فلما بلغت الرشيد أفرج عنه[1] ، ولكنه وإن تبرأ مـن الرفـض الغالي إلا أنه باق على تشيعه وهو ما لم ينفه إضافة إلى أنه يبرأ من عمرو ابـن العاص ومن معاوية رضي الله عنهما ولم يقتصر في تشيعه على نفسه بل استطاع أن ينـقـل هذا التشيع الاعتزالي إلى من تتلمذ عليه من معتزلة بغداد كأبي موسى المردار المتـوفى سنة ٢٢٦هـ وثمامة بن أشـرس المتوفـى سـنة ٢١٣هـ وغيرهما[2] وأبو موسى هذا هو الذي من جهته انتشر الاعتزال ببغداد[3]. وممـن عاصر هذه الفترة وكان جامعا للرفض والاعتزال إبراهيم بن سيار النظام المتوفى سنة ٢٢١هـ وقيل ٢٣١هـ يقول الشهر ستاني إنه :" انفرد عن السلف ببدع فـي الرفض والقدر"[4]. وعند ذكره للمسائل التي انفرد بها عن أصحابه المعتزلة قـال : إنه انفرد " بميله إلى الرفض ووقيعته في كبار الصحابة قـال أولا لا إمامـة إلا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على علـي - رضي الله عنه - * في مواضع وأظهره إظهارا لم يشتبه علـى الجماعـة إلا أن عمر كتم ذلك"[5] ثم طعن في عثمان - رضي الله عنه - وكذب ابـن مسـعود - رضي الله عنه - في بعض ما روى[6]. وقد رد عليه ابن أبـي الحديـد الشـيعي المعتزلي فيما طعن به على عمر رضي الله عنه وزيف تلك الطعون[7]. هذا وقـد كانت له مناظرات مع رافضة عصره وغيرهم من الملحدين حيث قطعهم وأبطـل كلامهم إضافة إلى أنه كان قد نظر في شئ من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكـلام

---

(1) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٦٥ المنية والأمل ص ١٥٣ - ١٥٤ فرق وطبقات المعتزلة ص ٦٢

(2) فرق وطبقات المعتزلة ص ٦٣ ، ٧٦ المنية والأمل ص ١٥٤ ، ١٦٤ الملل والنحل (١/٦٠-٦١)

(3) المنيه والأمل ص ١٦٤ فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٦

(4) الملل والنحل ١/ ٢٣) وانظر الفرق بين الفرق ص١٤٧-١٥٠

* في كتاب الملل والنحل عبارة كرم الله وجهه وقد أبدلتها بعبارة رضي الله عنه لأنها هي الصواب كما كما سيأتي في الفصل الثالث من هذه الرسالة

(5) (6) المصدر السابق (١/٥٠-٥٢) المنية والأمل ص ٤٨-٥٣ الفرق بين الفرق ص ١٤٨-١٥٠

(7) شرح نهج البلاغة (١٢/١٩٥-٢٨٩)

المعتزلة[1]. ومنهم أبو الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٥هـ وقيل قبل ذلك في زمن الواثق فقد كان معتزليا شيعيا ذهب إلى تفضيل علي على عثمان وعلى عمر ابن الخطاب ويسوي بينه وبين أبي بكر ويقول هما في الفضل سواء لا فضل بينهما[2]. ويقول ابن المرتضى :" إن أبا الهذيل لما مات صلى عليه أحمد ابن أبي دؤاد القاضي فكبر عليه خمسا ثم لما مات هشام بن عمرو كبر عليه أربعا فقيل له في ذلك فقال "إن أبا الهذيل كان يتشيع لبني هاشم فصليت عليه صلاتهم . وأبو الهذيل كان يفضل عليا على عثمان وكان الشيعي في ذلك الزمان من يفضل عليا على عثمان[3] إلا أنه ورغم تشيعه قد جرت بينه وبين هشام بن الحكم الرافضي المجسم مناظرات في أحكام التشبيه[4] وفيما يتعلق بعلم الباري تعالى[5].

ومنهم أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي المتوفى سنة ٢٤٠هـ من معتزلة مدرسة بغداد المتشيعة* ذهب إلى أن عليا أفضل من أبي بكر الصديق[6]. وكان قد أخذ الاعتزال عن شيخه جعفر بن حرب[7]. وله كتاب أسماه " المعيار والموازنة " ألفه في تفضيل علي على أبي بكر[8] ولما ألف الجاحظ كتاب " العثمانية " وقارن فيه بين فضائل أبي بكر وفضائل علي ورجح الأولى على الثانية[9] انبرى الإسكافي للرد عليه بكتاب "نقض كتاب العثمانية"[10] الذي أبطل فيه ما تعلق به الجاحظ في تفضيل أبي بكر على علي رضي الله عنهما وكان مما قاله فيه :" نحن وإن كنا نعتقد إخلاص أبي بكر وإيمانه الصحيح السليم وفضيلته التامة إلا أننا لا

---

(1) الملل والنحل (٤٧/١) مقدمة د/ نيبرج لكتاب الانتصار للخياط ص ٥٦-٥٧

(2) التنبيه والرد ص ٥٥ شرح نهج البلاغة (٨/١) المنية والأمل ص ١٥١

(3) المنية والأمل ص١٥١

(4) الملل والنحل (٢٣/١ ، ١٨٧)

(5) المصدر السابق (١٨٧/١)

* الانتصار ص١٥٦ المنية والأمل ص٩٢

(6) شرح نهج البلاغة (٧/١)

(7) الفرق بين الفرق ص١٦٩

(8) المنية والأمل ص ١٧٣ فرق وطبقات المعتزلة ص ٨٩

(9) العثمانية للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون

(10) مطبوع مع كتاب العثمانية للجاحظ بتحقيق / عبد السلام محمد هارون

نحتج له بمثل ما احتج به الجاحظ من الحجج الواهية ولا نتعلق بما يجر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها"[1]. ويقول أيضا :" إننا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم ولسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوى على جحد الأمور المعلومة ولكننا ننكر تفضيل أحد من الصحابة على علي بن أبي طالب"[2].

ويقول الملطي عنه وأصحابه :" والفرقة الرابعة من الزيدية هم معتزلة بغداد يقولون بقول الجعفرية جعفر بن مبشر الثقفي وجعفر بن حرب الهمداني ومحمد ابن عبد الله الإسكافي وهؤلاء أئمة معتزلة بغداد وهم زيدية يقولون بإمامة المفضول على الفاضل ويقولون : إن عليا – رضي الله عنه –* أفضل الناس بعد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يسبقه بالفضل أحد من الأمة وزعموا أن إمامة المفضول على الفاضل جائز لما ولى النبي صلى الله عليه وسلم عمرو ابن العاص على فضلاء المهاجرين والأنصار في غزوة ذات السلاسل..."[3]
غير أنه ومع تشيعه كانت له مع السكاك محمد بن الجليل – الرافضي المجسم – عدة مناظرات[4] ، ومنهم الجعفران جعفر بن حرب المتوفى سنة ٢٣٦هـ وجعفر ابن مبشر المتوفى سنة ٢٣٤هـ ، وهما من معتزلة بغداد المتشيعة أيضا يدل على ذلك أنهما في التفضيل يقدمان عليا رضي الله عنه على أبي بكر الصديق وسائر الصحابة رضي الله عنهم[5]. وقد ذكر الشهر ستاني عنهما أنهما تابعا سليمان بن جرير على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل[6]. وقد كانت لجعفر بن

---

(١) نقض كتاب العثمانية ص٣٤٢

(٢) المصدر السابق ص ٣١٨

* التنبيه والرد ص ٤٧ وفيه عبارة " علي عليه السلام " وقد صوبتها بعبارة " رضي الله عنه " مع التنبيه على ذلك

(٣) التنبيه والرد ص ٤٦-٤٧

(٤) اعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص٢٥

(٥) شرح نهج البلاغة (٧/١)

(٦) الملل والنحل (١٥٩/١ – ١٦٠)

حرب – رغم تشيعه – مجادلات ومناظرات مع السكاك محمد ابن الجليل يكـــون الظفر فيها لجعفر بن حرب[1].

ومنهم أبو الأحوص فقد كان شيعيا اختلط بالمعتزلة وتأثر بـــــهم فـــترك التجســـم والتشبيه يقول عنه ابن المرتضى: "إن جل الروافض كهشام بن الحكـــم وهشـــام الجواليقي وغيرهما مجسمة إلا من اختلط منهم بالمعتزلة كأبي الأحوص"[2]، ومنهم القاسم بن إبراهيم الرسي الزيدي المتوفى سنة ٢٤٦هـ الـــذي تذكـــر المصـــادر الزيدية عنه أنه بعد وفاة أخيه – محمد بن إبراهيم – أخذ يدعو لنفسه في مصـــر سنة ٢٠٢ هـ فأجابه قوم كثيرون وبايعه أهل مكة والمدينـــة والكوفـــة والـــري وطبرستان وكاتبه أهل العدل –أي المعتزلة– من البصرة والأهواز يحثونه علـــى الظهور وإظهار الدعوة ، ولكن ظل مقيما في مصر مختفيا عند أصحاب هَرْثَمِـــة ابن أعين نحو عشر سنين متظاهرا بالعمل بالمسائل الفقهية والفلسفية ووضع كتابه "الرد على الملحد" الذي يجادل فيه أحد الفلاسفة[3].

وفي أواخر عهد المأمون اشتد الطلب عليه حيث طلب المأمون إلى واليـــه علـــى مصر عبد الله بن طاهر أن يبحث عنه فاضطر القاسم للهرب إلى الحجاز[4] وهناك بايعته العترة إماماً للزيدية في سنة٢٢٠ هـ لفضله وعلمه[5]. ولعل المكانة الحسنة التي حظيت بها الشيعة في أيام المأمون ومحاولته التوفيق والمصالحة بين العباسين والعلويين قد أدت إلى استرخاء حركة الشيعة[6]. وعندما مات المـــأمون وتولـــى الخلافة بعده المعتصم (سنة ٢١٨هـ –٢٢٧هـ) بدأت الزيدية تتململ من جديـــد فكانت مبايعة القاسم أهم مظهر من مظاهر هذا التململ ولكن القاسم لم يسارع إلـــى الخروج رغم الملاحقة التي تعرض لها بعد بيعته وإنما فضل الاختفاء والتنقل فـــي

---

(1) الانتصار ص ١٦٩ – ١٧٠

(2) مقدمة البحر الزخار ص ٣٩ المنية والأمل ص ١٩، ٨٧

(3) تاريخ المذاهب الدينية ص ٢٢٩–٢٣٠ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني (١٥٠/١)

(4) غاية الأماني في أخبار القطر اليماني (١٥٠/١)

(5) تاريخ المذاهب الدينية ص ٢٣٠

(6) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ٣٣

الصحراء حيث بدأ ببث دعاته وكان من أهم الثمرات لعمل أولئك الدعاة أن نشأت جماعة من الزيدية في طبرستان مهدت لقيام أول دولة زيدية في سنة ٢٥٠هـ أي بعد أربع سنوات من وفاة القاسم على يد الحسن بن زيد . وقد استقر القاسم فيما بعد بالرس بالقرب من المدينة النبوية حيث اشترى لنفسه أرضا وراء جبل الرس وأقام فيها وأخذ يشتغل بالتدريس حيث انتشر مذهبه عن طريق الحجاج إلى جميع أرجاء العالم الإسلامي[1] ومال إلى الزهد والمهادنة وأدخل تعديلات على نظرية الإمامة الزيدية أو على شروط الإمام فألغى مبدأ الخروج وهو أهم مبدأ اختلف فيه زيد – عند خروجه – مع أنصار ابن أخيه جعفر بن محمد وغيره ممن لم يوافقوه ولم يخرجوا معه ، رغم أن هذا المبدأ ظل معلما يميز ما بين الزيدية وغيرها من فرق الشيعة وجعل من الزيدية "خوارج الشيعة" ولكي يكيف القاسم مبدأ الخروج مع سلوكه كإمام لم يخرج ولم يقاتل حول الموقف الجماعي لقتال الظلمة والإنكار عليهم بحد السيف إلى هجرة فردية عن طريق قطع الفرد علاقاته مع الحكام الظلمة[2]. وقد كان القاسم الرسي من أكبر علماء الزيدية المتكلمين فقد ذكر أبو القاسم البلخي أن جعفر بن حرب دخل على القاسم بن إبراهيم الرسي فجاراه في دقائق علم الكلام فلما خرج من عنده قال لأصحابه :" أين كنا من هذا الرجل والله ما رأيت مثله"[3]. ويعد جعفر بن حرب من كبار المتكلمين على مذهب المعتزلة[4]. ومع كون القاسم الرسي زيديا إلا أنه معتزلي العقيدة قد خالط شيوخ المعتزلة[5]. وتأثر بهم حتى أنه كفر المثبتين لرؤية الله تعالى في الآخرة[6] ، وعلى يديه دخلت العقيدة المعتزلية إلى اليمن سنة ٢٤٤هـ وقيل سنة ٢٤٦هـ[7]. ويعتبر القاسم الرسي من المعاصرين لأبي الهذيل العلاف – شيخ المعتزلة في وقته – إلا أن

(1) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص٣٣ . تاريخ المذاهب الدينية ص ٢٣٠

(2) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص٣٣

(3) الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية لحميد المحلي (٢/٦) نقلا عن تاريخ المذاهب الدينية ص٢٣١

(4) فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٨-٧٩ المنية والأمل ص ١٦٥

(5) أنظر الزيدية لأحمد صبحي (٣/٩٤-١١١)

(6) كتاب العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الله الواحد المجيد. تحقيق محمد عماره (١/١٠٥)

(7) ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية (١/٢٤٠)

كتب المقالات لم تكشف لنا ما إذا كانت هناك علاقة بينهما أم لا[1]. وقد ألف القاسم كتبا كثيرة تدل على اعتزاله ، منها : الدليل الكبير في الرد على الفلاسفة والعدل والتوحيد الصغير ، والعدل والتوحيد الكبير، والرد على المجبرة ، وتأويل العرش والكرسي في الرد على المشبهة ، والأساس في علم الكلام[2] ، وهذه الكتب كثير منها يسير وفق عقائد المعتزلة. هذا وتكتسب أفكار القاسم الرسي أهمية كبيرة لا لأنها أول دليل بين أيدينا عن التلاقي بين الزيدية والمعتزلة فحسب بل لأنها إلى جانب ذلك توثيق للفكر المعتزلي نفسه فالقاسم الرسي – كما ذكرت من قبل – معاصر لأبي الهذيل العلاف أول من بلور الأصول الخمسة المعروفة للمعتزلة في كتاب له بهذا الاسم قد ضاع وليس بين أيدينا إلا شرح القاضي عبد الجبار لهذه الأصول ولا يدري لمن النص المشروح أهو للرسي أم لأبي الهذيل[3]. ومع كون هذه الأصول الخمسة التي كتبها الرسي تعتبر أول عمل بهذا الاسم لدى الزيدية إلا أنه ليس ثمة اختلاف بينها وبين أصول المعتزلة إلا في إبدال الرسي للمنزلة بين المنزلتين بالكتاب والسنة ومع ذلك فهو يورد هذا الأصل ضمن العدل والتوحيد الذي يتحدث فيه على طريقة المعتزلة[4]. وسيأتي إن شاء الله تفصيل الأصول الخمسة للقاسم الرسي في آخر هذا الفصل*. ومنهم** : المفضل بن عمر أبو عبدالله – أو أبو محمد – الجعفي الكوفي من أصحاب جعفر الصادق والكاظم وكان من متكلمي المعتزلة روى كتاب التوحيد عن إمامة جعفر فعرف بتوحيد المفضل وفيه الرد على الدهرية وإثبات الخالق سبحانه وتعالى[5].

---

(1) الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ٧٠

(2) الزيدية لأحمد صبحي (٩٤/٣)

(3) أنظر رسائل العدل والتوحيد تحقيق محمد عمارة (٧٣/١) غير أن الأستاذ أيمن فؤاد سيد يرى أن القاضي عبد الجبار إنما شرح كتاب الأصول الخمسة للإمام القاسم الرسي. تاريخ المذاهب الدينية ص٢٢٦.

(4) الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ٧٠

* أنظر ص ٣٤٩-٣٥٤ من هذه الرسالة .

** أي الذين جمعوا بين التشيع والاعتزال.

(5) مطبوع بتعليق كاظم المظفر ونشر مؤسسة الوفاء ، بيروت

ولما مات المأمون سنة ٢١٨هـ جاء بعده أخوه المعتصم وكان على مذهب المعتزلة كما كان المأمون قبله . يقول المسعودي في إثبات ذلك :" وسلك –أي الواثق – في المذهب مذهب أبيه – أي المعتصم – وعمه – أي المأمون – من القول بالعدل"[١] أي القول بالاعتزال ومع هذا فهو كما قال فيه ابنه المتوكل :" وأما أبي المعتصم فإنه كان رجل حرب ولم يكن له بصر بالكلام"[٢] إلا أنه استمر على امتحان الناس في خلق القرآن وعلى تقريب المعتزلة عملا بوصية أخيه المأمون لأنه حين عهد إليه بالخلافة أوصاه بأن يحمل الناس بعده على القول بخلق القرآن[٣]. وأن يعتمد على أحمد بن أبي دؤاد في جميع أموره وفي ذلك يقول السبكي :" قال المؤرخون ومع كونه لا يدري شيئا من العلم حمل الناس على القول بخلق القرآن. قلت : لأن أخاه المأمون أوصى إليه بذلك وانضم إلى ذلك القاضي أحمد بن أبي دؤاد وأمثاله من فقهاء السوء"[٤] وكان المعتصم قد بدء خلافته بإسناده منصب قاضي القضاة إلى أحمد بن أبي دؤاد ورغم خطورة هذا المنصب إلا أن نفوذ ابن أبي دؤاد لم يقتصر عند هذا الحد بل كان أكبر بكثير حيث بلغت منزلته عند المعتصم مكانا تتقاصر دونه الرقاب ويصور ابن خلكان هذه المنزلة عبر ما يرويه أحد جلساء المعتصم بقوله: " ما رأيت أحدا قط أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دؤاد وكان يسأل الشيء اليسير فيمتنع منه ثم يدخل ابن أبي دؤاد فيكلمه في أهله وفي أهل الثغور وفي الحرمين وفي أقاصي أهل المشرق والمغرب فيجيبه إلى كل ما يريد[٥] ". وقد جاء في وصية المأمون للمعتصم :" وأبو عبد الله أحمد ابن أبي دؤاد لا يفارقك ، أشركه في المشورة في كل أمرك فإنه موضع ذلك"[٦] وفيما يتعلق بمن جمع بين التشيع والاعتزال في هذه المدة فهم كثير منهم عدد كبير

---

[١] مروج الذهب (٦٦/٤)

[٢] البداية والنهاية (٣٥٤/١٠) طبقات الشافعية الكبرى (٢١٨/١-٢١٩)

[٣] حياة الحيوان الكبرى (٩٦/١)

[٤] طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢١٩)

[٥] وفيات الأعيان (٦٦/١)

[٦] المصدر السابق (٣٣/١)

ذكر عند الكلام على المأمون. وأما المعتصم فهو معتزلي فقط ولم يرد عنه ما يدل على تشيعه خلافًا لأخيه المأمون .

وبعد المعتصم خلفه ابنه الواثق سنة ٢٢٧هـ وبقيت خلافته إلى سنة ٢٣٢ هـ وقد كان معتزليا كأبيه المعتصم وعمه المأمون كما ذكر ذلك المسعودي بقوله:"وسلك في المذهب مذهب أبيه وعمه من القول بالعدل[١] " أي الاعتزال. واستولى عليه أحمد بن أبي دؤاد كما استولى على من قبله[٢] فكان الواثق لا يصدر إلا عن رأي أحمد بن أبي دؤاد ومحمد بن عبد الملك الزيات إذ أنه قلدهما الأمر وفوض إليهما ملكه[٣].

وكان الواثق يقال له – كما قال الصولي – المأمون الأصغر لأدبه وفضله[٤]. وكان أعلم الناس بكل شئ[٥] بل فضله بعضهم على المأمون من حيث أنه كان أكثر رواية للشعر من المأمون فكان تعصبه للقول بخلق القرآن عن علم وعقيدة[٦]. ولهذا يمكن القول إن الواثق لم يكن مجرد وارث لمذهب الاعتزال كما كان أبوه بل كان أصلا في المذهب مناظراً عنه لذلك اختلفت إجراءات المحنة في عهده عنها في عهد أبيه المعتصم[٧]. فقد كان شديد الاعتزال قائماً في أيام المحنة القيام الكلي مشدداً على الناس في ذلك[٨]. وكان أحمد بن أبي دؤاد هو الذي قوى عزمه عليها[٩] حتى كتب إلى القضاة في سائر البلدان بامتحان الناس في القرآن وأمرهم ألا يجيزوا إلا شهادة من قال بالتوحيد فحبس بسبب ذلك عالم كثير[١٠]. وفي سنة ٢٣١هـ أمر بامتحان أهل الثغور فأقروا جميعا بخلق القرآن إلا أربعة نفر فقرر

---

(١) مروج الذهب (٦٦/٤)

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢٢٠/١)

(٣) مروج الذهب (٦٦/٤)

(٤) تاريخ الخلفاء ص٣٦٩

(٥) تاريخ الخلفاء ص ١٣٦

(٦) ضحى الإسلام (١٨١/٣)

(٧) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ٢٦١ – ٢٦٢

(٨) شذرات الذهب (٢/ ٧٦)

(٩) المصدر السابق (٧٥/٢) النجوم الزاهرة (٣٢٢/٢ – ٣٦١)

(١٠) تاريخ اليعقوبي (٤٨٢/٢)

الواثق ضرب أعناقهم إن لم يقولوه[1]. وهذا كله ظاهر في اعتناقه لعقيدة الاعتزال إلا أنه فيما يتعلق بالتشيع لم يرد عنه شيء رغم أنه قد وجد في هذه الفترة – إضافة إلى من تقدم ذكرهم – من جمع بين التشيع والاعتزال : مثل بكر بن محمد ابن عدي بن حبيب المازني النحوي المتوفى سنة ٢٣٠هـ فإنه كان إمامياً يرى رأي ابن ميثم ويقول بالإرجاء وكان لا يناظر أحدا إلا قطعه لقدرته على الكلام فقيل له لم قلَّت روايتك عن الأصمعي قال : رميت عنده بالقدر والميل إلى مذهب أهل الاعتزال[2].

وبعد الواثق جاء أخوه المتوكل – جعفر بن المعتصم – الذي تولى الخلافة أواخر ذي الحجة من عام ٢٣٢هـ واستمر إلى أن مات مقتولا سنة ٢٤٧هـ. وكانت خلافته –ومن أول يوم تولى فيه الحكم – نقطة فاصلة في التاريخ السياسي والفكري للمعتزلة لأن المتوكل أعلن الحرب على مذهب أسلافه الخلفاء الثلاثة وقام بتجريد المعتزلة من سلطانهم وأقبل على أهل السنة الذين هم السواد الأعظم من المسلمين ، يذكر ذلك عنه المسعودي بقوله إنه " أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال والترك لما كان عليه الناس في أيام المعتصم والواثق والمأمون وأمر الناس بالتسليم والتقليد وأمر شيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة"[3]. ويقول ابن الجوزي :" إن المتوكل محا البدع وأظهر السنة"[4] . وقال إبراهيم بن محمد التيمي – قاضي البصرة – :الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له وعمر بن عبد العزيز رد مظالم بني أمية والمتوكل محا البدع وأظهر السنة[5]. وفي سنة ٢٣٤هـ أمر المتوكل باستحضار الفقهاء والمحدثين وأغدق عليهم العطاء وأمرهم بالجلوس للناس وأن يحدثوا بالأحاديث التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية وأن يحدثوا بالأحاديث في الرؤية فجلس عثمان ابن أبي شيبة

---

(1) تاريخ الأمم والملوك (١٤١/٩) البداية والنهاية (٣٢٠/١٠)

(2) معجم الأدباء (١٠٨/٧، ١٢٥) لسان الميزان (٥٧/٢)

(3) مروج الذهب (٨٦/٤)

(4) مناقب الإمام أحمدص ٤٣٨ وانظر شذرات الذهب (٧٥/٢) النجوم الزاهرة (٣١٤/٢)البداية والنهاية(٣٥١/١٠) تاريخ الخلفاء ص٣٧٣

(5) مناقب الإمام أحمد ص ٤٣٨ النجوم الزاهرة (٣٣١/٢)

في مدينة المنصور ووضع له منبر واجتمع عليه نحو ثلاثين ألفاً من الناس وجلس أبوبكر بن أبي شيبة في مسجد الرصافة واجتمع عليه ثلاثون ألفاً [1]. ولما كان العام ٢٣٧هـ تغيرت الأمور أكثر فأكثر تجاه الأفضل بالنسبة لأهل السنة وتجاه الأسوأ بالنسبة للمعتزلة والجهمية وغيرهم من أهل البدع فقد كان عاما فاصلا في تحديد التاريخ الذي شهد انحسار المد الاعتزالي وانبعاث المد السني زاخرا قويا تحرسه – بعد الله – سيوف السلطة وعواطف المسلمين حيث اتخذ المتوكل في ذلك العام مجموعة من الإجراءات المتتابعة التي كانت من وجهة نظره تصحيحا لأخطاء السلطة في عهود أسلافه الثلاثة ووضعا للأمور في مواضعها[2] إذ أنه في أوائل هذا العام غضب المتوكل على أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد الذي كان امتدادا لأبيه في مناصبه فعزله عن ولاية المظالم ثم عن القضاء[3] بعد أن كان عينه خلفا لأبيه في منصبه لمّا أصابه الفالج – الشلل النصفي – بعد قرابة خمسة شهور من خلافة المتوكل حيث كان الأب عاجزا عن القيام والاضطلاع بمهام منصبه. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن المتوكل سجن أبا الوليد في ربيع الأول من العام نفسه وصادر أمواله وأموال أبيه أحمد ابن أبي دؤاد ثم أمر في شعبان من نفس العام بترحيل أسرة أحمد بن أبي دؤاد من سامرا إلى بغداد[4]. وهكذا فقد هذا البيت الذي طال عهده بالسلطة حتى بلغ زهاء ثلث قرن – من سنة ٢٠٤هـ إلى سنة ٢٣٧هـ – وكان له زعامة الدعوة لآراء المعتزلة وحمل الكافة عليها زمنا فقد نفوذه ومكانته واهتزت أركانه إلى الأبد. كذلك كان من الإجراءات المتتابعة التي اتخذها المتوكل إعادة تنصيب يحيى بن أكثم قاضيا للقضاة ثم توليه المظالم إضافة إلى منصبه السابق[5]. ويعتبر يحيى بن أكثم هو القاضي السني الذي كان قاضيا للقضاة في عهد المأمون إلى عام ٢١٧هـ حينما عزله المأمون

---

(١) المصدر السابق ص ٤٣٨

(٢) التاريخ السياسي للمعتزلة ص ٣٠١

(٣) تاريخ الأمم والملوك (١٨٨/٩) وفيات الأعيان (٧٢/١-٧٣) النجوم الزاهرة (٣٦١/٢)

(٤) تاريخ الأمم والملوك (١٨٩/٩) البداية والنهاية (٣٢٩/١٠) الكامل في التاريخ (٢٨٩/٥)

(٥) البداية والنهاية (٣٢٩/١٠) النجوم الزاهرة (٣٤٨/٢) الكامل في التاريخ (٢٨٩/٥)

تمهيدا لإثارة محنة خلق القرآن ولئلا يحمل الناس على رأي يخالفه فيه قاضي قضاته وقد ظل هذا الحال إلى أن أعاده المتوكل إلى منصبه سنة ٢٣٧هـ وهذه خطوه أخرى عملية أراد بها المتوكل محو آثار التسلط الاعتزالي ورفع ما حل بأهل السنة من أذى ومحنة على أيدي المعتزلة. ومنها ما أمر به المتوكل من إنزال جثة الإمام أحمد بن نصر الخزاعي الذي ظل مصلوبا قرابة ست سنوات من عام ٢٣١هـ في أواخر حكم الواثق – عندما قتله بنفسه بسبب قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه- إلى سنة ٢٣٧هـ[١] ومنها إكرامه للإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة وإجلاله له بعد أن أوذي بسبب المعتزلة زمنا طويلا. ومنها أمره بإخراج جميع الذين سجنوا في أيام المعتصم والواثق لامتناعهم عن القول بخلق القرآن[٢]. ومنها أنه أمر واليه على مصر عبد الواحد بن يحيى بحلق لحية قاضي قضاة مصر أبي بكر محمد بن أبي الليث وأن يضربه ويطوف به على حمار لأنه من رؤوس الجهمية[٣] أسهم في محنة خلق القرآن إبان انتشارها وكانت له اليد الطولى في حمل المصريين بالقوة على الإقرار بهذه العقيدة. ولا شك أن هذا وغيره مما يبين لنا حسن عقيدة المتوكل وسيرته وحرصه على القضاء على المعتزلة وغيرهم من أهل البدع ويوضح لنا القاضي عبد الجبار نفور المتوكل من الاعتزال بقوله :" وحكي عن المتوكل خلاف ذلك – أي خلاف مذهب المعتزلة – لما بينه وبين أخيه الواثق من العداوة"[٤] وأما ما قاله السيوطي من كون المتوكل رافضيا[٥] فهو أمر غريب جدا ذلك لأن المتوكل كان يكره الشيعة الرافضة كما كان يكره المعتزلة فقد أمر في عام ٢٣٦هـ بهدم قبر الحسين رضي الله عنه وهدم ما حوله من الدور وأن يعمل مزارع ومنع الناس من زيارته

---

[١] البداية والنهاية (٣١٩/١٠) تاريخ الأمم والملوك (١٣٥/٩،١٩٠)

[٢] النجوم الزاهرة (٣٤٨/٢) البداية والنهاية (٣٥١/١٠)

[٣] النجوم الزاهرة (٣٤٦/٢) تاريخ الخلفاء ص٣٧٤ ــ ٣٧٥

[٤] فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٢٧

[٥] تاريخ الخلفاء ص٣٧٦

وحرث وبقي صحراء[1]. وجاء في الكامل لابن الأثير أن "المتوكل كان شديد البغض لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه ولأهل بيته وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى عليا وأهله بأخذ المال والدم .. وكان جماعة من جلسائه قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي رضي الله عنه"[2] .

ومما يؤكد نفي تهمة السيوطي السابقة عن المتوكل ما رواه في تاريخه من أنه في سنة ١٤٤هـ قتل يعقوب بن السكيت – الإمام في العربية – وذلك أنه ندبه إلى تعليم أولاده فنظر المتوكل يوما إلى ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت : من أحب إليك هما أو الحسن والحسين فقال : قنبر – مولي علي رضي الله عنه – خير منهما فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات وقيل أمر بسل لسانه فمات وأرسل إلى ابنه بديته[3] ولعل الأمر هنا مبالغ فيه لأن المتوكل كان سنيا وبطانته سنيه ولا يعقل أن يتعدى على صحابة أجلاء كعلي رضي الله عنه وابنيه الحسن والحسين – رضي الله عنهما – حفيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء أبدا وإنما قد يكون ضيق على الرافضة كما فعل مع غيرهم من أهل البدع كالمعتزلة ونحوهم وهذا من إظهار السنة ومتابعتها. وقد كان في هذه الفترة أناس جمعوا بين التشيع والاعتزال تقدم ذكر بعضهم وبقي منهم طائفة كأبي جعفر صالح ابن محمد بن قبة الذي ذكره ابن المرتضى في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة[4] وهو مع اعتزاله يعد من متكلمي الشيعة[5] .

وعيسى بن الهيثم الصوفي أبو موسى المتوفى سنة ٢٤٥هـ ذكره ابن المرتضى في رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة وهو من فرع بغداد المتشيع الذي يفضل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة رضي الله عنهم[6] .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢١٦/١) النجوم الزاهرة (٣٤١/٢) تاريخ الأمم والملوك (١٨٥/٩) البداية والنهاية (٣٢٨/١٠) الكامل في التاريخ (٢٨٧/٥)

(٢) الكامل في التاريخ (٢٨٧/٥)

(٣) تاريخ الخلفاء ص٣٧٦

(٤) المنية والأمل ص ١٦٥،٢٨

(٥) الفهرست ص ٢٥٠

(٦) المنية والأمل ص ١٦٩ مذاهب الإسلاميين (٤٦/١)

وقال الحافظ ابن حجر عنه :" ذكره ابن النديم في الفهرست وقال كان من جلة المعتزلة ثم خلط . وعنه أخذ ابن الراوندي[1] ومنهم أبو موسى عيسى بن صبيح ذكره القاضي عبد الجبار ضمن رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة[2] وقال ابن أبي الحديد إنه ممن يفضل عليا على سائر الصحابة[3] .

ومنهم محمد بن عبد الله القطان قال فيه الحافظ الذهبي :" رافضي معتزلي روى له البخاري والترمذي وروى عن محمد بن جرير الطبري وغيره[4] ".

ومنهم أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسن ابن الراوندي الذي كان أولا من متكلمي المعتزله ثم تزندق واشتهر بالإلحاد توفي سنة ٢٥٠هـ وقيل ٢٩٨هـ[5] وقد ذكر ابن النديم أن الكتب التي ألفها قبل انسلاخه كانت في الرفض والاعتزال ونحو ذلك[6] .

ومنهم عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ قال الحافظ ابن حجر :" رمي بالزندقه متقلب مرة يحتج للعثمانية على الرافضة ومرة للزندقة على السنة ومرة يفضل عليا ومرة يؤخره"[7]. وهو من معتزلة البصرة أخذ الكلام عن النظام وله كتاب فضيلة المعتزلة وكتاب الإمامة على مذهب الشيعة وكتاب حكاية قول أصناف الزيدية وكتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة وكتاب وجوب الإمامة وكتاب الدلالة على أن الإمامة فرض وكتاب تصويب على – رضي الله عنه – في تحكيم الحكمين[8]. هذا مع كونه رد على الرافضة وسل صارمه عليهم[9]. غير أن ابن أبي الحديد يذكر عنه أنه يجعل ترتيب الخلفاء الأربعة الراشدين في الفضل

---

(1) لسان الميزان (٤٠٨/٤)

(2) فرق وطبقات المعتزلة ص ٧٦

(3) شرح نهج البلاغة (٧/١)

(4) ميزان الاعتدال (٦٠٦/٣)

(5) فرق وطبقات المعتزلة ص ٩٧-٩٨ المنية والأمل ص ١٧٩

(6) لسان الميزان (٣٢٣/١)

(7) المصدر السابق (٣٥٦/٤)

(8) معجم الأدباء (١٠٧،١٠٢،٧٦/١٦)

(9) مقدمة الانتصار . د/ نيبرج ص ٥٦

كترتيبهم في الخلافة[1]. فلعل هذا مما يقوي ما ذكره الحافظ ابن حجر عنه من تقلب وتأرجح .

ثم خلف المتوكل ابنه المنتصر بالله محمد بن المتوكل سنة ٢٤٧هـ بعد أن قتل أباه إلا أنه لم يدم طويلا حيث مات مسموما سنة ٢٤٨هـ ولم يكمل ستة أشهر[2]. وجاء بعده المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم بن الرشيد أخو المتوكل وتولى الخلافة سنة ٢٤٨ هـ ولم تدم خلافته أيضاً إذ مات مقتولا سنة ٢٥٢هـ[3]. ثم جاء بعده المعتز بالله محمد بن المتوكل بن المعتصم الذي تولى الخلافة سنة ٢٥٢هـ وبقي فيها إلى أن قتل عطشا سنة ٢٥٥هـ [4]. وكأن المعتز بالله يعتبر أقل شدة على المعتزلة إذ أنه لما ورده خبر موت الجاحظ تلقى فيه العزاء من بعض الرجال المقربين إليه[5]. وبعده تولى الخلافة المهتدي بالله محمد ابن الواثق بن المعتصم سنة ٢٥٥هـ وبقي إلى سنة ٢٥٦هـ وكان يقال له الخليفة الصالح[6] . لدينه وزهده وورعه وكان يكره الرفض فقد نفى جعفر بن محمود إلى بغداد وكره مكانه لأنه نسب عنده إلى الرفض[7]. وقال جعفر بن عبد الواحد : ذاكرت المهتدي بشيء فقلت له : كان أحمد بن حنبل يقول به ولكنه كان يخالف – أشير إلى من مضى من أبائه – فقال رحم الله أحمد بن حنبل والله لو جاز لي أن أتبرأ من أبي لتبرأت منه ثم قال لي : تكلم بالحق وقل به فإن الرجل ليتكلم بالحق فينبل في عيني[8]. غير أن القاضي عبد الجبار يذكر عنه أنه لا يرى حرجا في ضم بعض رجال المعتزلة إلى مجلسه ، فقد جلس يوما على بركة فقال لجلسائه تمنوا ماء هذه البركة فتمنى بعضهم ذهبا وبعضهم جوهرا وغير ذلك وقال

(1) شرح نهج البلاغة (٧/١)

(2) تأريخ الخلفاء ص ٣٨٥ – ٣٨٦

(3) المصدر السابق ص٣٨٦-٣٨٧

(4) المصدر السابق ص٣٨٨-٣٨٩

(5) معجم الأدباء (١١٤/١٦)

(6) تأريخ الخلفاء ص ٣٨٩

(7) المصدر السابق ص٣٩١

(8) المصدر السابق ص٣٩٠

أبو عمر سعيد بن محمد الباهلي : ما أتمنى إلا ملأها من دماء المشبهة[1]. وسعيد هذا معتزلي من رجال الطبقة التاسعة[2]. ولعل حال هذه القصة في التركيب كحال إيصاله سند المعتزلة إلى النبي عليه الصلاة والسلام. وقد وجد في هذه الفترة عدد من الشيعة المعتزلة وذلك أنه لما خرج الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل ابن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس الدولة الزيدية بطبرستان والري سنة ٢٥٠هـ والذي كان قد خرج مع يحيى بن عمر إبان خلافتي المتوكل والمستعين فلما قتل يحيى بن عمر فر الحسن بن زيد مع بعض أصحابه إلى الديلم ثم إلى طبرستان حيث نشر دعوته فبايعه أهلها في آمل عاصمة طبرستان وذلك لسخطهم على ولاة العباسيين ثم غزا بعد ذلك الري ثم جرجان إلى أن توفي سنة ٢٧٠هـ[3]. وكان زيديا معتزليا داعياً إلى هذه العقيدة كما هو ظاهر في كتبه إلى عماله والتي منها قوله :" قد رأينا أن نأخذ عملك بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وما صح من أمير المؤمنين وإمام المتقين علي ابن أبي طالب في أصول الدين وفروعه وإظهار تفضيله على جميع الأمة وتنهاهم أشد النهي عن القول بالجبر والتشبيه ومكابرة الموحدين القائلين بالعدل والتوحيد"[4] ثم لما قتل سنة ٢٧٠هـ تولى أمر الدعوة الزيدية بعده محمد بن زيد ولقب بالداعي الصغير – لأن الحسن كان يلقب بالداعي الكبير – وكانت الحرب بينه وبين العباسيين سجالا تلاحقه جيوش العباسيين في الديلم والطالقان تارة ويحتل هو نيسابور تارة أخرى حتى انتهى أمره بالقتل وقطع رأسه عام ٢٨٧هـ بعد أن حكم طبرستان سبعة عشر عاماً وسبعة أشهر [5]. وقد خضعت بعدها للسامانيين إلى أن استعادها الناصر الأطروش الزيدي المعتزلي سنة ٣٠١هـ[6]. وقد كان محمد ابن

---

(1) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٣١١

(2) فرق وطبقات المعتزلة ص ١٠٤

(3) الكامل في التاريخ (٥/٣١٦-٣١٧)(٦/٥٥)

(4) تاريخ الفرقة الزيدية لفضيلة الشامي ص ٢٣٤-٢٤٤

(5) المصدر السابق ص ٢٥٢-٢٥٨

(6) تاريخ الفكر السياسي ص ١٠٦

زيد ممن جالس أبا القاسم البلخي المعتزلي المتوفى سنة ٣١٧هـ[١] ، ثم بعد موت المهتدي بالله تولى الخلافة بعده المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم سنة ٢٥٦هـ واستمرت خلافته إلى سنة ٢٧٩هـ كان فيها أحداث عظيمة شغلت الخليفة والمسلمين زمنا طويلا منها ثورة الزنج التي ابتدأ أمرها بالبصرة سنة ٢٥٥هـ في خلافة المهتدي[٢] ودأب المعتمد على إخمادها من بدء خلافته سنة ٢٥٦هـ إلى سنة ٢٧٠هـ حيث قتل رأسها وزعيمها علي بن محمد وقيل اسمه بهيوذ[٣]. وكان ادعى أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة وأنه مطلع على المغيبات[٤]. ونقل السيوطي عن الصولي قوله إن بهيوذ هذا قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف آدمي وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف وكان له منبر في مدينته يصعد عليه ويسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن ويستخدمهن[٥]. ونقل ابن تغري بردي أن رأس الزنج انتسب إلى زيد بن علي بن الحسين[٦]. وما كاد المعتمد على الله يلتقط أنفاسه بعد قضائه على ثورة الزنج حتى ظهرت في أواخر عهده سنة ٢٧٨هـ حركة القرامطة التي ادعت الانتساب إلى العلويين وتظاهرت برغبتها في القضاء على الظلم والمفسدين[٧]. ولم تكن حركة القرامطة هذه من طراز تلك الحركات السطحية التي يسهل القضاء عليها في معركة حاسمة بل كانت حركة معقده غامضة أنشبت أظفارها في جسم العالم الإسلامي ردحا طويلا من الزمن[٨].
وقد تفاقم خطرها واقضت مضاجع المسلمين حتى كان منها في عام ٣١٧هـ أن

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة ص٩٧ . المنية والأمل ص ١٧٩
(٢) النجوم الزاهرة (٢٧/٣) تأريخ الخلفاء ص٣٩٢ الكامل في التاريخ (٣٤٦/٥)
(٣) تأريخ الخلفاء ص٣٩٢ النجوم الزاهرة (٢٧/٣)
(٤) تاريخ الخلفاء ص ٣٩٢
(٥) المصدر السابق ص٣٩٣
(٦) النجوم الزاهرة (٢٧/٣)
(٧) المصدر السابق (١٠٦/٣-١٠٧) تأريخ الخلفاء ص٣٩٦ البداية والنهاية (٦١/١١) الكامل في التاريخ(٦٩/٦-٧٠)
(٨) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٣٢٣

دخلت المسجد الحرام بمكة ـــحرسها الله – واقتلعت الحجر الأسود ولم تـــرده إلا سنة ٣٣٩هـ[١]. ولم يفلح في القضاء النهائي عليها إلا المستنصر العبيـــدي ســنة ٤٧٠هـ[٢]. وفي سنة ٢٧٠هـ ظهرت دعوة المهدي عبيد الله بن عبيد جد بنـــي عبيد خلفاء المصريين الروافض في اليمن وأقام على ذلك إلى سنة ٢٧٨ هـ فحج تلك السنة واجتمع بقبيلة من كتامة فأعجبهم حاله فصحبهم إلى مصر ورأي منـــهم طاعة وقوة فصحبهم إلى المغرب فكان ذلك أول شأن المهدي[٣]. وبقي بـــالمغرب إلى أن مات سنة ٣٢٢هـ حيث كانت أيامه خمساً وعشرين سنة[٤] .

والمقصود من هذا العرض أن هذه الأحداث في الربع الأخير من القـــرن الثـــالث الهجري كانت من الخطورة بمكان حيث أنها استنفدت جهود الخلفاء في هذه الفترة التي يتناولها الحديث هنا وعلى الرغم من كون الخلافة العباسية قد مـــرت بفـــترة صحوة مؤقتة في عهدي المعتمد والمعتضد حاولت خلالـــها أن تســترد هيبتـــها وسطوتها إلا أنها بمواجهة هذه الأحداث وخاصة حركة القرامطة رجعـــت إلـــى سيرتها الأولى بوفاة المعتضد سنة ٢٨٩هـ .

ونلاحظ هنا أن هذه الأحداث شغلت الخلفاء وجعلت اهتمامهم بالخلافات المذهبيـــة وبأهل البدع كالمعتزلة والرافضة وغيرهم يقل كثيرا عن المستوى المعهود لأنـــهم كانوا في شغل عن هذه الخلافات بأمور هي أكثر أهمية وإلحاحاً. وفي هذا الخضم وجد المعتزلة متنفساً لهم ليعبروا عن آرائهم المذهبية في الحلقـــات التـــي كـــانوا يعقدونها لذلك والمناظرات التي كانوا يديرونها مع مخالفيهم ، وإن المتتبع لـــتراجم الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة – ممن شهد هذه الفترة الحرجة – يلاحظ كـــثرة المناظرات التي خاضها رجال هذه الطبقة مع خصومهم[٥] وهو ما لم يكن ممكنـــا في بداية محنة المعتزلة في عصر المتوكل لكونه حرم الجدال في الدين بالبـــاطل

---

[١] البداية والنهاية (٦٣/١١) الكامل في التاريخ (٢٠٤/٦،٣٣٥)

[٢] التاريخ السياسي للمعتزلة ص٣٢٣

[٣] تاريخ الخلفاء ص ٣٩٥-٣٩٦

[٤] المصدر السابق ص٤٢١

[٥] فرق وطبقات المعتزلة ص ٨٥ – ٩٩ المنية والأمل ص ١٧٠- ١٨٠

وضيق على المعتزلة والرافضة وسائر أهل البدع أيما تضييق فلم يجدوا مجالاً للجهر بآرائهم وأما الآن فقد انصرف الخلفاء إلى مشاكلهم الملحة وانشغلوا بها عن أهل البدع فوجد المعتزلة وأمثالهم من المبتدعة الفرصة سانحة ليعيدوا ما اندثر من مجدهم ويجددوا مجالسهم ويبعثوا نظرياتهم وليس هذا فحسب بل إن المعتزلة هنا يحاولون الاتصال أحيانا ببعض أولي الأمر لينصروهم في عدد من القضايا المذهبية من ذلك ما يرويه القاضي عبد الجبار في طبقاته أن ابن الراوندي كان من أهل الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة ولكنه انسلخ من الدين وأظهر الإلحاد والزندقة فطردته المعتزلة فوضع الكتب الكثيرة في مخالفة الإسلام فصنف لليهود والنصارى والثنوية وأهل التعطيل وقيل صنف كتاب الإمامة للرافضة وهنا لما ظهر منه ما ظهر قامت المعتزلة في أمره واستعانوا بالسلطان على قتله فهرب ولجأ إلى يهودي في الكوفة[1] .

كما ذكر أيضاً أن أبا بكر محمد بن إبراهيم الزبيدي قد بلغ من السلطان بأصفهان المبلغ العظيم[2]. إن هذه النصوص وغيرها لتدل دلالة واضحة على أن العلاقة بين المعتزلة والخلافة لم تكن علاقة عداء وفقدان للثقة وإنما كانت علاقة تبيح للمعتزلة أن يطلبوا عون الخلافة عند اقتضاء الحاجة وأن الخلافة صارت تخفف من وطأتها عليهم[3] .

ولما مات المعتمد على الله تولى الخلافة بعده المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة ابن المتوكل بن المعتصم سنة ٢٧٩هـ وبقي إلى سنة ٢٨٩هـ. وقد كانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء حيث أسقط المكوس ونشر العدل ورفع الظلم عن الرعية وكان يسمي السفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس الذي دب إليه الضعف وكاد أن يزول لما هو فيه من اضطراب منذ قتل المتوكل[4] .

---

(١) فرق وطبقات المعتزلة ص ٩٨ وانظر المنية الأمل ص ١٨٠

(٢) المصدر السابق ص٩٥ وانظر المنية والأمل ص ١٧٨

(٣) التاريخ السياسي للمعتزلة ص٣٢٤

(٤) تأريخ الخلفاء ص ٣٩٩

وفي أول سنة استخلف فيها قام بمنع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق[1]. وفي سنة ٢٨١هـ هدم دار الندوة بمكة -حرسها الله- وصيرها مسجدا إلى جانب المسجد الحرام وفي عام ٢٨٢هـ أبطل ما يفعل في النيروز من وقيد النيران وصب الماء على الناس وأزال سُنَّة المجوس وفي سنة ٢٨٤هـ نودي أن الذمة برية ممن اجتمع من الناس على مناظرة أو جدل وأن من فعل ذلك فقد أحل بنفسه الضرب[2].

وفي هذه السنة أيضا عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه- على المنابر وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس فخوفة عبيد الله ابن سليمان بن وهب اضطراب العامة وأنه لا يأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إلى قوله[3] وكتب كتابا في ذلك ذكر فيه كثيراً من مناقب علي ومثالب معاوية – رضي الله عنهما – فقال له القاضي يوسف بن يعقوب : يا أمير المؤمنين أخاف الفتنة عند سماعه فقال : إن تحركت العامة وضعت السيف فيها. قال فما تصنع بالعلويين الذين هم في كل ناحية قد خرجوا عليك ؟ وإذا سمع الناس هذا – أي فضائل أهل البيت – كانوا إليهم أميل وكانوا هم أبسط ألسنة وأثبت حجة منهم اليوم فأمسك المعتضد فلم يرد عليه جواباً ولم يأمر في الكتاب بعده بشيء[4]. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن أحمد بن الطيب – الرافضي الفيلسوف تلميذ الكندي – هو الذي أشار على المعتضد بلعن معاوية على المنابر وإنشاء التواقيع إلى البلاد بذلك. وعن الأحاديث والتفسيرات التي في الكتاب المذكور قال عن أحدها : وهذا باطل موضوع ظاهر الوضع إن لم يكن أحمد بن الطيب وضعه وإلا فغيره من الروافض[5] .

---

(1) المصدر السابق ص٣٩٩

(2) تاريخ الخلفاء ص ٤٠٠ وتأريخ الأمم والملوك (١٠ / ٣٩ ، ٥٣ ، ٥٤).

(3) تأريخ الأمم والملوك (٥٤/١٠) تاريخ الخلفاء ص ٤٠٠-٤٠١

(4) المصدران السابقان (٦٣/١٠) ، ص٤٠١

(5) لسان الميزان (١٨٩/١-١٩٠)

وذكر السيوطي أن المعتضد قتله فقيل له لم قتلته ؟ قال: دعاني إلى الإلحاد[1]، وكان قتله في شهر صفر من سنة ٢٨٦هـ وقال المسعودي : إن قتله كان سنة ٢٨٣هـ لما غضب عليه المعتضد فسلمه لبدر مولاه فعاقبه واستخلص أمواله[2].

وفي سنة ٢٨٤هـ قام أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي زين العابدين الملقب بالناصر الأطروش – الزيدي المعتزلي – بدعوته ودخل بلاد الديلم سنة ٢٨٧ هـ ثم استعاد حكم العلويين في طبرستان سنة ٣٠١هـ. وأقام بينهم ما يقرب من ثلاثة عشر عاما يدعوهم إلى الإسلام حتى أسلم على يديه خلق كثير واجتمعوا عليه وقد استمرت دولته إلى سنة ٣١٦هـ[3] وكان ممن صحب أبا القاسم البلخي ـ المتكلم المعتزلي – ومما يدل على تأثره بالاعتزال قوله في خطبة له :" أيها الناس إني دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر ولا يعرفون خالقا ولا يدينون بدين فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلطف في العطف بهم حتى دخلوا فيه أرسالا وأقبلوا عليه إقبالا وظهر لهم الحق فعرفوا التوحيد والعدل ، فهدى الله بي منهم زهاء مائتي ألف رجل وامرأة فهم الآن يتكلمون في التوحيد والعدل مستبصرين ويناظرون عليهما مجتهدين ويدعون إليهما محتسبين[4]. وقد مات سنة ٣٠٤هـ وبقيت الزيدية في تلك الديار والبلاد ظاهرين[5]. وكانوا النواة للدولة البويهية التي ظهرت سنة ٣٢٠هـ والتي كان غالبية أمرائها زيدية إلا بختيار بن معز الدولة فإنه خلط الرفض بالاعتزال[6]. غير أن هذه الدولة التي بدأت زيدية ما لبثت أن تحولت إلى الرفض والتشيع الغالي[7]. وذكر ابن حجر أن الذي حسن لآل بويه اعتقاد مذهب الإمامية هو تاج الرؤساء ابن أبي سعد الصيدوري وأن عبد الرشيد المازندراني

---

(1) تأريخ الخلفاء ص٣٩٨

(2) مروج الذهب (٢٥٩/٤)

(3) التاريخ السياسي والفكري ص١٠٥-١٠٦

(4) الزيدية لأحمد صبحي ص١٥٤

(5) الكامل في التاريخ (١٤٦/٦)

(6) قاضي القضاة عبد الجبار لعبد الكريم عثمان ص٢٠

(7) التاريخ السياسي والفكري ص١٠٦ الزيدية للأكوع ص٢٥

يروي عن أبيه أن تاج الرؤساء كان من شدة تعصبه لمذهب الإمامية إذا تفرس في الغلام التركي الفطنة اشتراه وعلمه فلذلك صار أكثر الأتراك في زمانه إمامية وكان قد أدرك دولة آل سلجوق.[١] وكان في هذه الفترة ممن جمع بين التشيع والاعتزال : الهادي يحيى ابن الحسين بن القاسم الرسي الذي ولد قبل وفاة جده القاسم الرسي بسنة واحدة وكان قد نشأ في بيئة شيعية بدأ فيها الفكر الزيدي بالتلاقح مع الفكر المعتزلي وهي البيئة المحيطة بجده القاسم بن إبراهيم الرسي[٢]. ومع كون الهادي لم يلتق بالناصر الأطروش عند زيارته لطبرستان مع أبيه سنة ٢٧٠هـ إلا أنه من الممكن أن يكون قد التقى ببعض متكلمي المعتزلة خلال رحلته – سواء في طبرستان أم في الطريق إليها – وناقشهم وتزود ببعض كتب المعتزلة لأنه كان حين وصل اليمن فيما بعد قد تكون ثقافيا وصاغ تصوراته الفكرية والسياسية[٣]. وكان وصوله إلى اليمن ومجيئه إليه مرتين المرة الأولى وهي الخروج الأول سنة ٢٨٠هـ ، ثم لما تبين له مخالفة الناس لأوامره رجع إلى حيث كان فكاتبه أهل اليمن مرة ثانية فخرج إليهم الخروج الثاني سنة ٢٨٤هـ وبقي هناك. ولما كانت سنة ٢٨٨هـ تمت البيعة له باليمن إماما للشيعة الزيدية واستمر على ذلك إلى أن مات سنة ٢٩٨هـ[٤]. وكانت دولته التي أنشأها باليمن دوله زيدية معتزلية لأنه كان في الأصول على مذهب شيخه أبي القاسم البلخي المعتزلي الذي أخذ الاعتزال عنه لذلك نرى أقواله في أصول الدين متابعة له في الغالب[٥]. وقد أورد يحيى بن الحسين في كتابه الزهر وأعيان العصر تفصيلاً لمذهب الهادي صرح فيه بأنه معتزلي الأصول[٦] وتبعه النشار حيث ذكر أنه زيدي المذهب معتزلي العقيدة[٧]. وأيضاً مما يدل على اعتزاله أنه سلك طريقة المعتزلة في الأصول الخمسة غير أنه لم يذكر المنزلة بين المنزلتين وإنما ذكر

---

[١] لسان الميزان (٢/٧٠)

[٢] معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص٥٧

[٣] المصدر السابق ص٥٩ تاريخ المذاهب الدينية ص٢٣٣

[٤] تاريخ المذاهب الدينية ص٢٣٣-٢٣٤ الزيدية للأكوع ص٢٦ التاريخ السياسي للمعتزلة ص٣٢٥

[٥] تاريخ المذاهب الدينية ص٢٣٥-٢٣٦ الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص٧٠

[٦] الزهر ١/ق مخطوط . نقلاً عن الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص٧١

[٧] نشأة الفكر الفسلفي في الإسلام (٢/١٨٧)

بدلاً منها الإيمان بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإمامة علي بن أبي طـالب رضي الله عنه[1].

وقد جمع بين التشيع والاعتزال في هذه الفترة أيضاً أبو القاسم عبد الله بن محمـود البلخي المتوفى سنة ٣١٩هـ عده القاضي عبد الجبار ضمن الطبقة الثامنـة مـن طبقات المعتزلة[2]. وذكر ابن أبي الحديد عنه أنه كان يفضل عليا على أبي بكـر رضي الله عنهما[3]. ومنهم أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمـان الخيـاط المتوفي سنة ٢٩٠هـ ذكره القاضي عبد الجبار ضمن معتزلة الطبقة الثامنة[4] من معتزلة بغداد سئل يومًا عن أفضل الصحابة فقال : أمير المؤمنين علي بـن أبـي طالب – رضي الله عنه – لأن الخصال التي فضل الناس بها متفرقة في النـاس وهي مجتمعة فيه[5] ومع ذلك فقد كانت له ردود على الرافضة وأوضح مثال علـى ذلك رده على ابن الراوندي في كتابه الانتصار .

ومنهم أبو علي الجبائي المتوفي سنة ٣٠٣ هـ كان من أكـابر المعتزلـة[6] ثـم أضاف إلى ذلك التشيع فقد ذكر ابن أبي الحديد عنه أنه ذهب أخيراً إلى تفضيـل علي ابن أبي طالب على أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما – وأنه كان من قبل من المتوقفين ، يميل إلى التفضيل ولا يصرح به. وإذا صنف ذهب إلى الوقف في مصنفاته[7] وقال القاضي عبد الجبار : إن أبا الحسن ابن زفرويه قال : والرافضـة لجهلهم بأبي علي ومذهبه يرمونه بالنصب وكيف وقد نقض كتاب عباد في تفضيل أبي بكر – رضي الله عنه – ولم ينقض كتـاب الإسـكافي المسـمى : المعيـار والموازنـة في تفضيل علي على أبي بكر – رضي الله عنهما –[8] وكـان مـن

---

[1] كتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد للهادي ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢/٧٠-٨٦)

[2] فرق وطبقات المعتزلة ص ٩٣

[3] شرح نهج البلاغة (١/ ٧)

[4] المصدر السابق ص ٩٠

[5] شرح نهج البلاغة (٧/١) فرق وطبقات المعتزلة ص٩١ المنية والأمل ص١٧٥

[6] فرق وطبقات المعتزلة ص ٨٥

[7] شرح نهج البلاغة (١/٧-٨)

[8] فرق وطبقات المعتزلة ص ٨٩

أنصار التقارب بين الشيعة والمعتزلة حيث يروي عنه القاضي عبد الجبار أنه قال لأصحابه :" قد وافقونا – أي الشيعة – في التوحيد والعدل وإنما خلافنا في الإمامة فاجتمعوا حتى تكونوا يدا واحدة"[١].

ومنهم الحسن بن موسى بن النوبختي أبو محمد بن أخت أبي سهل متكلم فيلسوف توفي في نهاية القرن الثالث الهجري قال عنه القاضي عبد الجبار عند سرده لرجال الطبقة التاسعة من طبقات المعتزلة :" ومنهم إمامية كالحسن بن موسى النوبختي"[٢]. ويقول ابن النديم :" كانت المعتزلة تدعيه والشيعة تدعيه ولكنه إلى حيز الشيعة ما هو لأن آل نوبخت معروفون بولاية علي وولده – رضي الله عنهم – في الظاهر[٣]" وفي كلام القاضي السابق إشارة إلى وضوح الاتجاه الاعتزالي لدى بعض الشيعة الإمامية من أهل هذه الفترة وقد كان ولادة ابن النوبختي في منتصف القرن الثالث الهجري حيث أدرك رأس الثلاثمائة كهلاً وهو هنا نموذج يعكس اتجاها اعتزاليا ظهرت بداياته بين الإمامية في أواخر القرن الثالث الهجري ثم اتسع هذا الاتجاه في القرن الرابع. وعن هذا التغير الفكري يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي صاحب كتاب الآراء والديانات وأمثاله وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان وأتباعه"[٤]. ثم لما مات المعتضد بالله خلفه المكتفي بالله علي ابن المعتضد سنة ٢٨٩ هـ واستمر في خلافته إلى أن توفي سنة ٢٩٥هـ[٥] وشهد هذا الزمان طائفة من الذين جمعوا بين التشيع والاعتزال منهم : أحمد بن عبيد الله ابن عمار المعروف بحمار العزير المتوفى سنة ٣١٤هـ وقيل ٣١٠ هـ كان من

(١) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٩١

(٢) فرق وطبقات المعتزلة ص١١٠ وانظر المنية والأمل ص ١٨٨

(٣) الفهرست ص٢٥١ لسان الميزان (٢/٢٥٨)

(٤) منهاج السنة (٧٢/١)

(٥) تأريخ الخلفاء ص٤٠٥

رؤوس الشيعة. له عن عثمان بن أبي شيبة وغيره. قيل كان قدريا صنف مقـــاتل الطالبيين ومثالب معاوية رضي الله عنه وفيه يقول ابن الرومي :

وفي ابن عمار عزيريـــه　　　يخاصم الدهر بها والقـــدر

ما كان لم يكن وما لم يكن　　　لم لم يكن فهو وكيل البشر[1]

ومنهم : أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة مات في مطلـــع القـــرن الرابـــع الهجري وكان من تلاميذ أبي القاسم البلخي المعـــتزلي ومـــن متكلمـــي الإماميـــة وحذاقهم وكان أولا معتزليا ثم انتقل إلى القول بالإمامة وله كتب في الإمامة منها : كتاب الإنصاف ، وكتاب المستثبت نقض به كتاب المسترشد لشيخه أبـــي القاســـم البلخي ، وله كتاب التعريف على الزيدية ، وغير ذلك من الكتب[2].

ومنهم : محمد بن عبد الله بن مملك[3] ومنهم : أبو الحسن ابن بشر السوســـنجردي توفي في مطلع القرن الرابع الهجري[4]. ومنهم : محمد بن زيد الواسطي أبو عبـــد الله من معتزلة بغداد -على الصحيح - أخذ عن أبي علي الجبائي سنة ٣٠٦هــــــ وصنف كتاب الإمامة قال عنه ابن النديم الشيعي :" إنه جود فيه"[5]. ومنهم : أبـــو الحسن أحمد بن عمر عبد الرحمن البرذعي من كبار معتزلة بغداد ذكره القـــاضي عبد الجبار ضمن أصحاب الطبقة الثامنة[6].

ثم بعد المكتفي بالله تولى الخلافة المقتدر بالله جعفر بن المعتضد ســـنة ٢٩٥هــــ واستمرت حتى سنة ٣٢٠هــ[7]. وهو ما سأتلكم عنه - إن شاء الله - في القـــرن الرابع الهجري .

والحق أن حسم هذه المسألة أعني مسألة بداية الصلة - لا يتم على الوجه الدقيـــق إلا بالدراسة التفصيلية لهؤلاء الذين عدوا في طبقات المعتزلة من أوائل آل البيـــت

---

(1) ميزان الاعتدال (١١٨/١) لسان الميزان (٢١٩/١)

(2) فلاسفة الشيعة ص٥٠٨-٥٠٩ الفهرست ص ٢٥٠ رجال النجاشي ص ٣٧٥

(3) رجال النجاشي ص ٣٨٠ - ٣٨١ الفهرست ص ٢٥٢

(4) الفهرست ص ٢٥٢ رجال النجاشي ٣٨١

(5) الفهرست ص٢٤٥ لسان الميزان (١٧٢/٥)

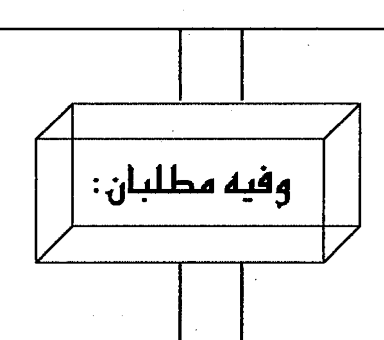
(6) فرق وطبقات المعتزلة ص٩٦ لسان الميزان (٢٣٦/١)

(7) تأريخ الخلفاء ص٤٠٨

ومعرفة مذهبهم في أصول الدين كي نعرف متى بدأ التغير وبناءا عليه تظهر لنا بدايات الصلة بين الشيعة والمعتزلة وليس معنى ذلك أننا فيما سبق لم نصل إلى تحديد بداية الصلة - ولو على وجه التقريب - إن هذا غير وارد لأنني فيما سبق وصلت إلى أن الصلة بينهما بدأت بعد انقضاء القرن الأول وتحديدا في الثلث الأول من القرن الثاني وهذا بناء على ما ظهر لي من بطلان تلمذة واصل ابن عطاء على أبي هاشم وكذلك تلمذة زيد بن علي على واصل بن عطاء فكانت الصلة في هذا الثلث ، بعد خروج واصل عن حلقة أستاذه الحسن البصري. فالصلة إذن قد بدأت إما مع واصل وبعض الشيعة أو مع صديقه عمرو وطائفة من الشيعة والمقصود أنه في هذه الفترة ظهرت بدايات الصلة العقدية والتي كانت بادئ ذي بدء بين المعتزلة والشيعة الزيدية فقط وبقيت كذلك فترة من الزمن ثم انضمت الإمامية إلى هذا التقارب فتمت الصلة بينهم وبين المعتزلة واستمرت إلى آخر القرن الثالث وهي على المستوى الفردي لكون الغالبية من الشيعة الإمامية مجسمة مشبهة. وأما الشيعة الزيدية فقد تغلغل الاعتزال فيهم في النصف الثاني من القرن الثالث على مستوى أكبر لأن أئمتهم ومؤسسي دولهم كانوا في الغالب زيدية معتزلة مما ساهم في نشر الفكر المعتزلي بينهم كما هو حاصل في الإمام إدريس والناصر الأطروش والرسي والهادي وغيرهم. ولم تصبح هذه الصلة ظاهرة عامة للجميع - إلا ماندر - إلا في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري وما بعده وهو ما سأتحدث عنه في الفصل القادم - إن شاء الله - .

المبحث الثاني:

الصلة العقدية بين الشيعة والمعتزلة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.



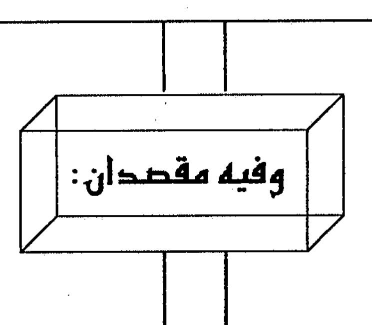
المطلب الأول : الاتجاه الشيعي العام في العقيدة.

المطلب الثاني : نماذج من علماء الشيعة والمعتزلة لبيان ثبوت الصلة العقدية بينهما.



المطلب الأول:

الاتجاه الشيعي العام في العقيدة.



وفيه مقصدان:

المقصد الأول : الشيعة الإمامية الاثنا عشرية.

المقصد الثاني : الشيعة الزيدية.

المطلب الأول : الاتجاه الشيعي العام في العقيدة خلال القرون الثلاثة الأولى :-

لكي نعرف اتجاه الشيعة العام في العقيدة خلال هذه الحقبة لا بد من دراسة الشيعة الإمامية والزيدية من حيث العقيدة وضرب أمثلة لعلمائهم خلال هذه القرون لنصل إلى ثبوت الصلة العقدية بين الشيعة والمعتزلة وذلك عبر المقاصد التالية:-

المقصد الأول : الشيعة الإمامية الاثنا عشرية :-

إن النقول الكثيرة عن علماء الفرق والمذاهب سواء أكانوا من السنة أو الشيعة لتؤكد حقيقة واحدة وهي أن الشيعة الإمامية كان اتجاهها العقدي خلال القرون الثلاثة الأولى هو التجسيم والتشبيه إلا نفرا يسيرا خالفوا هذا الاتجاه نظرا لاتصالهم بالمعتزلة وتأثرهم بهم في الأصول وفي هذه يقول أبو الحسين الخياط -في رده على ابن الراوندي - لما قال : إنه ليس في الرافضة من يقول إن الله صورة إلا رجل واحد. قال له :" إنك لتضر الرافضة بنفيك عنها قولا هو عندها التوحيد الصحيح ولهي أشد عليك في نفيك عنها القول بأن الله صورة من المعتزلة. وبعد فهل كان على الأرض رافضي إلا وهو يقول : إن الله صورة ويروي في ذلك الروايات ويحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم إلا من صحب المعتزلة منهم قديما فقال بالتوحيد فنفته الرافضة عنها ولم تقر به، ولا أعلم أحدا قال : إن الله يخاطب الخلق من صورة يوم القيامة إلا بكر بن أخت عبد الواحد ومن اتبعه وهم أبعد خلق الله من الروافض وأعداه لأهله وهذه كتب الرافضة بيننا وبين صاحب الكتاب تشهد على كذبه "[1] .

ويقول في موضع آخر :" وأما جملة قول الرافضة فهو أن الله عز وجل ذو قد وصورة وحد يتحرك ويسكن ويدنو ويبعد ويخف ويثقل وأن علمه محدث وأنه كان غير عالم فعلم وأن جميعهم يقول بالبداء وهو أن الله يخبر أنه يفعل الأمر ثم يبدو له فلا يفعله. هذا توحيد الرافضة بأسرها إلا نفرا منهم يسيرا صحبوا المعتزلة

---

(1) الانتصار ص ٢١٤

واعتقدوا التوحيد فنفتهم الرافضة عنهم وتبرأت منهم فأما جملتهم ومشايخهم مثل هشام بن سالم وشيطان الطاق وعلي بن ميثم وابن الحكم وعلي بن منصور والسكاك فقولهم ما حكيت عنهم[١] ثم قولهم في القدر : إن الكافر كفر لعلة وبسبب من قبل الله ألجأه إلى الكفر بل ألجأه إلى كفره واضطراه إليه وأدخلاه فيه وأن الله يشاء كل فاحشة ويريد كل معصية "[٢] .

ويقول الجاحظ في كتابه الحجج في النبوة :" ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله وأن البدوات تعرض له وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه"[٣] .

ولما قام ابن المطهر الحلي ليزين مذهب الإمامية وقال : إنهم اعتقدوا أن الله هو المخصوص بالأزلية والقدم وأن كل ما سواه محدث لأنه واحد وليس بجسم ولا في مكان وإلا لكان محدثا. رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله :" إن أكثر متقدمي الإمامية كانوا بضد هذا كهشام بن الحكم وهشام بن سالم ويونس بن عبد الرحمن القمي مولى آل يقطين وزرارة بن أعين وأبي مالك الحضرمي وعلي بن ميثم وطوائف كثيرين هم أئمة الإمامية قبل المفيد والطوسي والموسوي والكراجكي ، وقد تقدم أن هذا قول قدماء الإمامية فإن قول المعتزلة إنما حدث فيهم متأخرا وحينئذ فليست الإمامية كلها على ما ذكرته ، ثم إن كان ما ذكرته هو الصواب فشيوخ الإمامية المتقدمون على غير الصواب وإن كان خطأ فشيوخهم المتأخرون على هذا الخطأ فقد لزم بالضرورة أن شيوخ الإمامية ضلوا في التوحيد إما متقدموهم وإما متأخروهم "[٤] .

---

(١) أي التجسيم

(٢) المصدر السابق ص ٣٦-٣٧

(٣) منهاج السنة النبوية (١ / ٧٣) وفي كتاب التربيع والتدوير له في ص (٩٧) يدعوا إلى ترك التشيع واعتناق الاعتزال فيقول :"فالزم نفسك قرآءة كتبي ولزوم بابي وابتدئ بنفي التشبيه والقول بالبداء واستبدال بالرفض الاعتزال " ا٠هـ

(٤) منهاج السنة النبوية (٢/٢٣٢-٢٣٤)

ويقول أيضا :" قدماء الرافضة مجسمة بل غلاة في التجسيم ومتأخروهم معطلة يوافقون المعتزلة وغيرهم"[1] وقد بين أبو الحسن الأشعري أن متأخري الرافضة قالوا بقول المعتزلة بينما كان متقدموهم على التشبيه[2] ، وذكر ابن حزم أن أول من قال في الإسلام إن الله جسم هو هشام بن الحكم الرافضي[3]. وفي المقابل نجد أن أول من قال إن الله ليس بجسم هم الجهمية والمعتزلة[4].

ويقول ابن المرتضى في هذا الصدد :" فأما التشبيه فسببه تصور العامة للصانع مع دسيس من الملحدة ووضع أخبار في ذلك .. ثم حدث في المشبهة من زعم أن الله تعالى جسم كهشام بن الحكم وهشام الجواليقي وجل الروافض إلا من اختلط منهم بالمعتزلة كأبي الأحوص. وأول من تجاسر على إظهار هذا القول هشام ابن الحكم وكان متهما في دينه. ومجموع قوله في التجسيم وحدوث العلم والجبر والبداء والرجعة والطعن في الصحابة يدل على أن الرجل لم يكن يرجع إلى دين. وروي أنه اجتمع مع أبي الهذيل فقال في ساعة واحدة في ربه ثلاثة أقاويل "[5].

هذا هو حال عامة الشيعة الإمامية في القرون الثلاثة الأولى إلا النفر اليسير الذين خالطوا المعتزلة و تأثروا بهم ، وإذا نظرنا إلى هذه الحقبة وجدناها حقبة حرب و عداء سافر بين المعتزلة والإمامية فالمهدى العباسي يشجع المعتزلة للرد على الرافضة وأمثالهم من أهل الإلحاد. يقول د / نيبرج : " فإذا شئت البرهان على ذلك فانظر إلى مجالس أبى الهذيل مع هشام بن الحكم و مجادلات النظام مع رافضة عصره و المناظرات بين السكاك الرافضى وبين الإسكافى و جعفر ابن حرب في البصرة وإلى ما عمله الجاحظ حين سل صارمه عليهم .. ولم تقتصر المعتزلة على الرافضة بل دعاهم الحال و ما وجدوا الرافضة عليه من الصلة

---

(1) المصدر السابق (٢/ ٢٤٣، ٢٢٠)

(2) مقالات الإسلاميين (١٠٩/١)

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٠/٥) ، منهاج السنة النبوية (٢٢٠/٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٨٥-٨٦

(4) منهاج السنة النبوية (٢٢٠/٢)

(5) المنية والأمل ص ٨٧ . وأيضا أثبت ذلك جمع من العلماء والمؤرخين منهم الشهر ستاني في الملل والنحل (١٧٦/١) والأشعري في مقالات الإسلاميين (١٠٩/١) والبغدادي في الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ والرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨١-٨٢ والحميري في الحور العين ص ٢٠١ والمقبلي في العلم الشامخ ص ٢٨١ ، ٣٥٧ وغيرهم .

بالثنوية إلى أن يحولوا الحرب إلى مخالفيهم"[١]. ومن صور هذا التنافر ما جاء في تاريخ مرو لأحمد بن سيار من أن عبد السلام بن صالح أبا الصلت الهروي الرافضي كان يرد على المرجئة والجهمية والقدرية و قد جمع المأمون بينه و بين بشر المريسي في مناظرة كلامية غير مرة ويكون الظفر فيها لهذا الرافضي و يتكرر نفس الحال مع غير بشر من أهل الكلام[٢]. وإذا ما اتجهنا إلى الكتب المؤلفة في هذه الفترة وجدنا أنها تمثل الردود المتكررة بين كلا الفرقتين فشيطان الطاق محمد بن على بن النعمان ألف كتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضول[٣]. وأبو محمد هشام بن الحكم الشيباني الرافضي له كتاب الرد على من قال بإمامة المفضول وكتاب الرد على المعتزلة فى طلحة و الزبير[٤]. وابن الراوندي حيث وضع للرافضة كتاب الإمامة و تقرب إليهم بالطعن في المعتزلة[٥]. وقد وضع الجاحظ كتاب فضيلة المعتزلة ليرفع ذكر المعتزلة و يطعن في الرافضة. يقول نيبرج :" إن الغرض الذي رمى إليه الجاحظ بتأليفه لم يكن الثناء على المعتزلة وعد فضائلها فقط بل قصد أيضا إلى الرد على الرافضة والطعن فيهم ووصف فضائحهم كما هو مبين من جدول أبواب الكتاب الذي نقله الخياط في الانتصار.. في ضمن كلام ابن الراوندي و كما يلوح .. في المناقشة بين الخياط وابن الراوندي[٦] ". ولما كان الجاحظ كاتبا ، أديبا قوى الحجة متين الأسلوب فلا بد أن يكون كتابه قد استلفت أنظار الناس و ترك فيهم أثرا كبيرا ، لذلك هب الرافضة يردون عليه ويفندون ما جاء فيه ويطعنون في الاعتزال و كان أهم تلك الردود كتاب فضيحة المعتزلة لابن الراوندي الذي أصبح من أنصار الرفض[٧].

---

(١) مقدمة كتاب الانتصار ص ٥٦ – ٥٧

(٢) ميزان الاعتدال (٢/٦١٦)

(٣) الفهرست ص٢٥٠ ، لسان الميزان (٥/٣٠٠)

(٤) الفهرست ص ٢٤٩-٢٥٠ لسان الميزان (٦/١٩٤) منها ج السنة النبوية (١/٧٢ – ٧٣) ، (٢/٢٢٠)

(٥) المعتزلة لزهدى جار الله ص١٩٨

(٦) مقدمة الانتصار ص٢٣-٢٤

(٧) المعتزلة لزهدى جار الله ص١٩٩

ويرى أبو الحسين الخياط أن ابن الراوندي و ضع كتابه هذا و شتم فيه المعتزلة للانتقام منهم والثأر لشيوخ الرافضة الذين قطعهم علماء المعتزلة[1]. ومن ثم قام الخياط بالدفاع و الثأر للمعتزلة فوضع كتاب " الانتصار و الرد على ابن الراوندي الملحد " الذي رد فيه تهم ابن الراوندي وانتصر للمعتزلة وأظهر فضلهم في الدفاع عن الدين ضد المخالفين و حمايتهم لمبدأ التوحيد[2]. ومع كون الخياط أحد أئمة مدرسة بغداد المعتزلية المتشيعة إلا أن من يقرا كتابه الانتصار سيقف على حقيقة هامة ، وهى أن اللقاء بين المعتزلة والشيعة الرافضة يكاد يكون مستحيلا لا يمكن حصوله ، فعندما اتهم الجاحظ الرافضة في كتابه فضيلة المعتزلة بأنهم يقولون: إن الله صورة و أنكر ذلك ابن الراوندي في كتابه فضيحة المعتزلة رد عليه الخياط ردا مؤلما بقوله :" إنك لتضر الرافضة بنفيك عنها قولا هو عندهم التوحيد الصحيح و لهى أشد عليك في نفيك عنها القول بأن الله صورة من المعتزلة. وبعد فهل على الأرض رافضي إلا وهو يقول : إن الله صورة ويروي في ذلك الروايات و يحتج فيه بالأحاديث عن أئمتهم إلا من صحب المعتزلة منهم قديما فقال بالتوحيد فنفته الرافضة عنها و لم تقربه[3] "، فالخياط هنا يتهم الرافضة بأنهم مشبهة مجسمة عدا من صحب المعتزلة واتبع مقالتهم فى التوحيد فلم ترض عنه الرافضة واستبعدته من صفوفها. كما يتهمهم أيضا بالخروج عن الملة الإسلامية بسبب قولهم بالرجعة فيقول :" والأمة كلها إلا أهل الإمامة تنكر القول بالرجعة وتدفعها وتكفر قائلها و تخرجه من الإسلام و لعلم الرافضة بخروجها من الإسلام عند الأمة في قولها بالرجعة قد تواصوا بكتمانها وألا يذكروها في مجالسهم و لا فى كتبهم إلا فيما قد أسروه من الكتب و لم يظهروه[4] ". ويضيف إلى ما سبق أنهم لا يؤمنون بالقدر بالمعنى الذي يعتقده المعتزلة لأنهم يقولون إن الكافر كفر

[1] الانتصار ص ٢١٧ ، ٣١ ، ٦٢ ، ٢٠٦ ، ٢١٢ ، ٢١٤

[2] الانتصار ص ٢٤٤

[3] المصدر السابق ص ٢١٤

[4] المصدر السابق ص ١٩٨ ، ١٨٨ وهذا أيضا قريب من حكم أبي علي الجبائي على معظم الشيعة بالكفر. أنظر المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٠/١/٣٦-٣٧)

لعلة و أن الله يشاء كل فاحشة ويريد كل معصية[1]. وقال بأن غلوهم في أوصاف الإمام يشبه غلو النصارى في المسيح عليه الصلاة و السلام[2]. إن ما ورد في رد الخياط على الشيعة الإمامية يؤكد أن الاعتزال والتشيع لا يمكن أن يجتمعا لأن أصولهما منبتة تماما ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن الخياط ينتمي إلى مدرسة بغداد المعروفة بميولها الشيعية تأكد صدق ما ذهبت إليه من كون اللقاء و التآخي بين المعتزلة والشيعة الإمامية يعد أمرا مستحيلا على المستوى العام. وأما على المستوى الفردي فقد وردت حالات قليلة هي بالنسبة للاتجاه الشيعي العام تعد شاذة وغير مقبولة بينهم وتمثل الموقف الرسمي منها في النفي والطرد غير أنه ومع كل هذا التناقض الصارخ في أصول المذهبين و الذي قرره أحد أعلام المعتزلة (ابن الخياط) نجد أن هذا العداء وهذه الخصومة بين الفرقتين توشك أن تزول فعلا في أواخر القرن الثالث الهجري حيث يتأكد اللقاء و تتم المصالحة النهائية بينهما في بداية القرن الرابع الهجري في ظل دولة بنى بويه الشيعية[3].

*** ومما يدل على ذلك التشبيه والتجسيم هذه النماذج من علماء الشيعة الإمامية:**

إن هناك نماذج كثيرة من علماء الشيعة الإمامية خلال القرون الثلاثة الأولى تقرر أقوالهم التجسيم و التشبيه الغالي* الأمر الذي يتناقض تماما مع معتقدات الشيعة الإمامية عند اتصالهم بالمعتزلة في القرن الرابع الهجري وقد كان من هذه النماذج المجسمة :-

١-**هشام بن الحكم** الشيباني من كبار الرافضة و مشاهيرهم[4] وأول من عرف عنه في الإسلام أنه قال إن الله جسم [5]. زعم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه

(١) المصدر السابق ص ٣٧

(٢) المصدر السابق ص ١٦٦

(٣) التاريخ السياسي و الفكري ص ٩٥ و عن أسباب هذا التقارب و عوامله التي أدت إليه أنظر المبحث المتقدم في هذا الخصوص ص ٢٣٦-٢٤٩ .

* انظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٥٢٨/٢-٥٣٤)

(٤) لسان الميزان (١٩٤/٦)

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٠/٥) منهاج السنة النبوية (٧٢/١-٧٣) (٢١٧/٢،٢٢٠)

طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه ، وعرضه مثل عمقه ، ولم يثبت طولا غير الطويل ولا عرضا غير العريض وقال : ليس ذهابه في جهة الطول أزيد على ذهابه في جهة العرض وزعم أيضا أنه نور ساطع يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضة وكاللؤلؤة المستديرة من جميع جوانبها وزعم أيضا أنه ذو لون وطعم ورائحة ومجسة وأن لونه هو طعمه وطعمه هو رائحته ورائحته هو مجسته ولم يثبت لونا وطعما غير نفسه بل زعم أنه هو اللون وهو الطعم ثم قال : قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرك فحدث مكانه بحركته فصار فيه و مكانه هو العرش[١]. وحكى بعضهم عنه أنه قال في معبوده : إنه سبعة أشبار بشبر نفسه كأنه قاسه على الإنسان لأن كل إنسان في الغالب من العادة سبعة أشبار بشبر نفسه[٢] .

وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه أنه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس فسأله : أيهما أكبر معبوده أم هذا الجبل ؟ قال : فأشار إلى أن الجبل يوفي عليه تعالى وأن الجبل أعظم منه[٣] .

ونقل الجاحظ عن هشام أنه قال : إن الله عز وجل إنما يعلم ما تحت الثرى بالشعاع المتصل منه والذاهب في عمق الأرض ، وقالوا لولا مماسة شعاعه لما وراء الأجسام الساترة لما رأى ما وراءها ولا علمها[٤] .

وغلا في حق علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى قال : إنه إله واجب الطاعة[٥] . وذكر الأشعري عنه أنه قال في ربه في عام واحد خمسة أقاويل : زعم مرة أنه كالبلورة وزعم أنه كالسبيكة وزعم مرة أنه غير صورة وزعم مرة

---

[١] الفرق بين الفرق ص ٦٥ مقالات الإسلاميين (١/١٠٦،٢٨١) اعتقادات فرق المسلمين و المشركين ص٨٢ الملل والنحل(١/١٨٨)

[٢] الفرق بين الفرق ص٦٥ مقالات الإسلاميين (١/١٠٨،٢٨٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٣ الملل والنحل(١/١٨٨) لسان الميزان (٦/١٩٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/٤٠)

[٣] الفرق بين الفرق ص ٦٦ مقالات الإسلاميين (١/١٠٦-١٠٧ ، ٢٨١)

[٤] الفرق بين الفرق ص ٦٦-٦٧ مقالات الإسلاميين (١/١٠٧-١٠٨)

[٥] الملل والنحل (١ / ١٨٩)

أنه – بشبر نفسه – سبعة أشبار ثم رجع عن ذلك وقال هو جسم كالأجسام[١] وزعم أن علم الله تعالى محدث[٢].

وذكر ابن المرتضى عنه التشبيه والتجسيم ثم قال عنه :" كان متهما في دينه ومجموع قوله في التجسيم وحدوث العلم والجبر والبداء والرجعة والطعن في الصحابة يدل على أن الرجل لم يكن يرجع إلى دين"[٣] .

وقال ابن قتيبة : إنه كان من الرافضة الغلاة ويقول بالجبر الشديد ويبالغ في ذلك[٤]. وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه من المشبهة المجسمة[٥].

وجاء في أصول الكافي عن محمد بن الفرج الرخجي قال :" كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهاشمان"[٦].

وجاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له : إني أقول بقول هشام فقال الإمام – أبو الحسن علي بن محمد – : مالكم ولقول هشام إنه ليس منا من زعم أن الله جسم ، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة[٧].

٢- **هشام بن سالم الجواليقي** إمامي مشبه متكلم[٨] ، قال إن الله على صورة الإنسان وأنكر أن يكون لحما ودما. وإنه نور ساطع يتلألأ بياضا وإنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان سمعه غير بصره وكذلك سائر حواسه له يد ورجل وأذن وعين وأنف وفم وإن له وفرة سوداء وأن ذلك نور أسود[٩] ، وأنه تعالى على

---

(١) مقالات الإسلاميين (١ / ١٠٨) لعل الصواب " هو جسم لا كالأجسام " لأن هذا هو المشهور عنه .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/٤٠)

(٣) المنية والأمل ص ٨٧

(٤) مختلف الحديث ص ٣٥ لسان الميزان (٦/١٩٤)

(٥) منهاج السنة النبوية (٢/٢٣٣-٢٣٤) ، (٣/٥-٧)

(٦) أصول الكافي(١/١٠٥) التوحيد لابن بابويه ص٩٧

(٧) التوحيد لابن بابويه ص ١٠٤ ولمزيد التفصيل أنظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٢/٥٢٨- ٥٣٤)

(٨) أنظر الفهرست ص٢٥٢

(٩) مقالات الإسلاميين (١/١٠٩،٢٨٣) الفرق بين الفرق ص٦٩ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٣

صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت .. ولكن ليس بلحم ولا دم بل هو نور ساطع بياضا[1].

وقال إن إرادة الله حركة وهي معنى لا هي الله ولا غيره وإن الله تعالى إذا أراد شيئا تحرك فكان كما أراد[2]. وذكر عنه الخياط التشبيه والتجسيم وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وابن المرتضى وغيرهم[3] وفي كثير من كتب الشيعة القديمة والحديثة على حد سواء نصوص عديدة تحتوي على ما كان يقوله الجواليقي من التشبيه والتجسيم[4].

٣- **زرارة بن أعين الكوفي** قال إن الله عز وجل لم يكن حيا ولا قادرا ولا سميعا ولا بصيرا ولا عالما ولا مريدا حتى خلق لنفسه حياة وقدرة وعلما وإرادة وسمعا وبصرا فصار بعد أن خلق لنفسه هذه الصفات حيا قادرا عالما مريدا سميعا بصيرا[5] ، وجرى على قياس قوله قوم من بصرية القدرية فقالوا كلام الله مخلوق له وإرادته مخلوقة له وزاد عليه الكرامية فقالوا إن إرادته وإدراكاته حادثة[6].

وقد ذكره في عداد المشبهة والمجسمة جمع من العلماء والمؤرخين منهم البغدادي والإسفراييني والمقريزي وابن تيمية وغيرهم[7].

٤- **داوود الجواربي** : قال إن الله جسم وأنه جثه على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم ، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان ورأس وعينين وهو - مع هذا - لا يشبه غيره ولا يشبهه[8]. وقال أعفوني عن الفرج واللحية واسألوني

---

(1) الملل و النحل (١٨٨/١) الفرق بين الفرق ص٦٩

(2) الفرق بين الفرق ص٦٩

(3) الانتصار ص٣٦ -٣٧ منهاج السنة النبوية (٢٣٣/٢-٢٣٤) ، (٥/٣-٧) ، المنية والأمل ص ٨٧

(4) أصول الكافي (١٠٥/١) التوحيد لابن بابويه ص ٩٧ ، ١٠٤ ، بحار الأنوار (٢٨٨/٣) أمالي الصدوق ص ٤٣٢-٤٣٣

(5) الفرق بين الفرق ص٧٠،٢٣٠ مقالات الإسلاميين (١١١/١) التبصير في الدين ص٤٠ الملل و النحل (١٨٩/١-١٩٠) منهاج السنة النبوية (٢٣٥/٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣٥٣/٢)

(6) التبصير في الدين ص٤٠

(7) الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ ، ٢٣٠ التبصير في الدين ص ١٢١ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣٤٩/٢) منهاج السنة النبوية (٢٣٢/٢)

(8) مقالات الإسلاميين (٢٨٣/١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٠/٥)

عما وراء ذلك[1] ، وقال عن الله : هو أجوف من أعلاه إلى صدره مصمت ما سوى ذلك وأن له وفرة سوداء وله شعر قطط[2].

وقد ذكر السمعاني أنه أخذ قوله ان معبوده له جميع أعضاء الإنسان إلا الفرج واللحية عن هشام بن سالم الجواليقي[3] كما نسبه إلى التشبيه الخياط المعتزلي[4].

٥- **أبو جعفر محمد بن علي بن النعمان** البجلي الكوفي الملقب بشيطان الطاق. قال إن الله تعالى لا يعلم شيئا حتى يكون والتقدير عنده الإرادة والإرادة فعله تعالى أي أن الله إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها ولا يكون قبل تقديره الأشياء عالما بها وإلا لما صح تكليف العباد[5] وقال إن الله تعالى نور على صورة إنسان ويأبى أن يكون جسما[6]، وقال إن الله تعالى لا يعلم الشر قبل أن يكون كما كان يقوله هشام بن الحكم وقد كان يوافق هشاما الجواليقى في كثير من بدعه[7]، ونقل الرازي عن أتباعه الشيطانية أنهم يزعمون أن الباري تعالى مستقر على العرش والملائكة يحملون العرش وهم وإن كانوا ضعفاء بالنسبة إلى الله تعالى لكن الضعيف قد يحمل القوي كرجل الديك التي مع دقتها تحمل جثة الديك[8]. وقد ذكر الخياط عنه التجسيم والتشبيه[9].

٦- **علي بن إسماعيل بن ميثم العوفي التمار** مجسم مشبه[10] وأول من تكلم في مذهب الإمامة[11]. ومما يدل على تجسيمه وتشبيهه ما رواه ابن بابوية عن إبراهيم ابن محمد الخراز ومحمد بن الحسين قالا : دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه

---

(1) الملل و النحل (٩٣/١ ، ١٩١) الفرق بين الفرق ص٢٢٨ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٨٤ التبصير فى الدين ص١٢٠

(2) الملل والنحل (٩٤/١) مقالات الإسلاميين(٢٨٣/١، ٢٣٣)

(3) الأنساب (٤١٤/١٣)

(4) الانتصار ص ١١٨

(5) الملل و النحل (١٩٠/١) الفرق بين الفرق ص٧١

(6) الملل و النحل (١٩٠/١)

(7) التبصير في الدين ص٤١

(8) اعتقادات فرق المسلمين و المشركين ص٨٣-٨٤

(9) الانتصار ص٣٦-٣٧

(10) الانتصار ص ٣٦-٣٧ ، منهاج السنة النبوية (٢٣٣/٢-٢٣٤)

(11) لسان الميزان (٢٦٥/٤) الفهرست ص ٢٤٩

السلام فحكينا له ما روي أن محمدا رأى ربه في هيئة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضره وقلنا : إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي - على بن إسماعيل بن ميثم - يقولون إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد فخر ساجدا ثم قال : سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك[1] وقد وافق هشاما الجواليقي وهشام ابن الحكم على أن إرادة الله تعالى حركة غير أنه إن إرادة الله غيره[2] بها يتحرك[3].

٧- **يونس بن عبد الرحمن القمي** مشبه غال في التشبيه[4] قال وأتباعه : إن الحملة يحملون الباري واحتج في أن الحملة تطيق حمله وشبههم بالكركي وأن رجليه تحملانه وهما دقيقتان[5].

قال البغدادي : وأفرط يونس في باب التشبيه فزعم الله عز وجل يحمله حملة عرشه وهو أقوى منهم كما أن الكركي يحمله رجلاه وهو أقوى من رجليه واستدل على أنه محمول بقوله تعالى :" ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية[6] " وقال أصحابنا : الآية دالة على أن العرش هو المحمول دون الرب تعالى[7].

هذا وهناك الكثير من الشيعة الإمامية الذين عرفوا بالتشبيه والتجسيم أمثال علي ابن منصور والسكاك محمد بن الجليل والضحاك أبي مالك الحضرمي وغيرهم[8] من متقدمي الشيعة الإمامية في هذه الفترة إذ كلهم يقول بالتشبيه والتجسيم إلا من صحب المعتزلة منهم وهم أقل من القليل[9]. ولكن ومع وضوح هذا الاتجاه التجسيمي التشبيهي لدى المتقدمين من الشيعة الإمامية إلا أننا نجد متأخري

---

(1) التوحيد ص ١١٣-١١٤ أصول الكافي (١/١٠١- ١٠٢)

(2) الفرق بين الفرق ص ٦٩

(3) مقالات الإسلاميين (١/١١٥)

(4) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٢/٣٥٣) التبصير في الدين ص ٤٠ الملل والنحل (١/١٩٢)

(5) منهاج السنة النبوية (٢/٢٣٥) مقالات الإسلاميين (١/١١٠) الفرق بين الفرق ص٧٠ المنية والأمل ص ٣٠

(6) الحاقة آية ١٧

(7) الفرق بين الفرق ص ٧١ ، ٢٢٨ الملل و النحل (١/١٩٢)

(8) الانتصار ص ٣٦-٣٧ منهاج السنة النبوية (٢/٢٣٢-٢٣٤)

(9) منهاج السنة النبوية (٢/٢٣٣-٢٣٤ ، ٢٤٣) (٣/٥-٧) الانتصار (٣٦-٣٧،٢١٤) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢١ المنية والأمل ص ١٩

الإمامية الإثني عشرية يدافعون عن هذا الاتجاه و رؤوسه الذين استفاض خـبرهم واستطار شرهم و يتكلفون تأويل كل قول منسوب إليهم أو تكذيبـه حتـى قـال المجلسي "ولعل المخالفين نسـبوا إليهمـا[1] هـذين القـولين[2] معـانـدة "[3].

وهذا الإنكار من بعض الإمامية لما نسب إلى شيوخهم الأوليـن مـن التجسـيم و التشبيه ليس بمستغرب فقد عهد منهم التكذيب بالحقـائق الواضحـة والتصديـق بالأكاذيب الملفقة الظاهرة لأنهم أكذب الطوائف على الإطلاق[4] ، فإن قيـل إن ما ينسب إلى هشام بن الحكم والجواليقي ويونس وغيرهم من الشيعة الإمامية إنما هو من نقل الخصوم عنهم فلا حجة فيه. فالجواب أن النقول عـن هـؤلاء الإماميـة المجسمة قد استفاضت ونقلها أصحاب المقالات على اختلاف مذاهبهم وهم أصدق من الرافضة مقالا وأوثق نقلا وأصح عقلا وهي تثبت أن الرافضة هم الأصل في إدخال هذه البدعة على المسلمين[5]. غير أن القول بأن هذه النسبة إلـى متقدمـي الشيعة الإمامية إنما جاءت من الخصوم ولا شاهد عليها من كتـب الإماميـة قـد يصدقه بعض من لا علم له ولا اطلاع نتيجة ما قد يصـل إلى سـمعه من إنكـار المنكـرين من الإماميـة لـذلـك . ولو رجع إلى مصادرهم وكتبـهم لوجدهـا طافحة بنسبة التجسيم والتشبيه إلى شيوخهم المتقـدمين فـقـد روى الكلينى فـي أصـول الكـافي[6] وابـن بابـويه في التـوحيـد[7] ، والمجلسـي فـي بحـار الأنوار[8] عن سهل قال :" كتبت إلى أبى محمد سنة ٢٥٥ هـ قد اختلف يا سـيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول : هو جسم ، ومنهم من يقول هو صورة فـإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطـولا علـى

---

[1] يعنى هشام بن الحكم و هشام الجواليقى

[2] أي القول بالجسم و الصورة

[3] بحار الأنوار (٢٨٨/٣) و انظر دفاعه عن هؤلاء المجسمة في بحار الأنوار (٢٩٠/٣-٢٩٢)

[4] منهاج السنة النبوية (٨/١)

[5] أصول مذهب الشيعة الإماميه الإثني عشرية (٥٣١/٢-٥٣٢)

[6] أصول الكافى (١٠٣/١-١٠٤)

[7] التوحيد ص١٠١-١٠٢

[8] بحار الأنوار (٢٦١/٣)

عبدك. فوقع بخطه : سألت عن التوحيد و هذا عنكم معزول. الله واحد أحد لم يلد و لم يولد ولم يكن له كفوا أحد خالق وليس بمخلوق ، يخلق تبارك و تعالى ما يشاء من الأجسام و غير ذلك وليس بجسم ويصور ما يشاء وليس بصورة جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتعالى عن أن يكون له شبيه ، هو لا غيره ، ليس كمثله شئ و هو السميع البصير ". وجاء أيضا في أصول الكافي[1]. عن أبى عبد الله عن محمد بن إسماعيل عن الحسين بن الحسين عن بكر بن صالح عن الحسن بن سعيد عن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين قالا :" دخلنا على أبى الحسن الرضا فحكينا له أن محمدا رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة و قلنا :إن هشام بن سالم و صاحب الطاق والميثمي – أي علي ابن إسماعيل بن ميثم _ يقولون إنه أجوف إلى السرة و البقية صمد فخر ساجدا لله ثم قال : سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك ولا أشبهك بخلقك أنت أهل لكل خير فلا تجعلني من القوم الظالمين ... ". وروى كذلك عن علي بن محمد بن الفرج الرخجي قال: " كتبت إلى أبى الحسن أساله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب : دع عنك حيرة الحيران و استعذ بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهشامان"[2].

إن هذه النقول من كتب الشيعة الإمامية ـ وغيرها كثير – لتدل دلالة واضحة على أن كبار متكلميهم المتقدمين قد غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه ووقعوا في الكفر الصراح لأن اعتقادهم هذا هو تكذيب لقوله تعالى " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"[3].

---

(1) أصول الكافي(١/١٠٠-١٠١)

(2) أصول الكافي (١/١٠٥) وانظر (١/١٠٢-١٠٤) من الكتاب نفسه

(3) الشورى آية ١١

وقد عطلوا صفاته اللائقة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه و إمامهم – فيما سبق –كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال و يأمرهم بالالتزام في وصف الله بما وصف به نفسه ورواياتهم في هذا الباب كثيرة[1]. وهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان اتجاه التجسيم الذي تزعمه هشام واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها[2].

المقصد الثاني: الشيعة الزيدية :-

تقدم أن زيد بن علي رحمه الله كان من التابعين وعلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، ولا شك أن أتباعه الأولين كانوا على نفس العقيدة التي كان عليها إمامهم زيد لأنهم عاصروه وكانت لهم علاقة بالحديث و التفسير و لم يؤثر عنهم آراء كلامية أو عقائد مخالفة لأهل السنة والجماعة ، وربما اشترك معه في الخروج من لم يكن كذلك كأبي الجارود الذي يعتنق آراء غالية. ثم بعد أن قتل زيد رحمه الله ما لبثت الزيدية بعده أن انقسمت إلى فرق عدة يجمعها قاعدة واحدة وهي أنها " ترى السيف والعرض على أئمة الجور وإزالة الظلم وإقامة الحق"[3]. وأن يخرج الإمام شاهرا سيفه منابذا للظلمة[4]. ولم يبق أتباعه متمسكين بما كان عليه وإنما انحرفوا عن آرائه ولم يبق للزيديين من بعد زيد إلا الاسم فقط إذ لا يوجد متابع لمذهب زيد الأول في الأصول والفروع أصلا[5] فالزيديون منسوبون إلى زيد بن علي و ليسوا متبعين له كما أن الباقرية نسبت إلى محمد الباقر وهو منها براء. كذلك الجعفرية نسبت إلى جعفر الصادق زورا وبهتانا لأن هؤلاء الأئمة الأعلام من آل

---

(1) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٥٣٤/٢) ولمعرفة المزيد من الشواهد أنظر التوحيد لابن بابويه ص٩٧ـ١٠٤ أصول الكافي (١٠٤/١ـ١٠٦) بحار الأنوار (٢٨٨/٣وما بعدها) مجالس الموحدين في أصول الدين للطبطبائي ص٢٣

(2) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية (٥٣٤/٢)

(3) مقالات الإسلاميين (١٥٠/١)

(4) معتزلة اليمين دولة الهادي وفكره ص١٩

(5) تاريخ المذاهب الدينية ص٢٢٠

البيت هم على عقيدة أهل السنة والجماعة[1] ، ومن سلف هذه الأمة وإنما ابتلي أهل البيت بأناس يدعون محبتهم وهم في الحقيقة كاذبون في ادعائهم هذا إذ لو كانوا صادقين لتبعوهم في آرائهم لأن دعوى الحب والاتباع والانتساب من غير ما عمل وفعل يصدقان هذه الدعاوى لا يكفي فأهل السنة والجماعة هم أسعد الناس بآل البيت الأطهار رضي الله عنهم[2]. يقول صاحب التحفة الاثنى عشرية :" واعلم أن جميع فرق الشيعة يدعون أخذ علومهم من أهل البيت و تنسب كل فرقة إلى إمام أو ابن إمام و يروون عنهم أصول مذهبهم و فروعه ومع ذلك يكذب بعضهم بعضا و يضلل أحدهم الآخر مع ما بينهم من التناقض في الاعتقادات ولاسيما الإمامة فذلك أوضح دليل وأقوى برهان على كذب تلك الفرق كلها"[3]. والواقع أن الزيدية قد اعتنقت آراء وأفكار المعتزلة اعتناقا كاملا وأن أصحاب زيد الذين جاءوا بعده أصبحوا معتزلة .

يقول الشهر ستانى :" وصارت أصحابه كلها معتزلة[4] ". ولا يمكن أن يقال إن هذه العلاقة بين المعتزلة و الزيدية بدأت بواسطة الإمام زيد لما تقدم من أسباب تنفى ذلك وإنما حصل هذا التحول لدى الزيدية في وقت لاحق لأن الهادي يحيى بن الحسين وهو من أهم أئمة الزيدية (توفي سنة ٢٩٨هـ) يدخل المعتزلة في عداد الفرق الهالكة أي أنه يكفرهم ، وهذا أمر لم يستطع ابن المرتضى فهمه إذ كيف يكفر الهادي المعتزلة بينما ابن المرتضى يرى أن عليا – رضي الله عنه – ناهيك عن زيد بن على – ومعه بقية الخلفاء الراشدين و كبار الصحابة – رضي الله عنهم – وآل البيت هم الذين أرسوا أساس المعتزلة وما المعتزلة إلا نبت من زرعهم ، لذلك يحاول مناقشة الهادي و البحث عن مخارج تفسر كلام الهادي على نحو يتناسب و القول بأن الزيدية هم المعتزلة منذ على بن أبى طالب[5]. وأما قول

(1) أنظر ص ٢٦٢-٢٧٠ من هذه الرسالة
(2) الإمام زيد بن علي المفترى عليه ص ٢٤٣
(3) مختصر التحفة الإثنى عشرية ص٦٥
(4) الملل و النحل (١٥٤/١) وانظر (٢٢/١)
(5) معتزلة اليمن دولة الهادي و فكرة ص٣٠

الشهر ستانى أن أصحاب زيد صاروا كلهم معتزلة فقد ينطبق على فترة لاحقة وليس على أصحابه الذين عاصروه أو أتوا بعده مباشرة وإنما بعده بمدة وذلك لأن الفرق الزيدية الأولى كانت ذات علاقة بالحديث والتفسير ولم يؤثر عنها آراء كلامية باستثناء الجارودية أتباع أبى الجارود فإنه رافضي منذ زيد بن علي وباستثناء الجريرية التي تعد فرقة متأخرة و ليست معاصرة لزيد رغم أنها و البترية كانتا قبل نهاية القرن الثاني الهجري خلافا لسائر الفرق التي حدثت فيما بعد القرن الثاني وخالفت زيد بن علي في أصوله وفروعه كل المخالفة ولم يوافقوه إلا في النزر اليسير[1]. وأبو الحسن الأشعري يورد آراء كلامية لسليمان ابن جرير مؤسس الفرقة الجريرية والذي امتد عمره إلى أيام الهادي يحيى بن الحسين حفيد الإمام الرسي (توفي سنة ٢٤٦هـ) فيكون سليمان هذا قد عاصر كبار شيوخ الاعتزال أمثال العلاف والنظام وأبي موسى المردار و عباد و بشر ابن المعتمر بل يذكر الشهر ستانى أن بعضا من معتزلة بغداد منهم جعفر بن مبشر و جعفر بن حرب قد تابعا سليمان بن جرير على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل[2]، فيقول الأشعري عن هذه الآراء الكلامية :" وقرأت في كتاب لسليمان بن جرير أن الاستطاعة بعض المستطيع وأن الاستطاعة مجاورة له ممازجة كممازجة الدهنين[3] ". وذكر أن الجريرية يزعمون أن الباري عالم بعلم لا هو هو ولا غيره وأن علمه شيء ، قادر بقدرة لا هي هو ولا غيره وأن قدرته شيء وكذلك قولهم في سائر صفات النفس كالحياة والسمع والبصر وسائر صفات الذات ولا يقولون : " إن الصفات أشياء ويقولون : وجه الله هو الله .. "[4] .

وقال نشوان الحميرى :" قال سليمان بن جرير الرقي من الزيدية بنفي التشبيه إلا أنه زعم أن الله عالم شئ لا هو هو ولا هو غيره و إنه وعلمه قائم معه ، قال :

---

[1] المصدر السابق ص٣٠ تاريخ المذاهب الدينية ص٢٢٠

[2] الملل و النحل (١٥٩/١-١٦٠)

[3] مقالات الإسلاميين (١ / ١٤٨)

[4] المصدر السابق (١٤٦/١)

ولا يجوز أن يكون عالم بغير علم – وفى هذا رد على عباد بــن سـليمان مــن المعتزلة الذي يقول : إن الله عالم بغير علم – ولا يجوز أن يكون الشــيء علــم نفسه – وفى هذا رد على أبي الهذيل العلاف الذي يقول : إن الله عالم بعلم هو هو – ولا يجوز أن يكون علم الله غيره لأنه لو كان غيره لكان عالما بغــيره ووقــع التغاير بينهما "[1].

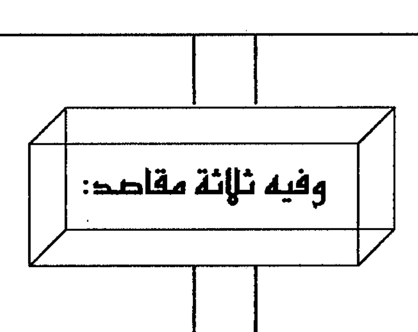
ومع أن الأشعري يورد آراء كلامية أخرى للزيدية إلا أنها تبدو مــن مجــادلات متأخري الزيدية الأمر الذي لا نستطيع بواسطته معرفة البداية لتلاقي وتواصل كل من المعتزلة والزيدية رغم أنها تبدوا واضحة في فترة لاحقة كما في القاسم الرسي والهادي يحيى بن الحسين حفيده وغيرهما ولكن ومع هــذه الصعوبــة إلا أننــي توصلت إلى أن الصلة بينهما حصلت بعد وفاة زيد بن علي (توفي سنة ١٢٢هــ) بمدة في أواخر أيام واصل بن عطاء (توفي سنة ١٣١هــ) وعمرو بــن عبيــد (توفي سنة ١٤٤هــ) أي في الربع الثاني من القرن الثاني الهجري ، وأمــا قبــل ذلك فإن عقيدة زيد بن علي وأصحابه الذين كانوا معه هي عقيــدة أهــل الســنة والجماعة وأما بعد حصول الصلة بين الزيدية والمعتزلة فإن الأمر قد تغير إذ خلع الزيديون عقيدة إمامهم زيد ولبسوا الاعتزال شيئا فشيئا إلى أن جاء اليــوم الــذي صار فيه من الصعب التفريق بين الزيدي والمعتزلي .

---

(1) الحور العين ص ٢٠٠

المطلب الثاني:

نماذج من علماء الشيعة والمعتزلة لبيان ثبوت الصلة العقدية بينهما.



المقصد الأول : نماذج من علماء الشيعة الزيدية.

المقصد الثاني : نماذج من علماء الشيعة الإمامية الإثنى عشرية.

المقصد الثالث : نماذج من علماء المعتزلة.

المطلب الثاني :

نماذج من علماء الشيعة والمعتزلة لبيان ثبوت الصلة العقدية بينهما.

المقصد الأول : نماذج من علماء الشيعة الزيدية .

١ــ القاسم الرسي (١٦٩هــ - ٢٤٩هــ)

يعد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب من أهم الشخصيات الزيدية التي بدأت بإحكام العلاقة بين الزيدية والمعتزلة كما أنه يعد الأساس لفرع من الزيدية أسس لنفسه قاعدة في اليمن استمر تأثيرها إلى ما يزيد عن ألف سنة. هذا وإن أول أثر معتزلي نعثر عليه في أعمال وصلتنا لإمام من أئمة الزيدية هو ما نجده في أعمال هذا الإمام الزيدي. وتكتسب أفكاره أهمية كبيرة لا لأنها أول دليل بين أيدينا عن التلاقي بين الزيدية والمعتزلة فحسب بل لأنها إلى جانب ذلك توثيق للفكر المعتزلي نفسه[١]. والمعتزلة قد تكلم كثير منهم في الأصول الخمسة وأولهم أبو الهذيل العلاف (ت ٢٣٥هــ) أي أنه أول من كتب فيها[٢]. وإن كان واصل بن عطاء أول من قعد لهذه الأصول[٣] .

ثم تتابعت المؤلفات في هذه الأصول الخمسة من قبل المعتزلة سواء تحت هذا العنوان كما فعل القاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤١٥هــ)[٤] أو غيره كما نجده لدى ابن الملاحمي في الفائق في أصول الدين ، وأبي رشيد النيسابوري في ديوان الأصول[٥] وكلاهما من الطبقة الثانية عشرة من طبقات المعتزلة[٦].

وأما بالنسبة للزيدية فنجد أن أول من قال منهم بالأصول الخمسة هو القاسم الرسي وليس ثمة اختلاف بين أصول المعتزلة وأصول الرسي سوى إبداله بالمنزلة بين

---

(١) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ٣٣

(٢) قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد .د/ عبد الكريم عثمان ص١٢٩

(٣) المصدر السابق ص ١٢٩

(٤) مطبوع بتعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم وتحقيق : د/عبد الكريم عثمان . الناشر مكتبة وهبة وله أيضا طبعة أخرى بتحقيق د/ فيصل بدير عون . مطبوعات جامعة الكويت

(٥) الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص ٦٩

(٦) المنية والأمل ص١٩٧ - ٢٠٠

المنزلتين الكتاب والسنة وهو أيضا يورد هذا الأصل ضمن كتاب العدل والتوحيد الذي يتحدث فيه على طريقة المعتزلة[1] .

ومما يؤكد تأثره بالمعتزلة أن رسائله تتطابق حتى في عناوينها مع فكر المعتزلة فله مثلا إضافة إلى كتاب الأصول الخمسة كتاب في أصول العدل والتوحيد وكتاب العدل والتوحيد ونفي التشبيه عن الواحد الحميد وكتاب الرد على المجبرة في التوحيد .. كما نجد منهجه يتفق مع منهج المعتزلة القائم على التأويل[2] .

وفيما يلي نماذج من عقائده التي توضح تأثره بالاعتزال :-

١- **منزلة العقل عنده :** يعتبر الرسي أن العقل هو الحجة الأولى وهو أصل لكل حجة أخرى لأنها لا تعرف إلا به وهو المرجع الأول في معرفة المعبود وإدراك مقاصده وأوامره ونواهيه ، ثم بين أن المعبود احتج على الناس بثلاث حجج أولاها العقل ، وثانيها الكتاب ، وثالثهما الرسول – صلى الله عليه وسلم – فجاءت حجة العقل بمعرفة المعبود وجاءت حجة الكتاب بمعرفة التعبد وجاءت حجة الرسول بمعرفة العباد ، والعقل أصل الحجتين الأخيرتين لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما[3] .

٢- **قوله إن** " من لم يعلم من دين الإسلام خمسة أصول فهو ضال جهول"[4] وهذه الأصول الخمسة هي :

أ) التوحيد – على التفسير المعتزلي – وينقسم عنده إلى ثلاثة أوجه :-

الأول : الفرق بين ذات الخالق وذات المخلوق حتى ينفي عنه جميع ما يتعلق بالمخلوقين في كل معنى من المعاني صغيرها وكبيرها وجليلها ودقيقها حتى لا يخطر في قلبك في التشبيه خاطر شك ولا توهم ولا ارتياب حتى توحد الله سبحانه

---

(1) رسائل العدل والتوحيد (١٢٣/١ – ١٤٢)

(2) دراسة عن الفرق ص٢٥٥

(3) رسائل العدل والتوحيد (٩٦/١)

(4) الأصول الخمسة مطبوع ضمن رسائل العدل والتوحيد (١٤٢/١)

باعتقادك وقولك وفعلك فإن خطرت على قلبك في التشبيه خاطرة شك فلم تنف عن قلبك بالتوحيد خاطرها وتمط باليقين البت والعلم المثبت حاضرها فقد خرجت من التوحيد إلى الشرك ومن اليقين إلى الشك لأنه ليس بين التوحيد والشرك وبين اليقين والشك منزلة ثالثة فمن خرج من التوحيد فإلى الشرك مخرجه ومن فارق اليقين ففي الشك موقعه .

الثاني : هو الفرق بين الصفتين حتى لا تصف القديم بصفة من صفات المحدثين .

الثالث : هو الفرق بين الفعلين حتى لا تشبه فعل القديم بفعل المخلوقين فمن شبه بين الصفتين ومثل بين الفعلين فقد جمع بين الذاتين وخرج إلى الشك والشرك بالله وبرئ من التوحيد والإيمان وصار حكمه في ذلك حكم من أشرك وامترى فشك[١].

ومن التوحيد عنده تأويل الآيات التي تدل على رؤية الله تعالى وتفسر النظر إلى وجه الله تعالى فيها كما في قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)[٢] بأنه يعني انتظار ثواب الله تعالى وكرامته ورحمته وما يأتيهم من خيره وفوائده[٣].

ومن التوحيد عنده أيضا تأويل الصفات الثابتة لله سبحانه وتعالى كاليد بالقدرة أو النعمة والوجه بالذات[٤] والمجيء بأنه مجيء الملائكة أو مجيء آيات الله تعالى من الزلازل والأهوال[٥] ، وفيما يتعلق بكلام الله جل وعلا فإنه يذهب في تفسيره مذهب المعتزلة إذ يقول إن الله أنشأ كلاما خلقه كما شاء فسمعه موسى صلى الله عليه وسلم وفهمه وكل مسموع من الله فهو مخلوق لأنه غير الخالق له[٦].

ب) **العدل** :- إن آراء القاسم الرسي في العدل مطابقة لآراء المعتزلة فهو يذهب إلى أن الله لم يقض أفعال الإنسان ولم يقدر ما يقع فيه من آثام بل إن

---

(١) رسائل العدل والتوحيد (١/٩٨-٩٩)

(٢) القيامة آية ٢٢

(٣) المصدر السابق (١/١٠٥)

(٤) المصدر السابق (١/١٠٧ – ١١٠)

(٥) المصدر السابق (١/١٠٨-١٠٩)

(٦) المصدر السابق (١/١٠٩)

قضاءه لها النهي عنها والحكم على أهلها بالعقوبة والنكال في الدنيا والآخرة إلا أن يتوبوا[1]، والقول عنده بأن الله عادل يقتضي القول بخلق الإنسان لأفعاله وحريته واختياره ونفي القضاء والقدر لأن الله لا يمكن أن يعاقب إنسانا على فعل قدره عليه ، إذ وفقا للقول بالقضاء والقدر – عنده – يصبح فعل المعاصي تعبدا وطاعة لله وتنفيذا لما قضاه وبهذا المعنى فإن فعل المعاصي لا يستحق العقاب بل الثواب والمكافأة بل يصبح عقاب الإنسان على فعل لم يقترفه ظلما ثم قال :" ولا نقول كما قال القدريون المفترون – يعني بهم من يؤمن بالقضاء والقدر – إن الله جل ثناؤه قدر المعاصي على عباده ليعملوا بها وأدخلهم فيها وأرادها منهم وقلبهم فيها كما تقلب الحجارة وشاءها لهم وقضاها عليهم حتى لا يقدرون على تركها"[2].

ثم يستدل على أن ما يحصل من العبد من طاعة ومعصية إنما هو من قبل الإنسان نفسه وأن الله لم يخلق ذلك بإقبال الله تبارك وتعالى عليهم بالموعظة والمدح والذم والمخاطبة والوعد والوعيد كما في قوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون)[3] وقوله (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر)[4] ، وأنه ولو كان هو الفاعل لأعمالهم ، الخالق لها لم يخاطبهم ولم يعظهم ولم يلمهم على ما كان منهم من تقصير ولم يمدحهم على ما كان منهم من جميل وحسن[5].

جـ) **الوعد والوعيد** :- وعن هذا الأصل يقول :" فكل من مات على معاصي الله مصرا غير تائب إلى الله فهو من أهل وعيد الله وعقابه وكل من أتى كبيرة من الكبائر أو ترك شيئا من الفروض المنصوصة على الاستحلال لذلك فهو كافر مرتد حكمه حكم المرتدين ومن فعل شيئا من ذلك اتباعا لهواه وإيثارا لشهواته كان فاسقا فاجرا ما أقام على خطيئته فإن مات عليها غير تائب منها كان من أهل النار

---

(1) المصدر السابق (١/١١١-١١٢)

(2) المصدر السابق ص ١١٧

(3) الانشقاق آية ٢٠

(4) النساء آية ٣٩

(5) رسائل العدل والتوحيد (١/١١٧-١١٨)

خالداً فيها وبئس المصير[1] ". " فلا يغتر مغتر ولا يتكل متكل على قول من يقول من الكاذبين على الله وعلى رسوله – صلوات الله عليه وعلى أهله – إن قوماً يخرجون من النار بعد ما يدخلونها يعذبون بقدر ذنوبهم هيهات ، أبى الله جل ثناؤه ذلك وذلك أن الآخرة دار جزاء والدنيا دار عمل وبلواء فمن خرج من دار البلوى إلى دار الجزاء على طاعة الله أو معصيته فهو صائر إلى ما أعد الله له خالداً فيها أبداً[2] ". ويقول :" الثالث من الأصول أن الله سبحانه صادق الوعد والوعيد يجزي بمثقال ذرة خيراً ويجزي بمثقال ذرة شراً من صيره إلى العذاب فهو فيه أبدا خالدا مخلدا كخلود من صيره إلى الثواب الذي لا ينفذ[3] .

د) ليس الأصل الرابع لدى القاسم الرسي هو المنزلة بين المنزلتين كما هو الحال لدى المعتزلة وإنما نجده يصوغ أصلا رابعا يحدده بقوله :" إن القرآن المجيد فصل محكم وصراط مستقيم لا خلاف فيه ولا اختلاف وأن سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى"[4].

وهو بهذا يضع أساسا منهجيا يستند إليه في جميع حججه ومجادلاته فيعد القرآن كله محكما بإعادة متشابهه إلى محكمه كما يعد القرآن مقياسا لتصديق السنة بعد أن اختلطت الأحاديث والروايات صحيحها بسقيمهما وكذب على النبي – صلى الله عليه وسلم – كثيرا مما يقتضي التقصي والتدقيق في معرفة الأسانيد والتحقق من صحة الأحاديث وعدمها[5] .

هـ) وهنا أيضا يستبدل القاسم الرسي بالأصل الخامس عند المعتزلة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصلا يصوغه بنفسه ويجعله مكانه حيث يقول: "والخامس من الأصول أن التقلب بالأموال والتجارات والمكاسب في وقت ما

---

(1) المصدر السابق (١/١٢٧-١٢٨)

(2) المصدر السابق (١/١٢٩)

(3) الأصول الخمسة مطبوع ضمن رسائل العدل والتوحيد (١/١٤٢)

(4) المصدر السابق (١/١٤٢)

(5) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص٣٧

تعطل فيه الأحكام وينتهب ما جعل الله للأرامل والأيتام والمكافيف والزمنا وسائر الضعفاء ليس من الحل والإطلاق كمثله في وقت ولاة العدل والإحسان والقائمين بحدود الرحمن"[1].

وأما الإمامة فلم يجعلها القاسم من الأصول الخمسة كما فعلت الزيدية فيما بعد ولا أدرجها في أصل " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " كما فعل القاضي عبد الجبار فيما بعد في كتابه " شرح الأصول الخمسة"[2] ، لأن القاسم لم يقل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند عرضه للأصول الخمسة. لكنه تحدث عن الإمامة في رسالتين منفصلتين إحداهما بعنوان تثبيت الإمامة والأخرى بعنوان الرد على الروافض وقد عد الإمامة فيهما من الفرائض وأؤكدها .. لأن جميع الفرائض لا تقوم إلا بها[3] .

وبعد هذا العرض لأراء القاسم الرسي فإنه يظهر لنا تأثره الواضح بالمعتزلة وإن كان لا يصرح بأنه أصبح معتزلياً رغم أنه كما مر يأخذ عن المعتزلة الموقف نفسه من العقل ومن التوحيد والعدل والوعد والوعيد وتسمية أصوله بالأصول الخمسة كما يفعل المعتزلة عدا بعض الأصول التي رفضها واستبدال بها أصولاً يصوغها بنفسه كما في الأصلين الرابع والخامس .

٢-الهادي يحيى بن الحسين ، (٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ)

إن سيرة الهادي " المتوفرة بأيدينا لا تلقى ضوءاً على نشأته و تعليمه و تكوينه والمؤثرات الثقافية التي احتك بها . ولكننا نستطيع أن نستنتج منها أنه نشأ في بيئة شيعية بدأ فيها الفكر الزيدي بالتلاقح مع الفكر المعتزلي وهى البيئة المحيطة بجده القاسم بن إبراهيم الرسي[4] "، ومع كون الهادي لم يلتق بالناصر الأطروش عند زيارته لطبرستان مع أبيه سنة ٢٧٠هـ إلا أنه من الممكن أن يكون قد التقى

---

[1] المصدر السابق (١ / ١٤٢)

[2] شرح الأصول الخمسة ص٧٤٩-٧٦٠

[3] أنظر تثبيت الإمامة بتحقيق صالح الورداني ص ٣٨ وما بعدها

[4] معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص٥٧

ببعض مفكري المعتزلة خلال رحلته سواء في طبرستان أم في الطريق إليها وناقشهم وتزود ببعض كتب المعتزلة لأنه كان حين وصل اليمن فيما بعد قد تكون ثقافيا وصاغ تصوراته الفكرية والسياسية[1]. وقد كان وصوله إلى اليمن ومجيئه إليه مرتين **المرة الأولى** : وهي الخروج الأول سنة ٢٨٠هـ ثم لما تبين له مخالفة الناس لأوامره انقلب عائدا إلى الحجاز بعد أن وصل إلى مشارف مدينة صنعاء ثم كاتبه أهل اليمن **مرة ثانية** فخرج إليهم الخروج الثاني سنة ٢٨٤هـ وبقي هناك ولما كانت سنة ٢٨٨هـ تمت البيعة له باليمن إماما للشيعة الزيدية واستمر على ذلك إلى أن مات سنة ٢٩٨هـ[2] ، وكانت دولته التي أنشأها باليمن دولة زيدية معتزلية لأنه كان في الأصول على مذهب شيخه أبي القاسم البلخي الكعبي المعتزلي حيث أخذ عليه الأصول وعلم الكلام ولذلك فإن أقواله في أصول الدين متابعة لشيخه البلخي في الغالب[3].

وقد أورد يحيى بن الحسين في كتابه الزهر وأعيان العصر تفصيلا لمذهبي القاسم الرسي وحفيده الإمام الهادي صرح فيه بأن هذا الأخير معتزلي الأصول[4]. كذلك النشار ذكر أن الهادي زيدي المذهب معتزلي العقيدة[5].

ومما يدل على اعتزاله أنه سلك طريقة المعتزلة في الأصول الخمسة غير أنه لم يذكر المنزلة بين المنزلتين وإنما ذكر الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[6]. وقد قام الهادي بتأليف كتب كثيرة يتجلى فيها التطابق بين آرائه وآراء المعتزلة منها : الرد على المجبرة القدرية وكتاب فيه معرفة الله من العدل والتوحيد وتصديق الوعد والوعيد وإثبات النبوة والإمامة في النبي وآله ، وكتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية

---

(1) المصدر السابق ص٥٩ تاريخ المذاهب الدينية ص٢٣٣

(2) تاريخ المذاهب الدينية ص ٢٣٣-٢٣٤ الزيدية للأكوع ص ٢٦

(3) المصدر السابق ص٢٣٥-٢٣٦ الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص٧٠

(4) الزهر (١/ ق١٨) نقلا عن كتاب : الصلة بين الزيدية والمعتزلة ص٧١

(5) نشأة الفكر الفلسفي (١٨٧/٢)

(6) رسائل العدل والتوحيد (٧٠/٢-٨٦)

في الجبر وإثبات الحق ونقض قوله ، وكتاب الجملة " جملة التوحيد " وكتاب الرد على أهل الزيغ من المشبهين وكتاب المنزلة بين المنزلتين[1] .

وتتضح أفكار وعقائد الهادي الاعتزالية فيما يلي :-

أ) التوحيد :-

يقول الهادي :" أول ما يجب على العبد أن يعلم أن الله واحد أحد صمد فرد ليس له شبيه ولا نظير ولا عديل ولا تدركه الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة وذلك أن ما وقع عليه البصر فمحدود ضعيف محوي محاط به له كل وبعض وفوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف وأن الله سبحانه لا يوصف بشيء من ذلك وهكذا قال لا شريك له : " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير "[2] وقال : " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "[3]. والكفو هو المثل والنظير والشبيه والله سبحانه ليس كمثله شئ[4] ". ثم يبدأ في عرضه للتوحيد بالقول إن الله واحد ثم يمضي في تحديد المعاني المختلفة لـ " الواحد" ليخلص من هذا التعريف إلى تحديد المعنى الذي يقصده من قوله إن الله واحد فيقول :" إن الواحد يخرج على معان كثيرة فمنها الواحد من الجماعة والاثنين ومنها النظير من نظيره والشبه في الرؤية من شبهه ومنها الجزء من الأجزاء أو العضو الواحد من الأعضاء المتباينة المؤتلفة والمجتمعة والمختلفة التي بالتئامها يكمل الواحد المصور. وباختلافها ينقص المجهول المقدر مثل أبعاض الإنسان المختلفة المجتمعة في كل إنسان التي بكمالها يكمل تصويره ويتم ، وبنقصها يزول عنه اسم التمام ويعدم فهذه أعضاء وأعداد بهن يكمل الواحد ذو الأنداد ... وقد يخرج في اللسان أن يكون الواحد من الاثنين المتشابهين في المعنى

---

(1) رسائل العدل والتوحيد (٢/٢٣)

(2) الأنعام آية ١٠٣

(3) الإخلاص آية ١ - ٤

(4) رسائل العدل والتوحيد (٢/٧٠)

المتقاربين في الصفة والاستواء فيقال هذا وهذا مثلان .. وقد يخرج معنى الواحد فيستدل به في لغة العرب على معنيين أحدهما البائن بالسؤدد والإفضال ، فيقال هذا واحد في فعله من الرجال إذ فعل ما لا يفعله غيره ويقصر عنه آله. والآخر: إثبات الواحد ونفي الثاني إذ الواحد الأول قبل الثاني فقبله عدد وبعده عدد[١] ".

وبعد أن يحدد هذه المعاني لـ"الواحد" ينفي أن ينطبق أي معنى منها على الله وهو ما يمكن أن نعده تعريفا بنفي الضد[٢]. ثم ينتقل إلى تحديد المعنى الاصطلاحي لـ " الواحد " الذي ينطبق على الله فيقول :" ويخرج معنى قولنا الواحد على أنه لا شبيه له ولا نظير ولا كفؤ صغير ولا كبير هو الله الواحد الأحد الذي لم يكن في شئ وهو الموجد لكل شئ ولم يكن من أصل ولا يكون منه أبدا فصل :" لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد "[٣] ، الواحد في الربوبية والقدرة والعزة والملك والكبرياء والعظمة فكل قادر فمقدور عليه وكل ملك فمسلوب ملكه من يديه .. الكامل الدائم والملك السرمدي الباقي القادر فلا يقدر عليه العادل فلا ظلم لديه البريء من أفعال العباد المتعالي في اتخاذ الصواحب والأولاد ليس كمثله شئ ، السميع البصير لا تحيط به الأقطار ولا تجول بتحديد فيه الأفكار ولا تنتظمه الصفات والأخبار ولا تدركه الأبصار القائم بنفسه الذي لا قوام لغيره إلا به ولا تجري عليه الأزمنة ولا تحويه الأمكنة فكيف تحوي الأمكنة من كون كل مكان وأوجد بعد العدم كل زمان"[٤] .

وهذا الإيغال في التجريد للتوحيد وتحقيق التنزيه أوقعه في تعطيل الصفات ونفي الرؤية لقوله :" ولا تنتظمه الصفات والأخبار ولا تدركه الأبصار " ونفي الاستواء على العرش لأنه في نظره احتواء الأمكنة له وهو الذي كون كل مكان فكيف تحتويه وهو مكونها . ثم يستمر في تعطيله للصفات ردا كما - يزعم - على -

---

(١) كتاب المسترشد ، مخطوط ضمن مجموعة (٢/ق ٦٧-٦٨) نقلا عن كتاب معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص١٦١

(٢) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص١٦١

(٣) الإخلاص آية ٣ - ٤

(٤) المصدر قبل السابق نفس الجزء والصفحة

المشبة – والمجسمة الذين أطلقوا على الله أنه على صورة آدم وبقول من قال منهم إنه جسم محدود وبأقاويل لهم كثيرة كلها تنقض قولهم إن الله واحد ليس كمثله شئ كوصفهم له بالأجزاء والأعضاء والحدود والزوال والانتقال – ثم قال – فعلمنا أن الذي ليس كمثله شئ يكون على صورة شئ* ولا يكون جسماً محدوداً كذلك كان أجزاء كثيرة بعضها غير بعض ولم يكن واحداً لأن الواحد في الحقيقة لا يكون له أشباه ولا ثان[1]. ثم يضيف في تحديده لمعنى التوحيد أن الله تعالى " لا تحيط به أقطار السموات والأرضين وهو المحيط بهن وبما فيهن من المخلوقين فكينونته فيهن ككينونته في غيرهن فيما فوقهن وتحتهن ككينونته قبل إيجاد ما أوجد من سمواته وأرضه فهو الأول الموجود من قبل كل موجود والمكوِّن غير المكوَّن .. متعال عن الانتقال متقدس عن الزوال وعن التصور في صور الأجسام.. ليس جسماً لأن الجسم محدود مبعض والله ليس كذلك والعرض لا قوام له إلا بغيره والله هو المقيم لكل شئ الذي لا يحتاج إلى معونة شئ[2] ".

وقال أيضاً عن الله " ولا تدركه الأبصار في الدنيا ولا في الآخرة وذلك أن ما وقع عليه البصر فمحدود ضعيف محوي محاط به له كل وبعض وفوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف وأن الله سبحانه لا يوصف بشيء من ذلك[3] ".

وهذا التوحيد بما هو مشتمل عليه من تعطيل يصطدم بإثبات الصفات العديدة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كالوجه واليدين والعلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها من الصفات وأيضاً يصطدم بإثبات الكرسي وغيره إلا أن الأمر عند الهادي ليس فيه تصادم ولا تعارض لأنه يتعامل معها وفقاً لمنهجه الذي رسمه لنفسه في التعامل مع القرآن الكريم وتقسيم آياته إلى محكم ومتشابه وعدِّه كل الآيات التي تتعارض مع هذا المفهوم للتوحيد آيات متشابهة ومن ثم

* لعل الصواب : لا يكون على صورة شيء .

(1) المترلة بين المترلتين مخطوط ق ٩٣ . نقلاً عن كتاب معتزلة اليمن ص ١٦١

(2) رسائل العدل والتوحيد (٢/٣٢٠-٣٢١)

(3) المصدر السابق (٢/٧٠)

ردها إلى الآيات المحكمة مثل قوله تعالى " ليس كمثله شئ "[١] كما فعل جده القاسم الرسي ولا فرق[٢].

فيأتي الهادي إلى قوله تعالى " وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم "[٣] فيفسر الكرسي تفسيراً يوافق منهجه الاعتزالي فيقول :" إن هذا الكرسي مثل ضربه الله لعباده يستدل به العباد على عظمة الله وإحاطته بالأشياء واتساعه لها وهذه الإحاطة بجميع الأشياء فإنما هي إحاطة الله وليس ثَمَّ كرسي مخلوق ولا شئ سوى الخالق أحاط بجميع ما خلق فليس شئ مما خلق الله إلا والله محيط به وليس شئ مما خلق الله بمحيط به هو أصغر وأحقر من ذلك إذا لكان هذا الشيء المحيط بالله أوسع من الله وأكثر منه[٤] ، إذن الهادي يرى أن الكرسي هو ذات الله عز وجل وليس شيئاً آخر إذ لو كان شيئاً غير الله لكان الله محدوداً في زمان ومكان وهذا ما يتنافى مع المفهوم الاعتزالي الذي حدده لنفسه في أصل التوحيد عنده .

وفي صفة الوجه لله كما في قوله تعالى " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام "[٥] يرى الهادي أن مقتضى نفي التشبيه والتجسيم والتعدد والتركيب عن الذات الإلهية هو حمل الوجه هنا على الذات فيقول :" إن وجه الله ذاته وذاته وجهه ليس بذي تحديد ولا أعضاء"[٦] ، والذي حمله على هذا هو ظنه أننا إذ قلنا أن الوجه ليس هو الذات لزم دخول الزوال والفناء والإمحاق والذهاب والهلاك والبلاء على الله لأنه يبقى مع الوجه غيره وهذا يتنفى مع ما وصف به نفسه من البقاء في كل الحالات[٧].

---

(١) الشورى آية ١١

(٢) رسائل العدل والتوحيد (٢/١٠٧-١٠٨)

(٣) البقرة آية ٢٥٥

(٤) تفسير الكرسي للهادي مخطوط ق ١٠١ نقلاً عن كتاب معتزلة اليمن ص ١٦٣

(٥) الرحمن آية ٢٧

(٦) كتاب المسترشد مخطوط (٢/ق ٦٧)

(٧) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

وفي قوله تعالى " واصطنعتك لنفسي "[1] وقوله تعالى " ويحذركم الله نفسه "[2] يقول الهادي :" إن الله لم يرد النفس التي تقصد حين نتكلم عن الأنفس المتنفسة بالروح المحتاجة إلى الراحة والروح .. ولو كانت نفساً في شئ إذا لقيل إنهما اثنان إذ النفس والشئ شيئان .. ولكانت النفس خلافاً لذلك الشيء وللذم ذلك الشيء العدد والتحديد والتحرك والتحرف والانحراف والتصعيد. وأما قوله تعالى " لنفسي " فإنما أراد : لي ، ويحذركم عقابه[3] ". وأما رؤية الله تعالى في الآخرة فإنه ينكرها كما أنه ينكرها في الدنيا لأن الرؤية عنده توجب التحديد ومتى وقع التحديد وقع التبعيض ومتى وقع التبعيض وقع التشبيه وإذا وقع التشبيه زالت الربوبية عن ذلك الشيء المبعض المجزأ لأن الخالق على خلاف المخلوقين ، ومن وصف بصفة المربوبين فقد أزيل عنه أن يكون جاعلاً وصح أنه من المخلوقين وبطلت وبعدت منه الوحدانية وزالت من صفاته - بغير لبس - الأزلية[4]. وعلى هذا المنهج يفسر الآيات الواردة في رؤية الله تعالى كقوله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة[5] " فيقول :" إن الوجوه يومئذ تكون نضرة مشرقة ناعمة إلى ثواب ربها منتظرة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة معناه : لا يبشرهم برحمته ولا ينيلهم ما أنال أهل الجنة من الثواب .. أما الله عز وجل فلا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وذلك أن ما وقع عليه البصر فليس بخالق ولا قادر "[6] وإنما محدود ضعيف محوي محاط به له كل وبعض وفوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف وأن الله لا يوصف بشيء من ذلك " لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار "[7] و" ليس كمثله شئ "[8] كل ما يرى لا بد أن يحيط به مكان وأن تحدث الرؤية ففي زمان

---

(1) طه آية ٤١

(2) آل عمران ٢٨

(3) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

(4) كتاب المسترشد (١ق٦٥)

(5) القيامة آية ٢٢ ــ ٢٣

(6) رسائل العدل والتوحيد (٢/١٠٨)

(7) الأنعام آية ١٠٣

(8) الشورى آية ١١

والله لا يحتاج إلى المكان وأنه لكل مكان مدبر وأنه كان قبل كل مكان وحين وأوان وأنه كان ولا سماء ولا أرض ولا عرش ولا كرسي ولا كلام[1] ".

وفيما يتعلق بصفات الله يذهب الهادي إلى الفصل بين صفات الذات وصفات الفعل.

فأما صفات الذات فإنه يذهب فيها مذهب أبي الهذيل العلاف وأمثاله من المعتزلة الذين قالوا إنها والذات الإلهية سواء بسواء وأنه ليس لله من صفات مفارقة بل هذه الصفات هي ذاته نفسها فعلمه ذاته أو كما قال أبو الهذيل إنه عالم بعلم هو هو وقادر بقدرة هي هو وحي بحياة هي هو وسميع بسمع هو هو وهكذا في جميع صفات الذات[2].

وأما فيما يتعلق بصفات الفعل مثل السخط والرضى والإرادة والتفضل والجود والكرم والثواب والإحسان والعفو والرحمة وغيرها فهي في نظر الهادي أفاعيل من الله يفعلها بعد عدم ، وفقاً لمقتضيات الفعل الإنساني وملابساته كأن يسخط على إنسان ارتكب المعاصي ثم يعود فيرضى عنه بعد فعله الحسنات وهو لا يسخط ولا يرضى إلا بعد وجوب ما يوجب ذلك[3] ،" وذلك لا يجوز لا بعد التكليف وبعد تصرف المكلفين بالطاعة والمعصية لأن جميع ذلك منه تعالى جزاء على الأفعال ولا يحسن مجازاة الفاعل قبل إقدامه على الفعل[4] ". وأما مسألة خلق القرآن فإنه يذهب فيها إلى أن القرآن مخلوق كما هو مذهب المعتزلة زعماً أن القول بأزلية القرآن وقدمه يجعله يشارك الله فى الأزلية والقدم مما يوقع في الشرك ويناقض التوحيد فالله كان ولا سماء وأرض ولا عرش ولا كرسي ولا كلام ولا صوت ولا حروف وأنه كان قبل التوراة والإنجيل والقرآن وأن القرآن أنزله على نبيه وأنشأه وخلقه ووصله وفصله وألفه وأحدثه وأنه يقدر أن يذهب ويحيي

---

(1) كتاب الأصول في الدين ق ١٠٤

(2) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ١٦٦

(3) معتزلة اليمن ص ١٦٦ ، ١٦٨

(4) مسائل الإمام الهادي مخطوط ضمن مجموعة ق ١٠٨ نقلاً عن كتاب معتزلة اليمن ص ١٦٨ – ١٦٩

بغيره[1]. ويرى أن إثبات كلام أزلي لله يوقع في التشبيه والشرك ويقتضي القول بأن له جوارح يخرج منها الكلام ويمر منها وهذا يوقع في التشبيه فما بقى إلا القول أن الله يخلق الكلام إذا أراد أن يكلم نبيا وبناءاً على هذا يفسر قوله تعالى "وكلم الله موسى تكليما"[2]، بأن " الله خلق له كلاما في الشجرة سمعه موسى بأذنه كما يسمع ما يأتي به الملك إليه من وحي فلما لم يكن بين الله وموسى مؤد للكلام إلى موسى وكان المتولي لجعل الكلام وفعله وخلقه على ما سمعه موسى .. قال "وكلم الله موسى تكليما". وأما الوحي فيفسره بأنه الإلهام ويستدل بوحي الله للنحل ويقول في هذا الصدد : "وعندنا أنه أي جبريل – يلهمه الملك الأعلى إلهاما فيكون ذلك الإلهام من الله إليه وحيا كما ألهم النحل ما تحتاج إليه وعرفها سبلها فقال تعالى "وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا.."[3] فلما جاز أن يلهم النحل ما يحتاج إليه فيفهمه فكذلك فعل الله مع الملك يلهمه ما أراد إلهاما ويلقيه في فهمه إلقاء[4] ".

ب) العدل :-

وهو الأصل الثاني من أصول العقيدة عند الهادي وفيه يسلك نفس المسلك المعتزلي أيضاً فيقول : إن الله عز وجل " عدل في جميع أفعاله ناظر لخلقه رحيم بعباده لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يسألهم ما لا يجدون ولا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما وأنه لم يخلق الكفر ولا الجور ولا الظلم ولا يأمر بها ولا يرضى لعباده الكفر ولا يظلم العباد ولا يأمر بالفحشاء وذلك أنه من فعل شيئا من ذلك أو أراده أو رضي به فليس بحكيم ولا رحيم وأنه

---

(1) الأصول في الدين ق ١٠٣

(2) النساء آية ١٦٤

(3) النحل آية ٦٨ – ٦٩

(4) مسائل أبي القاسم الرازي ق ١٢٦ – ١٢٧ نقلاً عن كتاب معتزلة اليمن ص ١٧١

لم يحل بينهم وبين الإيمان بل أمرهم بالطاعة ونهاهم عن المعصية وأبـــان لـــهم طريق الطاعة والمعصية وهداهم النجدين ومكنهم من العملين ... والله عز وجـــل بريء من أفعال العباد وذلك قوله تبارك وتعالى " إن الله يأمر بالعدل والإحســان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظم لعلكم تذكرون[1]" وقال سبحانه :"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "[2] فذكر أنـــه خلقــهم للعبــادة لا للمعصية وكذلك نسب إليهم فعلهم حيث يقول "وكل شيء فعلـــوه فـــي الزبـــر"[3] يقول"فعلوه " ولم يقل فعله بل نسبه إليهم إذ هم فعلوه. وقال عز وجـــل في فعلـه هو " الله خلق كل شيء"[4] ، يقول هو خالق كل شيء يكون ولم يقل إنه خلق فعلهم بل قال " وتخلقون إفكا "[5] يقول : تصنعون وتقولون إفكاً كما قال " تتخذون منـــه سكرا"[6] فيقول أنتم تجعلونه[7].

والإنسان عنده خالق لأفعاله اختارها بإرادته لم يخلقها الله ولم يفعلها إذ لا يمكن لله " أن يدخل عباده في سبب من الأسباب أراده ثم يعذبهم عليه ويعاقبهم فيه إن هـــذا إلا جور الجور من الفعل وأنه من فاعله لأجهل الجهل فلو كانت أفعاله لا تتـــم إلا بأفعالهم لكانت حاله في العجز كحالهم ولا كـــان مضطرا إلى خلقهم وإيجـــادهم إذ لا يتم له فعل إلا بأعمالهم فلقد آتاهم إذا نظرا منه لنفسه لا لهم وضرورة الخـــالق إلى الخلق في فعله كضرورة الخلق إلى الخالق في أمره فكل إلى غـــيره محتـــاج وذلك بين على قياسهم في المناهج ولو اشتبهت الحالات لاشتبهت بلا شك الـــذات فسبحان من بان عن خلقه فليس له حد ينال ولا مثل يضرب له به الأمثال الـــذي بان من كل فعل فعله وجل عن كل قول قوله"[8]. وفي رده على قول الحسن ابـــن

---

(1) النحل آية ٩٠

(2) الذاريات آية ٥٦

(3) القـــمر آية ٥٢

(4) الرعد آية ١٦ ، الزمر آية ٦٢

(5) العنبكوت آية ١٧

(6) النحل آية ٦٧

(7) رسائل العدل والتوحيد (٧١/٢ – ٧٢)

(8) المصدر السابق (٢٠٤/٢)

محمد بن الحنفية :" هل يقدر الخلق على أن يخرجوا مما أدخلهم الله فيه وصنعه بهم"[1]. يقول " إن إدخال الله وصنعه بالعباد يكون على معنيين كليهما متضادين أحدهما : إدخال حكم وأمر وافتراض منه معه تمكين واختيار لم يرد الله أن يدخلهم فيه جبرا بل أراد أن يدخلوا اختيارا بما ركب فيهم وأعطاهم من الآلات والإستطاعات ليكمل لهم الثواب على الطاعات ولو أدخل قوما في الطاعة وأدخل آخرين في المعصية ثم أثاب وعاقب لكان على غير فعلهم عاقب وأثاب جل الله عن ذلك رب الأرباب فهم قادرون على الخروج من هذا الفعل على ما ذكرنا من تمكين الله الواحد الأعلى .

وأما المعنى الثاني : الذي أدخلهم فيه وصنعه بهم فهو ما خلقهم عليه وصورهم من الخلقة وقومهم عليه من الفطرة من الأجسام والعروق والعصب والعظام و الأسماع والأبصار وما عليه الجن من السرعة والذهاب في الهواء وما خلق عليه الآدميين من الثقل والخفة فلا يقدر جني يزيح ما فيه من الخفة فيثقل ولا آدمي عن الثقل إلا الخفة يرحل وكذلك لا يقدرون على الخروج من سواد إلى بياض ولا من بياض إلى سواد ولا من قصر إلى طول ولا من طول إلى قصر فهذا مالا يقدر عليه الخلق ولا ينالونه وذلك أن الله خلقهم و جبلهم عليه فلم يزدادوا من محبوبه ولم ينتقصوا من مكروهه"[2].

ثم قال :" فإن قالوا : إن الله سبحانه خلق الأدوات التي تكون بها الأفعال في كل الحالات من الفروج والأيدي والألسن واللهوات كما خلق الجلود والقطن والحديد والصوف فنحن نقول : إذ قد أوجد أصل أفعال العباد أن منه أفعالهم كما نقول إن السرابيل منه إذا أوجد أصولها. قلنا لهم في ذلك : ليس هذا كذلك لأن الله سبحانه أوجد الأصل الذي نقل وصنع وعمل من هذه التي نسبها إليه من الجلود والكرسف والصوف والحديد والعباد فعلوا الحدث الذي صرفوها به وأحدثوه فيها من عملها ونسجها وصناعتها وغزلها بالأكف والأدوات التي جعلت لهم والاستطاعة التي

---

(1) المصدر السابق (٢/٢٠٤)

(2) المصدر السابق (٢/٢٠٤ – ٢٠٥)

ركبت فيهم[1] " ويعتقد الهادي فيما يتعلق بالآجال أن موت الإنسان موتا طبيعيا يأتي لأجل حدده الله وقضاه أما موته بالقتل أو الانتحار فهو جرم اقترفه الإنسان ضد أخيه الإنسان أو ضد نفسه لم يقض الله به وإنما نهى عنه وحذر مرتكبه من العقاب الشديد[2].

ومع أن الهادي في جميع ما كتبه كان خصما لدودا لمن يسميهم الجبرية ونصيرا متحمسا للقول بخلق الإنسان لأفعاله إلا أنه في موضوع الإمامة جبري قح يرفض الشورى والاختيار ويستشهد على ذلك بقوله تعالى "وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة "[3] وهو يتساهل هنا مع ما يسميه بالجبر لأنه يدعم نظريته السياسية[4] بينما القول بحرية الإنسان في اختيار الإمام قد يقود إلى اختيار إمام غير فاطمي[5] .

جـ) الوعـد و الوعـيد :-

ويقول فيه :" ثم يجب عليه أن يعلم أن وعده ووعيده حق ، من أطاعه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار أبد الأبد ، لا ما يقول الجاهلون من خروج المعذبين من العذاب المهين إلى دار المتقين ومحل المؤمنين وفى ذلك يقول رب العالمين "خالدين فيها أبدا"[6] ويقول "وما هم بخارجين منها "[7] ففي كل ذلك يخبر أنه من دخل النار فهو مقيم فيها غير خارج منها فنعوذ بالله من الجهل و العمى ونسأله العون والهدى فإنه ولي كل النعماء ودافع كل الأسواء[8] ".

---

(1) المصدر السابق (٢/٢٩١)

(2) انظر المصدر السابق (٢/١٦١-١٦٨)

(3) القصص آية ٦٨

(4) كتاب من اعتزل الشك للهادي. مخطوط. ضمن مجموعة ق ١٦٨ نقلا عن كتاب معتزلة اليمن ص ١٧٨

(5) معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ١٧٨

(6) النساء آية ٥٧ ، ١٢٢ وغيرها من السور

(7) المائدة آية ٣٧

(8) رسائل العدل والتوحيد (٢/٧٣ — ٧٤)

ثم يستعرض آراء الفرق الأخرى المخالفة له محاولا إثبات رأيه ومبطلا حججها بقوله : " شهدوا جميعا أن الله صادق في جميع أخباره وأنه لا يخلف الميعاد ولايبدل القول لديه صادق الوعد والوعيد في أخباره ثم نقض ذلك المرجئة بقول من زعم أن الله جائز أن يغفر لمن قد أخبر أنه يعذبه وخالف ذلك منهم من زعم أن الله يقول : من زنى عذبته بالنار يوم القيامة فأتى الخبر من الله ظاهرا مطلقا " ليس معه استثناء " ثم لا يعذب أحدا من الزناة يوم القيامة ولا تمسهم النار لأنهم زعموا أنه استثنى ذلك عند الملائكة فقال إني أعذبهم إن شئت وأن لا فإني اغفر لهم أو يقول : إلا أن أتفضل عليهم بالعفو ... فلما جوزوا ذلك في أخبار الله نقضوا معنى ما حكم الله به في وعده ووعيده وادعى بعضهم الخصوص في الأخبار فزعموا أن كل خبر جاء من الله عاما في الظاهر فقد يجوز أن يكون خاصا وزعم بعضهم أنه ليس في أهل الصلاة وعيد وإنما الوعيد في الكفار خاصة دون غيرهم وكل هؤلاء وغيرهم من أصناف المرجئة ناقضون لمعنى ما أخبر الله به من كتابه وحكم به من وعده ووعيده[1] "، ولا تكليف في نظره إلا بعد التبليغ ولذلك فإن الأطفال والمجانين ومن ليس له ذنب لا يعذبون لأنه لم يأتهم رسول. ويقول أيضا: ومن زعم أن الله يؤاخذهم بما علم منهم فقد كذب الله في خبره وجوره في حكمه وكذلك أطفال المؤمنين وأطفال المشركين وأولاد الزنى والمجانين إذا أصابهم الجنون في صغرهم فلم يفيقوا حتى ماتوا[2] " ثم يعود فيعارض ويناقض نفسه حيث يقول : يحل سبي أطفال المشركين[3]. لأنه بناء على أصله هم لا ذنب لهم ولم يكلفوا بعد ولم يرتكبوا صغيرة ولا كبيرة فكيف يجوز سبيهم .

---

(1) المنزلة بين المنزلتين ق ٩٣ – ٩٤

(2) المصدر السابق ق ٩٧

(3) مسائل الإمام الهادي ق ١٠٦

د) المنزلـــة بين المنزلتين :-

هناك مرحلتان للهادي تحددان موقفه من الأصول الخمسة في الأولى منهما يثبـــت هذه الأصول الخمسة على وفق المذهب المعتزلي تماما مع تـــأييده لـــها بـــالحجج القرآنية بل ويرتبها الترتيب المعتزلي نفسه حيث يبدأ بالتوحيد ثم العدل ثم الوعـــد والوعيد ثم المنزلة بين المنزلتين والخامس والأخير هو أصل الأمر بـــالمعروف والنهي عن المنكر[١]. وفي هذه المرحلة تصبح الأصول الخمســـة كمـــا قررهـــا المعتزلة أصولا للزيدية فهو بعد تقريرها وترتيبها يقول :" فمن أقام علـــى هـــذه الأصول كما أقمنا ودان بها كما دنا وعمل بما استحق الله عليه فيـــها فـــهو منـــا وأخونا ولينا ندعوه إلى ما أجابنا ونجيبه إلى ما دعا ومن خالفنا وفارقنا عليـــها حاججناه بالمحكم من كتاب الله ورددناه إلى المجمع عليه من سنة رسول الله فـــإن قبل ذلك كان له مالنا وعليه ما علينا فإن أبى إلا المخالفة للحق والمعاندة للصـــواب كان الله حسبه وولى أمره والحاكم بيننا وبينه وهو خير الحاكمين "[٢]. ففـــي هـــذه المرحلة يبدو الهادي متكلما معتزليا رغم عدم اعترافه الصريح بأنه أصبح معتزليا فهو لا يورد الإمامة في الأصول الخمسة وإنما يتحدث عنها في رسائل منفصلـــة دون أن تكون أصلا من أصول العقيدة[٣] .

وفى المرحلة الأخرى المتأخرة فإن الهادي يخفف من طابعـــه الجدلـــي الكلامـــي ويقترب من الأسلوب الوعظي ويقوم بتبسيط الأصول الخمسة بحيث يتقبلها النـــاس الذين لم يتعودوا على علم الكلام ومجادلاته ، وفي هذا يقول :" ما لا يسع أحد مـــن المكلفين جهله: معرفة أصول الدين من توحيد الله وعدله وإثبات وعـــده ووعيـــده والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإثبات الإمامة في المصطفين من آل نبـــي

---

[١] المصدر الأسبق ق ٩٣ - ٩٤

[٢] المصدر السابق ق ٩٤

[٣] معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ص ١٥٧ - ١٥٨

الله – صلى الله عليه وسلم ـ[1] " وفى هذه المرحلة الثانية وبعد التغيير تصبح الأصول الخمسة عند الهادي كما يلي :-

١ـ التوحيد.

٢ـ العدل.

٣ـ الوعد والوعيد.

٤ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٥ـ إثبات الإمامة في آل البيت.

وتتلخص ملامح التغير في الأمور التالية :-

١ـ جعله نظرية الإمامة الزيدية أصلا من أصول الدين وقد كان لهذا تأثير كبير في التقريب ما بين النظرية الزيدية للإمامة والفكر المعتزلي حتى وجدنا القاضي عبد الجبار المعتزلي فيما بعد يعرض نظرية الإمامة الزيدية في أصل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[2]. وبهذا أصبح للأصول الخمسة طابع سياسي مباشر .

٢ـ حذف المنزلة بين المنزلتين من الأصول الخمسة وإفرادها بكتاب مستقل يحمل نفس الاسم خلافا للمرحلة الأولى حيث جعلها الأصل الرابع من الأصول الخمسة .

٣ـ التغير في الأسلوب فبعد أن كان أسلوبه جدليا كلاميا أصبح يميل إلى أسلوب التبسيط والوعظ ومحاولة إيصال علم الكلام إلى غير المهتمين به وبغرض استمالتهم للالتفاف حول حزب سياسي يعمل لبناء دولة تحت قيادة الهادي لأنه سيواجه معارضة عنيفة من الخلافة العباسية ومن الزعامات المحلية الطامحة إلى بناء دويلاتها الخاصة بها[3] .

---

[1] الأصول في الدين مخطوط ضمن مجموعة ق ١٠٣ نقلا عن كتاب معتزلة اليمن ص ١٥٨

[2] شرح الأصول الخمسة ص ٧٤٩ - ٧٦٠

[3] أنظر معتزلة اليمن دولة الهادي وفكره ص ١٥٨

ونحن هنا نسلك الترتيب بحسب المرحلة الأولى فيكون الأصل الرابع هو المنزلة بين المنزلتين ، وفى هذا الأصل يرى أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا وإنما في منزله بين المنزلتين ويرى أن هذا الموقف قد أجمع عليه جميع المسلمين ويدلل على قوله هذا باستعراض آراء الفرق الإسلامية المختلفة في هذه المسألة موضحا أن الخوارج اعترفوا بأن مرتكبي الكبيرة فساق وأن فسقهم قد بلغ بهم الكفر وادعت المرجئة أنهم مع فسقهم مؤمنون وخالفهم في ذلك عامة الأصناف وقالت المعتزلة هم فساق وفجار لا يبلغ فسقهم كفرا ولا شركا ولا نفاقا وكذلك قالت المرجئة والعامة وقالت المعتزلة أيضا لا يجب لهم اسم الإيمان مع الفسوق وكذلك قالت الخوارج والشيعة والزيدية فوجدناهم كلهم قد أجمعوا على شهادة واحدة : أنهم فساق فجار معتدون وأخذنا بما أجمعوا عليه من ذلك وتركنا ما اختلفوا فيه مما كذب فيه بعضهم بعضا فسميناهم فساقا فجارا وبرأناهم من الكفر والشرك والنفاق إذ كانوا فيه مختلفين ولم نوجب لهم اسم الإيمان إذ كانوا عليه عند إصابتهم الكبائر غير مجتمعين[1] .

هـ) الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :-

قال الهادي :" وندين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وأن نصر المظلوم والأخذ على يد الظالم فرض لازم وحق واجب لأن في ترك الأمر بالمعروف للحق إماتة وفي النهي عن المنكر للباطل إماتة "[2] .

(1) المنزلة بين المنزلتين ق ٩٤ .

(2) المصدر السابق ق ٩٧ وانظر رسائل العدل والتوحيد (٢/٨٣ – ٨٦)

المقصد الثاني : نماذج من علماء الشيعة الإمامية الإثنى عشرية :

تختلف الإمامية الرافضة عن الشيعة الزيدية في هذا المقام لما تقدم من أن الزيدية لها قصب السبق في الاتصال بالمعتزلة ومن جهة ثانية لأنه قد وجد من علمائها من صنف مصنفات سلك في كثير منها طريقة المعتزلة وقرر فيها عقيدتها إلا ما ندر وقل كالقاسم الرسي والهادي يحيي بن الحسين والناصر الأطروش وغيرهم ولكن هذا الأمر يختلف إذا ما جئنا إلى الإمامية الرافضة لأن صلتهم بالمعتزلة جاءت متأخرة في أواخر القرن الثالث الهجري وكانت على المستوى الفردي لأننا إذا بحثنا وتوسعنا في دراسة هذا القرن سنجد أن أول مدرسة إمامية نقرأ في أفكارها تشابها بينها وبين المعتزلة هي مدرسة بني نوبخت وعلى رأس هذه المدرسة يأتي أبو سهل إسماعيل النوبختى (ت سنة ٣١١هـ) وابن أخيه الحسن ابن موسى (ت سنة٣١٠ هـ) وكما يرى بعض الباحثين فإن هاتين الشخصيتين تمثلان أول مدرسة كلامية مزجت مزجا عميقا بين علم الكلام الإمامي وعلم الكلام المعتزلي غير أن التاريخ لا يحتفظ بشيء من تراث هذه المدرسة سوى الإشارات المتفرقة والنادرة الموجودة في كتاب الشيخ المفيد " أوائل المقالات "[١] والتي يشير إليها في بعض المواقف وقد تبنت هذه المدرسة نفى الصفات وأثبتت العدل الإلهي وأثبتت حرية الأفعال الإنسانية ومنعت جواز رؤية الله تعالى وأنكرت ظهور المعجزات على يد الأئمة ومع ذلك قالت بعصمة الإمام وأنكرت قول المعتزلة في أصل الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين وأثبتت القول بالشفاعة. وخلاصة القول أنهم خالفوا قومهم الإمامية في الموضوعات ذات الخصام العنيف بينهم وبين المعتزلة. وقد تبنوا بعض الآراء التي كان يذهب إليها المعتزلة وينفردون بها[٢]. ولما لم توجد مؤلفاتهم وأضحت عسيرة التناول لم نتمكن من أخذهم كنماذج مثل أبي الأحوص ومحمد بن عبد الله بن مملك ومحمد بن عبد الرحمن بن قبة وأبي الحسن ابن بشر السوسنجردي وغيرهم كما فعلنا فيما سبق

---

(١) أوائل المقالات ص ٩٣

(٢) فلاسفة الشيعة ص١٥٢-١٨١ أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية ص٤٤٧

عند الحديث عن الزيدية واختيار عدد من أئمتها وما صنفوه من مصنفات تـــردد الفكر الاعتزالي وتقرره. وإنما يتسير ذلك عند الحديث عن علماء الإماميـــة فـــي القرن الرابع الهجري وما بعده كابن بابويه والمفيد والطوسي وابن المطهر الحلـــي وغيرهم لوجود مؤلفات لهم تثبت تأثرهم بالمعتزلة بل تتطابق مع عقائدها وهو مـا سيناقش بإذن الله في الفصل القادم لأن هذا الفصل ينتهي بنهايـــة القـــرن الثـــالث الهجري .

المقصد الثالث : نماذج من علماء المعتزلة .

سبقت الإشارة إلى أن الشيعة الزيدية وافقت المعتزلة في أصولها الخمسة عدا بعض الاختلافات في مسألة الإمامة حيث أنهم قد تعلقوا بالاعتزال أكثر من غيرهم من الشيعة[1] ، وأما الإمامية الرافضة فاتصالهم بالمعتزلة أقل وينحصر في كل من التوحيد والعدل وشيء قليل من الوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين[2]. هذا فيما يتعلق بما وافق فيه الشيعة المعتزلة وأما ما يتعلق بموافقة المعتزلة للشيعة فينحصر في التفضيل والإمامة ليس إلا وفى هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وليس في المعتزلة من يطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بل هم متفقون على تثبيت خلافة الثلاثة. وأما التفضيل فأئمتهم وجمهورهم كانوا يفضلون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وفي متأخريهم من توقف في التفضيل وبعضهم فضل عليا فصار بينهم وبين الزيدية نسب واشج من جهة المشاركة في التوحيد والعدل والإمامة والتفضيل[3] ".

ويقول شمس الدين الذهبي :" وكانت الشيعة تميل إلى العراقيين لموافقتهم لهم في مسألة التفضيل ورخصة مذهبهم "[4] ، ولعل انتشار هذا الاعتقاد – أعني مشاركة المعتزلة للشيعة في التفضيل وشئ من الإمامة – هو الذي دفع المقريزي إلى القول بأنه " قلما يوجد معتزلي إلا وهو رافضي إلا قليلا منهم "[5] .

وأما مسألة الإمامة* فنجد أن بعض المعتزلة قال بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل تأثرا ببعض أئمة الزيدية وفي هذا يقول الشهر ستاني :" وتابعه – سلمان ابن جرير –على القول بجواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل قوم من المعتزلة

---

[1] المعتزله لزهدي جار الله ص٢١٨ الحضاره الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١٢٧/١)

[2] أصول العقيدة بين الإمامية والمعتزلة ص٤٤٩

[3] منهاج السنة النبوية (٧٠/١)

[4] سير أعلام النبلاء (٢١٦/١٤)

[5] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣٤٨/٢)

* جمهور المعتزلة يشترطون القرشية في نسب الإمام وخالف النظام الجاحظ ومن وافقهما وأجازوها في غير القرشي. أنظر المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٩٨/١/٢٠) النوبختي في فرق الشيعة ص٨ مروج الذهب (١٧٥/٢)

منهم جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب"[١]. وهذا هو قول المعتزلة البغداديين قاطبة الذين فضلوا عليا على أبي بكر وتبعهم ثلة من البصريين المتأخرين فهم مع تفضيل علي على أبي بكر إلا أنهم يصححون خلافة الثلاثة قبل علي ابن أبي طالب.

يقول ابن أبي الحديد :" اتفق شيوخنا كافة رحمهم الله المتقدمون منهم والمتأخرون والبصريون والبغداديون على أن بيعة أبي بكر الصديق بيعة صحيحة شرعية وأنها لم تكن عن نص وإنما كانت بالاختيار الذي ثبت بالإجماع ، وبغير الإجماع كونه طريقا إلى الإمامة[٢] ".

وأما قدماء البصريين الذين فاضلوا بين الخلفاء الأربعة بحسب ترتيبهم في الخلافة فإنهم لا يقولون بإمامة المفضول مع قيام الأفضل لأنهم يرون الأول هو الأفضل بالنسبة لمن بعده[٣] .

وأما إبراهيم بن سيار النظام فالنقل عنه مختلف فبينما ينقل عنه الشهرستاني أنه يقول بعد أن ذكر عنه أنه يميل إلى الرفض ويقع في كبار الصحابة قال " لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على علي رضي الله عنه في مواضع وأظهره إظهارا لم يشتبه على الجماعة إلا أن عمر كتم ذلك وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة ونسبه إلى الشك يوم الحديبية في سؤاله الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال : ألسنا على الحق ؟ أليسوا على الباطل ؟ قال : نعم. قال عمر : فلما نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : هذا شك في الدين ووجدان خرج في النفس بما قضى وحكم ... إلى غير ذلك من الوقيعة الفاحشة في الصحابة رضي الله عنهم أجمعين"[٤]؟ وقد نسبت إليه آراء تتفق مع عقائد الشيعة كنقد القياس والإجماع واعتبار الحجة في قول إمام معصوم[٥]. ولكن

---

[١] الملل والنحل (١/١٥٩-١٦٠) التنبيه والرد ص٤٦

[٢] شرح نهج البلاغة (١/ ٧)

[٣] المصدر السابق (١/ ٧)

[٤] الملل والنحل (١/٥٠-٥٢)

[٥] المعتزلة لأحمد صبحي ص(١/٢٦٠) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (١/١٢٨)

ومع هذا النقل نجد أن هناك نقولا أخرى عنه تثبت غير هذا منها ما نقله الشهرستاني عنه من أنه عاب على علي رضي الله عنه في قوله في بعض فتاواه : أقول فيها برأيي[1]. ومنها ما نقله النوبختي الإمامي عنه بقوله :" وقالت المعتزلة إن الإمامة يستحقها كل من كان قائما بالكتاب والسنة فإذا اجتمع قرشي ونبطي وهما قائمان بالكتاب والسنة ولينا القرشي. والإمامة لا تكون إلا بإجماع الأمة واختيار ونظر ... وقال إبراهيم النظام ومن قال بقوله : الإمامة تصلح لكل من كان قائما بالكتاب والسنة لقول الله عز وجل " إن أكرمكم عند الله أتقاكم "[2][3]. ويقوي هذا أن المنقول عن النظام أنه يرتب الخلفاء الأربعة – رضي الله عنهم – في الفضل كترتيبهم في الخلافة. يقول الناشئ الأكبر (ت سنة ٢٩٣هـ) وهو يقرر أن النظام وأبا الهذيل وضرارا وحفصا الفرد كانوا يرون : أن أبا بكر كان أفضل الناس بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – واعتلوا في ذلك بأن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم– قدموه في الإمامة على سائر الناس .. وقالوا مثل ذلك في عمر أنه أفضل الناس بعد أبي بكر وأن عثمان أفضل الناس بعد عمر في الوقت الذي ولي إلى ست سنين من خلافته ثم اختلفوا في موالاة عثمان فقال أبو الهذيل وإبراهيم النظام ومن قال بقولهما :" قد أجمع المسلمون على أن عثمان قد كانت منه أحداث وأجمعوا على أن المسلمين أنكروا عليه تلك الأحداث .. وأثبتوا إمامة علي فقالوا كان أفضل الناس في الوقت الذي عقد له الخلافة ، ووقفوا في الحرب التي كانت بينه وبين طلحة والزبير وزعموا أنهم أكفاء في العدالة وإن كان علي أفضلهم "[4]. وقال ابن أبي الحديد " واختلفوا – المعتزلة – في التفضيل فقال قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عبيد وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وأبي معن ثمامة بن أشرس وأبي محمد هشام بن عمرو

---

(1) الملل والنحل (١/ ٥١)

(2) الحجرات آية ١٣

(3) فرق الشيعة ص٣١-٣٣

(4) مسائل الإمامة للناشئ تحقيق يوسف فان أس ص٥٢-٥٣

الفوطي وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام وجماعة وغيرهم : إن أبا بكر أفضل من علي وهؤلاء يجعلون ترتيب الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة"[1].

إذا فالنقل عن النظام مختلف فلعله قال بكل منهما في وقت من الأوقات أو لعله كان ينتقد من منطلق نزعة عقلية متطرفة لا عن ميل إلى فرقة معينة لا شيعية ولا غيرها[2].

وأما موقف المعتزلة من أصل الإمامة لدى الشيعة فهو أن جمهورهم كما يقول القاضي عبد الجبار على أن الإمام لا يحتاج إليه في معرفة الشرع من جهته وإنما يحتاج إليه لتنفيذ أحكام الشرع مثل : إقامة الحدود وحفظ الثغور وإعداد الجيوش والغزوات وما إلى ذلك أما معرفة الشرائع فهي مرتبطة بالكتاب والسنة ثم إجماع الأمة فأي حاجة بالأمة إلى الإمام[3] ؟ .

ولا يرى القاضي عبد الجبار أن الإمامة مسألة تثبت بالعقل بل هي مما يثبت بالسمع[4]. ولما قالت الإمامية : إن الإمام بمنزلة البيان للمكلفين لأنه حجة الله على الخلق ولا يصح أن يخلو الزمان من حجة سواء أكان هذا الحجة نبيا أم إماما فإذا لم يصح خلو المكلفين في أي زمان من الأنبياء لكونهم حججا فكذلك لا يصح خلوهم من الأئمة رد القاضي عبد الجبار بقوله :" إنه يجوز خلوا المكلفين من النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد بينا ذلك في باب النبوات .. وإذا كان عامة حال الإمام أن يكون كالنبي وخلو المكلفين منه يجوز فيجب مثله في الإمام فيكون هذا القول دليلا عليك أولى من أن يكون دليلا لك[5].

---

(1) شرح نهج البلاغة (٧/١)

(2) المعتزلة لأحمد صبحي (٢٦٠/١)

(3) شرح الأصول الخمسة ص ٧٥٠-٧٥١

(4) المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٨/١/٢٠)

(5) المصدر السابق (٣٦/١/٢٠ – ٣٨)

ويرى أن الإمامة لا يصح أن تكون لطفاً لأنه كيف يجوز أن يغيب الإمام عن الأمة طوال هذه المدة مع كونه لطفاً في الدين ومع أن الحاجة إليه بهذه الشدة[1].

وهكذا يصل القاضي عبد الجبار إلى أن الإمامة ليست واجبة بالعقل كما يقول الإمامية ويخلص إلى انه إذا كانت مشاهدة النبي – صلى الله عليه وسلم – وسماع كلامه في مسألة الشرع تغني عن أي أحد غيره في وقته فكذلك ما يتواتر عنه من أخباره يغني في كل ما يحتاج إليه بعده عن إمام يبين ذلك ثم يستنتج أن الإمامية من أجل القول بضرورة الإمام أبطلوا التواتر بل أبطل بعضهم الإجماع وأنكر بعضهم العقليات كل ذلك ليصح لهم إثبات حجة أو إمام نحتاج إليه في كل زمان[2]* .

كما يتهم الخياط الإمامية بالخروج من الإسلام بسبب قولهم بالرجعة فيقول: "والأمة كلها إلا أهل الإمامة تنكر القول بالرجعة وتدفعها وتكفر قائلها وتخرجه من الإسلام ولعلم الرافضة بخروجها من الإسلام عند الأمة في قولها بالرجعة قد تواصو بكتمانها وألا يذكروها في مجالسهم ولا في كتبهم إلا فيما قد أسروه من الكتب ولم يظهروه "[3].

ويصمهم أبو علي الجبائي بقوله :" إن أكثر من نصر هذا المذهب كان قصده الطعن في الدين والإسلام فتسلق بذلك إلى القدح فيهما لأنه لو قدح فيهما بإظهار كفره فإذن يقل القبول منه فجعل هذه الطريقة سلماً إلى مراده نحو هشام بن الحكم وطبقته ونحو أبي عيسى الوراق وأبي حفص الحداد وابن الراوندي وسائر من نحا هذا النحو .. وعلى هذا الوجه أظهروا ما يكون نقضاً للدين والإسلام لأن مرادهم إبطال الكتاب والسنة وأجازوا في الكتاب – أو كثير منهم – الزيادة والنقصان وبعضهم أخرجه من أن يكون معجزاً وأبطلوا طريقة التواتر الذي لولاه لما ثبت

---

(1) المصدر السابق (٢٠ / ١ / ١٩)

(2) شرح الأصول الخمسة ص ٧٥١ * وذهب البغداديون والجاحظ وأبو الحسن البصري من معتزلة البصرة إلى أن العلة في الوجوب عقلية. شرح نهج البلاغة (٢ / ٢١٥)

(3) الانتصار ص ١٩٨ ، ١٨٨

الكتاب والسنة وقدحوا في الإجماع"[1] فالجبائي هنا يحكم على معظم الشيعة بالكفر ويتهمهم بسوء النية وتعمد الإفساد في الدين[2]. هذا ما يتعلق بالإمامة عند المعتزلة وموقفهم منها. وأما مسألة التفضيل فهم فيها على ثلاثة أقوال :

القول الأول :

أن التفضيل بينهم هو بحسب ترتيبهم في الخلافة وهذا مذهب قدماء البصريين كأبي عثمان عمرو بن عبيد وأبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وأبي معن ثمامة بن أشرس وأبي محمد هشام بن عمرو الفوطي وأبي يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام[3] . وضرار وحفص الفرد وأبي الهذيل العلاف[4].

القول الثاني :

أن عليا – رضي الله عنه – أفضل من أبي بكر وغيره من الصحابة – رضي الله عنهم – وهذا مذهب البغداديين قاطبة قدمائهم ومتأخريهم كأبي سهل بشر ابن المعتمر وأبي موسى عيسى بن صبيح وأبي عبد الله جعفر بن مبشر وأبي جعفر الإسكافي وأبي الحسين الخياط وأبي القاسم عبد الله بن محمود البلخي[5]. وأبي علي الجبائي وأبي عبد الله الحسن بن علي البصري والقاضي عبد الجبار وأبي محمد الحسن بن متويه[6].

---

[1] المغني (٢٠ / ١ / ٣٦ – ٣٨)

[2] التاريخ السياسي والفكري ص ١٠١

[3] شرح نهج البلاغة (٧/١)

[4] مسائل الإمامة للناشئ الأكبر ص ٥٢ – ٥٣

[5] المصدر السابق (١ / ٧ – ٨)

[6] المصدر السابق (٨/١) وقال ابن المرتضى :" قال أبو الحسن : والرافضة لجهلهم بأبي علي ومذهبه يرمونه بالنصب وكيف وقد نقض كتاب عباد في تفضيل أبي بكر و لم ينقض كتاب الإسكافي المسمى " المعيار والموازنة" في تفضيل علي على أبي بكر " المنية والأمل ص ١٧٣.

القول الثالث :

التوقف في المفاضلة بين علي وأبي بكر وهذا يتضمن تفضيل علي على عمر وعثمان من باب أولى[١]. يقول ابن أبي الحديد : وهو قول أبي حذيفة واصل ابن عطاء وأبي الهذيل محمد بن الهذيل العلاف .. وأبي هاشم عبد السلام بن أبي علي وأبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري[٢]* ... وقد ذكر المقريزي أن أبا علي الجبائي البصري يقف في التفضيل بين علي وأبي بكر ومع ذلك يقول إن أبا بكر خير من عمر وعثمان ولا يقول إن علياً خير من عمر وعثمان[٣].

وبهذا ينتهي الحديث عن المبحث الثاني من الفصل الثاني والذي كان الحديث فيه عن الصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة والمعتزلة وسيأتي إن شاء الله في الفصل القادم بيان للصلة التأريخية والعقدية بين الشيعة الإمامية والزيدية وبين المعتزلة من القرن الرابع إلى القرن الثالث عشر الهجري .

---

[١] التنبيه والرد ص ٥٥

[٢] شرح نهج البلاغة (١ / ٨ – ٩)

* ولكن القاضي عبد الجبار في المغني (١١٤/٢/٢٠) يجعل واصلا ممن يفضل أبا بكر وعمر بحسب ترتيبهم في الخلافة على جميع الصحابة ثم يفضل عليا على عثمان مع موالاته لعثمان رضي الله عن الجميع . وبعضهم ينسب تفضيلهم بحسب ترتيبهم في الخلافة للقاضي عبد الجبار انظر التاريخ السياسي للمعتزلة ص ١٢٩ ، ونسب الملطي إلى أبي الهذيل المساواة بين أبي بكر وعلي ثم أبو بكر أفضل من عمر وعمر أفضل من عثمان. التنبيه والرد ص ٥٥ ،ونسب الناشئ الأكبر لأبي الهذيل تفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي بالترتيب أنظر مسائل الإمامة ص ٥٢ – ٥٣ وقيل كان يفضل عليا على عثمان ، المنية والأمل ص ٤٦.

[٣] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (٣٤٨/٢) شرح نهج البلاغة (٧/١)

فهرس الموضوعات